جواهر الأدب

الجزء الرابع

يشتمل على مختارات نفيسة من المنظوم والمنثور
لمشاهير الشعراء وبلغاء الكتّاب

جمعه ونقحه

العلامة ب. بستاني

بعناية

سليم ابراهيم صادر

بيروت

مكتبة صادر

طبع بمطبعة « مكتبة صادر » في بيروت . سنة ١٩٢٨

مطبعة (مكتبة صادر) في بيروت

ما برزت اجزاء جواهر الادب السالفة الى عالم الانتشار حتى اصابت من ضروب الحفاوة لدى اصحاء الذوق ما حلا غرار الهمة وارهف حد العزمة . فلم نتماسك عن ان نصوغ لهم عقود الشكر على ما وجّهوه الينا من كلمات الاستحسان وما اتحفونا به من نفحات الثناء على الطريقة السوية التي جرينا عليها مما استحثنا على مواصلة المسير وراء الامد الخطير الذي طالما رصدته عيون الادباء والمتأدبين حتى اذا أتيح لنا ادراكه قدّمنا لطلاب العلم سلسلة ادبية تجمع الى فنون الحكمة والتهذيب المنظومات الرائعة والمقالات الباهرة وتنطوي على جميع الابواب والاغراض والانفاس المألوفة عند الجهابذة المنشئين في جميع الاعصار

ولا مشاحة ان الشرق أنبت في هذا العصر من نوابغ العلماء الاعلام من برّزوا في ميدان المعارف وحلّقوا في جوّ الانشاء ايّ تحليق وتأنقوا في افانين الكلام وأساليب النظم واوغلوا في متون اللغة الى ان اماطوا النقاب عن محيا رموزها واستخرجوا فرائد اللآلئ من صدور كنوزها . فلم يكن من الانصاف ان نبخسهم حقوقهم دافنين في رموس الاغفال نفائس آثارهم ولاسيما بعد اذ ابتدعوا من التخيلات البديعة ما لم تحم عليه بصائر السلف واستحدثوا من المعاني السامية والمواضيع العالية ما اغنى خزائن الخلف . ولذلك رأينا ان

نوشّي سائر الاجزاء بشيء من منظومهم ومنثورهم حتى يضرب شداة العلم على مثالهم الرائق وينسج روّاد الادب على منوالهم البديع الشائق

هذا ولما كانت اللغة معدناً تستخرج منه الاقلام جواهر المباني للافصاح عمّا يتلألأ في سماء الاذهان من ثواقب المعاني قضت الحاجة ان نفرد لها باباً نودع فيه شذورًا من المترادفات الجارية على ألسنة بلغاء الكتّاب وامراء الانشاء قصد ان نفسح لابناء التحصيل مدى البيان والتحبير فلا تنفد في خواطرهم المادة ولا يقف بهم القلم عند اول شوط يجرونه في مضمار التعبير

وهنا لا نرى بدًّا من الالماع الى الخطَّة التي تمشَّينا عليها في تنقيح هذا الجزء فلقد انتقينا من باب الادبيات الجواهر اليتيمة حتى جاء كل فصل من فصولها غايةً في الايجاز والبلاغة . وحذفنا من باب الحكم ما لا يترتب على ذكره كبير نفع وأسقطنا ابواب الحكايات واللطائف والفكاهات وابدلناها بما عثرنا عليه من درر القصائد وغرر المقالات لفحول الشعراء وكبار المنشئين مما زاد في رونق هذا الجزء وجعله اوفر عائدةً واغزر مادةً واكثر مطابقةً لحال الطلّاب المرشحين لدرس البيان في السنة المقبلة . وأغفلنا بعض الحركات التي لا تلتبس على الطالب ولم نقيّد له بالشكل باب المقالات والرسائل حتى يتمرَّن على الاصول الصرفيـة والنحوية فترسخ في ذهنه ويألف القراءة في الكتب الخالية من الشكل . وفقنا المولى الرشيد الى مناهج الاتقان والاحكام وقيَّض لنا اسباب السداد وحسن الختام

—»»»o«««—

الباب الاول

في الادبيات



أَلْفَصْلُ ٱلْأَوَّلُ

فِي دَلَائِلِ ٱلْعَقْلِ

قَالَ زِيَادٌ: لَيْسَ ٱلْعَاقِلُ ٱلَّذِي إِذَا وَقَعَ فِي ٱلْأَمْرِ ٱحْتَالَ لَهُ وَلٰكِنَّ ٱلْعَاقِلَ يَحْتَالُ لِلْأَمْرِ حَتَّى لَا يَقَعَ فِيهِ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْأُدَبَاءِ: ٱلْحُمْقُ قِلَّةُ ٱلْإِصَابَةِ وَوَضْعُ ٱلْكَلَامِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَفُقْدَانُ مَا يُحْمَدُ مِنَ ٱلْعَاقِلِ

وَمِنْ كَلَامِ ٱبْنِ وَهْبٍ: لَا يَكُونُ ٱلرَّجُلُ عَاقِلًا حَتَّى يَقْتَدِيَ بِأَهْلِ ٱلْأَدَبِ مِنْ قَبْلِهِ فَيَكُونَ إِمَامًا لِمَنْ بَعْدَهُ. وَحَتَّى يَكُونَ ٱلذُّلُّ فِي طَاعَةِ ٱللّٰهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْعِزِّ فِي مَعْصِيَةِ ٱللّٰهِ. وَحَتَّى يَكُونَ ٱلْفَقْرُ فِي ٱلْحَلَالِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْغِنَى فِي ٱلْحَرَامِ. وَحَتَّى يَسْتَقِلَّ ٱلْكَثِيرَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَسْتَكْثِرَهُ مِنْ غَيْرِهِ

وَقَالَ بَعْضُ ٱلْعُقَلَاءِ: يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ ٱلرَّجُلِ بِمَيْلِهِ إِلَى مَحَاسِنِ ٱلْأَخْلَاقِ وَإِعْرَاضِهِ عَنْ رَذَائِلِ ٱلْأَعْمَالِ وَرَغْبَتِهِ فِي إِسْدَاءِ صَنَائِعِ ٱلْمَعْرُوفِ وَتَجَنُّبِهِ مَا يُكْسِبُهُ عَارًا وَيُورِثُهُ سُوءَ ٱلسُّمْعَةِ

وَقالَ آخَرُ: ثَلاثَةٌ هُنَّ رأسُ ٱلْعَقْلِ: مُدارَاةُ ٱلنَّاسِ وَٱلتَّحَبُّبُ إلَيْهِمْ وَٱلِاقْتِصادُ في ٱلْمَعِيشَةِ

وَقالَ أَحَدُ ٱلأُدَباء: لا يَكْفِي لِلدَّلالَةِ عَلى عَقْلِ ٱلرَّجُلِ حُسْنُ مَلْبَسِهِ وَمَلاحَةُ سَمْتِهِ[1] وَنَظافَةُ بِزَّتِهِ[2]. فَكَمْ مِنْ مَنْظَرٍ حَسَنٍ مَخْبَرُهُ سَيِّئٌ وَكَمْ مِنْ زَهْرَةٍ جَمِيلَةِ ٱلصُّورَةِ تَراها مُرَّةَ ٱلْمَذاقِ خَبِيثَةَ ٱلرَّائِحَةِ

وَقالَتِ ٱلْحُكَماءُ: رأسُ ٱلْعَقْلِ مُناهَزَةُ ٱلْفُرْصَةِ[3] عِنْدَ إمْكانِها وَٱلِانْصِرافُ عَمّا لا سَبِيلَ إلَيْهِ. وَقِيلَ: ٱلْعاقِلُ وَثّابٌ عَلى ٱلْفُرَصِ

أَلْفَصْلُ ٱلثَّاني

في ضَبْطِ ٱلعِلْمِ وَحِفْظِهِ

قالَتِ ٱلْحُكَماءُ: لَيْسَ ٱلْعِلْمُ ما خَزَنَتْهُ ٱلدَّفاتِرُ وَإِنَّما ٱلْعِلْمُ ما خَزَنَتْهُ ٱلصُّدورُ. وَقِيلَ: مَنْ أَكْثَرَ ٱلْمُذاكَرَةَ بِٱلْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ ما عَلِمَ وَٱسْتَفادَ ما لَمْ يَعْلَمْ

وَقالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلاءِ: لا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعِيَ ٱلْعُلُومَ ٱلسَّنِيَّةَ حَتَّى تَمْحُوَ مِنْ ذِهْنِكَ ٱلأُمورَ ٱلدَّنِيَّةَ

---

(١) هيئته (٢) البزة الهيئة (٣) اغتنامها

وَقالَ ٱلْإمامُ ٱلْماوَرْدِيُّ: عَلى ٱلطَّالِبِ أَنْ يَكُدَّ فِي طَلَبِ ٱلْعِلْمِ حَتَّى يُدْرِكَ فَوائِدَهُ وَيَقْتَنِصَ شَوارِدَهُ فَقَدْ قِيلَ: لا يَصْبِرُ عَلى ٱلدَّرْسِ إِلَّا مَنْ يَرى ٱلْعِلْمَ مَغْنَماً وَٱلْجَهْلَ مَغْرَماً[1] فَيَحْتَمِلُ نَصَبَ ٱلدَّرْسِ لِيُدْرِكَ راحَةَ ٱلْعِلْمِ وَيَنْفِيَ عَنْهُ مَعَرَّةَ[2] ٱلْجَهْلِ فَإِنَّ نَيْلَ ٱلْعَظِيمِ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ. وَعَلى قَدْرِ ٱلرَّغْبَةِ تَكُونُ ٱلْمَطالِبُ وَبِحَسَبِ ٱلرَّاحَةِ يَكُونُ ٱلتَّعَبُ

وَقالَ أَرِسْطُو: طالِبُ ٱلْعِلْمِ كَٱلْغائِصِ فِي ٱلْبَحْرِ لا يَصِلُ إِلى ٱلْجَواهِرِ ٱلْكَرِيمَةِ إِلَّا بِٱلْمُخاطَرَةِ ٱلْعَظِيمَةِ

وَقالَ مُوَفَّقُ ٱلدِّينِ ٱلْبَغْدادِيُّ: إِذا قَرَأْتَ كِتاباً فَٱحْرِصْ عَلى أَنْ تَسْتَظْهِرَهُ وَتَمَلَّكَ مَعْناهُ. وَتَوَهَّمْ أَنَّ ٱلْكِتابَ قَدْ عُدِمَ وَأَنَّكَ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ لا تَحْزَنُ لِفَقْدِهِ. وَإِذا كُنْتَ مُكِبًّا عَلى دِراسَةِ كِتابٍ وَتَفَهُّمِهِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِآخَرَ مَعَهُ. وَٱصْرِفِ ٱلزَّمانَ ٱلَّذِي تُرِيدُ صَرْفَهُ فِي غَيْرِهِ إِلَيْهِ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِعِلْمَيْنِ دَفْعَةً واحِدَةً. وَواظِبْ عَلى ٱلْعِلْمِ ٱلْواحِدِ فَإِذا قَضَيْتَ مِنْهُ وَطَرَكَ فَٱنْتَقِلْ مِنْهُ إِلى عِلْمٍ آخَرَ. وَلا تَظُنَّ أَنَّكَ إِذا حَصَّلْتَ عِلْماً فَقَدِ ٱكْتَفَيْتَ بَلْ تَحْتاجُ إِلى مُراعاتِهِ[3] لِيَنْمِيَ وَلا يَنْقُصَ. وَمُراعاتُهُ تَكُونُ بِٱلْمُذاكَرَةِ وَٱلتَّفَكُّرِ وَٱشْتِغالِ ٱلْمُبْتَدِئِ بِٱلتَّحَفُّظِ وَٱلتَّعَلُّمِ وَمُباحَثَةِ

---

(١) خسارة (٢) عيب (٣) ملاحظته وحفظه

ٱلأَقْرانِ وَٱشْتِغالِ ٱلْعالِمِ بِٱلتَّعْلِيمِ وَٱلتَّصْنِيفِ

وَقالَ ٱلْإِمامُ ٱلْماوَرْدِيُّ : يَنْبَغِي لِطالِبِ ٱلْعِلْمِ أَنْ لا يَنِيَ[1] فِي طَلَبِهِ وَيَنْتَهِزَ ٱلْفُرْصَةَ بِهِ . فَرُبَّما شَحَّ[2] ٱلزَّمانُ بِما سَمَحَ . وَلْيَبْتَدِئْ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْ أَوَّلِهِ وَلْيَأْتِهِ مِنْ مَدْخَلِهِ . وَلا يَتَشاغَلْ بِطَلَبِ ما لا يَضُرُّ جَهْلُهُ فَيَمْنَعَهُ ذٰلِكَ مِنْ إِدْراكِ ما لا يَسَعُهُ جَهْلُهُ . وَأَفْضَلُ ٱلْأَوْقاتِ لِلدَّرْسِ ٱللَّيْلُ فَقَدْ قِيلَ : ٱنْظُروا فِي ٱلْعِلْمِ بِٱللَّيْلِ فَٱلْقَلْبُ فِي ٱلنَّهارِ طائِرٌ وَفِي ٱللَّيْلِ ساكِنٌ

ٱلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ

فِي قَدْرِ ٱلْمُعَلِّمِينَ

قالَ لُقْمانُ لِٱبْنِهِ : يا بُنَيَّ زاحِمِ ٱلْعُلَماءَ بِرُكْبَتَيْكَ وَأَنْصِتْ إِلَيْهِمْ بِأُذُنَيْكَ . فَإِنَّ ٱلْقَلْبَ يَحْيا بِنُورِ ٱلْعِلْمِ كَما تَحْيا ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ بِمَطَرِ ٱلسَّماءِ

وَقالَ عَلِيٌّ : إِذا كانَ ٱلْآباءُ هُمُ ٱلسَّبَبَ فِي ٱلْحَياةِ فَمُعَلِّمُو ٱلْحِكْمَةِ وَٱلدِّينِ هُمُ ٱلسَّبَبُ فِي جُودَتِها . وَقالَ ٱلشَّاعِرُ :

أُقَدِّمُ أُسْتاذِي عَلى نَفْسِ والِدِي

وَإِنْ نالَنِي مِنْ والِدِي ٱلْفَضْلُ وَٱلشَّرَفْ

(١) يفتر ويكسل (٢) بخل

فَذَاكَ مُرَبِّي ٱلرُّوحِ وَٱلرُّوحُ جَوْهَرٌ

وَهٰذا مُرَبِّي ٱلْجِسْمِ وَٱلْجِسْمُ مِنْ صَدَفْ

وَقالَ بَعْضُ ٱلْفُضَلاء: ٱقْتَدِ بِٱلْعُلَمَاء في أَخْلاقِهِمْ وَتَشَبَّهْ بِهِمْ في جَمِيعِ أَفْعَالِهِمْ لِتَصِيرَ لَها آلِفاً وَعَلَيْهَا نَاشِئاً وَلِما خالَفَها مُجانِباً لِأَنَّ ٱلْعُلَمَاءَ كَٱلْمَصَابِيحِ ٱلْمُتَوَقِّدَةِ يَسْتَصْبِحُ بِها ٱلْجَاهِلُ ٱلضَّلُولُ

وَقالَ أَحَدُ ٱلْحُكَماء: لِيَأْخُذِ ٱلْمُتَعَلِّمُ حَظَّهُ مِمَّنْ وَجَدَ مِنَ ٱلْعُلَماء ٱلنُّبَهاء مِمَّنِ ٱشْتَهَرَ ذِكْرُهُمْ وَٱرْتَفَعَ قَدْرُهُمْ لِأَنَّ ٱلْأَخْذَ عَنْهُمْ أَرْفَعُ وَأَشْهَرُ. وَٱحْذَرْ أَنْ تَغْمِطَ نِعْمَتَهُم أَوْ تَطْوِيَ فَضْلَهُم. وَتَوَفَّرْ عَلى نَشْرِ أَلْوِيَةِ ٱلثَّنَاء عَلى أَيادِيهِمِ ٱلْغَرّاء وَآثارِهِمِ ٱلْبَيْضَاء في كُلِّ مَحْفِلٍ وَمُنْتَدًى. فَلا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنَ ٱلْكُفْرانِ بِصَنائِعِ ٱلْأُسْتاذِ وَٱلْمُرَبِّي

وَقالَ ٱبْنُ ٱلْمُعْتَزِّ: ٱلْمُتَواضِعُ في طَلَبِ ٱلْعِلْمِ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ عِلْماً كَما أَنَّ ٱلْمَكانَ ٱلْمُنْخَفِضَ أَكْثَرُ ٱلْبِقاعِ ماء

وَقالَ مُوَفَّقُ ٱلدِّينِ ٱلْبَغْدادِيُّ: عَلَيْكَ بِٱلْأُسْتاذِ في كُلِّ عِلْمٍ تَطْلُبُ ٱكْتِسابَهُ. وَعَلَيْكَ بِتَعْظِيمِهِ وَإِجْلالِهِ. وَإِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُفِيدَهُ مِنْ دُنْياكَ فَٱفْعَلْ وَإِلَّا فَبِلِسانِكَ وَثَنائِكَ

ٱلفَصلُ ٱلرَّابِعُ

في آدَابِ ٱلمُعَلِّمِ وَأَخلاقِهِ

قالَ عَلِيٌّ: يَنْبَغِي لِمَنْ وَلِيَ أَمرَ قَومٍ أَنْ يَبْدَأَ بِتَقْويمِ نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْرَعَ في تَقْويمِ رَعِيَّتِهِ . وَإِلَّا كانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ رامَ ٱستِقامَةَ ظِلِّ ٱلْعُودِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِيمَ ذٰلِكَ ٱلْعُودُ

وَقالَ بَعضُ ٱلْحُكَماء : لِيَتَجَنَّبِ ٱلعالِمُ أَنْ يَقولَ ما لا يَفعَلُ وَأَنْ يَأْمُرَ بِما لا يَأْتَمِرُهُ[1] وَأَنْ يُسِرَّ غَيْرَ ما يُظْهِرُ . وَلا يَجْعَلْ عُذراً لَهُ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ :

إِعمَلْ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصَّرْتُ في عَمَلي
يَنفَعْكَ قَوْلِي وَلَا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرِي

وَقالَ بَعضُ ٱلأُدَباء: أَللّٰهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ ٱلْقَوْلِ كَما نَعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ ٱلعَمَلِ . وَنَعوذُ بِكَ مِنَ ٱلتَّكَلُّفِ لِما لا نُحسِنُ كَما نَعُوذُ بِكَ مِنَ ٱلْعُجْبِ بِما نُحْسِنُ . وَنَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ٱلسَّلاطَةِ[2] وَٱلْهَذَرِ كَما نَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ ٱلْعِيِّ وَٱلْحَصَرِ

وَقالَ ٱلْبُسْتِيُّ :

إِذَالَمْ يَزِدْ عِلمُ ٱلْفَتى قَلْبَهُ هُدًى   وَسِيرَتَهُ عَدْلًا وَأَخلاقَهُ حُسْنا

---

(١) ائتمر الامر اطاعه وامتثله اي عمل على مثاله (٢) طول اللسان

فَبَشِّرْهُ أَنَّ ٱللهَ أَوْلاهُ فِتْنَةً تُغَشِّيهِ[1] حِرْمانا وَتُوسِعُهُ حزنا

أَلفَصْلُ ٱلْخَامِسُ

في آدَابِ ٱلْمُتَعَلِّمِ وَأَخْلاقِهِ

قالَ ٱلْحَسَنُ ٱلْبِصْرِيُّ : حَدِّثُوا ٱلنَّاسَ مَا أَقْبَلُوا عَلَيْكُمْ بِوُجوهِهِم . وَقالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْحُسَيْنِ لِٱبْنِهِ : ٱسْتَعِنْ عَلى ٱلْكَلامِ بِطُولِ ٱلْفِكْرِ فِي ٱلْمَواطِنِ ٱلَّتِي تَدْعُو نَفْسَكَ إِلى ٱلْكَلامِ . فَإِنَّ لِلْقَوْلِ ساعاتٍ يَضُرُّ خَطَاؤُها وَلا يَنْفَعُ صَوابُها

وَقالَ أَحَدُ ٱلْعُلَماءِ : ٱلْكَلامُ إِذا طالَ ٱخْتَلَّ وَإِذا ٱخْتَلَّ ٱعْتَلَّ . وَقيلَ : مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ[2] وَٱلْمِكْثارُ كَحَاطِبِ ٱللَّيْلِ

وَقالَ مُوَفَّقُ ٱلدِّينِ ٱلْبَغْدادِيُّ : إِيَّاكَ ٱلْغِلْظَةَ فِى ٱلْخِطَابِ وَٱلْجَفاءَ فِي ٱلْمُناظَرَةِ . فَإِنَّ ذٰلِكَ يَذْهَبُ بِبَهْجَةِ ٱلْكَلامِ وَيُسْقِطُ فائِدَتَهُ وَيُعْدِمُ حَلاوَتَهُ وَيَجْلِبُ ٱلضَّغَائِنَ وَيَمْحَقُ ٱلْمَوَدَّاتِ وَيُصَيِّرُ ٱلْقائِلَ مُسْتَثْقَلًا . سُكُوتُهُ أَشْهَى إِلى ٱلسَّامِعِ مِنْ كَلامِهِ . وَيُثِيرُ ٱلنُّفُوسَ عَلى مُعانَدَتِهِ وَيَبْسُطُ ٱلأَلْسُنَ بِمُخَاشَنَتِهِ وَإِذْهابِ حُرْمَتِهِ

وَقالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ مَسْعودٍ : حَدِّثِ ٱلنَّاسَ مـا مالُوا إِلَيْكَ بِأَسْماعِهِمْ وَلَحَظُوكَ بِأَبْصارِهِم . فَإِذا رَأَيْتَ مِنْهُم إِعْراضاً فَأَمْسِكْ

---

(١) تغطيه وتشمله (٢) تكلم بالهذيان

وَقالَ بَعْضُهُم : نَشاطُ ٱلْقائِلِ عَلى قَدْرِ فَهْمِ ٱلسَّامِعِ . وَمِنْ سَعادَةِ ٱلْقائِلِ أَنْ يَكُونَ ٱلْمُسْتَمِعُ إِلَيْهِ فَهِيماً

وَقالَ أَحَدُ ٱلظُّرَفاء: أَمْتَعُ ٱلْإِخْوانِ مَجْلِساً وَأَكْرَمُهُم عِشْرَةً وَأَشَدُّهُم حِذْقاً وَأَنْبَهُهُم نَفْساً مَنْ إِذا حُدِّثَ أَصْغَى وَإِذا حَدَّثَ أَصابَ وَأَفادَ . وَإِذا هَزَلَ آنَسَ وَأَسْكَرَ . وَإِذا جَدَّ هِيبَ وَوُقِّرَ

وَرَوى ٱلشَّعْبِيُّ عَنْ عَبْـدِ ٱلْمَلِكِ بْنِ مَرْوانَ أَنَّهُ كانَ مِنَ ٱلْآدابِ بِحَيْثُ إِذا حَدَّثَ يُحْسِنُ ٱلْحَديثَ وَإِذا حُدِّثَ يُحْسِنُ ٱلِاسْتِماعَ . وَإِذا خُولِفَ تَرَكَ مُجاوَبَةَ ٱللَّئيمِ وَمُماراةَ ٱلسَّفيهِ وَمُنازَعَةَ ٱللَّجُوجِ

أَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ

في آدابِ ٱلزِّيارَةِ

قالَتِ ٱلْحُكَماءُ : ٱلْمَحَبَّةُ شَجَرَةٌ أَصْلُهـا ٱلزِّيارَةُ . وَٱلْبِغْضَةُ بِنْتُ ٱلْقَطيعَةِ وَفَرْعُ ٱلْهِجْرانِ . وَقالَ أَحَـدُ ٱلْأُدَباء : ٱلتَّزاوُرُ يُؤَدِّي إِلى ٱلْمُؤَالَفَةِ . وَٱلْمُؤَالَفَةُ تُؤَدِّي إِلى ٱلتَّحابِّ . وَٱلتَّحابُّ يُؤَدِّي إِلى ٱلتَّعاوُنِ . وَٱلتَّعاوُنُ يُؤَدِّي إِلى ٱلْفَلاحِ . وَقالَ ٱلشَّاعِرُ:

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ ٱلدَّارُ
وَحالَ مِنْ دُونِـهِ حَجْبٌ وَأَسْتارُ

لا يَمْنَعَنَّكَ بُعْدٌ مِنْ زِيارَتِهِ
إنَّ ٱلْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْواهُ زَوَّارُ

وَكَتَبَ صَديقٌ لِصَديقِهِ هذا ٱلْبَيْتَ :

إذا ما تَقاطَعْنا وَنَحْنُ بِبَلْدَةٍ فَما فَضْلُ قُرْبِ ٱلدّارِ مِنّا عَلى ٱلْبُعْدِ

وَقالَ ٱلشّاعِرُ :

عَلَيْكَ بِإغْبابِ ٱلزِّيارَةِ (١) إنَّها
إذا كَثُرَتْ صارَتْ إلى ٱلْهَجْرِ مَسْلَكا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْغَيْثَ يُسْأَمُ دائِماً
وَيُسْأَلُ بِٱلأَيْدي إذا هُوَ أَمْسَكا

وَقالَ ٱبْنُ ٱلْوَرْدِيِّ :

زُرْ وَعُدْ غِبّاً تَزِدْ حُبّاً فَمَنْ أَكْثَرَ ٱلتَّرْدادَ أَضْناهُ ٱلْمَلَلْ

وَقالَ ٱلْماوَرْدِيُّ : ٱقْصُدِ ٱلتَّوَسُّطَ في ٱلزِّيارَةِ فَإنَّ تَقْليلَها داعِيَةُ (٢) ٱلْهِجْرانِ وَكَثْرَتَها سَبَبُ ٱلْمَلالِ

وَقالَ لَبيدٌ :

تَوَقَّفْ عَنْ زِيارَةِ كُلِّ يَوْمٍ إذا أَكْثَرْتَ مَلَّكَ مَنْ تَزُورُ

وَقالَ بَعْضُ ٱلْعُقَلاءِ : ٱلإِكْثارُ مِنَ ٱلزِّيارَةِ مُمِلٌّ وَٱلإِقْلالُ مِنْها مُخِلٌّ

---

(١) اقلالها (٢) سبب

ٱلفَصْلُ ٱلسَّابِعُ
في آفاتِ ٱللِّسَانِ

قالَ أَحَدُ ٱلحُكَماءِ: ٱعْلَمْ أَنَّ ٱللِّسانَ تَرْجُمانٌ يُعَبِّرُ عَنْ مُسْتَوْدَعاتِ ٱلضَّمائِرِ وَيُخْبِرُ بِمَكْنُوناتِ ٱلسَّرائِرِ. لا يُمْكِنُ ٱسْتِرْجاعُ بَوادِرِهِ وَلا يُقْدَرُ عَلى رَدِّ شَوارِدِهِ. فَحَقٌّ عَلى ٱلعاقِلِ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْ زَلَلِهِ لِيَكُونَ بِمَأْمَنٍ مِنْ خَطَلِهِ

وَقالَ أَحَدُ ٱلأُدَباءِ: مِنْ أَعْوَزِ ما يَتَكَلَّمُ بِهِ ٱلعاقِلُ أَنْ لا يَتَكَلَّمَ إِلَّا لِحاجَةٍ

وَقالَ أَبُو عُثْمانَ ٱلجاحِظُ: لِلْكَلامِ غايَةٌ وَلِنَشاطِ ٱلسَّامِعِينَ نِهايَةٌ. وَما فَضَلَ عَنْ مِقْدارِ ٱلِاحْتِمالِ وَدَعا إِلى ٱلِاسْتِثْقالِ وَٱلمَلالِ فَذٰلِكَ ٱلفاضِلُ هُوَ ٱلهَذَرُ. لِأَنَّ ٱلإِكْثارَ مِنْهُ وَإِنْ كانَ صَوابًا يُمِلُّ ٱلسَّامِعَ وَيُكِلُّ ٱلخاطِرَ. وَهُوَ صادِرٌ عَنْ إِعْجابٍ. وَمَنْ أُعْجِبَ بِكَلامِهِ ٱسْتَرْسَلَ[1] فِيهِ. وَٱلمُسْتَرْسِلُ في ٱلكَلامِ كَثِيرُ ٱلزَّلَلِ دائِمُ ٱلعِثارِ

وَقالَ بَعْضُ ٱلبُلَغاءِ: عِيٌّ تَسْلَمُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ مَنْطِقٍ تَنْدَمُ عَلَيْهِ. فَٱقْتَصِرْ مِنَ ٱلكَلامِ عَلى ما يُقِيمُ حُجَّتَكَ وَيَبْلُغُ حاجَتَكَ

---

(١) اتسع

وَإِيَّاكَ وَفُضُولَهُ فَإِنَّهُ يُزِلُّ ٱلْقَدَمَ وَيُورِثُ ٱلنَّدَمَ . وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلَاءِ: مَقْتَلُ ٱلرَّجُلِ بَيْنَ فَكَّيْهِ

أَلْفَصْلُ ٱلثَّامِنُ

فِي ٱلتَّأَدُّبِ بِٱلتَّجَارِبِ وَٱلِٱتِّعَاظِ بِٱلْعَوَاقِبِ

قَالَتِ ٱلْحُكَمَاءُ : ٱلسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ وَٱلشَّقِيُّ مَنْ وُعِظَ بِهِ غَيْرُهُ . وَقَالَ آخَرُ : ٱلْحَكِيمُ مَنْ رَأَى ٱلْعِبَرَ فِي غَيْرِهِ فَٱتَّعَظَ بِهَا فِي نَفْسِهِ . وَمَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِغَيْرِهِ وَعَظَ ٱللهُ بِهِ غَيْرَهُ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلَاءِ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ لَمْ تَنْفَعْهُ ٱلْمَوَاعِظُ . وَقَالَ آخَرُ: مَنْ نَظَرَ فِي ٱلْعَوَاقِبِ سَلِمَ مِنَ ٱلنَّوَائِبِ

وَقَالَ أَحَدُ ٱلْبُلَغَاءِ : لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ وَلَمْ يُعَدَّ مِنَ ٱلْمِحَنِ مَا أَدَّبَكَ

وَقَالَ آخَرُ: ٱلْعَاقِلُ تُؤَدِّبُهُ ٱلْحِكْمَةُ وَتُحْكِمُهُ ٱلتَّجَارِبُ وَتَرْدَعُهُ ٱلْعَوَاقِبُ وَلَا تَغُرُّهُ ٱلسَّلَامَةُ ٱلْمُنْطَوِيَةُ عَلَى ٱلْهَلَكَةِ

وَأَنْشَدَ ٱلشَّاعِرُ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْعَقْلَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ ... وَلٰكِنْ تَمَامُ ٱلْعَقْلِ طُولُ ٱلتَّجَارِبِ

وَقَالَ أَبُو ٱلْأَسْوَدِ :

وَإِنَّ ٱمْرَءًا قَدْ جَرَّبَ ٱلدَّهْرَ لَمْ يَخَفْ
تَقَلُّبَ عَصْرَيْهِ لَغَيْرُ لَبِيبِ

وَما ٱلدَّهرُ وَٱلأَيّامُ إِلّا كَما تَرَى
رَزِيَّـةُ مالٍ أَوْ فِراقُ حَبيبِ

أَلفَصلُ ٱلتّاسِعُ

في وُجوبِ ٱلوَعظِ وَخِصالِ ٱلواعِظِ

قالَ ٱلحَسَنُ: أَقْرَعُوا هٰذِهِ ٱلنُّفُوسَ فَإِنَّها طُلَعَةٌ[١]. وَحادِثُوها بِٱلذِّكْرِ فَإِنَّها سَرِيعَةُ ٱلدُّثُورِ. وَٱعْصُوها فَإِنَّها إِنْ أُطِيعَتْ نَزَعَتْ في ٱلشَّرِّ غايَةً

وَقالَ عُمَرُ: إِذَا رَأَيتُم أَخاكُمْ ذا زَلَّةٍ فَقَوِّمُوهُ وَسَدِّدُوهُ[٢] وَٱدْعُوا ٱللّٰهَ أَنْ يَرْجِعَ بِهِ إِلى ٱلتَّوْبَةِ فَيَتُوبَ عَلَيْهِ[٣]. وَلا تَكُونُوا أَعوانًا لِلشَّيْطانِ عَلى أَخِيكُم

وَكَتَبَ رَجُلٌ إِلى صَدِيقٍ لَهُ: أَمَّا بَعْدُ فَعِظِ ٱلنّاسَ بِفِعْلِكَ وَلا تَعِظْهُم بِقَوْلِكَ. وَٱسْتَحِ مِنَ ٱللّٰهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ وَخَفْهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ وَٱلسَّلامُ

وَقالَ سُقْراطُ: لا تَحُثَّ غيرَكَ عَلى فِعْلِ ٱلفَضائِلِ ما لَمْ تَسْتَكْمِلْ فِيكَ. فَإِنَّ فَعالَكَ يَحُثُّ عَلى ٱلمَحاسِنِ أَكْثَرَ مِنْ مَقالِكَ

---

(١) اي كثيرة التطلع الى الشيء (٢) قوموه (٣) من تاب عليه اذا وفقه للتوبة او رجع عليه بفضله وقبوله

وَقالَ أَبُو جعفرٍ : لَيسَ ٱلحكيمُ ٱلَّذي يُلقِّنُكَ ٱلحِكْمَةَ تلقيناً إِنَّما ٱلحكيمُ ٱلَّذِي يَعْمَلُ ٱلعَمَلَ فتقتدي بِهِ

وَقالَ أَبُو هِشَامٍ : أَخذُ ٱلْمَرْءِ نَفسَهُ بِحُسْنِ ٱلأَدَبِ تَأْديبٌ لِأَهْلِهِ . وَقالَ بَعضُ ٱلفُضَلاءِ : ٱلْكَلِمَةُ إِذا خَرَجَتْ مِنَ ٱلقَلبِ وَقَعتْ فِي ٱلقَلْبِ . وَإِذا خَرَجَتْ مِنَ ٱللِّسانِ لَمْ تُجاوِزِ ٱلآذانَ

وَقَفَ رَجُلٌ على ٱبْنِ عُيَيْنَةَ وَهُوَ يَعِظُ ٱلنَّاسَ فقالَ :

وَغَيْرِ تَقِيٍّ يَأْمُرُ ٱلنَّاسَ بِٱلتُّقَى طَبِيبٌ يُدَاوِي وَٱلطَّبِيبُ مَرِيضُ

أَلفَصْلُ ٱلعاشِرُ

في خِصالِ ٱلمُسْتَشِيرِ وَٱلمُسْتَشار

قالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْحَسَنِ لِٱبْنِهِ مُحَمَّدٍ: ٱحذَرْ مَشُورَةَ ٱلْجَاهِلِ وَإِنْ كانَ ناصِحاً كَما تَحْذَرُ عَداوَةَ ٱلعاقِلِ إِذَا كانَ عَدُوًّا . فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يُوَرِّطَكَ[1] بِمَشُورَتِهِ فَيَسُوقَ إِلَيْكَ مَكْرَ ٱلعاقِلِ وَتَوْرِيطَ ٱلجاهِلِ

وَقالَ قَيسٌ لِٱبْنِهِ : لا تُشاوِرْ مَشْغُولًا وَإِنْ كانَ حازِماً وَلا جائِعاً وَإِنْ كانَ فَهِيماً . وَلا مَذْعُوراً وَإِنْ كان ناصِحاً . وَلا مَهْمُوماً وَإِنْ كانَ فَطِناً . فَٱلْهَمُّ يَعْقِلُ[2] ٱلعَقْلَ وَلا يَتَوَلَّدُ مِنْهُ رأْيٌ

---

(١) يوقعك في ورطة اي في هلكة وشدة (٢) يقيّد

وَلا تَصْدُقُ مِنْهُ رَوِيَّةٌ

وَقالَ أَحَدُ ٱلْحُكَماءِ : لا تُدْخِلْ في مَشُورَتِكَ بَخيلاً فَيُقَصِّرَ فِعلَكَ . وَلا جَباناً فَيُخَوِّفَكَ . وَلا حَريصاً فَيَعِدَكَ ما لا يُرْتَجى . فَٱلْجُبْنُ وَٱلْبُخْلُ وَٱلْحِرْصُ طَبيعَةٌ واحِدَةٌ يَجْمَعُها سُوءُ ٱلظَّنِّ

وَكانَ عَلِيٌّ يَقولُ : رأْيُ ٱلشَّيْخِ أَحْسَنُ مِنْ جَلَدِ ٱلْغُلَامِ

وَقالَ يَحْيَى : لا تُشيرَنَّ عَلى عَدُوِّكَ وَصَديقِكَ إِلَّا بِٱلنَّصيحَةِ . فَٱلصَّديقُ يَقْضِي بِذٰلِكَ حَقَّهُ وَٱلْعَدُوُّ يَهابُكَ إِذا رَأَى صَوابَ رأْيِكَ

وَقالَ أَحَدُ ٱلْعُقَلاءِ : لا تُشيرَنَّ عَلى مُعْجَبٍ وَلا مُتَلَوِّنٍ . وَخَفِ ٱللهَ مِنْ مُوافَقَةِ هَوى ٱلْمُسْتَشيرِ

إِسْتَشارَ مُعاوِيَةُ ٱلْأَحْنَفَ في بَيْعَةِ[١] يَزيدَ . فَقالَ ٱلْأَحْنَفُ . أَنْتَ أَعْلَمُ بِلَيْلِهِ وَنَهارِهِ وَسِرِّهِ وَجِهارِهِ . فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ لِلهِ رِضًى وَلِلْأُمَّةِ صَلاحاً فَلَا تُشاوِرْ فِيهِ أَحَداً . وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ غَيْرَ ذٰلِكَ فَلا تُزَوِّدْهُ ٱلدُّنْيا وَأَنْتَ صائِرٌ[٢] إِلى ٱلْآخِرَةِ . وَإِنَّما عَلَيْنا أَنْ نَقولَ : سَمِعْنا وَأَطَعْنا



(١) تولية (٢) منتقل

ٱلفَصلُ ٱلحادي عَشرَ
في ٱلاعتِدالِ

قالَ ٱلماوَرديُّ : ٱلفَضائِلُ هيئاتٌ متوسّطةٌ بَينَ فضيلَتَينِ ناقِصَتَينِ كما أنَّ ٱلخيرَ توسُّطٌ بينَ رَذيلَتَينِ . فما جاوَزَ ٱلتَّوسُّطَ خرَجَ عَن حدِّ ٱلفضيلَةِ . فَٱلحِكمَةُ وَسطٌ بينَ ٱلشَّرِّ وَٱلجَهالَةِ . وَٱلشَّجاعَةُ وَسطٌ بينَ ٱلتَّقحُّمِ وَٱلجُبنِ . وَٱلعِفَّةُ وَسطٌ بينَ ٱلفُجورِ وَٱلخُمودِ . وَٱلسَّكينَةُ وَسطٌ بينَ ٱلسُّخطِ وَضُعفِ ٱلغَضَبِ . وَٱلمُنافَسَةُ وَسطٌ بينَ ٱلحَسَدِ وَٱلخَساسَةِ . وَٱلظَّرفُ وَسطٌ بينَ ٱلخَلاعَةِ وَٱلعَرامَةِ (١) . وَٱلتَّواضُعُ وَسطٌ بينَ ٱلكِبرِ وَدَناءَةِ ٱلنَّفسِ . وَٱلسَّخاءُ وَسطٌ بينَ ٱلتَّبذيرِ وَٱلتَّقتيرِ (٢) . وَٱلحِلمُ وَسطٌ بينَ إفراطِ ٱلغَضَبِ وَعَدَمِهِ . وَٱلمَوَدَّةُ وَسطٌ بينَ ٱلخَلابَةِ (٣) وَحُسنِ ٱلخُلقِ . وَٱلحَياءُ وَسطٌ بينَ ٱلقِحَةِ وَٱلخَجَلِ . وَٱلوَقارُ وَسطٌ بينَ ٱلهُزءِ وَٱلسَّخافَةِ (٤)

وَقالَتِ ٱلحُكَماءُ : ٱلأَشياءُ كُلُّها ثَلاثُ طَبَقاتٍ . جَيِّدٌ وَوَسَطٌ وَرَدِيءٌ . فَٱلوَسَطُ مِن كُلِّ شَيءٍ أَجوَدُ

---

(١) البطر والفساد والخروج عن الحد (٢) التضييق في النفقة
(٣) الخداع بالمنطق واللسان وامالة القلب بألطف الاقوال (٤) رقة العقل والحمق

وَقيلَ : ٱلْغُلُوُّ[١] في ٱلْعُلُوِّ مُؤَدٍّ إلى ٱلضَّعَةِ

وَفي كِتابِ كَليلَةَ : إنَّ ٱللهَ تَعالى قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ حَدًّا يُوقَفُ عَلَيْهِ . وَمَنْ تَجاوَزَ في ٱلْأَشْياءِ حَدَّها أَوْشَكَ أَنْ يَلْحَقَهُ ٱلتَّقْصيرُ عَنْ بُلُوغِها . وَٱلْمُتَجاوِزُ ٱلْحَدِّ وَٱلْمُقَصِّرُ عَنْهُ سِيَّانِ بِٱلنِّسْبَةِ إِلَيْهِ . لِأَنَّ كِلَيْهِما زائِغٌ عَنْهُ في ٱلْحالَيْنِ جَميعاً

وَقالَ بَعْضُ ٱلْأُدَباءِ : قَليلُ ٱلْعَمَلِ في طَويلِ ٱلزَّمانِ أَفْضَلُ مِنْ كَثيرِ ٱلْعَمَلِ في قَصيرِ ٱلزَّمانِ . لِأَنَّ ٱلْمُسْتَكْثِرَ مِنَ ٱلْعَمَلِ في ٱلزَّمانِ ٱلْقَصيرِ قَدْ يَعْمَلُ زَماناً وَيَتْرُكُ زَماناً . وَٱلْمُقَلِّلُ في ٱلزَّمانِ ٱلطَّويلِ مُسْتَيْقِظُ ٱلْأَفْكارِ مُسْتَديمُ ٱلتَّذْكارِ

وَقالَ أَبو ٱلْعَتاهِيَةِ :

ما جاوَزَ ٱلْمَرْءُ مِن أَطْرافِهِ طَرَفاً   إِلَّا تَخَوَّنَهُ[٢] ٱلنُّقْصانُ مِن طَرَفِ

وَقالَ بَعْضُ ٱلْحُكَماءِ : عِنْدَ ٱلتَّمامِ يَكُونُ ٱلنُّقْصانُ وَبِقَدْرِ ٱلسُّمُوِّ في ٱلرِّفْعَةِ تَكُونُ وَجْبَةُ[٣] ٱلْوَقْعَةِ

وَقالَ ٱلشَّاعِرُ في هٰذا ٱلْمَعْنى :

إِذا تَمَّ أَمْرٌ بَدا نَقْصُهُ   تَوَقَّعْ زَوالًا إِذا قيلَ تَمّ

قالَ ٱلْمَأْمونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبي خالِدٍ : رَأَيْتُ أَنْ أَسْتَوْزِرَكَ[٤]

---

(١) مجاوزة الحد (٢) تنقّصه (٣) الوجبة السقطة مع الهدة او صوت الساقط (٤) اجعلك لي وزيراً

فَقالَ : إنْ رَأَى أَميرُ ٱلْمُؤْمِنينَ أَنْ يُعفِيَني وَيَجْعَلَ بَيْني وَبَينَ ٱلغايَةِ مَنْزِلَةً يَرْجوني إِلَيْها ٱلْمَوْلى وَيَخْشاني لَها ٱلْعَدُوُّ . فَما بَعْدَ ٱلْغاياتِ إِلَّا ٱلآفاتُ

أَلْفَصْلُ ٱلثَّاني عَشَرَ

في مَعْرِفَةِ ٱلنَّفْسِ وَجَهْلِها قَدْرَها

قالَ ٱلشَّافِعِيُّ: أَنفَعُ ٱلْأَشياءِ أَنْ يَعرِفَ ٱلرَّجُلُ قَدْرَ مَنْزِلَتِهِ وَمَبْلَغَ عَقْلِهِ ثُمَّ يَعمَلَ بِحَسَبِهِ .

وَقالَ أَبُو عَلِيٍّ ٱلوَرَّاقُ: آفَةُ ٱلنَّاسِ قِلَّةُ مَعْرِفَتِهِم بِقَدْرِ أَنْفُسِهِم . وَقالَ بَعضُ ٱلْبُلَغاءِ: جَهْلُ ٱلْمَرْءِ لِعُيُوبِهِ مِن أَكْبَرِ ذُنُوبِهِ . وَقالَ عَلِيٌّ : ما هَلَكَ ٱمْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ

وَقالَ ٱلْمُتَنَبِّيُّ :

وَمَن جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَها رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ ما لا يَرى

وَقالَ عَلِيٌّ : مَنِ ٱسْتَحَى مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِن نَفْسِهِ فَلَيسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ . وَجاءَ في ٱلْحَديثِ : مَن أَرادَ ٱللهُ بِهِ خَيْراً عَرَّفَهُ عُيُوبَ نَفْسِهِ

وَقالَ بَعضُ ٱلْفُصَحاءِ : يَنْبَغي لِلْمَرْءِ أَنْ لا يَجْهَلَ مِن نَفْسِهِ مَبْلَغَ عِلْمِها وَلا يَتَجاوَزَ بِها قَدْرَ حَقِّها . وَلَأَنْ يَكُونَ بِها مُقَصِّراً

فَيُذْعِنَ بِالِانْقِيادِ أَوْلى مِن أَنْ يَكُونَ بِها مُجاوِزاً فَيَكُفَّ عَنِ الِازْدِيادِ . لِأَنَّ مَن جَهِلَ حالَ نَفْسِهِ كانَ لِغَيْرِها أَجْهَلَ

وَقالَ سُقْراطُ: لا شَيْءَ أَضَرُّ بِالْإِنسانِ مِن رِضاهُ عَن نَفْسِهِ فَإِنَّهُ إِذا رَضِيَ عَنْها اكْتَفى بِالْيَسيرِ فَفاتَهُ كُلُّ خَطيرٍ

وَقالَ آخَرُ : مَن رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ سَخِطَ النَّاسُ عَلَيْهِ

وَقالَ لُقْمانُ: لا تَدَعِ النَّظَرَ في مَساوِئِكَ كُلَّ وَقْتٍ . لِأَنَّ تَرْكَ ذٰلِكَ نَقْصٌ مِن مَحاسِنِكَ

وَقالَ بَعْضُ الْبُلَغاءِ : كُنْ في الْحِرْصِ عَلى تَفَقُّدِ عُيوبِكَ كَعَدُوِّكَ . وَلا تَكُنْ مِمَّن يَرَى الْقَذَى في عَينِ أَخِيهِ وَلا يَرَى الْجِذْعَ(١) الْمُعْتَرِضَ في حَدَقِ(٢) عَيْنِهِ

وَقالَ أَحَدُ الْحُكَماءِ : أَنْتَ لا تَرى عَيْبَ نَفْسِكَ . فَسَلْ مَنْ تَثِقُ بِعَقْلِهِ وَنُصْحِهِ يُعَرِّفْكَ

وَقيلَ لِبُزُرْجُمُهْرَ : أَيُّ الْعُيُوبِ أَعْظَمُ . قالَ : قِلَّةُ مَعْرِفَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ

وَقيلَ لِبَعْضِ الْحُكَماءِ : ما أَصْعَبُ شَيْءٍ عَلى الْإِنْسانِ . قالَ : أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَكْتُمَ الْأَسرارَ

---

(١) ساق النخلة (٢) جمع حدقة وهي سواد العين الاعظم

أَلفَصْلُ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ
في ٱلحَثِّ على إِكْرَامِ ٱلنَّفسِ وَعِزَّتِها

قالَ عَلِيٌّ : قِيمَةُ كُلِّ إِنْسانٍ ما يُحْسِنُ . وَقالَ آخَرُ : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هانَتْ عَلَيْهِ دُنْياهُ

وَقالَ بَعْضُ ٱلأُباةِ : مَوْتٌ في دَوْلَةٍ وَعِزٍّ خَيْرٌ مِن حَياةٍ في ذِلَّةٍ وَعَجْزٍ

وَقالَ أَحدُ ٱلأُدَباء: أَبِيُّ ٱلنَّفْسِ يَشْتَرِي بِالْمَعْرُوفِ عِرْضَهُ مِنَ ٱلأَذى. فَلَوْ كانَتِ ٱلدُّنْيا لَهُ فَأَنفقَها صِيانَةً لِنَفْسِهِ لاَسْتَقَلَّها

وَأَنْشَدَ ٱلأَوْزاعِيُّ

وَما ٱلمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ
فَفِي صالِحِ ٱلأَعْمالِ نَفْسَكَ فَاجْعَلِ

وَقالَ صالِحُ بْنُ عَبْدِ ٱلقُدُّوسِ:

إِذا ما أَهَنْتَ ٱلنَّفْسَ لَمْ تَكُ مُكْرِماً   لَها بَعْدَ ما عَرَّضْتَها لِهَوانِ

وَقالَ حاتِمٌ :

وَنَفْسَكَ أَكْرِمْها فَإِنَّكَ إِنْ تَهُنْ
عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَها ٱلدَّهْرَ مُكْرِما

وَقالَ ٱبْنُ نُباتَةَ :

لَبِسْتُ مِنَ ٱلْحَوادِثِ كُلَّ ثَوْبٍ   سِوى ثَوْبِ ٱلْمَذَلَّةِ وَٱلْهَوانِ

وَقالَ هِشَامُ بْنُ إِبْرٰهِيمَ ٱلْبَصْرِيُّ يَفْتَخِرُ بِعِزَّةِ نَفْسِهِ :

وَكَمْ مَلِكٍ جانَبْتُهُ عَنْ كَرَاهَةٍ ... لِإِغْلاقِ بابٍ أَوْ لِتَشْدِيدِ حاجِبِ
وَلِي فِي غِنَى نَفْسِي مُرادٌ وَمَذْهَبٌ ... إِذا ٱنْصَرَفَتْ عَنِّي وُجُوهُ ٱلْمَذاهِبِ

أَلْفَصْلُ ٱلرَّابِعَ عَشَرَ

فِي ذَمِّ سَفالَةِ ٱلنَّفْسِ وَدَناءَتِها

قالَ أَحَدُ ٱلْأُدَباء : ٱلسَّافِلُ هُوَ ٱلَّذِي لا يُبالِي بِما يَقُولُ وَبِما يُقالُ لَهُ . وَلا يَعِيبُهُ ما صُنِعَ لَهُ وَلا يَخْجَلُ بِما يَصْنَعُ

وَقالَ آخَرُ: دَنِيءُ ٱلنَّفْسِ لا يَسْتَحِي مِنَ ٱلشَّرِّ وَيُحِبُّ أَنْ لا يَكُونَ مِن أَهْلِ ٱلْخَيرِ . وَلا يَقْعُدُ مَقْعداً إِلَّا حُرِمَتِ ٱلنَّزاهَةُ فِيهِ وَلَوْ أَفْلَتَتْ كَلِمَةُ سَوْءٍ لَمْ تُضَمَّ إِلَّا إِلَيْهِ

وَقالَ ٱلشَّاعِرُ :

أَحَقُّ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيـا بِعَيْبٍ
مُسِيءٌ لا يُبـالِي أَنْ يُعـابا

وَقالَ أَعْرابِيٌّ : ٱللَّئِيمُ تَهونُ عَلَيْهِ عِظامُ ٱلذُّنوبِ وَتَحْسُنُ فِي عَيْنِهِ قِباحُ ٱلْعُيوبِ . وَلَوْ كانَ فِي بَنِي آدَمَ سِباخٌ إِنَّهُ لَمِنْ سِباخِهِمْ

وَقالَ آخَرُ : ٱلْخَسِيسُ أَقَلُّ ٱلنَّاسِ ذُنوبًا إِلى أَعْدائِهِ وَأَكْثَرُهُمْ تَجَرُّؤًا عَلى أَصْدِقائِهِ وَأَوْلِيائِهِ . عَدُوُّهُ بِمَعْزِلٍ عَنْهُ وَصَدِيقُهُ عَلى

وَجِلٍ مِنْهُ . إنْ شَهِدَ عافَهُ[1] وَإنْ غابَ عَنْهُ خانَهُ

وقالَ أبو ٱلهَداهِدِ ٱلأَصْفَهانِيُّ يَهْجُو قَوْماً لِئاماً :

لَهُمْ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ حِجابٌ فَقَدْ تَرَكُوا ٱلمَكارِمَ وَٱسْتَراحُوا

وَقالَ ٱلبازانِيُّ يَذُمُّ لَئِيماً :

يَداكَ يَدٌ تَطُولُ إلى ٱلمَخازِي وَعَنْ طَلَبِ ٱلعُلى أُخرى قَصيرَهْ

وَقالَ ٱلطِّرِمَّاحُ يَهْجُو قَبيلَةَ تَميمٍ :

تَميمٌ بِطُرْقِ ٱللُّؤْمِ أَهْدَى مِنَ ٱلقَطا[2] وَلَوْ سَلَكَتْ سُبُلَ ٱلمَكارِمِ ضَلَّتِ

أَلفَصْلُ ٱلخامِسَ عَشَرَ

في مَضارِّ مَدْحِ ٱلنَفْسِ وَٱلِٱغْتِرارِ بِٱلمُداهَنَةِ

قالَ عَلِيٌّ: إذا فَعلْتَ كُلَّ شَيْءٍ فَكُنْ كَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئاً . وَإذا أَرَدْتَ أَنْ تُحْمَدَ فَلا يَظْهَرْ مِنْكَ حِرْصٌ عَلى ٱلحَمْدِ

وَقالَ أَحَدُ ٱلحُكَماءِ: يَنْبَغي لِلعاقِلِ أَنْ يَضْبُطَ نَفْسَهُ وَيَمْنَعَها مِنْ تَصْديقِ ٱلمَدْحِ لَها . فَإنَّ لِلنَّفْسِ مَيْلاً لِحُبِّ ٱلثَّناءِ وَسَماعِ ٱلمَدْحِ . كَما قالَ ٱلشَّاعِرُ :

يَهْوى ٱلثَّناءَ مُبَرِّزٌ[3] وَمُقَصِّرٌ حُبُّ ٱلثَّناءِ طَبيعَةُ ٱلإنْسانِ

---

(١) كرهه (٢) جمع القطـاة وهي طائر في حجم الحمام (٣) المبرز الذي يفوق اصحابه فضلًا وشجاعة

وَقالَ بَعضُ ٱلأُدَباء: رُبّما آلَ حُبُّ ٱلْمَدْحِ لِصَاحِبِهِ إلى أَنْ يَصِيرَ مادِحَ نَفْسِهِ . إمّا لِتوَهُّمِهِ أَنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ غَفَلُوا عَنْ فَضْلِهِ وَأَخلُّوا[1] بِحَقِّهِ . وَإمّا لِتَلَذُّذِهِ بِسَماعِ ٱلثَّنَاءِ كَما يَتَغَنَّى بِنَفْسِهِ طَرِباً إذا لَمْ يَسْمَعْ صَوْتاً مُطرِباً وَلا غِناءً مُمتِعاً

وَقالَ بَعْضُ ٱلشُّعَراء :

وَما شَرَفٌ أَنْ يَمْدَحَ ٱلْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلٰكِنَّ أَعمالًا تُذَمُّ وَتُمْدَحُ
وَما كُلَّ حِينٍ يَصْدُقُ ٱلْمَرْءَ ظَنُّهُ وَلا كُلُّ أَصحابِ ٱلتِّجارَةِ يَرْبَحُ

وَقالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغاء: إنَّ ٱلْمُتَقَرِّبَ بِالْمَدْحِ يُسْرِفُ مَعَ ٱلْقَبُولِ وَيَكُفُّ مَعَ ٱلْإِباء . فَلا يَغْلِبَنْكَ حُسْنُ ٱلظَّنِّ بِهِ عَلى تَصْديقِ مَدْحٍ أَنْتَ أَعْرَفُ بِحَقِيقَتِهِ . وَلْتَكُنْ تُهمَةُ ٱلْمَادِحِ أَغْلَبَ عَلى حُسْنِ ٱلظَّنِّ بِهِ . فَقَلَّ مَدْحٌ كانَ جَمِيعُهُ صِدْقاً وَقَلَّ ثَناءٌ كانَ كُلُّهُ حَقّاً . وَلِذٰلِكَ كَرِهَ أَهلُ ٱلْفَضْلِ أَنْ يُطْلِقُوا أَلسِنَتَهُمْ بِٱلثَّنَاءِ وَٱلْمَدْحِ تَحَرُّزاً مِنَ ٱلتَّجاوُزِ فِيهِ وَتَنْزِيهاً عَنِ ٱلتَّمَلُّقِ بِهِ

وَقالَ بَعْضُ ٱلْحُكَماء : ٱلسَّلامَةُ مِنَ ٱلْكَذِبِ فِي ٱلْمَدْحِ وَٱلذَّمِّ مُتَعَذِّرَةٌ وَلا سِيَّما إذا مَدَحَ ٱلْمَرْءُ تَقَرُّباً وَذَمَّ تَسَخُّطاً

قيلَ لِأَفلاطُونَ: ما ٱلشَّيْءُ ٱلَّذِي لا يَحْسُنُ أَنْ يُقالَ وَإنْ كانَ حَقّاً . قالَ : مَدْحُ ٱلإِنْسانِ نَفْسَهُ

---

(١) ذهبوا واجحفوا وهضموا

وَكانَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ يَقُولُ: رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَءًا أَهدى إِلَينا مَساوِئَنا

أَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسَ عَشَرَ

في ٱلنَّهْيِ عَنِ ٱتِّباعِ ٱلْهَوى

قالَتِ ٱلْحُكَماءُ: مَنْ أَطاعَ هَواهُ باعَ دِينَهُ وَدُنْياهُ

وَقالَ أَحَدُ ٱلْفُضَلاءِ: مِنْ جَهْلِ ٱلْمَرْءِ أَنْ يَعْصِيَ رَبَّهُ في طاعَةِ هَواهُ. وَيُهِينَ نَفْسَهُ في إِكْرامِ دُنْياهُ

وَقالَ أَحَدُ ٱلْأُدَباءِ: لا تَنالُ ما تُحِبُّ إِلَّا بِٱلصَّبْرِ عَلى ما تَكْرَهُ. وَلا تَبْلُغُ ما تَهْوى إِلَّا بِتَرْكِ ما تَشْتَهي

وَقالَ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْبُسْتِيُّ:

إِذا طالَبَتْكَ ٱلنَّفْسُ يَوْماً بِشَهْوَةٍ ... وَكانَ إِلَيْها في ٱلْخِلافِ طَرِيقُ
فَخالِفْ هَواها ما ٱسْتَطَعْتَ فَإِنَّما ... هَواها عَدُوٌّ وَٱلْخِلافُ صَدِيقُ

وَقالَ آخَرُ:

صاحِبُ ٱلشَّهْوَةِ عَبْدٌ فَإِذا ... غَلَبَ ٱلشَّهْوَةَ صارَ ٱلْمَلِكا

وَقالَ عَلِيٌّ: ثَلاثٌ مُهْلِكاتٌ وَثَلاثٌ مُنْجِياتٌ. فَأَمَّا ٱلْمُهْلِكاتُ فَشُحٌّ مُطاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجابُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ. وَامَّا ٱلْمُنْجِياتُ فَخَشْيَةُ ٱللهِ في ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلانِيَةِ. وَٱلْقَصْدُ في ٱلْغِنى وَٱلْفَقْرِ. وَٱلْعَدْلُ في ٱلرِّضى وَٱلْغَضَبِ. وَقالَ أَحَدُ ٱلْبُلَغاءِ: ٱنْظُرْ إِلى

ما تَسوءُ عاقِبَتُهُ فوطِّنْ نَفسَكَ على مُجانَبَتِهِ . فإنَّ تَرْكَ ٱلنَّفْسِ وَما تَهوى دَاؤُها وَتَرْكَ ما تَهوى دَواؤُها . وَقالَ آخَرُ : حُبُّكَ ٱلشَّيْءَ يُعمِي عَنِ ٱلرُّشْدِ وَيُصِمُّ عَنِ ٱلْمَوْعِظَةِ

وَقالَ أَحَدُ ٱلفُصَحاءِ : ٱلْهَوى يَصُدُّ عَنِ ٱلْخَيرِ وَيُرَغِّبُ فِي ٱلشَّرِّ . وَيُنْتِجُ ٱلأَخْلاقَ ٱلْقَبيحَةَ وَٱلأَفعالَ ٱلذَّميمَةَ وَيَهْتِكُ سِتْرَ ٱلْمُرُوءَةِ

وَقالَ عَلِيٌّ : ما أَصعَبَ عَلى مَنِ ٱستَعْبَدَتْهُ ٱلشَّهواتُ أَنْ يَكُونَ فاضِلًا . وَقالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ :

إذا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ ٱلْهَوى قادَكَ ٱلْهَوى
إِلى كُلِّ ما فِيهِ عَلَيْكَ مَقالُ

وَقالَ أَحَدُ ٱلعُقَلاءِ : ٱلعاجِزُ مَنْ يَعجِزُ عَن قَهْرِ نَفْسِهِ وَتَأْدِيبِها وَٱلْوُقُوفِ بِها عِنْدَ حَدِّها . وَقالَ آخَرُ : لا يَنْبَغِي لِرَئِيسٍ أَنْ يَطْلُبَ طاعَةَ غَيرِهِ وَطاعَةُ نَفسِهِ عَلَيْهِ مُمْتَنِعَةٌ

وَقالَ ٱلرَّاجِزُ :

قَدْ يُدْرِكُ ٱلْحازِمُ ذُو ٱلرَّأْيِ ٱلْمُنى
بِطاعَةِ ٱلْحَزْمِ وَعِصْيانِ ٱلْهَوى

وَقالَ بَعضُ ٱلْحُكَماءِ : إِذا ٱشْتَبَهَ عَلَيْكَ أَمْرانِ فَٱنْظُرْ أَيُّهما أَقْرَبُ مِن هَواكَ فَخالِفْهُ . فَالصَّوابُ فِي مُخالَفَةِ ٱلْهَوى

وَقالَ آخَرُ . إِنْ قَدَّمْتَ هَواكَ عَلى عَقْلِكَ لَمْ تُصِبْ رُشْداً

فِي حَياتِكَ وَلا أَمْناً بَعْدَ وَفاتِكَ . وَقالَتِ ٱلْحُكَماءُ : إِنَّ ٱلنَّفس أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ وَٱلْهَوى إِلٰهٌ مَعْبودٌ

وَقالَ عَلِيٌّ : أَخافُ عَلَيْكُمُ ٱثْنَيْنِ . ٱتِّبـاعَ ٱلْهَوى وَطُولَ ٱلأَمَلِ . فَإِنَّ ٱتِّباعَ ٱلْهَوى يَصُدُّ عَنِ ٱلْحَقِّ وَطُولَ ٱلأَمَلِ يُنْسِي ٱلآخِرَةَ . وَفِي مَنْثُورِ ٱلْحِكَمِ : مَن أَطاعَ هَواهُ أَعْطى عَدُوَّهُ مُناهُ . وَقيلَ : سُلْطانُ مَن مَلَكَ ٱلْهَوى فَوقَ سُلْطانِ مَن مَلَكَ ٱلدُّنيا

أَلفَصْلُ ٱلسَّابِعَ عَشَرَ

فِي ٱلتَّيَقُّظِ وَٱلتَّبَصُّرِ فِي ٱلأُمُورِ وَٱلتَّفَكُّرِ في ٱلْعَواقِبِ

قالَ ٱلْمَنْصُورُ لِوَلَدِهِ : خُذْ عَنِّي ٱثْنَيْنِ : لا تَقُلْ فِي غَيْرِ تَفْكِيرٍ وَلا تَعْمَلْ بِغَيْرِ تَدْبِيرٍ . وَقالَ أَحَدُ ٱلْحُكَماءِ : مَن فَعَلَ بِغَيْرِ تَدْبِيرٍ وَقالَ بِغَيْرِ تَقْدِيرٍ لَمْ يَعْدَمْ مِنَ ٱلنَّاسِ هازِئاً وَلا لاحِياً[1]

وَقالَ أَحَدُ ٱلأُدَباءِ : مِن أَماراتِ[2] ٱلْحَكِيمِ ٱلتَّرَوِّي فِي ٱلْجَوابِ بَعْدَ ٱسْتِيعابِ ٱلْفَهْمِ . وَمِن أَماراتِ ٱلأَحْمَقِ سُرْعَةُ ٱلْجَوابِ وَطُولُ ٱلتَّمَنِّي وَٱلتَّمَلُّلُ بِما لا يَكُونُ

وَقالَ بَعْضُ ٱلْفُصَحاءِ : ٱلْيَقْظَةُ حارِسٌ لا يَنامُ وَحافِظٌ لا يَغْفُلُ . فَمَن تَدَرَّعَ بِها أَمِنَ مِنَ ٱلْجَوْرِ وَٱلْغَدْرِ وَٱلْكَيْدِ وَٱلْمَكْرِ

---

(١) لائماً وعائباً (٢) دلائل وعلامات

وَقالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ : مَن وَلِيَ أُمورَ ٱلْعِبادِ يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَتَطَلَّعَ إِلى صَغيرِ أُمورِهِم وَكَبيرِها فَإِنَّهُ عَنْها مَسْؤُولٌ. وَمَتى غَفَلَ عَنْها خَسِرَ ٱلدُّنْيا وَٱلْآخِرَةَ

وقالَ أَحَدُ ٱلْفُضَلاءِ : غَفْلَةُ ٱلْقَلْبِ عَنِ ٱلْحَقِّ مِن أَعْظَمِ ٱلْعُيُوبِ وَأَكْبَرِ ٱلذُّنُوبِ. وَلَوْ كانَتْ آناً مِنَ ٱلْآناتِ أَوْ لَمْحَةً مِنَ ٱللَّمَحاتِ. حَتَّى إِنَّ أَهْلَ ٱلْقُلُوبِ عَدُّوا ٱلْغافِلَ في آنِ ٱلْغَفْلَةِ مِن جُمْلَةِ ٱلْحَمْقى. وَكَما يُعاقَبُ ٱلْعَوامُّ عَلى سَيِّئاتِهِمْ كَذٰلِكَ ٱلْخَواصُّ عَلى غَفَلاتِهِمْ. فَٱجْتَنِبِ ٱلِاخْتِلاطَ بِأَصْحابِ ٱلْغَفْلَةِ عَلى كُلِّ حالٍ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِن زُمْرَةِ أَهْلِ ٱلْكَمالِ

وَقالَتِ ٱلْحُكَماءُ : مَن نَظَرَ في عَواقِبِ ٱلْأُمورِ سَلِمَ مِن آفاتِ ٱلدُّهُورِ وَتَبِعاتِ ٱلْغُرُورِ. وَقِيلَ: ٱلنَّظَرُ فِي ٱلْعَواقِبِ نَجاةٌ

وَقالَ أَحَدُ ٱلْبُلَغاءِ: مَن لَمْ يَنْظُرْ في ٱلْعَواقِبِ تَعَرَّضَ لِحادِثاتِ ٱلنَّوائِبِ. وَقالَ بَعْضُ ٱلْأُدَباءِ: مِن أَعْجَبِ ٱلْأَشْياءِ جاهِلٌ يَسْلَمُ بِالتَّهَوُّرِ وَعاقِلٌ يَهْلِكُ بِالتَّوَقِّي. وَقالَ أَحَدُ ٱلْحُكَماءِ : إِنِ ٱتَّسَعَ لَكَ ٱلْمَنْهَجُ(١) فَٱحْذَرْ أَنْ يَضيقَ بِكَ ٱلْمَخْرَجُ

وَقالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَإِذا هَمَمْتَ بِوِرْدِ أَمْرٍ فَٱلْتَمِسْ مِن قَبْلِ مَوْرِدِهِ طَريقَ ٱلْمَصْدَرِ

---

(١) الطريق الواضح

قيلَ إنَّ كِسرى أنوشِروانَ كانَ أشدَّ ٱلنّاسِ تطلُّعاً في خفايا ٱلأُمورِ. وأعظمَ خلقِ ٱللهِ في زمانِهِ تفحُّصاً وبحثاً عن أسرارِ ٱلصُّدورِ. فكانَ يبثُّ ٱلعيونَ(١) على ٱلرَّعايا وٱلجواسيسَ في ٱلبلادِ ليقفَ على حقائقِ ٱلأحوالِ ويطَّلعَ على غوامضِ ٱلقضايا. فيعلَمَ ٱلمفسِدَ فيقابِلَهُ بِٱلتَّأديبِ وٱلمصلِحَ فيجازِيَهُ بِٱلإحسانِ. وكانَ يقولُ: متى غفلَ ٱلملِكُ عن تعرُّفِ ذٰلكَ فليسَ لَهُ مِنَ ٱلمُلكِ إلّا ٱسمُهُ وسقطَتْ مِنَ ٱلقُلوبِ هيبَتُهُ

وَلِيَ ٱلمنصورُ ٱلخلافةَ بعدَ أخيهِ ٱلسَّفّاحِ وهيَ في غايةِ ٱلاضطرابِ. فنصَبَ ٱلعيونَ وأقامَ ٱلمتطلِّعينَ وبثَّ في ٱلبلادِ وٱلنَّواحي مَنْ يكشِفُ لَهُ حقائقَ ٱلأُمورِ وٱلرَّعايا. فٱستقامَتْ لَهُ ٱلأُمورُ ودانَتْ(٢) لَهُ ٱلجِهاتُ. ولقدِ ٱبتُلِيَ في خلافتِهِ بأقوامٍ نازَعوهُ وأرادوا خلْعَهُ. فلولا أنَّ ٱللهَ تعالى أعانَهُ بتيقُّظِهِ وتبصُّرِهِ ما ثبتَتْ لَهُ في ٱلخلافةِ قدَمٌ. فكانَ يتلقّى ٱلمحذورَ بدفعِهِ ويعاجِلُ ٱلمخوفَ بتفريقِ شملِهِ قبلَ جمعِهِ. فذلَّتْ لَهُ ٱلرِّقابُ ولانَتْ لَهُ ٱلصِّعابُ وقرَّرَ قواعِدَ خلافتِهِ وأحكمَها بأوثَقِ ٱلأسبابِ

---

(١) الرقباء (٢) ذلت وخضعت

ٱلفَصْلُ ٱلثَّامِنَ عَشَرَ
في ٱلحزمِ وَٱلعزمِ

قالَتِ ٱلحُكَمَاءُ: ٱلعاجِزُ مَن عجزَ عن سِياسَةِ نَفْسِهِ . وَٱلحازِمُ مَن حفظَ ما في يَدِهِ ولَمْ يُؤَخِّرْ شُغْلَ يَوْمِهِ لِغَدِهِ

وَقالَ أَحَدُ ٱلفُصَحاءِ : ٱلتَّواني يُوجِبُ ٱلتَّضييعَ . وَٱلحَزْمُ يُوجِبُ ٱلسُّرورَ . وَٱلحَذَرُ يُوجِبُ ٱلسَّلامَةَ . وَإِصابَةُ ٱلرَّأْيِ تُوجِبُ بقاءَ ٱلنِّعْمَةِ

وَقالَ بَعضُ ٱلعُقَلاءِ: مَن ضاعَ حَزْمُهُ ساءَ تَدْبِيرُهُ . وَمَن ساءَ تَدْبِيرُهُ كَثُرَ زَلَلُهُ . وَمَن كَثُرَ زَلَلُهُ ٱستَوْجَبَ ٱلذَّمَّ وَٱلمَلامَةَ . وَعاشَ وَضِيعَ ٱلقَدْرِ خامِلَ ٱلذِّكْرِ

وَقالَ أَحدُ ٱلحُكَماءِ : ٱلمُتَأَنِّي في عِلاجِ ٱلدَّاءِ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ ٱلدَّواءَ كَٱلمُتَأَنِّي في إِطْفاءِ ٱلنَّارِ وَقَدْ أَخذَتْ بِحَواشِي ثِيابِهِ

وَقالَ بَعضُ ٱلعُلَماءِ: ٱلعَجزُ عَجْزانِ: عَجزُ تَقْصيرٍ وَقَدْ أَمْكَنَ وَٱلجِدُّ في طَلَبِهِ وَقَدْ فاتَ

وَقالَ ٱلشَّاعِرُ :

تَتَبُّعُ ٱلأَمْرِ بَعدَ ٱلفَوْتِ تَغْرِيرُ[1] وَتَرْكُهُ مُقْبِلًا عَجزٌ وَتَقصيرُ

---

(١) تعريض للهلكة

وَقالَ أَحدُ ٱلْبُلَغاء : أَحزَمُ ٱلنَّاسِ مَن إذا وَضَحَ لَهُ ٱلْأَمْرُ صَدَعَ(١) فِيهِ . وَأَعْظَمُ ٱلْخَطَإِ ٱلعَجَلَةُ قَبلَ ٱلإمكانِ وَٱلتَّأَنِّي بَعْدَ ٱلْفرصةِ . وَقيلَ لِبَعْضِ ٱلْحُكَماء : هَلْ شَيْءٌ أَضرُّ مِنَ ٱلتَّـواني . فَقالَ : ٱلِاجْتِهادُ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَطَلَبُ ٱلْأَمْرِ بَعْدَ فَوْتِهِ

وَقالَ ٱلشَّاعِرُ يَلُومُ مَن جدَّ في طَلَبِ ٱلْأَمْرِ بَعْدَ فَواتِهِ :

أَصْبَحْتَ تَنفُخُ فِي رَمادِكَ بَعْدَما ضَيَّعتَ حظَّكَ مِن وَقُودِ ٱلنَّارِ

وَقالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ يَصِفُ حَزُوماً :

فَتًى لَمْ يُضَيِّعْ وَقْتَ حَزْمٍ وَلَمْ يَبِتْ
يُلاحِظُ أَعْجازَ(٢) ٱلْأُمورِ تَعَقُّبـا

وَقالَ آخَرُ يَلُومُ مَنْ يُضِيعُ ٱلْفُرَصَ :

وَٱلْمَرْءُ تَلْقاهُ مِضَياعاً لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إذا فاتَ أَمْرٌ عاتَبَ ٱلْقَدَرا

وَقالَ عَبْدُ ٱلْمَلِكِ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ ٱلْعَزِيزِ : ما ٱلْعَزِيمَةُ فِي ٱلْأَمْرِ قالَ إِصْدارُهُ إذا وَرَدَ بِٱلْحَزْمِ . فَقـالَ : وَهَلْ بَيْنَهُما فَرْقٌ . قالَ : نَعَمْ أَما سَمِعْتَ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ :

لَيسَتْ تَكُونُ عَزِيمَةٌ ما لَمْ يَكُنْ مَعَها مِنَ ٱلرَّأْيِ ٱلْمُشَيَّدِ(٣) رافِعُ

فَقالَ لِلّهِ دَرُّكَ عِشْتُ دَهراً وَما أَرى بَيْنَهُما فَرْقاً

لَمَّا عَزَمَ ٱلْمَنْصُورُ عَلى ٱلْفَتْكِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَزِعَ مِن ذٰلِكَ عِيسَى

(١) مضى (٢) جمع عجز وهو مؤخر الشيء (٣) المقوّى

ٱبْنُ مُوسى فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

إذا كُنتَ ذا رَأْيٍ فَكُنْ ذاتَدبُّرٍ[1] فَإِنَّ فَسادَ ٱلرَّأْيِ أَنْ تَتَعَجَّلا

فَأَجابَهُ ٱلْمَنْصُورُ :

إذا كُنْتَ ذا رَأْيٍ فَكُنْ ذاعَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسادَ ٱلرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدا

أَلْفَصْلُ ٱلتَّاسِعَ عَشَرَ

في شُروطِ ٱلسُّؤْدُدِ وَٱلِاعْتِمادِ عَلى ٱلنَّفْسِ

قالَتِ ٱلْحُكَماءُ : يَسُودُ ٱلرَّجُلُ بِسِتَّةِ أَشْياءَ : بِٱلْعَقْلِ وَٱلْأَدَبِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلدِّينِ وَٱلْمُرُوءَةِ وَٱلْكَرَمِ

وَقالَ أَحَدُ ٱلْأُدَباءِ: بِصالِحِ ٱلْأَخْلاقِ تَزْكُو ٱلْأَعْمالُ وَبِٱحْتِمالِ ٱلْمُؤَنِ يَجِبُ ٱلسُّؤْدُدُ[2] . وَبِٱلرِّفْقِ وَٱلتَّوَدُّدِ تُسْتَحَقُّ ٱلْكَرامَةُ . وَبِتَرْكِ مالا يَعْنيكَ يَتِمُّ لَكَ ٱلْفَضْلُ

وَقالَ قُسُّ بْنُ ساعِدَةَ: مَن فاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ حَسَبُ أَبِيهِ . وَقالَ آخَرُ: تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ إذا بَوَّأَهُ حُسْنُ ٱلْبَخْتِ ٱلْمَراتِبَ ٱلْعالِيَةَ وَهُوَ قاصِرُ ٱلْمَدارِكِ سَيِّئُ ٱلتَّدْبِيرِ خَرِقَتْ سِياسَتُهُ وَٱخْتَلَّتْ أُمُورُهُ وَكانَ عُلُوُّ ٱلْمَنْصِبِ مَدْعاةً إلى ٱلِازْدِراءِ بِشَأْنِهِ وَٱلتَّنْديدِ بِهِ

(١) من دبر الامر اذا نظر في عاقبته وتفكر فيه واعتنى به (٢) المجد والشرف والجلال

وَقالَ عَبْدُ ٱللّٰهِ بْنُ مُعاوِيَةَ :

لَسْنا وَإنْ كَرُمَتْ أَوَائِلُنا يَوْماً عَلَى ٱلْأَحْسابِ نَتَّكِلُ
نَبْنِي كَما كانَتْ أَوائِلُنـا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَمـا فَعَلُوا

وَقالَ عامِرُ بْنُ ٱلطُّفَيْلِ ٱلْعامِرِيُّ :

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ٱبْنَ سَيِّدِ عامِرٍ
وَفارِسَها ٱلْمَشْهُورَ فِي كُلِّ مَوْكِبِ[١]
فَما سَوَّدَتْنِي عامِرٌ عَنْ وِراثَـةٍ
أَبَى ٱللّٰهُ أَنْ أَسْمُو بِجَدٍّ وَلا أَبِ
وَلٰكِنَّنِي أَحْمِي حِماهـا وَأَتَّقِي
أَذاها وَأَرْمِي مَن رَماها بِمَنْكِبِي

وَلِبَعْضِ بَنِي عامِرٍ :

إِذا لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى هِمَّةٌ تُبَوِّئُهُ فِي ٱلْعَلا مِصْعَدا
وَنَفْسٌ يُعَوِّدُها ٱلْمَكْرُما تِ وَٱلْمَرْءُ يَلْزَمُ[٢] ما عُوِّدا
وَلَمْ تَعْلُ هِمَّتُهُ نَفْسَهُ فَلَيْسَ يَنالُ بِها ٱلسُّؤْدُدا

وَقالَ هِشامُ لِخالِدِ بْنِ صَفْوانَ . بِمَ بَلَغَ فِيكُمُ ٱلْأَحْنَفُ ما بَلَغَ . قالَ : كانَ أَقْوَى ٱلنَّاسِ عَلَى نَفْسِهِ وَكانَ لا يَجْهَلُ وَلا يَبْغِي[٣] وَلا يَبْخَلُ

(١) الموكب الجماعة ركباناً او مشاةً (٢) لا يفارق (٣) يظلم

وَقِيلَ لِرَجُلٍ: بِمَ سادَكُمُ ٱلْأَحْنَفُ. فَوَٱللهِ ما كانَ بِأَكْبَرِكُمْ سِنّاً وَلا بِأَكْثَرِكُمْ مالًا. فَقالَ: بِقُوَّةِ سُلْطانِهِ عَلى نَفْسِهِ

وَقِيلَ لِقَيْسِ بْنِ عاصِمٍ: بِمَ سُدْتَ قَوْمَكَ. قالَ. لَمْ أُخاصِمْ أَحَداً إِلّا تَرَكْتُ لِلصُّلْحِ مَوْضِعاً

وَقالَ ٱلرَّشِيدُ لِأَعْرابِيٍّ: بِمَ سادَكُمْ هِشامُ بْنُ عُرْوَةَ هٰذِهِ ٱلْمَنْزِلَةَ. قالَ: بِحِلْمِهِ عَنْ سَفِيهِنا وَعَفْوِهِ عَنْ مُسِيئِنا وَحِمايَةِ عَنْ ضَعِيفِنا. لا مَنّانٌ إِذا وَهَبَ وَلا حَقُودٌ إِذا غَضِبَ. رَحْبُ ٱلْجَنانِ ماضي ٱللِّسانِ سَمْحُ ٱلْبَنانِ[1]. قالَ: فَأَوْمَأَ ٱلرَّشِيدُ إِلى كَلْبِ صَيْدٍ كانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقالَ: وَٱللهِ لَوْ كانَتْ هٰذِهِ في هٰذا ٱلْكَلْبِ لَٱسْتَحَقَّ ٱلسُّؤْدُدَ

أَلْفَصْلُ ٱلْعِشْرُونَ

في ٱلْمُرُوءَةِ

قالَ ٱلْماوَرْدِيُّ: أَلْمُرُوءَةُ حِلْيَةُ ٱلنُّفُوسِ وَزِينَةُ ٱلْهِمَمِ. يُراعى بِها أَفْضَلُ ٱلْأَحْوالِ حَتّى لا يَظْهَرَ مِنْها قَبِيحٌ وَلا يَتَوَجَّهَ إِلَيْها ذَمٌّ

وَقالَ بَعْضُ ٱلْبُلَغاءِ: مِنْ شَرائِطِ ٱلْمُرُوءَةِ أَنْ يَتَعَفَّفَ ٱلْمَرْءُ عَنِ ٱلْحَرامِ وَيَتَصَوَّنَ عَنِ ٱلْآثامِ. وَيُنْصِفَ فِي ٱلْحُكْمِ وَيَكُفَّ عَنِ

---

(١) الاصابع

ٱلظُّلمِ وَلا يَطمَعَ في ما لا يَستَحِقُّ وَلا يُعِينَ قَوِيّاً على ضَعيفٍ . وَلا يَأْتِيَ ما يُعقِبُ ٱلوِزْرَ[١] وَلا يَفعَلَ ما يُقَبِّحُ ٱلذِّكْرَ

وَقالَ بَعضُ ٱلأُدَباء : مِن تَمامِ ٱلمُرُوءةِ أَنْ تَنسَى ٱلحَقَّ لَكَ وَتَذْكُرَ ٱلحَقَّ عَلَيكَ . وَتَستَكبِرَ ٱلإِساءةَ مِنكَ وَتَستَصغِرَها مِن غَيرِكَ

وَعَنِ ٱلحَديثِ : مَنْ عامَلَ ٱلنّاسَ فَلَمْ يَظلِمْهُم وَحَدَّثَهُم فَلَمْ يَكذِبْهُم وَوَعَدَهُم فَلَمْ يُخلِفْهُم فَهُوَ مِمَّنْ كَمَلَتْ مُروءتُهُ وَظَهَرَتْ عَدالَتُهُ وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ

وَقالَتِ ٱلحُكَماءُ : مَنْ أَماتَ شَهوَتَهُ أَحيا مُرُوءتَهُ وَمَنْ زادَتْ شَهوَتُهُ نَقَصَتْ مُرُوءتُهُ

وَقالَ ٱلماوَرْدِيُّ : ٱلمُرُوءةُ لا يَنقادُ لَها مَعَ ثِقَلِ كُلَفِها إِلَّا مَنْ تَسَهَّلَتْ عَلَيهِ ٱلمَشاقُّ[٢] رَغبَةً في ٱلحَمدِ . وَهانَتْ عَلَيهِ ٱلمَلاذُّ حَذَراً مِنَ ٱلذَّمِّ . وَلِذٰلِكَ قيلَ : سَيِّدُ ٱلقَومِ أَشقاهُمْ

وَقالَ أَحَدُ ٱلأُدَباء: إِذا طَلَبَ رَجُلانِ أَمراً ظَفِرَ بِهِ أَعظَمُهُما مُرُوءةً . وَقالَ يَزِيدُ : ٱلمُرُوءةُ هِيَ ٱلصَّبرُ عَلى ٱلبَلوى وَٱلشُّكرُ عَلى ٱلنُّعمى وَٱلعَفوُ عِندَ ٱلقُدرَةِ

وَقالَ بَعضُ ٱلحُكَماء : مَنْ أَحَبَّ ٱلمَكارِمَ وَٱجتَنَبَ ٱلمَحارِمَ فَهُوَ مِنَ ٱلمُرُوءة عَلى جانِبٍ عَظيمٍ

---

(١) الاثم (٢) جمع المشقة

وَقالَ أَنُوشِرْوانُ لِاَبْنِهِ: مَنِ ٱلْكامِلُ ٱلْمُرُوءَةِ . فَقالَ: مَن حَصَّنَ دِينَهُ وَوَصَلَ رَحِمَهُ وَأَكْرَمَ إِخوانَهُ

وَسُئِلَ بَعضُ ٱلْحُكَماءِ عَنِ ٱلْفَرْقِ بَيْنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلْمُرُوءَةِ فَقالَ: ٱلْعَقْلُ يأْمُرُكَ بِٱلْأَنْفعِ وَٱلْمُرُوءَةُ تَأْمُرُكَ بِٱلْأَجْمَلِ

أَلْفَصْلُ ٱلْحَادِي وَٱلْعِشْرُونَ

في عُلُوِّ ٱلهِمَّةِ

قالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ: لا تَصْغُرَنَّ هِمَّتُكُم فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ عَنِ ٱلْمَكْرُماتِ مِن صِغَرِ ٱلْهِمَمِ

وَقالَ أَحَدُ ٱلْحُكَماءِ: مَن كَبُرَتْ هِمَّتُهُ كَثُرَتْ قِيمَتُهُ

وَقالَ آخَرُ: مَن رَقِيَ في دَرَجاتِ ٱلْهِمَمِ عَظُمَ في عُيُونِ ٱلْأُمَمِ . وَقيلَ: كُلُّ ٱمرِئٍ هِمَّتُهُ . وَمَنْ تَرَكَ ٱلْتِماسَ ٱلْمَعالي لَمْ يَنَلْ جَسِيماً . وَقالَ ٱبْنُ نُباتَةَ:

حاوِلْ جَسِيماتِ ٱلْأُمورِ وَلا تَقُلْ   إِنَّ ٱلْمَحامِدَ وَٱلْعُلى أَرْزاقُ
وَٱرْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ مُقَصِّراً   عَنْ غايَةٍ فِيها ٱلطِّلابُ سِباقُ

وَقالَ ٱلْماوَرْدِيُّ: عُلُوُّ ٱلْهِمَّةِ باعِثٌ عَلى ٱلتَّقَدُّمِ وَداعٍ إِلى ٱلنَّباهَةِ أَنَفَةً مِنْ خُمُولِ ٱلضَّعَةِ وَٱسْتِنْكاراً لِمَهانَةِ ٱلنَّقْصِ

وَقالَ بَعْضُ ٱلْحُكَماءِ لِٱبْنِهِ : يا بُنَيَّ لا تَكُنْ على أَحَدٍ كَلًّا[١] فَإِنَّكَ تَزْدادُ ذُلًّا . وَٱضْرِبْ[٢] في ٱلْأَرْضِ عَوْداً وَبَدْءاً . وَلا تَأْسَفْ لِمالٍ كانَ فَذَهَبَ . وَلا تَعْجِزْ عَنِ ٱلطَّلَبِ لِوَصَبٍ[٣] أَوْ نَصَبٍ . فَإِنَّ ذَوِي ٱلْهِمَمِ ٱلْعَلِيَّةِ وَٱلنُّفُوسِ ٱلْأَبِيَّةِ يَرَوْنَ ما وَصَلَ إلى ٱلْإِنْسانِ كَسْباً أَفْضَلَ مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ إِرْثاً . وَإِنَّ ٱلْمالَ ٱلْمَوْرُوثَ لا يَكْتَفِي بِهِ إِلَّا ٱلْخامِلُ ٱلْمِكْسالُ . وَأَمَّا ٱلنَّاهِضُ ٱلْهِمَّةِ فَلا يُعَوِّلُ إِلَّا عَلى كَدِّهِ وَحُسْنِ سَعْيِهِ

وَقالَ بَعْضُ ٱلْفُصَحاءِ : أَسْوَأُ ٱلنَّاسِ حالًا مَنْ بَعُدَتْ هِمَّتُهُ وَٱتَّسَعَتْ أُمْنِيَّتُهُ وَقَصُرَتْ يَدُهُ وَضاقَتْ مَقْدِرَتُهُ . أَخَذَ ذٰلِكَ ٱلْمُتَنَبِّي فَقالَ :

وَأَتْعَبُ خَلْقِ ٱللهِ مَنْ زادَ هِمَّةً ... وَيَقْصُرُ عَمَّا تَشْتَهِي ٱلنَّفْسُ وُجْدُهُ[٤]

وَقالَ ٱلشَّافِعِيُّ وَأَجادَ :

إِنَّ ٱلَّذِي رُزِقَ ٱلْيَسارَ وَلَمْ يُصِبْ ... حَمْداً وَلا أَجْراً فَغَيْرُ مُوَفَّقِ

وَٱلْجِدُّ[٥] يُدْنِي كُلَّ شَيْءٍ شاسِعٍ ... وَٱلْجَدُّ[٦] يَفْتَحُ كُلَّ بابٍ مُغْلَقِ

وَأَحَقُّ خَلْقِ ٱللهِ بِٱلْهَمِّ ٱمْرُؤٌ ... ذُو هِمَّةٍ عَلْيا وَعَيْشٍ ضَيِّقِ

فَإِذا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَجْدُوداً[٧] حَوى ... عُوداً فَأَوْرَقَ في يَدَيْهِ فَحَقِّقِ

---

(١) الكلّ العيّل وهو الذي يقوم غيره بمعاشه (٢) سافر (٣) لمرض (٤) غناه (٥) الاجتهاد (٦) الحظ (٧) المجدود الرجل العظيم الحظ

وَإذا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَخْذُولًا[1] أَتى   ماءً لِيَشْرَبَهُ فَجَفَّ فَصَدِّقِ

وَمدحَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلا بِعِظَمِ ٱلْهِمَّةِ فقالَ : فُلانٌ يَرْمِي بِهِمَّتِهِ إلى حَيْثُ يُشِيرُ إلَيْهِ ٱلْكَرَمُ . وَلَهُ هِمَّةٌ تُناطِحُ ٱلنُّجومَ وَكَرَمٌ يُشامِخُ ٱلْغُيُومَ

وَقالَ ٱلشَّاعِرُ يَصِفُ هِمَمَهُ ٱلشَّمَّاءَ :

وَلِي هِمَمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ بُلُوغِها   بُحُورٌ مِنَ ٱلآمالِ لَيْسَ لَها جِسْرُ

وَقالَ ٱلْمُتَنَبِّي يَصِفُ رَجُلًا بِعُلُوِّ ٱلْهِمَمِ :

لَهُ هِمَمٌ لا مُنْتَهى لِكِبارِها   وَهِمَّتُهُ ٱلصُّغْرَى أَجَلُّ مِنَ ٱلدَّهْرِ

أَلْفَصْلُ ٱلثَّانِي وَٱلْعِشْرُونَ

في ٱلتَّرْغِيبِ في حُسْنِ ٱلسُّمْعَةِ وَطِيبِ ٱلذِّكْرِ

قالَ أَكْثَمُ : إنَّما أَنْتُمْ أَخْبارٌ فَطَيِّبُوا أَخْبارَكُمْ . وَقالَ آخَرُ: ٱلأَيَّامُ صَحائِفُ آجالِكُمْ فَخَلِّدُوها بِأَحْسَنِ أَعْمالِكُمْ

وَقالَ حَبيبٌ ٱلطَّائِيُّ :

وَما ٱبْنُ آدَمَ إلَّا ذِكْرُ صالِحَةٍ   أَوْ ذِكْرُ سَيِّئَةٍ يَسْرِي بِها ٱلْكَلِمُ

أَما سَمِعْتَ بِدَهْرٍ بادَ أُمَّتُهُ   جاءَتْ بِأَخْبارِهامِنْ بَعْدِها أُمَمُ

وَقالَ أَحَدُ ٱلأُدَباءِ : خُمُولُ ٱلذِّكْرِ خَيْرٌ مِنَ ٱلذِّكْرِ ٱلذَّمِيمِ

(١) المخذول الذي اضعفه الله وخيبه وترك نصرته

وَقالَ آخَرُ : لا شَيْءَ يَبْقَى عَلى مَمَرِّ ٱلدُّهُورِ إِلّا ٱلذِّكْرُ حَسَناً كانَ أَوْ قَبِيحاً . وَقَدْ قالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَلا شَيْءَ يَدُومُ فَكُنْ حَدِيثاً جَمِيلَ ٱلذِّكْرِ فَٱلدُّنْيا حَدِيثُ

وَقالَ أَحَدُ ٱلْعُلَماءِ : إِذا طابَتْ أُحْدُوثَةُ ٱلْمَرْءِ وَطَبَّقَتْ مَفاخِرُهُ ٱلآفاقَ تَخَلَّدَ ذِكْرُهُ فِي ٱلدُّنْيا وَرُقِمَتْ مآثِرُهُ عَلى صَفَحاتِ ٱلتَّوارِيخِ حَتَّى لا تَقْوى ٱلأَيَّامُ عَلى مَحْوِ آثارِها وَطَمْسِ مَعالِمِها فَهُوَ عَلى حَدِّ قَوْلِ ٱلْقائِلِ :

كَفَلَ ٱلزَّمانُ لَهُ بِرَدِّ حَياتِهِ لَمَّا ٱنْطَوى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورُ

وَقالَتِ ٱلْحُكَماءُ : إِنَّما ٱلأَيَّامُ مَزارِعُ فَما زَرَعْتَهُ فِيها حَصَدْتَهُ

وَقالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي هٰذا ٱلْمَعْنى وَأَجادَ :

إِنَّ ٱلْحَياةَ مَزارِعٌ فَٱزْرَعْ بِها ما شِئْتَ تَحْصُدْ
وَٱلنَّاسُ لا يَبْقَى سِوَى آثارِهِمْ وَٱلْعَيْنُ تُفْقَدْ
أَوَما سَمِعْتَ بِمَنْ مَضى هٰذا يُذَمُّ وَذاكَ يُحْمَدْ

وَقالَ أَحَدُ ٱلْفُضَلاءِ : كُنْ أَحْسَنَ حَدِيثٍ يُنْشَرُ يَكُنْ سَعْيُكَ فِي ٱلنَّاسِ مَشْكُوراً وَأَجْرُكَ عِنْدَ ٱللهِ مَذْخُوراً

وَقالَ أَحَدُ ٱلْحُكَماءِ : ٱلْعُلَماءُ أَخْلَدُ مِنَ ٱلدُّوَلِ ذِكْراً وَأَجَلُّ قَدْراً . فَكَمْ مِنْ مَمْلَكَةٍ ٱنْقَرَضَتْ وَٱضْمَحَلَّتْ وَدُفِنَتْ مَعَها أَخْبارُها

بَعدَ إذْ كانَتْ عَلى أَعْظَمِ جانِبٍ مِنَ ٱلْمَنَعَةِ وَٱلْعَظَمَةِ وَبَسْطَةِ ٱلسُّلْطانِ . وَأَمَّا ٱلْعُلَمَاءُ فَلَنْ يَزالَ ذِكْرُهُمْ يُدَوِّي في أَنْدِيَةِ ٱلْأَدَبِ مُؤَرِّجاً مَحافِلَ ٱلْعِلْمِ بِعَبيرِهِ ٱلْعَبَّاقِ كأَنَّهُمْ أَحياءٌ يُرْزَقُونَ

قيلَ لِبَعْضِ ٱلْحُكَمَاءِ: ما أَفادَكَ ٱلدَّهْرُ . قالَ ٱلْعِلْمُ بِهِ . قيلَ: فَما أَحْمَدُ ٱلْأَشْياءِ . قالَ : أَنْ تَبْقى لِلْإِنْسانِ أُحْدُوثَةٌ حَسَنَةٌ

أَلْفَصْلُ ٱلثَّالِثُ وَٱلْعِشْرونَ

في ٱصْطِناعِ ٱلْمَعْروفِ وَشُكْرِ ٱلنِّعَمِ

قالَ أَكْثَمُ حَكيمُ ٱلْعَرَبِ . ذَلِّلوا أَخْلاقَكُمْ لِلْمَطالِبِ وَقُودُوها إلى ٱلْمَحامِدِ وَعَلِّمُوها ٱلْمَكارِمَ . وَلا تُقيمُوا عَلى خُلُقٍ تُذِمُّونَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ . وَصِلُوا مَنْ رَغِبَ إِلَيْكُمْ وَتَحَلَّوا بِٱلْجُودِ يُلْبِسْكُمُ ٱلْمَحَبَّةَ . وَٱحْتَرِزوا مِنَ ٱلْبُخْلِ فَإِنَّهُ يُورِثُكُمُ ٱلْبِغْضَةَ

وَقالَ خالِدُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ: تَنافَسُوا في ٱلْمَغانِمِ وَسارِعُوا إِلى ٱلْمَكارِمِ وَٱكْتَسِبوا بِٱلْجُودِ حَمْداً وَلا تَكْتَسِبوا بِٱلْمَالِ ذَمّاً . وَلا تَعِدُوا بِمَعْرُوفٍ لا تُعَجِّلُوهُ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ حَوائِجَ ٱلنَّاسِ نِعَمٌ مِنَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ فَلا تَمَلُّوها فَتَعُودَ نِقَماً

وَقالَ عَلِيٌّ لِٱبْنِهِ : يا بُنَيَّ مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا[1] في كَسْبِ

---

(١) يذهبوا في العشي

ٱلْمَكارِمِ وَيَدَّلِجُوا [1] في حاجَـةِ مَنْ هُوَ نائِمٌ . فَوَٱلَّذي وَسِعَ سَمْعُهُ ٱلْأَصْواتَ ما مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْباً سُرُوراً إِلَّا خَلَقَ ٱللهُ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ ٱلسُّرُورِ لُطْفاً . فَإِذا نابَتْهُ نائِبَـةٌ جَرى إِلَيْها كَٱلْماءِ في ٱنْحِدارِهِ حَتَّى يَطْرُدَها عَنْهُ كَما تُطْرَدُ غَرِيبَةُ ٱلْإِبِلِ

كانَ ٱبْنُ مالِكٍ مِنَ ٱلْأَجْوادِ فَأَنْهَبَ ٱلنَّـاسَ مالَهُ بِعُكاظٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَعاتَبَهُ خالُهُ فَقالَ :

يا خالُ ذَرْني [2] وَمالي ما فَعَلْتُ بِهِ ... وَخُذْ نَصِيبَكَ مِنْهُ إِنَّهُ مُودي [3]
أَلْحَمْدُ لا يُشْتَرى إِلَّا بِمَكْرُمَةٍ ... وَلَنْ أَعِيشَ بِمالٍ غَيْرَ مَحْمُودِ

وَقالَ أَبُو فِراسِ بْنِ حَمْدانَ :

وَما نِعْمَةٌ مَكْفورَةٌ قَدْ صَنَعْتُها ... إِلى غَيْرِ ذي شُكْرٍ تَمانِعُنِي أُخْرى
سَآتي جَمِيلًا ما حَيِيتُ فَإِنَّني ... إِذا لَمْ أُفِدْ شُكْراً أَفَدْتُ بِهِ أَجْرا

وَقالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِذا كُنْتَ ذا نِعْمَةٍ فَٱرْعَها ... فَإِنَّ ٱلْمَعاصِي تُزِيلُ ٱلنِّعَمْ

وَقالَ عَلِيٌّ : ٱحْذَرُوا نِفارَ ٱلنِّعَمِ فَما كُلُّ شارِدٍ مَرْدُودٌ . وَقالَ آخَرُ : إِذا جُحِدَتِ ٱلصَّنِيعَةُ خَسِرَ ٱلْمَعْرُوفُ

وَقالَ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ : مَنِ ٱمْتَطَى ٱلشُّكْرَ بَلَـغَ ٱلْمَزِيدَ . وَقالَ آخَرُ : مَنْ جَعَلَ ٱلْحَمْدَ خاتِمَةً لِلنِّعْمَةِ جَعَلَهُ ٱللهُ خاتِمَةً لِلْمَزِيدِ

---

(١) يسيروا في آخر الليل (٢) اتركني (٣) هالك

أَلْفَصْلُ ٱلرَّابِعُ وَٱلْعِشْرُونَ

في مَنافِعِ ٱلسَّفَرِ

قالَ أَحَدُ ٱلْعُلَماءِ : إنَّ ٱللهَ تَعالى لَمْ يَجْمَعْ مَنافِعَ ٱلدُّنْيا في أَرْضٍ بَلْ فَرَّقَها وَأَحْوَجَ بَعْضَها إلى بَعْضٍ . فَكانَ ٱلسَّفَرُ مِنْ أَوْكَدِ أَسْبابِ ٱلْمَعاشِ وَأَقْرَبِ ذَرائِعِ ٱلْيُسْرِ وَٱلْفَلاحِ وَأَكْبَرِ وَسائِلِ ٱلتَّخَرُّجِ وَٱلتَّأَدُّبِ . إذْ يُطْلِعُ ٱلْمَرْءَ عَلى أَخْلاقِ ٱلْأُمَمِ فَيَتَخَلَّقُ بِأَحْسَنِها . وَيُوقِفُهُ عَلى عاداتِ ٱلشُّعُوبِ فَيَتَمَسَّكُ بِأَجْمَلِها وَأَحْمَدِها

وَقالَ آخَرُ : ٱلسَّفَرُ يُكْسِبُ ٱلتَّجارِبَ وَيَجْلِبُ ٱلْمَكاسِبَ . وَيَشُدُّ ٱلْأَبْدانَ وَيُنَشِّطُ ٱلْكَسْلانَ وَيُسَلِّي ٱلْأَحْزانَ . وَيَطْرُدُ ٱلْأَسْقامَ وَيُشَهِّي ٱلطَّعامَ . وَيَحُطُّ سُورَةَ ٱلْكِبْرِ وَيَبْعَثُ عَلى طَلَبِ ٱلذِّكْرِ وَيُوَسِّعُ نِطاقَ ٱلْفِكْرِ وَيَجْلُو هُمُومَ ٱلصَّدْرِ . وَيُرِي مِنْ عَجائِبِ ٱلْأَمْصارِ وَبَدائِعِ ٱلْأَقْطارِ وَمَحاسِنِ ٱلْآثارِ ما يَزِيدُ ٱلْمَرْءَ عِلْماً وَيُفِيدُهُ فَهْماً بِقُدْرَةِ ٱللهِ وَحِكْمَتِهِ وَيَدْعُوهُ إلى شُكْرِ نِعْمَتِهِ . وَأَنْشَدَ شُكْرُ ٱلْعَلَوِيُّ :

قَوِّضْ خِيامَكَ عَنْ أَرْضٍ تُهانُ بِها
وَجانِبِ ٱلذُّلَّ إنَّ ٱلذُّلَّ يُجْتَنَبُ

وَٱرْحَلْ إِذا كانَ في ٱلْأَوْطانِ مَنْقَصَةٌ
فَٱلمَنْدَلُ [١] ٱلرَّطْبُ في أَوْطانِهِ حَطَبُ

وَقالَ آخَرُ :

إِرْحلْ بِنَفْسِكَ عَنْ أَرْضٍ تُضامُ بِها
وَلا تَكُنْ مِنْ فِراقِ ٱلْأَهْلِ في حُرَقِ
مَنْ ذَلَّ بَينَ أَهالِيهِ بِبَلْدَتِهِ
فَٱلِاغْتِرابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ ٱلْخُلُقِ
أَلْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ ٱلْأَحْجارِ مُنْطَرِحاً
في أَرْضِهِ كَالثَّرَى يَبْدُو عَلى ٱلطُّرُقِ
لَمَّا تَغَرَّبَ نالَ ٱلعِزَّ أَجْمَعَهُ وَصارَ يُحْمَلُ بَيْنَ ٱلْجَفْنِ وَٱلْحَدَقِ

وَقالَ إِبْرٰهِيمُ ٱلْغَزِّي :

لَيْسَتْ بِأَوْطانِكَ ٱللَّائي نَشَأْتَ بِها
لٰكِنْ دِيارُ ٱلَّذي تَهْواهُ أَوْطانُ
خَيْرُ ٱلْمَواطِنِ ما لِلنَّفْسِ فيهِ هَوًى
سَمُّ ٱلْخِياطِ [٢] مَعَ ٱلْأَحْبابِ مَيْدانُ
كُلُّ ٱلدِّيارِ إِذا فَكَّرْتَ واحِدَةٌ مَعَ ٱلْحَبِيبِ وَكُلُّ ٱلنَّاسِ إِخْوانُ
أَفْدي ٱلَّذِينَ دَنَوْا وَٱلْهَجْرُ يُبْعِدُهُمْ وَٱلنَّازِحِينَ وَهُمْ في ٱلْقَلْبِ سُكَّانُ

---

(١) العود او اجوده (٢) ما خيط به الثوب

كُنَّا وَكانُوا بِأَحلى ٱلْعَيْشِ ثُمَّ نَأَوْا
كأَنَّنا قَطُّ ما كُنَّا وَما كانُوا

وَقالَ آخَرُ:

إِذا أَنتَ لَمْ تَعْرِفْ لِنَفْسِكَ حَقَّها هَوانًا بِها كانَتْ عَلى ٱلنَّاسِ أَهْوَنَا
فَنَفْسَكَ أَكْرِمْها وَإِنْ ضاقَ مَسْكَنٌ
عَلَيْكَ بِها فَٱطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَسْكَنا
وَإِيَّاكَ وَٱلسُّكْنى بِمَنْزِلِ ذِلَّةٍ يُعَدُّ مُسِيئاً فِيهِ مَن كانَ مُحْسِنا

وَقالَ أَحدُ ٱلْبُلَغاءِ: أَلْحَرَكَةُ وَلُودٌ وَٱلسُّكُونُ عاقِرٌ

وَقالَ أَبُو قاسِمٍ ٱلصَّاحِبُ: لَيسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيرُ ٱلْبِلادِ ما حَمَلَكَ. أَلسَّفَرُ يُسفِرُ عَنْ أَخلاقِ ٱلرِّجالِ. فَأَوْحِشْ أَهلَكَ إِذا كانَ في إِيحاشِهِم أُنسُكَ. وَٱهْجُرْ وَطَنَكَ إِذا نَبَتْ عَنهُ نَفْسُكَ. فَرُبَّما أَسفَرَ ٱلسَّفَرُ عَنِ ٱلظَّفَرِ. وَتَعَذَّرَ في ٱلْوَطَنِ قَضاءُ ٱلْوَطَرِ

وَقالَ بَهاءُ ٱلدِّينِ زُهَيْرٌ:

إِلى كَمْ مُقامي في بِلادٍ مَعاشِرٍ تَساوى بِها آسادُها وَكِلابُها
فَقَلَّدتُها ٱلدُّرَّ ٱلثَّمِينَ وَإِنَّهُ لَعَمْرُكَ شَيْءٌ أَنكَرَتْهُ رِقابُها
وَماضاقَتِ ٱلدُّنيا عَلى ذي مُرُوءَةٍ وَلا هُوَ مَسْدُودٌ عَلَيهِ رِحابُها
فَقَدْ بَشَّرَتْني بِٱلسَّعادَةِ هِمَّتي وَجاءَ مِنَ ٱلْعَلْياءِ نَحْوي كِتابُها

وَقالَ آخَرُ :

إذا أَظْمأَتكَ أَكُفُّ ٱللِّئامِ كَفَتْكَ ٱلْقَناعَةُ شَبْعاً وَرِيّاً
فَكُنْ رَجُلاً رِجلُهُ في ٱلثَّرى وَهامَةُ هِمَّتِهِ في ٱلثُّرَيّا
فَإِنَّ إراقَةَ ماءِ ٱلْحَيا ةِ دونَ إراقةِ ماءِ ٱلْمُحَيّا

أَلْفَصْلُ ٱلْخامِسُ وَٱلْعِشرونَ

في ٱلحَثِّ عَلى حُسْنِ ٱلسُّلوكِ في بِلادِ ٱلِاغْتِرابِ

أَوْصى بَعْضُ ٱلْحُكَماءِ صَديقاً لَهُ وَقَدْ أَرادَ سَفَراً فَقالَ : إنَّكَ تَدْخُلُ بَلَداً لاتَعرِفُهُ وَلا يَعرِفُكَ أَهلُهُ فَتَمَسَّكْ بِوَصِيَّتي تَنْفُقْ(١) بِها فيهِ . عَلَيكَ بِنَظافَةِ ٱلْبِزَّةِ فَإِنَّها تُنْبِئُ عَنِ ٱلنَّشْءِ(٢) في ٱلنِّعْمَةِ . وَٱلْأَدَبِ ٱلْجَميلِ فَإِنَّهُ يُكسِبُ ٱلْمَحَبَّةَ . وَلْيَكُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ وَقَولُكَ دُونَ فِعلِكَ وَلِباسُكَ دونَ قَدْرِكَ . وَٱلْزَمِ ٱلْحَياءَ وَٱلْأَنَفَةَ فَإِنَّكَ إنِ ٱستَحْيَيْتَ مِنَ ٱلْفَظاظَةِ ٱجْتَنَبْتَ ٱلْخَساسَةَ . وَإِنْ أَنِفتَ عَنِ ٱلْغَلَبَةِ لَمْ يَتَقَدَّمْكَ نَظيرٌ في ٱلْمَرْتَبَةِ

وَأَوْصَتْ أَعْرابِيَّةٌ ٱبنَها في سَفَرٍ فَقالَتْ : يا بُنَيَّ إنَّكَ تُجاوِرُ ٱلْغُرَباءَ وَتَرْحَلُ عَنِ ٱلْأَصدِقاءِ وَلَعَلَّكَ لا تَلْقى غَيرَ ٱلْأَعداءِ . فَخالِطِ ٱلنَّاسَ بِجَميلِ ٱلبِشْرِ وَٱتَّقِ ٱللهَ في ٱلْعَلانِيَةِ وَٱلسِّرِّ .

---

(١) يرعب فيك ويكثر اطلاعك (٢) من نشأ اذا ربي

وَمَثِّلْ بِنَفْسِكَ مِثالَ ما ٱسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيرِكَ فَٱعْمَلْ بِهِ. وَما ٱسْتَقْبَحْتَ مِن غَيرِكَ فَاجْتَنِبْهُ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ لا يَرى عَيْبَ نَفْسِهِ

وَأَوْصى ٱبْنُ سَعِيدٍ ٱلْمَغْرِبِيُّ وَلَدَهُ وَقَدْأَرادَ ٱلسَّفَرَ فَقالَ: يابُنَيَّ حُسْنُ ٱلْخُلُقِ أَكْرَمُ نَزِيلٍ وَٱلْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنْزِلٍ فَتَجَمَّلْ بِهِما في غُرْبَتِكَ تُفلِحْ. وَإِذا دَعاكَ قَلْبُكَ إِلى صُحْبَةِ مَن أَخَذَ أَدَبُهُ بِمَجامِعِ هَواكَ فَهُبَّ في رَوْضِ أَخْلاقِهِ هُبوبَ ٱلنَّسيمِ وَحُلَّ بِطَرْفِهِ حُلولَ ٱلْوَسَنِ وَٱنْزِلْ بِقَلْبِهِ نُزولَ ٱلْمَسَرَّةِ حَتَّى يَتَمَكَّنَ لَكَ وِدادُهُ وَيَخْلُصَ فيكَ ٱعْتِقادُهُ. وَطَهِّرْ مِنَ ٱلْوُقوعِ فيهِ لِسانَكَ وَأَغْلِقْ سَمْعَكَ. وَٱسْتَمِعْ إِلى ماخَلَّدَٱلْماضُونَ بَعْدَ جُهْدِهِمْ وَتَعَبِهِمْ مِنَ ٱلْأَقوالِ فَإِنَّها خُلاصَةُ عُمْرِهِمْ وَزُبْدَةُ تِجارِبِهِمْ. وَلا تَتَّكِلْ عَلى عَقْلِكَ فَإِنَّ ٱلنَّظَرَ في ماتَعِبَ فِيهِ ٱلنَّاسُ طُولَ أَعْمارِهِمْ وَٱبْتاعُوهُ غالِياً بِتَجارِبِهِمْ يُرْبِحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رَخيصاً. وَإِنْ رَأَيتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمُرُوءَةٌ وَتَجْرِبَةٌ فَٱسْتَفِدْ مِنْهُ وَلا تُضَيِّعْ قَوْلَهُ وَلا فِعْلَهُ. فَإِنَّ في ماتَلْقاهُ تَلْقِيحاً لِعَقْلِكَ وَحَثّاً لَكَ وَٱهْتِداءً. وَلَيسَ كُلُّ ما تَسْمَعُ مِنَ ٱلْأَقوالِ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَتْبَعَهُ حَتَّى تَتَدَبَّرَهُ. فَإِنْ كانَ مُوافِقاً لِعَقْلِكَ مُصْلِحاً لِحالِكَ فَراعِ[1] ذٰلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَٱنْبِذْهُ نَبْذَ ٱلنَّواةِ. وَإِيَّاكَ أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدْرٍ[2]. فَلا تُعامِلِ

(١) فاحفظ (٢) مقدار

ٱلدُّونَ بِمُعامَلَةِ ٱلكُفْوِ وَلا ٱلكُفوَ بِمُعامَلَةِ ٱلأَعْلى . وَلا تُضَيِّعْ عُمرَكَ فِي مَن يُعامِلُكَ بِٱلْمَطامِعِ وَيُثيبُكَ عَلى مَصْلَحَةٍ حاضِرَةٍ عاجِلَةٍ بِغائِبَةٍ آجِلَةٍ . وَلا تَجْفُ ٱلنَّاسَ بِٱلْجُمْلَةِ . وَإِذا فارَقْتَ أَحداً فَعلى حُسْنَى فِي ٱلقَوْلِ وَٱلفِعْلِ . فَإِنَّكَ لا تَدْرِي هَلْ أَنتَ راجِعٌ إِلَيْهِ . وَلا يَحمِلُكَ ٱلْحَياءُ عَلى ٱلسُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ أَنْ لا تُبَيِّنَهُ . وَٱللهُ تَعالى خَليفَتي عَلَيْكَ لا سِواهُ

أَلْفَصْلُ ٱلسَّادِسُ وَٱلْعِشْرونَ

في ذَمِّ ٱلسَّفَرِ وَلَوْعَةِ ٱلفِراقِ

قالَ بَعْضُ ٱلْحُكَماءِ : أَلْغَرِيبُ كَٱلْيَتيمِ ٱللَّطِيمِ ٱلذي ثَكِلَ أَبَوَيْهِ . فَلا أُمٌّ تَرْأَمُهُ وَلا أَبٌ يَرْأَفُ بِهِ

وَقالَ آخَرُ : أَلْغَرِيبُ كَٱلْغَرْسِ ٱلَّذي زايَلَ أَرْضَهُ وَفَقَدَ شِرْبَهُ . فَهُوَ ذاوٍ لا يُزْهِرُ وَذابِلٌ لا يُثْمِرُ

وَقالَ أَحَدُ ٱلأُدَباءِ : عُسْرُكَ في بَلَدِكَ خَيْرٌ مِن يُسْرِكَ في غُرْبَتِكَ . وَقِيلَ : فِراقُ ٱلأَحْبابِ سَقامُ ٱلأَلْبابِ

وَقالَ ٱبْنُ ٱلْهَبَّارِيَّةِ :

قالُوا أَقَمْتَ وَما رُزِقْتَ وَإِنَّمَا ... بِٱلسَّيْرِ يَكْتَسِبُ ٱللَّبيبُ وَيُرْزَقُ

فَأَجَبْتُهُمْ ما كُلُّ سَيرٍ نافِعاً ... أَلْحَظُّ يَنْفَعُ لا ٱلرَّحيلُ ٱلْمُقْلِقُ

كَمْ سَفْرَةٍ نَفَعَتْ وَأُخْرى مِثْلِها ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيصُ وَيُخْفِقُ

كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمالَ بِسَيْرِهِ
وَبِهِ إِذا حُرِمَ السَّعادَةَ يُمْحَقُ .

وَقالَ آخَرُ :

يا نَفْسُ وَيْحَكِ فِي التَّغَرُّبِ ذِلَّةٌ فَتَجَرَّعِي كَأْسَ الْأَذى وَهَوانِ
وَإِذا نَزَلْتَ بِدارِ قَوْمٍ دارِهِمْ فَلَهُمْ عَلَيْكَ تَعَزُّزُ الْأَوْطانِ

وَقالَ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ :

أَزِفَ[1] الرَّحِيلُ فَحِينَ جَدَّ تَرَحَّلَتْ مُهَجُ النُّفُوسِ لَهُ عَنِ الْأَجْسادِ
مَنْ لَمْ يَبِتْ وَالْبَيْنُ يَصْدَعُ قَلْبَهُ لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تَفَتُّتُ الْأَكْبادِ

وَقالَ آخَرُ :

مَدَدْتُ إِلى التَّوْدِيعِ كَفّاً ضَعِيفَةً وَأُخْرى إِلى الرَّمْضاءِ فَوْقَ فُؤادِي
فَلا كانَ هٰذا آخِرَ الْعَهْدِ مِنْكُمُ وَلا كانَ ذا التَّوْدِيعُ آخِرَ زادِي



(١) دنا

الباب الثاني

في الحكم والمواعظ والنصائح



إنَّ في ذَهابِ ٱلذَّاهِبينَ لَعِبْرَةً لِلْقَوْمِ ٱلْغابِرِينَ(١)

إنَّ لَكَ في مالِكَ شَرِيكَيْنِ: ٱلْحَدَثانَ وَٱلْوارِثَ. فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَكُونَ أَبْخَسَ ٱلشَّرِيكَيْنِ فَٱفْعَلْ

إنَّ أَحَقَّ ما صَبَرْتَ عَلَيْهِ ما لَمْ تَجِدْ سَبِيلًا إلى دَفْعِهِ

إنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ غَمًّا ٱلَّذي نَزَلَ غَيْرُهُ في ٱلْمَكانِ ٱلَّذي هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ

إنَّ في صَلاحِ مالِكَ بَقاءَ عِزِّكَ وَنَقاءَ عِرْضِكَ. إنَّ ٱلرَّجُلَ لَيَكُونُ أَمِيناً فَإِذا رَأَى ٱلضَّياعَ خانَ

إنَّما ٱلدُّنيا شَرَكٌ فَٱنْظُرْ أَيْنَ تَضَعُ قَدَمَيْكَ مِنْها. إنَّما يُخْتَبَرُ وُدُّ ٱلرَّجُلِ عِنْدَ ٱلْحاجَةِ. إنَّما ٱلسُّلْطانُ سُوقٌ فَما نَفَقَ عِنْدَهُ حُمِلَ إِلَيْهِ. إنَّما يَسْتَحِقُّ ٱسْمَ ٱلْإِنْسانِيَّةِ مَن حَسُنَ خُلُقُهُ

إنْ عَجَزَ مالُكَ عَنِ ٱلْمِسْكِينِ أَوْ دَواؤُكَ عَنِ ٱلْمَرِيضِ أَوْ

---

(١) الباقين

حيلَتُكَ عَنِ ٱسْتِخراجِ ٱلْمَسجونِ فَلاتَعجُزْ عَنهُمْ رَحْمَتُكَ وَعِيادَتُكَ

إنْ شِئْتَ أَنْ تَعلَمَ كَيفَ كانَ صاحِبُكَ لَكَ فَانْظُرْ كَيفَ كانَ لِغَيرِكَ . إنْ أَرَدتَ أَنْ تَصِلَ إلى ذُرْوَةِ ٱلْمَجدِ فَعلَيْكَ بِحِفظِ ٱلْعَهْدِ

إنْ أَحبَبْتَ أَنْ تُطاعَ فَلَا تُحَمِّلْ غَيرَكَ ما لا يُستَطاعُ

***

لا تُبرِمْ أَمراً حَتَّى تُفَكِّرَ فيهِ فَإنَّ فِكرَةَ ٱلعاقِلِ مِرآتُهُ تُريهِ حَسَناتِهِ وَسَيِّئاتِهِ . لا تَلومَنَّ مَن أَساءَ بِكَ ٱلظَّنَّ إذا جَعلْتَ نَفْسَكَ هَدَفاً لِلتُّهْمَةِ . لا تُسْرِعْ إلى أَرْفَعِ مَوضِعٍ في ٱلْمَجلِسِ . فَٱلْمَوضِعُ ٱلَّذي تُرْفَعُ إلَيهِ خَيرٌ مِنَ ٱلْمَوضِعِ ٱلَّذي تُحَطُّ عَنهُ . لا تَذْكُرِ ٱلْمَيتَ بِسوءٍ فَتَكونَ ٱلْأَرضُ أَكتَمَ عَلَيهِ مِنكَ

لا تعمَلْ عَمَلًا لا يَنفَعُكَ . لا خَيرَ في لَذَّةٍ تُعْقِبُ نَدَماً . لا تَلومَنَّ أَحداً عَلى ما يَهوى فَإنَّ لَومَكَ لَهُ إغراءٌ

لا يَحمِلَنَّكَ ٱلْخروجُ مِن أَمرٍ تَخَلَّصتَ مِنهُ علي ٱلدُّخولِ في أَمرٍ لَعلَّكَ لا تَتَخلَّصُ منهُ . لا تَتَهاوَنْ بِٱلْأَمرِ ٱلصَّغيرِ إذا كانَ يَقْبَلُ ٱلنُّمُوَّ . ما أَقرَبَ ٱلنِّقْمَةَ مِن أَهلِ ٱلبَغْيِ

ما أَحَبَّ أَحدٌ ٱلرِّئاسَةَ إلَّا حَسَدَ وَبَغى وَطَغى وَتَتَبَّعَ عُيُوبَ ٱلنَّاسِ وَكَرِهَ أَنْ يُذكَرَ أَحدٌ بِخَيرٍ

***

إذا رَقَّتْ[١] حالُ ٱلْإِنسانِ هانَ على ٱلْإِخوانِ . إذا بَلَغَ ٱلْمَرْءُ في ٱلدُّنيا فوقَ مِقدارِهِ تنكَّرتْ أخلاقُهُ[٢] لِلنّاس

إذا طَلَبَ رَجُلانِ أمراً ظَفِرَ بِهِ أعظَمُهما مُرُوءةً . فإنِ ٱستَوَيا في ٱلمُرُوءةِ فأكثرُهما أعواناً . فإنِ ٱستَوَيا في ٱلْأَعوانِ فأسعَدُهما جَدًّا . إذا كُنتَ في غيرِ بَلَدِكَ فلا تَنسَ نَصيبَكَ مِنَ ٱلذُّلِّ .

إذا لَمْ يَكُنْ لَكَ ما تُريدُ فأَرِدْ ما يَكُونُ

إذا كانَ لِلْمُحسِنِ مِنَ ٱلجزاءِ ما يُقنِعُهُ وَلِلْمُسيءِ مِنَ ٱلنَّكالِ[٣] ما يَقْمَعُهُ[٤] بَذَلَ ٱلْمُحسِنُ ٱلواجِبَ عَلَيْهِ رَغْبَةً وَٱنقادَ ٱلْمُسيءُ لِلْحَقِّ رَهْبَةً

إذا ظَلَمَكَ أحدٌ فارْضَ بِٱللهِ مُنصِفاً فإنَّهُ أشدُّ ٱنتصاراً لِظُلامَتِكَ

إذا ٱنقَطَعَ رَجاؤُكَ مِن صَديقِكَ فألحِقْهُ بِعَدُوِّكَ . إذا أرَدْتَ أنْ يَصلُحَ لَكَ يَوْمُكَ فٱفتَتِحْهُ بِصَدَقَةٍ وَٱختِمْهُ بِعارِفَةٍ

إذا ٱستَقَمْتَ في جَميعِ أمرِكَ فلا تُبالِ بِمَقالِ غَيرِكَ . إذا أَلَمَّ ٱلْأَلَمُ فٱلمُعالَجةُ بِٱلْمُعاجَلَةِ . إذا وُلِّيتَ سُلطاناً فأَبعِدْ عَنكَ ٱلْأَشرارَ فإنَّ جَميعَ عُيوبِهِمْ مَنسوبَةٌ إلَيكَ

إيّاكَ وَٱلِٱسترسالَ مَعَ ٱلْأَسفالِ . إيّاكَ وَٱلسُّكنى مَعَ ذَوي

(١) رق الرجل اذا ضعف وقلّ ماله (٢) تغيرت عن حالها (٣) العقاب الذي يجعل عبرة للناس (٤) يقهره ويمنعه ويردعه

ٱلشَّحْناء[1] فَخَيرُكَ فيهِمْ يُطْوَى وَشَرُّكَ يُرْوَى

إيَّاكَ ومُشاوَرَةَ شابٍّ مُعْجَبٍ برَأْيِهِ أوْ كَبيرٍ قَدْ أَخَذَ ٱلدَّهْرُ مِنْ عَقْلِهِ كَمَا أَخَذَ مِنْ جِسْمِهِ

إيَّاكَ أنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَقُولُ بِٱلعَقْلِ وَيَعْمَلُ بِٱلْهَوى

وَقالَ عَلِيٌّ : مِنْ عَلاماتِ ٱلْمَأْمُونِ عَلى دِينِ ٱللهِ بَعْدَ ٱلْإِقْرارِ وَٱلْعَمَلِ ٱلْحَزْمُ في أَمْرِهِ وَٱلصِّدْقُ في قَوْلِهِ وَٱلْعَدْلُ في حُكْمِهِ وَٱلشَّفَقَةُ على رَعِيَّتِهِ . لا تُخْرِجُهُ ٱلْقُدْرَةُ إلى خُرْقٍ وَلا ٱللِّينُ إلى ضُعْفٍ ، وَلا تَمْنَعُهُ ٱلْعِزَّةُ مِن كَرَمِ عَفْوٍ وَلا يَدْعُوهُ ٱلْعَفْوُ إلى إضاعَةِ حَقٍّ وَلا يُدْخِلُهُ ٱلْإِعْطاءُ في سَرَفٍ وَلا يُفْضِي بِهِ ٱلْقَصْدُ إلى بُخْلٍ وَلا تَأْخُذُهُ نِعْمَةُ ٱللهِ بِبَطَرٍ

وَقالَ أَبُو بَكْرٍ ٱلصِّدِّيقُ : مَهْما قُلْتَ إِنِّي فاعِلٌ فَٱفْعَلْ . وَلا تَجْعَلْ قَوْلَكَ لَغْواً[2] في عَفْوٍ وَلا عُقوبَةٍ . وَلا تُوعِدَنَّ على مَعْصِيَةٍ بِأَكْثَرَ مِنْ عُقُوبَتِها فَإِنَّكَ إنْ فَعَلْتَ أَثِمْتَ وَإِنْ تَرَكْتَ كَذَبْتَ . وَلا تُكَلِّفَنَّ ضَعيفاً أَكْثَرَ مِنْ طاقَةِ نَفْسِهِ وَٱلسَّلامُ

وَقالَ عَلِيٌّ: يَجِبُ عَلى ٱلْمَلِكِ أَنْ يَتَعَهَّدَ أُمورَهُ وَيَتَفَقَّدَ أَعْوانَهُ حَتَّى لا يَخْفى علَيْهِ إِحْسانُ مُحْسِنٍ وَلا إساءَةُ مُسِيءٍ . ثُمَّ لا يَتْرُكَ أَحَدَهُما بِغَيْرِ جَزاءٍ فَإِنَّهُ إذا تَرَكَ ذٰلِكَ تَهاوَنَ ٱلْمُحْسِنُ وَٱجْتَرَأَ

---

(١) العداوة (٢) اللغو الكلام الذي لا يعتد به

ٱلْمُسِيءُ وَفَسَدَ ٱلْأَمْرُ وَضاعَ ٱلْعَمَلُ

وَقالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ مَسْعودٍ: مَنْ كانَ كَلامُهُ لا يُوافِقُ فِعْلَهُ فَإِنَّما يُوَبِّخُ نَفْسَهُ

وَقالَ ٱلْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ لِأَبِيهِ: ما ٱلسِّياسَةُ . فَقالَ: هَيْبَةُ ٱلْخاصَّةِ مَعَ صِدْقِ مَوَدَّتِها وَٱنْقِيادُ قُلُوبِ ٱلْعامَّةِ بِٱلْإِنْصافِ لَها وَٱحْتِمالِ ٱلْهَفَواتِ

***

أَوْصَى بَعْضُ ٱلْعُلَماءِ ٱبْنَهُ فَقالَ لَهُ: يا بُنَيَّ أَوَّلُ ما أُوصِيكَ بِهِ تَقْوَى ٱللهِ تَعالَى وَٱلشُّكْرُ لَهُ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْعَلانِيَةِ . وَٱمْتَثِلْ قَوْلَ ٱلشَّاعِرِ :

لَيْسَ ٱلظَّرِيفُ بِكامِلٍ فِي ظَرْفِهِ ... حَتَّى يَكُونَ عَنِ ٱلْحَرامِ عَفِيفا
فَإِذا تَوَرَّعَ عَنْ مَحارِمِ رَبِّهِ ... فَهُناكَ يُدْعَى فِي ٱلْأَنامِ ظَرِيفا

وَإِذا ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْكَ أَشْغالٌ جَمَّةٌ فَٱبْدَأْ بِأَحَبِّها إِلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَحْمَدِها عاقِبَةً . فَفِي ذٰلِكَ قَوْلُ ٱلشَّاعِرِ :

إِعْمَلْ وَأَنْتَ مِنَ ٱلدُّنْيا عَلَى حَذَرٍ ... وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مَبْعُوثُ
وَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ ما قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ ... مُحْصًى عَلَيْكَ وَما خَلَّفْتَ مَوْرُوثُ

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلصَّبْرَ أَفْضَلُ ٱلْأَعْمالِ وَأَحْصَنُ ٱلْمَعاقِلِ . فَعَلَيْكَ

بِالصَّبْرِ عَلى طاعَةِ ٱللهِ عَزَّ وَجلَّ فَقَدْ قالَ ٱلشّاعِرُ :

صَبَرْتُ وَمَنْ يَصْبِرْ يَجِدْ غِبَّ صَبْرِهِ
أَلَذَّ وَأَحْلى مِن جَنى ٱلنَّحْلِ في ٱلْفَمِ

يا بُنَيَّ ٱسْتَغْنِ عَنِ ٱلنّاسِ جُهْدَكَ فَيَحْتاجَ ٱلنّاسُ إِلَيْكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ أَغْنى ٱلنّاسِ عَنِ ٱلنّاسِ مَن أَفْرَدَ ٱللهَ بِحاجَتِهِ . وَما ٱسْتَغْنى أَحَدٌ بِٱللهِ إِلّا ٱفْتَقَرَ ٱلنّاسُ إِلَيْهِ

يا بُنَيَّ لا تَزْهَدَنَّ في مَعْروفٍ فَإِنَّ ٱلدَّهْرَ ذُو صُرُوفٍ . فَكَمْ مِن طالِبٍ كانَ مَطْلوبًا إِلَيْهِ وَراغِبٍ صارَ مَرْغوبًا ما لَدَيْهِ . وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلزَّمانَ ذُو أَلْوانٍ وَمَن يَصْحَبِ ٱلزَّمانَ يَرَ ٱلْهَوانَ

يا بُنَيَّ إِذا فَعَلْتَ مَعْروفاً فَلا تَمُنَّ بِهِ . فَإِنَّ ٱلْمِنَّةَ تَهْدِمُ ٱلصَّنيعَةَ وَتُحْبِطُ[1] ٱلْأَجرَ وَتُسقِطُ ٱلشُّكْرَ وَلِذٰلِكَ قالَ ٱلشّاعِرُ :

فَلا تَكُ مَنّانًا بِخَيْرٍ فَعَلْتَهُ فَقَدْ يُفْسِدُ ٱلْمَعْروفَ بِٱلْمَنِّ صاحِبُهْ

وَكُنْ يا بُنَيَّ أَحسَنَ ما تَكُونُ في ٱلظّاهِرِ حالًا وَأَقَلَّ ما تَكُونُ في ٱلْباطِنِ جَمالًا . وَعَلَيْكَ بِٱلْوَفاءِ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلى ٱلتُّقى . وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لا يَتِمُّ كَرَمُ ٱلْمَرْءِ إِلّا بِحُسْنِ وَفائِهِ . يا بُنَيَّ إِذا وَعَدْتَ أَحَداً عِدَةً فَتَمِّمْها وَعَجِّلْ بِها . وَخُذْ في أُمورِكَ بِٱلْأَناةِ وَحُسْنِ ٱلتَّثَبُّتِ تَسْلَمْ مِن عِتابِ ٱلْإِخْوانِ عِنْدَ عَواقِبِها . وَإِذا ٱئْتَمَنَكَ أَحَدٌ

---

(١) تبطل

عَلى أَمانَةٍ فَأَلْهُ عَنْ ذِكْرِها حَتَّى تُسَلِّمَها مَصُونَةً إلى أَهْلِها

يا بُنَيَّ الْقَ صَديقَكَ وَعَدُوَّكَ بِوَجْهِ الرِّضى وَكُفَّ عَنْهُما الأَذى وَكُنْ لِلإِخْوانِ وَالرُّفَقاءِ كَما قالَ الشَّاعِرُ :

وَكُنْتُ إِذا صَحِبْتُ رِجالَ قَوْمٍ صَحِبْتُهُمُ وَشيمَتِيَ الْوَفاءُ
فَأُحْسِنُ حِينَ يُحْسِنُ مُحْسِنُوهُمْ وَأَجْتَنِبُ الإِساءَةَ إِنْ أَساؤُوا
أَشاءُ سِوى مَشِيئَتِهِمْ وَآتي مَشِيئَتَهُمْ وَأَتْرُكُ ما أَشاءُ

يا بُنَيَّ أَكْرِمْ عِرْضَكَ وَصُنْهُ جُهْدَكَ وَاجْعَلْ مالَكَ وِقايَةً لِعِرْضِكَ وَاجْعَلْ عِرْضَكَ وِقايَةً لِدِينِكَ وَكُنْ كَما قالَ الشَّاعِرُ:

أَقي بِمالِيَ عِرْضي لا أُدَنِّسُهُ لا بارَكَ اللهُ بَعْدَ الْعِرْضِ بِالْمالِ
أَحْتالُ في الْمالِ إِنْ أَوْدى فَأَكْسِبُهُ
وَلَسْتُ لِلْعِرْضِ إِنْ أَوْدى بِمُحْتالِ

يا بُنَيَّ إِذا الْتَبَسَ عَلَيْكَ أَمْرانِ فَشاوِرْ لَبِيباً . وَإِذا أَرْسَلْتَ رَسُولًا فَلْيَكُنْ حَلِيماً (١) . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذٰلِكَ فَكُنْ رَسُولَ نَفْسِكَ . فَإِنَّ مُشاوَرَةَ اللَّبِيبِ قُوَّةٌ لِرَأْيِكَ وَحِلْمَ رَسُولِكَ حَزْمٌ في أُمُورِكَ . وَإِذا اسْتَشارَكَ عَدُوٌّ أَوْ صَدِيقٌ فَامْنَحْهُ النَّصِيحَةَ . فَإِنْ فَعَلْتَ قُلْتَ بِالْحِكْمَةِ وَبَرِئْتَ مِنَ التُّهَمَةِ

يا بُنَيَّ لا تَدَعْ مُواصَلَةَ الْكَرِيمِ وَفِرَّ الْفِرارَ كُلَّهُ مِنَ اللَّئِيمِ

---

(١) عاقلا

فَإِنَّهُ لا يَسْتَقِيمُ لَكَ وُدُّهُ إِلَّا مِنْ حاجَتِهِ إِلَيْكَ أَوْ فَرَقٍ[1] مِنْكَ . فَإِنِ ٱسْتَغْنَى عَنْكَ كانَ عَلَيْكَ . وَإِذا ٱحْتَجْتَ إِلَيْهِ هُنْتَ عِنْدَهُ . قالَ ٱلشَّاعِرُ :

إِنَّ مَنْ أَحوَجَكَ ٱلدَّهرُ إِلَيهِ وَتَعَلَّقْتَ بِهِ هُنْتَ عَلَيْهْ
لَيسَ يَصفُو وُدُّ مَنْ آخَيْتَهُ إِنْ تَعَرَّضْتَ لِشَيْءٍ في يَدَيْهْ

يا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِٱلصِّدْقِ فَإِنَّهُ زَيْنٌ فِي ٱلدُّنْيا وَنَجاةٌ فِي ٱلْآخِرَةِ . وَصِدْقٌ يُعْطِبُ صاحِبَهُ خَيْرٌ مِنْ كَذِبٍ يَنْجُو بِهِ كاذِبُهُ وَجَنِّبِ ٱلْكَذِبَ فَإِنَّهُ شَيْنٌ فِي ٱلدُّنْيا وَوَبالٌ فِي ٱلْآخِرَةِ . وَٱلْكَذُوبُ يُرَدُّ صِدْقُهُ كَما يُرَدُّ كَذِبُهُ . وَعَلَيْكَ بِٱلسَّخاءِ وَٱكْتِسابِ ٱلْحَمْدِ وَٱلْمُدارَأَةِ[2] عَنِ ٱلْعِرْضِ

وَٱعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّ بِرَّ ٱلْوالِدَيْنِ حَيَّيْنِ ٱلطَّاعَةُ لَهُما . وَبِرُّهُما مَيِّتَيْنِ ٱلتَّرَحُّمُ عَلَيْهِما وَٱلْكَفُّ عَنْ أَعْراضِ ٱلنَّاسِ صِيانَةً لِأَعْراضِهِما . قالَ ٱلشَّاعِرُ :

وَما عَقَّ مَوْلُودٌ مِنَ ٱلنَّاسِ والِداً عُقُوقَ ٱلَّذي يَجْنِي لِوالِدِهِ شَتْما

يا بُنَيَّ لا تَسْتَخِفَّ بِحُقُوقِ ٱلرِّجالِ فَيَسْتَخِفُّوا بِحَقِّكَ . وَٱقْبَلْ مِنْهُمُ ٱلْجَمِيلَ وَكافِئْ عَلَيْهِ فَإِنَّكَ إِذا فَعَلْتَ ذٰلِكَ دامَ لَكَ حَمْدُهُمْ وَصَفا لَكَ وُدُّهُمْ

---

(١) فزع (٢) المدافعة

يا بُنَيَّ إذا سَمِعْتَ كَلِمَةَ حاسِدٍ فكُنْ كأَنَّكَ غَيْرُ شاهِدٍ . قالَ ٱلشَّاعِرُ :

أَعْرِضْ عَنِ ٱلعَوْراءِ إنْ أُسمِعْتَها   وَٱقْعُدْ كأَنَّكَ غافِلٌ لا تَسْمَعُ

يا بُنَيَّ إذا نازَعَتْكَ نَفْسُكَ إلى أَمْرٍ مَحْظُورٍ فَخَوِّفْها سُوءَ ٱلعاقِبَةِ وَعاتِبْها عَلى ما بِهِ طالَبَتْكَ . فَإِنْ لَمْ يَنْفَعْها عِتابُكَ فَكَيْفَ يَنفَعُها عِتابُ غَيرِكَ . وَفي ذٰلِكَ قيلَ :

وَلَيسَ عِتابُ ٱلنَّاسِ لِلمَرْءِ نافِعاً   إذا لَمْ يَكُنْ لِلمَرْءِ لُبٌّ يُعاتِبُهْ

يا بُنَيَّ إيَّاكَ وَٱلبُخْلَ فَإِنَّهُ لُؤْمٌ وَصاحِبُهُ مَذْمُومٌ . وَإِيَّاكَ وَٱلْمَطْلَ فَإِنَّهُ أَجْلَبُ لِلذَّمِّ مِنَ ٱلبُخْلِ . وَلا تَنْقُلْ نَمِيمَةً فَتَكْسِبَ بِها شَتِيمَةً . مَعَ أَنَّ مَنْ عُرِفَ بِها تُحُفِّظَ مِنْ مُجالَسَتِهِ وَزُهِدَ في مُواصَلَتِهِ

يا بُنَيَّ لا تَعِبْ أَحداً بِما يَبْدُ لَكَ مِنْ عُيُوبِهِ . فَإِذا هَمَمْتَ بِذٰلِكَ فَٱذْكُرْ عُيُوبَ نَفْسِكَ . فَإِنَّكَ تَرَى ما يَشْغَلُكَ عَنْ عُيُوبِ ٱلنَّاسِ . فَإِنْ عِبْتَ أَحداً بِما فيهِ كانَ ذٰلِكَ قَبيحاً . وَأَقْبَحُ مِنْهُ أَنْ تَعيبَهُ بِما فيكَ . وَفي ذٰلِكَ قالَ ٱلشَّاعِرُ :

إذا ما ذَكَرْتَ ٱلنَّاسَ فَٱتْرُكْ عُيُوبَهُمْ
فَلا عَيْبَ إِلَّا دُونَ ما مِنْكَ يُذْكَرُ

فَإِنْ عِبْتَ قَوْماً بِالَّذي هُوَ فيهِم
فَذٰلكَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ مُنْكَرُ
وَإِنْ عِبْتَ قَوْماً بِالَّذي فيكَ مِثْلُهُ
فَكَيفَ يَعيبُ العُورَ مَنْ هُوَ أعْوَرُ

يا بُنَيَّ إيَّاكَ وَقَرينَ السَّوْءِ فَإِنَّما صَلاحُ أخلاقِ المَرْءِ بِمُقارَنَةِ الكِرامِ وَفَسادُها بِمُحادَثَةِ اللِّئامِ . وَإِنَّما يُعْرَفُ المَرْءُ بِقَرينِهِ وَخَدينِهِ . وَإيَّاكَ وَكَثْرَةَ الكَلامِ وَالمُزاحِ وَالضَّحِكِ فَإِنَّ مَعَ كَثْرَةِ الكَلامِ الزَّلَلَ . والمُزاحُ يُورِثُ البَغْضاءَ وَكَثْرَةُ الضَّحِكِ تَذْهِبُ البَهاءَ . فَأَقْلِلْ مِنَ الكَلامِ وَلْيَكُنْ ضَحِكُكَ تَبَسُّماً . وَلا تُمازِحْ شَريفاً فَيَحْقِدَ عَلَيْكَ . وَلا وَضيعاً فَيَجْتَرِئَ عَلَيْكَ . وَالْزَمِ الصَّمْتَ وَلْيَكُنْ كَلامُكَ بِتَقْديرٍ وَصَمْتُكَ في تَفْكيرٍ . وَاعْلَمْ أَنَّ المِراءَ(١) يُمْرِضُ قَلْبَكَ وَيُضْعِفُ رَأْيَكَ وَيُزْري بِمُرُوءَتِكَ عِنْدَ جُلَسائِكَ وَيُفْسِدُ الصَّداقَةَ القَديمَةَ . وَاعْلَمْ يا بُنَيَّ أَنَّ مِنَ الكَلامِ ما هُوَ أَحَرُّ مِنَ الجَمْرِ وَأَمَرُّ مِنَ الصَّبِرِ . قالَ الشَّاعِرُ :

أَلنَّارُ أَبْلَغُ أَوْجاعٍ سَمِعْتُ بِها وَالقَوْلُ أَبْلَغُ مِن كَيِّ المَسامِيرِ

يا بُنَيَّ إذا أَتَيْتَ بَلْدَةً أَهْلُها عَلى غَيْرِ ما تَعْرِفُ فَاتْرُكْ كَثيراً مِمّا كُنْتَ تَعْرِفُ وَخُذْ بِما يَعْرِفونَ . فَإِنَّ ذٰلِكَ مِن حُسْنِ

---

(١) المجادلة والطعن في قول الخصم تصغيراً له

ٱلْمُداراةِ . وَكَثيرٌ مَن دارى فَلَمْ يَفلِحْ . فَكَيْفَ بِمَن لَمْ يُدارِ

يا بُنَيَّ لا تَتَبَذَّلْ تَبذُّلَ ٱلْعَبـد . وَإِيَّاكَ أَنْ تُعلِمَ أَهْلَكَ وَوُلْدَكَ كَثْرَةَ مـالِكَ أَوْ قِلَّتَهُ . فَإِنَّهُمْ إِنْ عَلِمُوا قِلَّتَهُ هُنْتَ عَلَيْهِم وَإِنْ عَلِمُوا كَثْرَتَهُ لَمْ تَبْلُغْ بِهِ رِضاهُمْ

يا بُنَيَّ أَخِفْ أَهْلَكَ وَوُلْدَكَ فِي غَيرِ عُنْفٍ وَأَرْفُقْ بِهِمْ فِي غَـيرِ ضُعْفٍ وَلا تُرِهِمْ بُغْضاً فَيَنفِرُوا مِنْكَ . وَأَحبِبْ وُلْدَكَ وَأَحسِنْ أَدَبَهُمْ . وَلا تُهازِلْ أَمَتَكَ وَلا عَبْدَكَ

يا بُنَيَّ لا تَفرُشْ عِرضَكَ لِمَنْ هُوَ دُونَكَ. وَلا تَنْقُضْ عَهْداً فَتَحمِلَ بِذلِكَ حِقْداً . . . يا بُنَيَّ ٱتَّقِ ٱللهَ وَٱحذَرْ أَنْ تَعصِيَهُ. فَإِنَّهُ لَيسَ لَكَ مِن وَرائِهِ وَزَرٌ(١) . وَلا مِن دُونِهِ مُعتَصَمٌ

وَإِيَّاكَ وَٱلخَمرَ فَإِنَّها مَتلَفَةٌ لِلْمالِ . وَمَفسَدَةٌ لِلعَقْلِ وَمَسْقَطَةٌ لِلْهَيْبَةِ وَٱلْبَهاء . وَإِيَّاكَ وَٱلِاخْتِلافَ فَإِنَّهُ لَيسَ مَعَهُ ٱئْتِلافٌ. وَلا يَكُنْ لَكَ جارُ ٱلسَّوْء جاراً وَلا خَدِينُ ٱلسَّوْء زَوّاراً

« من قصيدة لابي العتاهية »

يا طالِبَ ٱلدُّنيا يُثَقِّلُ نَفْسَهُ   إِنَّ ٱلْمُخِفَّ غَداً لَأَحسَنُ حالا
إِنَّا لَفِي دارٍ نَرى ٱلْإِكْثارَ لا   يَبْقَى لِصاحِبِهِ وَلا ٱلْإِقْلالا
أَأُخَيَّ كُلٌّ لا مَحالَةَ زائِلٌ   فَلِمَنْ تَراكَ تُثَمِّرُ ٱلْأَموالا

(١) ملجأ

أَأُخَيَّ شَأْنَكَ بِالْكَفافِ وَخَلِّ مَن   أَثْرى وَنافَسَ فِي الْحُطامِ (١) وَغالى
كَمْ مِن مُلوكٍ زالَ عَنهُمْ مُلكُهُمْ   فَكَأَنَّ ذاكَ الْمُلْكَ كانَ خَيالا
حَتَّى مَتى تُمْسِي وَتُصْبِحُ لاعِباً   تَبْغي الْبَقاءَ وَتَأْمُلُ الْآمالا
وَلَقَدْ رَأَيتَ الْحادِثاتِ مُلِحَّةً   تَنْفي الْمُنى وَتُقَرِّبُ الْآجالا
وَلَقَدْ رَأَيتَ الدَّهْرَ كَيفَ يُبِيدُهُمْ   شِيباً وَكَيفَ يُبِيدُهُمْ أَطفالا
وَإِذا الْخُطوبُ تَواتَرَتْ فَاصْبِرْ لَها   أَبَداً وَإِنْ كانَتْ عَلَيكَ ثِقالا
أَأُخَيَّ مَن عَشِقَ الرِّئاسَةَ خِفْتُ أَنْ   يَطْغَى وَيُحْدِثَ بِدْعَةً وَضَلالا
وَاللّٰهُ أَكْرَمُ مَن رَجَوْتَ نَوالَهُ   وَاللّٰهُ أَعظَمُ مَن يُنِيلُ نَوالا

« وله من قصيدة »

مَن عَرَفَ النَّاسَ في تَصَرُّفِهِمْ   لَمْ يَتَتَبَّعْ مِن صاحِبٍ زَلَلا
إِنْ أَنتَ كافَيتَ مَن أَساءَ فَقَدْ   صِرْتَ إِلى مِثْلِ سُوءِ ما فَعَلا
ذُو الْحِلْمِ فِي جُنَّةٍ (٢) تَرُدُّ سِها   مَ الْجَهْلِ عَنهُمْ إِنْ جاهِلٌ جَهِلا
يَلْتَمِسُ الْعُذْرَ لِلصَّديقِ وَإِنْ   أَتاهُ يَوْماً بِعُذْرِهِ قَبِلا
خَفِّفْ عَلى كُلِّ مَن صَحِبْتَ وَإِنْ   كانَ لِحِمْلِ الثَّقيلِ (٣) مُحْتَمِلا
كَمْ قَدْ رَأَينا امْرَءاً مِنَ الْخَيرِ عُرْ   ياناً وَإِنْ كانَ يَلْبَسُ الْحُلَلا
لا يَأْمَنَنَّ امْرُؤٌ مُساعَدَةَ الدُّ   نْيا فَإِنِّي رَأَيتُها دُوَلا

---

(١) الحطام النبت اليابس والمراد به هنا متاع الدنيا الزائل (٢) الجنة السترة وكل ما وقى من سلاح (٣) اي ان كان محتملاً حمل الرجل الثقيل

كُلُّ جَديدٍ فَٱلدَّهرُ يُخلِقُهُ وَكُلُّ حَيٍّ فَنِيتُ عَجَلا

« ومن قصيدة لحسين العاملي »

صُنْ بِالتَّعَفُّفِ عِزَّ ٱلنَّفسِ مُجْتَهِداً
فَٱلنَّفْسُ أَعْلى مِنَ ٱلدُّنْيا لِذي ٱلْهِمَمِ
وَٱغْضُضْ عُيُونَكَ عَنْ عَيْبِ ٱلْأَنامِ وَكُنْ
بِعَيْبِ نَفْسِكَ مَشْغُولًا عَنِ ٱلْأُمَمِ
وَمَن تَطَلَّبَ خِلًّا غَيرَ ذي عِوَجٍ يَكُنْ كَطَالِبِ ماءٍ مِن لَظَى ٱلْفَحَمِ
وَقَدْ سَمِعْنا حِكاياتِ ٱلصَّديقِ وَلَمْ
نَخَلْهُ إِلَّا خَيالًا كانَ فِي ٱلْحُلُمِ
إِنَّ ٱلْإِقامَةَ فِي أَرْضٍ تُضَامُ بِها
وَٱلْأَرْضُ واسِعَةٌ ذُلٌّ فَلا تُقِمِ

من قصيدة للشيخ ناصيف اليازجي

« بعث بها الى صديق له معرِّضاً باغراض في نفسه »

مَنْ يَقْرَبِ ٱلنَّارَ لا يَسْلَمْ مِنَ ٱلْحَرَقِ
فَٱبْعُدْ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱحْذَرْهُمْ وَلا تَثِقِ
وَٱصبِرْ عَلى نَكَدِ ٱلدُّنْيا وَكُنْ بَطَلًا
يَلْقَى ٱلسُّيُوفَ غَداةَ ٱلْحَرْبِ بِٱلدَّرَقِ (١)

---

(١) الدرق ترس من جلد بلا خشب ولا عقب

إنْ كُنتَ قَدْ ضِقْتَ ذَرْعاً عَنْ نَوائِبِها
فَـلا تَخَفْ إنَّ لُطفَ ٱللهِ لَمْ يَضِقِ

يَسْتَدْرِكُ ٱلْمَرْءُ ما يَبْدُو لِناظِرِهِ
وَٱللهُ يَصْنَعُ ما يَخْفى عَلى ٱلْحَدَقِ

كَمْ أَرْعَدَ ٱلْجَوُّ فَٱهْتَزَّتْ جَوانِبُهُ
ثُمَّ ٱنْتَهى ٱلرَّعْدُ لَمْ يَفْعَلْ سِوى ٱلْقَلَقِ

وَرُبَّما أَطْبَقَتْ سُحْبٌ فَما قَطَرَتْ
إلّا كَما يَنقَضِي ٱلْبُحْرانُ(١) بِٱلْعَرَقِ

لا يَيْأَسَنَّ مَرِيضٌ مِنْ سَلامَتِهِ
ما دامَ في جِسْمِهِ شَيْءٌ مِنَ ٱلرَّمَقِ

كَمْ ماتَ مَنْ كانَ يُرْجى عَيْشُهُ فَقَضَى
وَعاشَ مَن كانَ يُخْشَى مَوْتُهُ فَبَقِي

لِكُلِّ لَيْلٍ صَباحٌ نَسْتَضِيءُ بِهِ
فَلا تَدُومُ عَلَيْنا ظُلْمَةُ ٱلْغَسَقِ

تسابَقَتْ نَحْوَ كَسْبِ ٱلْمالِ أَنْفُسُهُمْ
وَرِفْعَةِ ٱلْجاهِ مِثْلَ ٱلْخَيْلِ فِي ٱلطَّلَقِ(٢)

(١) البحران التغير الذي يحدث للمريض دفعة في الامراض الحادّة

(٢) الطلق الشوط الواحد في جري الخيل اي الجري مرة الى الغاية

وَٱلفَقْرُ أَفْضَلُ مِنْ مَالٍ حَمَلْتَ بِهِ
ثِقْلاً مِنَ ٱلْهَمِّ يُبْلِي ٱلعَيْنَ بِٱلأَرَقِ
وَٱلذُّلُّ أَحسَنُ مِن مَجْدٍ لَبِسْتَ بِهِ
ذَمًّا مِنَ ٱلنَّاسِ مِثْلَ ٱلطَّوْقِ فِي ٱلعُنُقِ
لا خَيْرَ فِي خَمْرَةٍ تَحْلُو لِشارِبِهَا
طَعْماً وَلٰكِنْ تَلِيها غُصَّةُ ٱلشَّرَقِ
مَن لا يُقَلِّبُ طَرْفاً فِي عَواقِبِهِ
فَلَيْسَ تَأْمَنُ رِجْلاهُ مِنَ ٱلزَّلَقِ
شَرُّ ٱلجَهالَةِ ما كانَتْ عَلى كِبَرٍ
تُسَوِّدُ ٱلشَّيْبَ مِثْلَ ٱلحِبْرِ فِي ٱلوَرَقِ
لا تَعْجَبَنَّ لِسَكْرانٍ تَراهُ صَحا
لٰكِنْ لِمَنْ غابَ فِي سِكْرٍ فَلَمْ يُفِقِ
إِنَّ ٱلثَّباتَ عَلى عَيْبٍ أَقَمْتَ بِهِ
عَيْبٌ جَدِيدٌ سِوى ٱلمَنْرُوسِ فِي ٱلخُلُقِ
أَلنَّاسُ بِٱلوَضْعِ أَشْباهٌ وَقَدْ نَشَبَتْ
فِيهِمْ مُبايَنَةٌ مِن أَكْثَرِ ٱلطُّرُقِ
وَٱلحُبُّ إِنْ كانَ لا يَأْتِي بِفائِدَةٍ
فَذاكَ كَٱلغُصْنِ لا يَجْنِي سِوى ٱلوَرَقِ

تَرَى مِنَ ٱلنَّاسِ أَقْواماً مَوَدَّتُهُمْ
تُرْضي ٱلفَتى بِلِسَانٍ خادِعٍ مَلِقِ

وله من قصيدة

في حادثة اصابت احد اصدقائه وسلم منها

إنْ كُنتَ بِٱللهِ فِي دُنْيَاكَ تَعْتَصِمُ فَلا تَكُنْ خائِفاً إنْ زَلَّتِ ٱلقَدَمُ
وَٱطْلُبْ لِنَفْسِكَ غَيرَ ٱلأَرْضِ مَنْزِلَةً
إنْ كُنْتَ تَبْغِي نَعِيماً ما بِهِ أَلَمُ
مَنْ عاشَ فِي ٱلأَرْضِ لا تُرْجى سَلامَتُهُ
مِن نَكْبَةٍ وَبَلايا ٱلدَّهْرِ تَزْدَحِمُ
وَكَيفَ يَأْمَنُ مِن لَطْمِ ٱلمِيَاهِ لَهُ
مَنْ خاضَ فِي ٱلبَحْرِ وَٱلأَمْواجُ تَلْتَطِمُ
حَوادِثُ ٱلدَّهْرِ تَخْتارُ ٱلكِرَامَ فَمَا
زالَتْ عَلى حَسَبِ ٱلأَيَّامِ تَنقَسِمُ
وَهَمٌّ كُلٍّ عَلى مِقْدارِ هِمَّتِهِ
فَلَا هُمُومَ لِقَوْمٍ ما لَهُمْ هِمَمُ
أَلنَّاسُ لِلنَّاسِ كَٱلأَعداءِ ما بَرِحَتْ
في أَكْثَرِ ٱلأَمْرِ تَأْتِي مِنْهُمُ ٱلنِّقَمُ

إنْ لَمْ يَكُنْ ضَرُّهُمْ عَمْداً فَمَنْ خَطَإٍ
وَقَدْ يَكُونُ بِقَصْدِ ٱلنَّفْعِ ضَرُّهُمُ
غَنِيمَةُ ٱلْعَيْشِ فِي ٱلدُّنْيا تَجَنُّبُهُمْ
لٰكِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا لَيْسَ يُغْتَنَمُ
هُمْ كَٱلطَّعَامِ ٱلَّذِي لا بُدَّ مِنْهُ لَنا
بِهِ نَعِيشُ وَمِنْهُ يَحْدُثُ ٱلسَّقَمُ
كُلُّ ٱلْجَواهِرِ أَعْراضٌ رَزِيَّتُها
تَهُونُ إِذْ تَسْلَمُ ٱلْأَعْراضُ وَٱلشِّيَمُ
وَٱلْمَالُ مِثْلُ نَسِيمِ ٱلرِّيحِ إِنْ سَلِمَتْ
بِقُدْرَةِ ٱللهِ فِي أَبْدانِنا ٱلنَّسَمُ
لَيْسَ ٱلْبُكاءُ لِفَقْدٍ بَعْدَهُ خَلَفٌ
إِنَّ ٱلْبُكاءَ لِفَقْدٍ بَعْدَهُ عَدَمُ
قَدْ يَنْبُتُ ٱلْمَالُ مِثْلَ ٱلظُّفْرِ تَقْطَعُهُ
وَثَلْمَةُ ٱلْمَالِ مِثْلَ ٱلْجِرْحِ تَلْتَحِمُ
ما دَامَ لِلْأَجْدَلِ[1] ٱلْقَنَّاصِ أَجْنِحَةٌ
لا يُفْلِتُ ٱلصَّيْدُ مِنْهُ حَيْثُ يَنْهَزِمُ
وَٱلْخَيْرُ يَعْرِفُ طُرْقاً قَدْ تَعَوَّدَها فَلا يَضِلُّ وَلَوْ قَامَتْ بِهِ ٱلظُّلَمُ

(١) الاجدل الصقر

أَجلُّ لِلمَرْءِ مِن مجْدِ ٱلْغِنى شرَفاً ... مجْدُ ٱلْوَفاءِ وتَقْوى ٱللهِ وٱلْكَرَمُ
وَأَرْفعُ ٱلنَّاسِ عِندَ ٱللهِ مَنْزِلَةً ... مَن لَمْ يَكُن لِحُقُوقِ ٱلنَّاسِ يهتضِمُ
لِلهِ في ٱلْخَلْقِ سِرٌّ لَيسَ نُدرِكُهُ ... وَحِكْمَةٌ بطَلَتْ مِن دُونِهَا ٱلْحِكَمُ
لا يُرْزَقُ ٱلعَبْدُ إِلَّا ما قَضاهُ وَلا ... يُصيبُهُ غيرُ ما يَجْري بِهِ ٱلْقَلَمُ
سَيَجْبُرُ ٱللهُ قَلْباً باتَ مُنْكَسِراً ... وَلَيسَ يَتْرُكُ جمْراً كانَ يَضْطَرِمُ
لا ضيقَ في ٱلنَّاسِ إِلَّا بَعْدَهُ فَرَجٌ ... وَلا شَبيبَةَ إِلَّا بَعْدَها هَرَمُ
إِذا رَمى ٱللهُ يُمنى ٱلعَبْدِ في عَسَمٍ (١) ... يُبْقي ٱلشِّمالَ فَلا يَغْتالُها ٱلْعَسَمُ

من قصيدة لمعروف الرصافي

« العادات قاهرات »

كُلُّ ٱبْنِ آدَمَ مَقْهورٌ بِعاداتِ ... لَهُنَّ يَنْقادُ في كُلِّ ٱلإِراداتِ
يَجْري عَلَيْهِنَّ فيما يَبْتَغيهِ وَلا ... يَنْفَكُّ عَنْهُنَّ حَتّى في ٱللَّذّاتِ
قَدْ يَسْتَلِذُّ ٱلْفَتى ما ٱعْتادَ مِن ضَرَرٍ ... حَتّى يَرى في تَعاطيهِ (٢) ٱلْمَسَرّاتِ
عاداتُ كُلِّ ٱمْرِئٍ تَأْبى عَلَيْهِ بِأَنْ ... تَكُونَ حاجاتُهُ إِلَّا كَثيراتِ
إِنّي لَفي أَسْرِ حاجاتي وَمِن عَجَبٍ ... تَعَوُّدي ما بِهِ تَزْدادُ حاجاتي

(١) العسم يبس في مفصل الرسغ تعوجّ منه اليد والقدم (٢) تناوله

كُلُّ ٱلْحَيَاةِ ٱفْتِقَارٌ لا يُفَارِقُها حَتَّى تَنالَ غِناهَا بِٱلْمَنِيَّاتِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ هٰذِهِ ٱلعادَاتُ قاهِرَةً لَمَا أُسِيغَتْ بِحالٍ بِنْتُ حاناتِ[1]
وَلا رَأَيتَ سَكاراتٍ يُدَخِّنُها قَومٌ بِوَقْتِ ٱنفِرادٍ وَٱجْتِماعاتِ
إِنَّ ٱلدُّخانَ لَثانٍ في ٱلْبَلاءِ إِذا ماعُدَّتِ ٱلْخَمْرُ مِن أُولى ٱلْبَلِيَّاتِ
وَرُبَّ بَيْضاءَ[2] قَيْدُ[3] ٱلإِصْبِعِ ٱحْتَرَقَتْ
في ٱلْكَفِّ وَهْيَ ٱحْتِراقٌ في ٱلْحُشاشاتِ[4]
إِنْ مَرَّ بَينَ شِفاهِ ٱلْقَوْمِ أَسْوَدُها
أَلْقى ٱصْفِراراً عَلى بِيضِ ٱلثَّنِيَّاتِ[5]
وَلَيْتَها كانَ هٰذا حَظَّ شارِبِها بَلْ قَدْ تَفُتُّ بِكَفَّيْهِ ٱلْمَراراتِ
عَوائِدٌ عَمَّتِ ٱلدُّنيا مَصائِبُها وَإِنَّما أَنا في تِلْكَ ٱلْمُصِيباتِ
إِنْ كَلَّفَتْني ٱلسَّكارى شُرْبَ خَمْرَتِهِمْ
شَرِبْتُ لٰكِنْ دُخاناً مِن سَكاراتي
وَٱخْتَرْتُ أَهْوَنَ شَرٍّ بِٱلدُّخانِ وَإِنْ
أَحْرَقْتُ ثَوْبِيَ مِنْهُ بِٱلشَّراراتِ

---

(١) بنت الحان الخمرة (٢) المراد بالبيضاء اللفافة من التبغ (٣) قيد الاصبع اي مقداره (٤) جمع الحشاشة وهي بقيه الروح في المريض والجريح او هي رمق من حياة النفس (٥) الثنيات اربع اسنان في مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من اسفل

وَقُلْتُ يا قَوْمُ تَكْفيكُمْ مُشارَكَتي
إِيَّاكُمُ في ٱلتِـذاذٍ بِٱلْمَضَرَّاتِ

إِنّي لَأَمْتصُّ جَمْراً لُفَّ في وَرَقٍ إِذْ تَشْرَبُونَ لَهيباً مِلْءَ كاساتِ

كِلاهُما حُمْقٌ[1] يَفْتَرُّ عَنْ ضَرَرٍ
يَسُمُّ مِنْ دَمِنا تِلْكَ ٱلْكُرَيَّاتِ[2]

حَسْبي مِنَ ٱلْحُمْقِ ٱلْمُعْتادِ أَهْوَنُهُ
إِنْ كانَ لا بُدَّ مِنْ هٰذي ٱلْحَماقاتِ

يا مَنْ يُدَخِّنُ مِثْلي كُلَّ آوِنَةٍ لُمْني أَلُمْكَ وَلا تَرْضَ ٱعْتِذاراتي

إِنَّ ٱلْعَوائِدَ كَٱلْأَغْلالِ[3] تَجْمَعُنا
عَلى قُلوبٍ لَنا مِنْهُنَّ أَشْتاتِ[4]

مُقَيَّدينَ بِها نَمْشي عَلى حَذَرٍ مِنَ ٱلْعُيُونِ فَنَأْتي بِٱلْمُداجاةِ[5]

قَدْ نُنْكِرُ ٱلْفِعْلَ لَمْ تَأْلَفْهُ عادَتُنا
وَإِنْ عَلِمْناهُ مِنْ بَعْضِ ٱلْمُباحاتِ

وَرُبَّ شَنْعاءَ مِنْ عاداتِنا حَسُنَتْ في زَعْمِنا وَهِيَ مِنْ أَجْلى ٱلشَّناعاتِ

لَمْ تُحْصِ سَيِّئَةَ ٱلْعاداتِ مَقْدُرَتي مَهْما تَفَنَّنْتُ مِنْها في عِباراتي

---

(١) الحمق قلة العقل ونقصانه (٢) الكريات جمع كريَّة تصغير كرة (٣) الاعلال جمع غلّ وهو الطوق من حديد (٤) متفرقة (٥) المداجاة المخادعة والرياء

فَكَمْ لَها بِدَعٌ[١] سُودٌ قَدِ اصْطَدَمَتْ[٢]
في النَّاسِ مِنْهُنَّ آفاتٌ[٣] بِآفاتِ
لَوْ لَمْ يَكُ الدَّهْرُ سُوقاً راجَ باطِلُها
ما راجَتِ الخَمْرُ في سُوقِ التِّجاراتِ
وَلا اسْتَمَرَّ دُخانُ التَّبْغِ مُنْتَشِراً
بَينَ الوَرَى وَهْوَ مَطْلُوبٌ كَأَقْواتِ
لَوِ اسْتَطَعْتُ جَعَلْتُ التَّبْغَ مُحْتَكَراً[٤]
فَوْقَ احْتِكارٍ لَهُ أَضْعافَ مَرَّاتِ
وَزِدْتُ أَضْعافَ أَضْعافِ ضَرِيبَتَهُ[٥]
حَتَّى يَبِيعُوهُ قِيراطاً بِبَدْراتِ[٦]
فَيَسْتَرِيحُ فَقِيرُ القَوْمِ مِنْهُ وَلا
يَبْلى بِهِ غَيْرُ مُثْرٍ ذي سَفاهاتِ
أَلْحُرُّ مَن خَرَقَ العاداتِ مُنْتَهِجاً
نَهْجَ الصَّوابِ وَلَوْ ضِدَّ الجَماعاتِ

---

(١) جمع بدعة وهي ما كان مخترعاً على غير مثال سابق (٢) اصطدما ضرب احدهما الآخر بنفسه وتراحما (٣) جمع آفة وهي العاهة او عرض مفسد لما اصابه (٤) احتكر الشيء احتبسه انتظاراً لغلائه (٥) الضريبة واحدة الضرائب التي تؤخذ في الجزية ونحوها (٦) جمع بدرة وهي كيس فيه عشرة آلاف درهم

وَمَن إذا خذَلَ ٱلنَّاسُ ٱلْحَقيقةَ عَن
جَهْلٍ أقامَ لَها في ٱلنَّاسِ راياتِ
وَلَمْ يَخَفْ في ٱتِّباعِ ٱلْحَقِّ لائِمَةً
وَلَوْ أَتَتْهُ بِحَدِّ ٱلْمَشْرَفِيَّاتِ[1]
وَعامَلَ ٱلنَّاسَ بِٱلإنْصافِ مُدَّرِعاً
ثَوْبَ ٱلأُخُوَّةِ مِن نَسْجِ ٱلْمُساواةِ
أَغْبى ٱلْبَرِيَّةِ أَرْفاهُمْ[2] لِعادَتِهِ
وَأَعْقَلُ ٱلنَّاسِ خَرَّاقٌ لِعاداتِ

---

(١) السيوف (٢) اسم تفضيل من رفأ الثوب اذا اصلح خروقه وضمّ بعضها الى بعض

الباب الثالث

في المدح



قال المتنبيُّ يمدح ابا عبادة يحيى البحتري

ما ٱلشَّوْقُ مُقْتَنِعاً مِنِّي بِذا ٱلْكَمَدِ
حَتَّى أَكُونَ بِلا قَلْبٍ وَلا كَبِدِ
وَلا ٱلدِّيارُ ٱلَّتي كانَ ٱلْحَبيبُ بِها
تَشْكُو إِلَيَّ وَلا أَشْكُو إِلى أَحَدِ
مازالَ كُلُّ هَزيمِ ٱلوَدْقِ (١) يُنْحِلُها
وَٱلسُّقْمُ يُنْحِلُني حَتَّى حَكَتْ جَسَدي
وَكُلَّما فاضَ دَمْعي غاضَ (٢) مُصْطَبَري
كَأَنَّ ما سالَ مِن جَفْنَيَّ مِن جَلَدي
فَأَيْنَ مِن زَفَراتي مَن كَلِفْتُ بِهِ
وَأَيْنَ مِنكَ ٱبْنَ يَحْيى صَوْلَةُ ٱلأَسَدِ
لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ ٱلدُّنْيا فَمِلْتَ بِها
وَبِٱلْوَرى قَلَّ عِنْدي كَثْرَةُ ٱلعَدَدِ

(١) الهزيم السحاب الذي لا يستمسك والودق المطر (٢) نقص

ما دارَ في خَلَدِ[1] ٱلْأَيَّامِ لي فَرَحٌ
أَبا عُبادَةَ حَتَّى دُرْتَ في خَلَدي

مَلْكٌ إِذَا ٱمْتَلَأَتْ مالًا خزائِنُهُ
أَذاقَها طَعْمَ ثُكْلِ ٱلْأُمِّ لِلْوَلَدِ

ماضي ٱلجَنانِ يُرِيكَ ٱلحَزْمُ قَبْلَ غَدٍ
بِقَلْبِهِ ما تَرى عَيْناهُ بَعْدَ غَدِ

ما ذا ٱلبَهاءُ وَلا ذا ٱلنُّورُ مِن بَشَرٍ
وَلا ٱلسَّماحُ ٱلَّذي فيهِ سَماحُ يَدِ

أَيُّ ٱلْأَكُفِّ تُباري ٱلغَيْثَ ما ٱتَّفَقا
حَتَّى إِذا ٱفْتَرَقا عادَتْ وَلَمْ يَعُدِ

قَدْ كُنْتُ أَحسِبُ أَنَّ ٱلْمَجْدَ مِن مُضَرٍ
حَتَّى تَبَحْتَرَ فَهْوَ ٱلْيَوْمَ مِن أُدَدِ[2]

قَوْمٌ إِذا أَمطَرَتْ مَوْتًا سُيُوفُهُمُ
حَسِبْتَها سُحُباً جادَتْ عَلى بَلَدِ

لَمْ أُجرِ غايَةَ فِكْري مِنكَ في صِفَةٍ
إِلَّا وَجَدْتُ مَداها غايَةَ ٱلْأَمدِ

(١) بال (٢) تبحتر انتسب الى بني بحتر ومُضر ابن نزار بن معدّ ابو العرب . وادد ابن قحطان ابو عرب اليمن

وقال في صباه يمدح جعفراً

غابَ ٱلأَمِيرُ فَغابَ ٱلخيرُ عن بَلَدٍ
كادَتْ لِفَقْدِ ٱسمِهِ تبكِي مَنابِرُهُ
قَدِ ٱشتكَتْ وَحشَةَ ٱلأَحياءِ أَربُعُهُ[1]
وَخَبَّرَتْ عَن أَسى ٱلمَوتى مَقابِرُهُ
حَتَّى إِذا عُقِدَتْ فِيهِ ٱلقِبابُ لَهُ
أَهَلَّ لِلّٰهِ بادِيهِ وَحاضِرُهُ[2]
إِذا خَلَتْ مِنكَ حِمصٌ لا خَلَتْ أَبداً
فَلا سَقاها مِنَ ٱلوَسمِيِّ باكِرُهُ[3]
دَخَلْتَها وَشُعاعُ ٱلشَّمسِ مُتَّقِدٌ
وَنُورُ وَجهِكَ بَينَ ٱلخَلقِ باهِرُهُ[4]
في فَيلَقٍ مِن حَديدٍ لَوْ قَذَفْتَ بِهِ
صَرفَ ٱلزَّمانِ لَما دارَتْ دَوائِرُهُ[5]
تَمضِي ٱلمَواكِبُ وَٱلأَبصارُ شاخِصَةٌ
مِنها إِلى ٱلمَلِكِ ٱلمَيمُونِ طائِرُهُ
قَدْ حِرْنَ في بَشَرٍ في تاجِهِ قَمَرٌ في دِرعِهِ أَسَدٌ تَدمى أَظافِرُهُ

---

(١) منازله (٢) أهلَّ الرجل رفع صوته بالدعاء (٣) الوسمي اول مطر السنة (٤) غالبه (٥) الفيلق الجيش وقذف به رماه

تَضِيقُ عَن جَيْشِهِ ٱلدُّنيا فَلَوْ رَحِبَتْ
كَصَدْرِهِ لَمْ تَبِنْ فيها عَساكِرُهُ
إذا تَغَلْغَلَ فِكْرُ ٱلْمَرْءِ في طَرَفٍ
مِن مَجْدِهِ غَرِقَتْ فيهِ خَواطِرُهُ(١)
تَحْمَى(٢) ٱلسُّيوفُ على أَعْدائِهِ مَعَهُ
كَأَنَّهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشائِرُهُ
إذا ٱنْتَضاها لِحَرْبٍ لَمْ تَدَعْ جَسَداً
إلَّا وَباطِنُهُ لِلْعَيْنِ ظاهِرُهُ
كَمْ مِن دَمٍ رَوِيَتْ مِنْهُ أَسِنَّتُهُ
وَمُهْجَةٍ وَلَغَتْ فيها بَواتِرُهُ(٣)
يا مَن أَلوذُ بِهِ فيما أُؤَمِّلُهُ وَمَن أَعوذُ بِهِ مِمَّا أُحاذِرُهُ
لا يَجْبُرُ ٱلنَّاسُ عَظْماً أَنْتَ كاسِرُهُ
وَلا يَهِيضُونَ(٤) عَظْماً أَنْتَ جابِرُهُ

وقال يمدح عليّ بن احمد بن عامر الانطاكي

أُطاعِنُ خَيْلًا مِن فَوارِسِها ٱلدَّهْرُ
وَحيداً وَما قَوْلي كَذا وَمَعي ٱلصَّبْرُ

---

(١) تغلغل في الشيء دخل (٢) تغضب (٣) ولغ شرب باطراف لسانه والبواتر السيوف (٤) هاض العظم كسره

تَمَرَّسَتْ[1] بِالْآفاتِ حَتَّى تَرَكْتُها
تَقُولُ أَماتَ الْمَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ
وَأَقْدَمْتُ إِقْدامَ الْأَتِيِّ[2] كَأَنَّ لِي
سِوى مُهْجَتِي أَوْ كانَ لِي عِنْدَها وِتْرُ[3]
وَكَمْ مِنْ جِبالٍ جُبْتُ[4] تَشْهَدُ أَنَّنِي الْ
جِبالُ وَبَحْرٍ شاهِدٍ أَنَّنِي الْبَحْرُ
وَيَوْمٍ وَصَلْناهُ بِلَيْلٍ كَأَنَّما عَلى أُفْقِهِ مِنْ بَرْقِهِ حُلَلٌ حُمْرُ
وَلَيْلٍ وَصَلْناهُ بِيَوْمٍ كَأَنَّما عَلى مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِهِ حُلَلٌ خُضْرُ[5]
وَغَيْثٍ ظَنَنَّا تَحْتَهُ أَنَّ عامِراً[6] عَلا لَمْ يَمُتْ أَوْ في السَّحابِ لَهُ قَبْرُ
أَوِ ابْنَ ابْنِهِ الْباقِي عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدٍ
يَجُودُ بِهِ لَوْ لَمْ أَجُزْ وَيَدِي صِفْرُ[7]
وَإِنَّ سَحاباً جَوْدُهُ[8] مِثْلُ جُودِهِ
سَحابٌ عَلى كُلِّ السَّحابِ لَهُ فَخْرُ
فَتًى لا يَضُمُّ الْقَلْبُ هِمّاتِ قَلْبِهِ وَلَوْ ضَمَّها قَلْبٌ لَما ضَمَّهُ صَدْرُ
وَما زِلْتُ حَتَّى قادَنِي الشَّوْقُ نَحْوَهُ يُسايِرُنِي في كُلِّ رَكْبٍ لَهُ ذِكْرُ

---

(١) تحككت (٢) الأتي السيل يأتي من موضع بعيد (٣) الوتر الثأر
(٤) قطعت (٥) المتن الظهر والدجن الظلام (٦) عامر جد الممدوح
(٧) فارغة (٨) مطره

وَأَسْتَكْبِرُ ٱلْأَخْبارَ قَبْلَ لِقائِهِ فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنا صَغَّرَ ٱلْخَبَرَ ٱلْخُبْرُ

وقال يمدح سيف الدولة

هُمامٌ إذا ما هَمَّ أَمْضى هُمُومَهُ بِأَرْعَنَ وَطْءُ ٱلْمَوْتِ فيهِ ثَقيلُ (١)
وَفي كُلِّ نَفْسٍ ما خَلاهُ مَلالَةٌ وَفي كُلِّ سَيْفٍ ما خَلاهُ فُلُولُ
فَلَمَّا رَأَوْهُ وَحْدَهُ قَبْلَ جَيْشِهِ دَرَوْا أَنَّ كُلَّ ٱلْعالَمِينَ فُضُولُ
وَأَنَّ رِماحَ ٱلْخَطِّ عَنْهُ قَصِيرَةٌ وَأَنَّ حَديدَ ٱلْهِنْدِ عَنْهُ كَليلُ (٢)
وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأَيَّامُ أَبْصَرْنَ صَوْلَهُ فَقَدْ عَلَّمَ ٱلْأَيَّامَ كَيْفَ تَصُولُ (٣)
فَدَتْكَ مُلُوكٌ لَمْ تُسَمَّ مَواضِياً فَإِنَّكَ ماضي ٱلشَّفْرَتَيْنِ صَقيلُ
سِوى وَجَعِ ٱلْحُسَّادِ داوِ فَإِنَّهُ إِذا حَلَّ في قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ
وَلا تَطْمَعَنْ مِن حاسِدٍ في مَوَدَّةٍ وَإِنْ كُنْتَ تُبْدِيها لَهُ وَتُنِيلُ
وَإِنَّا لَنَلْقى ٱلْحادِثاتِ بِأَنْفُسٍ كَثيرُ ٱلرَّزايا عِنْدَهُنَّ قَليلُ
يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْراضٌ لَنا وَعُقُولُ

---

(١) امضى انفذ والهموم الهمم والارعن الجيش المضطرب لكثرته
(٢) الخط موضع باليمامة تنسب اليه الرماح . والكليل الذي لا يقطع
(٣) صال بطش ومصدره الصول

وقال يمدح كافوراً

أُغالِبُ فيكَ ٱلشَّوقَ وَٱلشَّوقُ أَغلَبُ
وَأَعجَبُ مِن ذا ٱلهَجرِ وَٱلوَصلُ أَعجَبُ

لَحى ٱللهُ ذي ٱلدُّنيا مُناخاً لِراكِبٍ
فَكُلُّ بَعيدِ ٱلهَمِّ فيها مُعَذَّبُ(١)

أَلا لَيتَ شِعري هَل أَقولُ قَصيدَةً فَلا أَشتَكي فيها وَلا أَتَعَتَّبُ

وَأَخلاقُ كافورٍ إِذا شِئتُ مَدحَهُ
وَإِن لَم أَشَأ تُملي عَلَيَّ وَأَكتُبُ

إِذا تَرَكَ ٱلإِنسانُ أَهلاً وَراءَهُ وَيَمَّمَ كافوراً فَما يَتَغَرَّبُ

فَتًى يَملَأُ ٱلأَفعالَ رَأياً وَحِكمَةً وَنادِرَةً أَيّانَ يَرضى وَيَغضَبُ

إِذا ضَرَبَت في ٱلحَربِ بِٱلسَّيفِ كَفُّهُ
تَبَيَّنتَ أَنَّ ٱلسَّيفَ بِٱلكَفِّ يَضرِبُ

يُضاحِكُ فِي ذا ٱلعيدِ كُلٌّ حَبيبَهُ
حِذائي وَأَبكي مَن أُحِبُّ وَأَندُبُ

أَحِنُّ إِلى أَهلي وَأَهوى لِقاءَهُم
وَأَينَ مِنَ ٱلمُشتاقِ عَنقاءُ مُغرِبُ(٢)

---

(١) لحاه قبحه (٢) العنقاء طائر لا وجود له والمغرب الذي يبعد في طيرانه ويريد هنا انه لا يرجو لقاء اهله

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو ٱلْمِسْكِ أَوْ هُمُ
فَإِنَّكَ أَحْلى في فُؤَادي وَأَعْذَبُ
وَكُلُّ ٱمْرِئٍ يُولي ٱلْجَميلَ مُحَبَّبٌ
وَكُلُّ مَكانٍ يُنْبِتُ ٱلْعِزَّ طَيِّبُ
يُريدُ بِكَ ٱلْحُسَّادُ ما ٱللهُ دافِعٌ
وَسُمْرُ ٱلْعَوالي وَٱلْحَديدُ ٱلْمُذَرَّبُ[1]
إِذا طَلَبُوا جَدْواكَ أُعْطُوا وَحُكِّموا
وَإِنْ طَلَبُوا ٱلْفَضْلَ ٱلَّذي فيكَ خُيِّبُوا
وَلَوْ جازَ أَنْ يَحْوُوا عُلاكَ وَهَبْتَها
وَلٰكِنْ مِنَ ٱلْأَشْياءِ ما لَيْسَ يُوهَبُ
وَأَظْلَمُ أَهْلِ ٱلظُّلْمِ مَنْ باتَ حاسِداً
لِمَنْ باتَ في نَعْمائِهِ يَتَقَلَّبُ
وَأَنْتَ ٱلَّذي رَبَّيْتَ ذا ٱلْمُلْكِ[2] مُرْضَعاً
وَلَيْسَ لَهُ أُمٌّ سِواكَ وَلا أَبُ
وَكُنْتَ لَهُ لَيْثَ ٱلْعَرينِ لِشِبْلِهِ وَما لَكَ إِلَّا ٱلْهِنْدُوانِيَّ[3] مِخْلَبُ

---

(١) العوالي صدور الرماح والحديد المدرَّب المحدَّد يعني به السيف
(٢) يريد بذي الملك ابن الاخشيد الذي رباه كافور (٣) الهندواني السيف الهندي . والمخلب للسباع وجوارح الطير بمنزلة الظفر للانسان

لَقِيتَ ٱلْقَنَا عَنْهُ بِنَفْسٍ كَرِيمَةٍ
إلى ٱلْمَوْتِ فِي ٱلْهَيْجَا مِنَ ٱلْعارِ تَهْرُبُ
سَلَلْتَ سُيُوفاً عَلَّمَتْ كُلَّ خاطِبٍ
على كُلِّ عُودٍ كيفَ يَدْعُو وَيَخْطُبُ
وَيُغْنِيكَ عَمَّا يَنْسُبُ ٱلنَّاسُ أَنَّهُ
إِلَيْكَ تَناهى[1] ٱلْمَكْرُماتُ وَتُنْسَبُ

وقال يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش

فَدَيْناكَ مِن رَبْعٍ وَإِنْ زِدْتَنا كَرْبا
فَإِنَّكَ كُنْتَ ٱلشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَٱلْغَرْبا
وَكَيْفَ عَرَفْنا رَسْمَ مَن لَمْ يَدَعْ لَنا
فُؤاداً لِعِرْفانِ ٱلرُّسُومِ وَلا لُبَّا
نَذُمُّ ٱلسَّحابَ ٱلْغُرَّ فِي فِعْلِها بِهِ
وَنُعْرِضُ عَنْها كُلَّما طَلَعَتْ عَتْبا
وَمَن صَحِبَ ٱلدُّنْيا طَوِيلًا تَقَلَّبَتْ
عَلى عَيْنِهِ حَتَّى يَرى صِدْقَها كِذْبا
وَكَيْفَ ٱلْتِذاذي بِٱلْأَصائِلِ وَٱلضُّحى
إذا لَمْ يَعُدْ ذاكَ ٱلنَّسِيمُ ٱلَّذِي هَبَّا

(١) اصلها تتناهى حُذفت التاء جوازاً

ذَكَرْتُ بِهِ وَصْلاً كَأَنْ لَمْ أَفُزْ بِهِ
وَعَيْشاً كَأَنِّي كُنْتُ أَقْطَعُهُ وَثْبا
وَمَنْ تَكُنِ ٱلأُسْدُ ٱلضَّواري جُدُودَهُ
يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً وَمَطْعَمُهُ غَصْبا
وَلَسْتُ أُبالي بَعْدَ إِدْراكِيَ ٱلْعُلى أَ كانَ تُراثاً ما تَناوَلْتُ أَمْ كَسْبا
فَرُبَّ غُلامٍ عَلَّمَ ٱلْمَجْدَ نَفْسَهُ
كَتَعْلِيمِ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلطَّعْنَ وَٱلضَّرْبا
إِذا ٱلدَّوْلَةُ ٱسْتَكْفَتْ بِهِ في مُلِمَّةٍ
كَفاها فَكانَ ٱلسَّيْفَ وَٱلْكَفَّ وَٱلْقَلْبا
تُهابُ سُيُوفُ ٱلْهِنْدِ وَهْيَ حَدائِدٌ
فَكَيْفَ إِذا كانَتْ نِزارِيَّةً عُرْبا[1]
وَيُرْهَبُ نابُ ٱللَّيْثِ وَٱللَّيْثُ وَحْدَهُ
فَكَيْفَ إِذا كانَ ٱللُّيُوثُ لَهُ صَحْبا
وَيُخْشَى عُبابُ ٱلْبَحْرِ وَهْوَ مَكانَهُ
فَكَيْفَ بِمَن يَغْشَى ٱلْبِلادَ إِذا عَبَّا[2]
هَنِيئاً لِأَهْلِ ٱلثَّغْرِ رَأْيُكَ فيهِمِ
وَإِنَّكَ حِزْبُ ٱللهِ صِرْتَ لَهُمْ حِزْبا

---

(١) اي اذا كانت السيوف عربية من بني نزار (٢) زَخَر

وَأَنَّكَ رُعتَ ٱلدَّهرَ فيها وَرَيبَهُ فَإِن شَكَّ فَليُحدِث بِساحَتِها خَطبا
فَيَوماً بِخَيلٍ تَطرُدُ ٱلرُّومَ عَنهُمُ وَيَوماً بِجُودٍ تَترُكُ ٱلفَقرَ وَٱلجَدبا
سَراياكَ تَترى وَٱلدُّمُستُقُ هارِبٌ وَأَصحابُهُ قَتلى وَأَموالُهُ نُهبى [1]
أَتى مَرعَشاً يَستَقرِبُ ٱلبُعدَ مُقبِلاً وَأَدبَرَ إِذ أَقبَلتَ يَستَبعِدُ ٱلقُربا
كَذا يَترُكُ ٱلأَعداءَ مَن يَكرَهُ ٱلقَنا
وَيَقفُلُ مَن كانَت غَنيمَتُهُ رُعبا [2]
مَضى بَعدَ ما ٱلتَفَّ ٱلرِّماحانِ ساعَةً
كَما يَتَلَقّى ٱلهُدبُ في ٱلرَّقدَةِ ٱلهُدبا
وَلٰكِنَّهُ وَلّى وَلِلطَّعنِ سَورَةٌ إِذا ذَكَرَتها نَفسُهُ لَمَسَ ٱلجَنبا
أَرى كُلَّنا يَبغي ٱلحَياةَ لِنَفسِهِ حَريصاً عَلَيها مُستَهاماً بِها صَبّا
لِأَمرٍ أَعَدَّتهُ ٱلخِلافَةُ لِلعِدى وَسَمَّتهُ دُونَ ٱلعالَمِ ٱلصّارِمَ ٱلعَضبا

وقال البحتري يمدح المتوكل

لَم تَكرَ عَن قاصي ٱلرَّعِيَّةِ عَينُهُ فَتَنامَ عَن وِترِ ٱلقَريبِ ٱلدّاني [3]
ضاقَت بِسَعدٍ أَرضُهـا لَمّا رَمى ساحاتِها بِٱلخَيلِ وَٱلفُرسانِ
بِفَوارِسٍ مِثلِ ٱلصُّقُورِ وَضُمَّرٍ [4] مَجدُولَةٍ كَكَواسِرِ ٱلعِقبانِ

---

(١) السرايا فِرق من الجيوش والنهبى اسم بمعنى النهب وتطلق على الشيء المنهوب (٢) يقفل يرجع (٣) لم تكرَ لم تغفل والوتر الثـأر (٤) الضمَّر الخيل المهزولة

لَمَّا رَأَوْا رَهْجَ[١] ٱلْكَتَائِبِ سَاطِعاً   قَالُوا ٱلْأَمَانَ وَلَاتَ حِينَ أَمَانِ
رَامُوا ٱلنَّجَاةَ وَكَيْفَ تَنْجُو عُصْبَةٌ   مَطْلُوبَةٌ بِٱللهِ وَٱلسُّلْطَانِ
جَاءَتْكَ أَسْرَى فِي ٱلْحَدِيدِ أَذِلَّةً   مَجْمُوعَةَ ٱلْأَيْدِي إِلَى ٱلْأَذْقَانِ
مَنْ شَاكِرٌ عَنِّي ٱلْخَلِيفَةَ فِي ٱلَّذِي   أَوْلَاهُ مِنْ طَوْلٍ وَمِنْ إِحْسَانِ
مَلَأَتْ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودُهُ   بُخْلِي فَأَفْقَرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
وَوَثِقْتُ بِٱلْخَلَفِ[٢] ٱلْجَمِيلِ مُعَجَّلاً   مِنْهُ فَأَعْطَيْتُ ٱلَّذِي أَعْطَانِي

وقال يمدح عبيد الله بن يحيى بن خاقان

أَللهُ جَارُ بَنِي خَاقَانَ إِنَّهُمُ ٱلْأَثْرَوْنَ[٣] مِنْ كَرَمِ ٱلْأَخْلَاقِ وَٱلشِّيَمِ
بَيْتٌ تَقَادَمَ فِيهِ ٱلْمَجْدُ وَٱجْتَمَعَتْ
لَهُ عِظَامُ ٱلْمَسَاعِي وَٱلْعُلَى ٱلْقُدُمِ
أَلنَّازِحُونَ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ يُبْعِدُهُمْ
عَنْ لُؤْمِهَا عِظَمُ ٱلْأَخْطَارِ[٤] وَٱلْهِمَمِ
مَا ٱنْفَكَّ مَجْدُ عُبَيْدِ ٱللهِ يُلْبِسُهُمْ
مَحَبَّةً مِنْ صُدُورِ ٱلْعُرْبِ وَٱلْعَجَمِ
مُسْتَحْكِمُ ٱلرَّأْيِ لَا عَهْدُ ٱلصِّبَا كَثَبٌ
مِنْهُ وَلَا هُوَ بِٱلْمُوفِي[٥] عَلَى ٱلْهَرَمِ

---

(١) غبار (٢) البدل والعوض (٣) جمع الاثرى وهو الكثير المال
(٤) جمع الخطر وهو الشرف او رتبة الشرف (٥) أوفى عليه اشرف

قَدْ أَكْمَلَ ٱلْحُكْمَ وَٱشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ[1]
عَلَى ٱلْأَعَادِي وَلَمْ يَبْلُغْ مَدَى ٱلْحُلُمِ
إِذَا ٱسْتَعَاذَ بِهِ ٱلْمُسْتَصْرِخُونَ رَأَوْا
وَجْهاً يُجَلِّي سَوَادَ ٱلظُّلْمِ وَٱلظُّلَمِ
رَأَوْكَ حِرْزاً لَهُمْ مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ
وَعِصْمَةً فِيهِمِ مِنْ أَوْثَقِ ٱلْعِصَمِ[2]
وَمَا ٱنْفَكَكْتَ وَمَا ٱنْفَكَّتْ أَنَاتُكَ مِنْ
تَوْفِيرِ وَفْرِ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ وَحَقْنِ دَمِ[3]
أَظَلَّهُمْ مِنْكَ جُودٌ لَوْ وَسَمْتَ بِهِ
مَنَابِتَ ٱلْأَرْضِ لَٱسْتَغْنَتْ عَنِ ٱلدِّيَمِ

وقال يمدح المعتز بالله وامه وولديه اسماعيل وعبد الله

أَأَتَّخِذُ ٱلْعِرَاقَ هَوًى وَدَارَا ... وَمَنْ أَهْوَاهُ فِي أَرْضِ ٱلشَّآمِ
فَلَوْلَا غُرَّةُ ٱلْمَلِكِ ٱلْمُرَجَّى ... لَآثَرْتُ ٱلْمَسِيرَ عَلَى ٱلْمُقَامِ
وَكَيْفَ يَسِيرُ مُرْتَبِطٌ بِنُعْمَى ... تَوَلَّتْهُ مِنَ ٱلْمَلِكِ ٱلْهُمَامِ
وَجَدْنَا دَوْلَةَ ٱلْمُعْتَزِّ أَدْنَى ... إِلَى ٱلْحُسْنَى وَأَشْبَهَ بِٱلتَّمَامِ
أَمَامَ مَحَاذِرِ ٱلسَّطَوَاتِ يَأْوِي ... إِلَى رَأْيٍ أَصِيلٍ وَٱعْتِزَامِ[4]

---

(١) انفته (٢) الحرز الموضع الحصين والبائقة الداهية (٣) الوفر المال الكثير وحقن دمه منعه ان يسفك (٤) اعتزم الامر امضاه بلا تردد فيه

إذا ٱستعرضته بخفيٍّ لحظٍ رضيتَ مهزّةَ ٱلسّيفِ ٱلحسامِ
أبوه ٱلبحرُ ساحَ[1] لنا نداهُ فَفاضَ وأُمُّهُ ماءُ ٱلغمامِ
سَدَدْتَ هلكى ٱلحجيج[2] وأطعمتهمْ وأحييتَ ساكنَ ٱلبلدِ ٱلحرامِ
وردَّتْ من نفوسهمِ إليهمْ وقد أشفوا على تلفِ ٱلحمامِ
فقد رجعتْ وفودُ ٱلأرض تثني بذاكَ ٱلطَّوْلِ[3] وٱلمننِ ٱلجسامِ
لئنْ شكرَ ٱلأنامُ فقدْ أغيثوا هُناكَ بفضلِ سيّدةِ ٱلأنامِ
إذا كفلَ ٱلزّمانُ لهمْ بنُعمى تولّتْ مثلَها أمُّ ٱلإمامِ
ولمْ ترَ مثلَ إسماعيلَ عيني وعبدِ ٱللهِ ذي ٱلشّيمِ ٱلكرامِ
أشدَّ تقرُّباً من كلّ حمدٍ وأبعدَ منزِلاً من كلّ ذامِ[4]
هُما قمرانِ همّا أنْ يتمّا لنفيِ ٱلظُّلمِ أجمعَ وٱلظّلامِ
وسيلا واديينِ إذا ٱستُفيضا حمدتَ تدفّقَ ٱلغيمِ ٱلرُّكامِ[5]

وقال يمدح المتوكل

أما وٱلّذي أعطاكَ فضلاً وبسطةً
على كلِّ حيٍّ وٱصطفاكَ على ٱلخلقِ
لقدْ سُسْتَنا بٱلعدلِ وٱلبذلِ مُنعِماً
وعُدتَ علينا بٱلأناةِ وبٱلرِّفقِ

---

(١) جرى منبسطاً (٢) جمع الحاج وهو الذي يحج الى البيت الحرام
(٣) الفضل والقدرة (٤) عيب وذم (٥) المتراكم

تَدارَكْتَ بِالْإِحسانِ حِمْصاً وَأَهْلَها
وَقَدْ فارَقُوا فِعْلَ الْإِساءَةِ وَالْخُرْقِ
طَلَعْتَ لَهُمْ وَقْتَ الشُّرُوقِ فَأَبْصَرُوا
سَنَا الشَّمْسِ مِن أُفْقٍ وَوَجْهَكَ مِنْ أُفْقِ
وَما عايَنُوا شَمْسَيْنِ قَبْلَهُما الْتَقَى
ضِياؤُهُما يَوْماً مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ
أَرَيْتَهُمُ إِذْ ذاكَ قُدْرَةَ قَادِرٍ
وَعَفْوَ مُحِبٍّ لِلسَّلامَةِ مُسْتَبْقِ
مَنَنْتَ عَلَيْهِمْ بِالْحَياةِ فَأَصْبَحُوا
مَوَالِيكَ[1] فَازُوا مِنْكَ بِالْمَنِّ وَالْعِتْقِ
وَإِنَّ وَلاءَ الْمُعْتَقِينَ مِنَ الرَّدَى
يَفُوقُ وَلاءَ الْمُعْتَقِينَ مِنَ الرِّقِّ
بَقِيتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأُمَّةٍ
سَلَكْتَ بِها نَهْجَ السَّبِيلِ إِلى الْحَقِّ
بِعَدْلِكَ تَسْتَعْدِي[2] عَلى النَّاسِ كُلَّما
أَساءَ كَما كانَتْ بِوَجْهِكَ تَسْتَسْقِي

---

(١) عبيدك (٢) تستعين

وقال يمدح المعتز بالله

مَلِكٌ يَدْرَأُ[1] ٱلإساءَةَ بِٱلْعَفْـوِ وَيَجْزِي ٱلْإِحْسَانَ بِٱلْإِحْسَانِ
سَلْ بِهِ[2] تُخْبَرِ ٱلْعَجِيبَ وَإِنْ كا نَ ٱلسَّمَاعُ ٱلْمَأْثُورُ دُونَ ٱلْعِيَانِ
أَذْعَنَ ٱلنَّاكِثُونَ إِذْ أَلْقَتِ ٱلْحَرْ بُ عَلَيْهِمْ بِكَلْكَلٍ وَجِرانِ[3]
كُلَّما مالَ جانِبٌ مِن خَمِيسٍ عَدَّلَتْهُ شَواجِرُ ٱلْخِرْصانِ[4]
فَقَتِيلٌ تَحْتَ ٱلسَّنَابِكِ يَدْمَى وَأَسِيرٌ يُرَاقِبُ ٱلْقَتْلَ عانِ[5]
جَلَبَتْهُمْ إلى مَصارِعِ بَغْيٍ عَثَراتُ ٱلشَّقاءِ وَٱلْخِذْلانِ
عَجَباً لِلْحُلُومِ كَيْفَ ٱسْتُخِفَّتْ وَغُلُوِّ ٱلْإِسْرَافِ وَٱلطُّغْيانِ
كَيْفَ لَمْ يَقْبَلُوا ٱلْأَمانَ وَقَدْ كا نَ حَياةٌ لِمِثْلِهِمْ فِي ٱلْأَمانِ
يا إِمامَ ٱلْهُدَى نُصِرْتَ وَلا زِلْ تَ مُعانًا بِٱلْيُمْنِ وَٱلْإِيمَانِ
عَزَّ دِينُ ٱلْإِلٰهِ فِي ٱلْأَرْضِ مُذْ طا عَ لَكَ ٱلْمَشْرِقَانِ وَٱلْمَغْرِبانِ
لَمْ تَزَلْ تَكْلَأُ ٱلْبِلادَ بِقَلْبٍ أَلْمَعِيٍّ وَنَاظِرٍ يَقْظانِ
ما تَوَلَّى قَلْبِي سِواكُمْ وَلا ما لَ إِلَى غَيْرِكُمْ بِمَدْحٍ لِسانِي
شَأْنِيَ ٱلشُّكْرُ وَٱلْمَحَبَّةُ مُذْ كُنْ تُ وَحَقٌّ عَلَيْكَ تَعْظِيمُ شانِي

(١) يدفع (٢) اي سل عنه (٣) الكلكل الصدر والجران مقدم عنق البعير والناكثون الناقضون العهد (٤) الخميس الجيش وعدلته قومته والخرصان الشواجر الرماح المشتبكة (٥) العاني الاسير

وقال يمدح ابراهيم بن الحسن بن سهل

جِئْناكَ نَحْمِلُ أَلْفاظاً مُدَبَّجَةً   كَأَنَّمَا وَشْيُها مِن يَمْنَةِ[1] ٱلْيَمَنِ
مِن كُلِّ زَهْراءَ كَٱلنُّوَّارِ[2] مُشْرِقَةٍ
أَبقى عَلى ٱلزَّمَنِ ٱلباقي مِنَ ٱلزَّمَنِ
شُكْرَ ٱمْرِئٍ ظَلَّ مَشْغُولاً بِذِكْرِكَ عَنْ
فَرْطِ ٱلْبُكاءِ على ٱلأَطْلالِ وَٱلدِّمَنِ
رَضِيتُ مِنكَ بِأَخلاقٍ قَدِ ٱمْتَزَجَتْ
بِٱلْمَكْرُماتِ ٱمْتِزاجَ ٱلرُّوحِ بِٱلْبَدَنِ
تُدْني إلى ٱلْجُودِ كَفًّا مِنكَ قَدْ أَنِسَتْ
بِٱلْبَذْلِ وَٱلْجُودِ أُنْسَ ٱلْعَيْنِ بِٱلْوَسَنِ

وقال ابو نواس يمدح الخصيب

ذَرِيني أُكَثِّرْ حاسِدِيكِ بِرَحْلَةٍ   إلى بَلَدٍ فِيهِ ٱلْخَصِيبُ أَميرُ
إذا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ ٱلْخَصِيبِ رِكابُنا   فَأَيَّ فَتًى بَعْدَ ٱلْخَصِيبِ تَزُورُ
فَتًى يَشْتَرِي حُسْنَ ٱلثَّناءِ بِمالِهِ   وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلدَّائِرَاتِ تَدُورُ
فَلا جازَهُ جُودٌ وَلا حَلَّ دُونَهُ   وَلٰكِنْ يَصِيرُ ٱلْجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ
زَهَا بِٱلْخَصِيبِ ٱلسَّيْفُ وَٱلرُّمْحُ في ٱلْوَغى
وَفي ٱلسِّلْمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرُ

---

(١) اليمنة بُرد يمني (٢) الزهر

فَإِنِّي جَدِيرٌ إِذْ بَلَغْتُكَ بِٱلْغِنَى وَأَنْتَ بِمَا أَمَّلْتُ مِنْكَ جَدِيرُ
فَإِنْ تُولِنِي مِنْكَ ٱلْجَمِيلَ فَأَهْلُهُ وَإِلَّا فَإِنِّي عاذِرٌ وَشَكُورُ

وقال ايضاً يمدحه

أَنْتَ ٱلْخَصِيبُ وَهٰذِهِ مِصْرُ فَتَدَفَّقَا فَكِلاكُمَا بَحْرُ
وَيَحِقُّ لِي إِذْ صِرْتَ بَيْنَكُمَا أَنْ لا يَحِلَّ بِسَاحَتِي فَقْرُ

وقال في مدح الامين

أَمِينَ ٱللهِ قَدْ مُلِّكْتَ مُلْكاً عَلَيْكَ مِنَ ٱلتُّقَى فِيهِ لِباسُ
تُساسُ مِنَ ٱلسَّماءِ بِكُلِّ صُنْعٍ (١) وَأَنْتَ بِهِ تَسُوسُ كَمَا تُسَاسُ
وَوَجْهُكَ يَسْتَهِلُّ نَدًى فَيَحْيا بِهِ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ أُنَاسُ
كَأَنَّ ٱلْخَلْقَ فِي تِمْثَالِ رُوحٍ لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ راسُ

وقال ابو تمام يمدح محمد بن يوسف الطائي

فَتًى لا يَسْتَظِلُّ غداةَ حَرْبٍ إِلَى غَيْرِ ٱلْأَسِنَّةِ وَٱلْبُنُودِ
وَمَا شَيْءٌ مِنَ ٱلْأَشْياءِ أَمْضَى عَلَى ٱلْمُهَجاتِ (٢) مِنْ رَأْيٍ سَدِيدِ
فَمَا نَدْرِي أَحَدُّكَ كانَ أَمْضَى غَداةَ ٱلْبَذِّ (٣) أَمْ حَدُّ ٱلْحَدِيدِ
فَلَوْ أَبْقَى ٱلنَّدَى وَٱلْبَأْسُ حَيّاً لَخُصَّ أَبُو سَعِيدٍ بِٱلْخُلُودِ

وقال ابن هانئ الاندلسي يمدح جعفر بن علي

فَمِنْ أَيْنَ سارُوا فَأَنْتَ ٱلسَّبِيلُ وَمِنْ أَيْنَ ضَلُّوا فَأَنْتَ ٱلْعَلَمْ

---

(١) احسان (٢) الارواح (٣) الغلبة

إلى جَعْفَرٍ يَتَنَاهى ٱلْمَدِيحُ وَفِيهِ تُبِينُ ٱلْقَوافي ٱلْحِكَمْ
وَلَمْ أَرَ أَنْفَذَ مِن كُتْبِهِ إذا جَعَلَ ٱلسَّيفَ حَيْثُ ٱلْقَلَمْ
وَإنَّكَ من مَعْشَرٍ طِفْلُهُمْ يُتَوَّجُ قَبْلَ بُلُوغِ ٱلْحُلُمْ
وَيَسْمُو إلى ٱلْمَجْدِ قَبْلَ ٱلْفِطامِ فَكَيْفَ يَكُونُ إذا ما فُطِمْ
أَذُمُّ إلَيْكَ ٱعْتِوارَ ٱلْخُطُوبِ[1] وَصَرْفَ ٱلْحَوادِثِ فِيما أَذُمْ
وَمِمَّا أَعانَ عَلَيَّ ٱلزَّمانَ عفافُ يَدِي وَعُلُوُّ ٱلْهِمَمْ

وقال السري الرفاء يمدح ابا الفوارس سلامة بن فهد

رَاحَ يُبْدِي لِمَن أَتَى مُسْتَجِيراً مِن صُروفِ ٱلزَّمانِ أَوْ مُسْتَثِيبا[2]
خُلُقاً مُشْرِقاً وَوَجْهاً طَلِيقاً وَنَوالاً جَزْلاً وَرَأْياً صَلِيبا
كُلَّما مَدَّتِ ٱلْحَوادِثُ باعاً مَدَّ لِلْمَكْرُماتِ باعاً رَحِيبا
وَإذا خاضَ غَمْرَةَ ٱلْمَوْتِ رَدَّ ٱلسَّيفَ مِن حُمْرَةِ ٱلدِّماء خَضِيبا
شِيَمٌ لا تَزالُ تُشْجِي قُلُوباً مِن أَعادِيهِ أَوْ تَسُرُّ قُلُوبا
وَخِلالٌ أَغَضُّ مِنْ زَهَرِ ٱلرَّوْضِ كَسَتْهُ ٱلثَّناء غَضّاً قَشِيبا

وقال ايضاً يمدحه

فَتًى يَسْتَقِلُّ جَزِيلَ ٱلثَّوابِ سَماحاً لِمَن جاءَهُ مُسْتَثِيبا
وَيُرْبِي على سُنَنِ ٱلْمَكْرُماتِ[3] فَيُظْهِرُ فِيهِنَّ مَجْداً غَرِيبا

---

(١) اعتورته الخطوب تعاقبته اي اخذته هذه مرَّة وهذه مرة (٢) سائلاً الثواب (٣) يربي يزيد وسنن المكرمات طرائقها

وَتَلقاهُ مُبتَسِماً واضِحاً   إذا ما ٱلحَوادِثُ أَبدَتْ قُطُوبا
كَريمٌ إذا خابَ راجي ٱلنَّدَى   حَمَتْنا مَكارِمُهُ أنْ نَخيبا
وَأَى لَحظُهُ ما تُجِنُّ[1] ٱلصُّدورُ   فَخِلْناهُ يَعلَمُ مِنّا ٱلغُيوبا
بَعيدٌ إذا رُمتَ إدراكَهُ   وَإنْ كانَ في ٱلجُودِ سَهْلاً قَريبا
نَمَتْهُ مِنَ ٱلأَزْدِ صِيدُ[2] ٱلمُلوكِ   وَما زالَ يَنمِي ٱلنَّجيبُ ٱلنَّجيبا
فَكَمْ لَكَ مِن سُؤْدُدٍ كَٱلعَبيرِ   أَصابَ مِنَ ٱلمَدحِ رِيحاً جَنُوبا
وَرَأْيٍ يُكَشِّفُ لَيلَ ٱلخُطُوبِ   ضِياءً إذا ٱلخَطْبُ أَعيا ٱللَّبيبا
فَخَلَّصتَني مِن يَدِ ٱلنَّائِباتِ   وَأَحلَلتَني مِنكَ رَبعاً خَصيبا

وقال يمدح سيف الدولة

حَضَرْنا وَٱلمُلوكُ لَهُ قِيامٌ   تَغُضُّ نَواظِراً فيها ٱنكِسارُ
وَزُرْنا مِنهُ لَيثَ ٱلغابِ طَلْقاً   وَلَمْ نَرَ قَبلَهُ لَيثاً يُزارُ
وَضَيفُكَ لِلحَيا ٱلمُنهَلِّ ضَيفٌ   وَجارُكَ لِلرَّبيعِ ٱلطَّلْقِ جارُ

وقال ايضاً يمدحه ويذكر وقعته بالمدائن

أَبا ٱلحَسَنِ ٱختَرتَ حُسنَ ٱلثَّناءِ   وَمِثلُكَ مَن يُحسِنُ ٱلإختِيارا
وَكَمْ قَدْ وَطِئتَ دِيارَ ٱلعِدَى   عَلى ٱلرَّغمِ مِنهُمْ فَجُسْتَ ٱلدِّيارا[3]
بِخَيلٍ تَمُدُّ عَلَيها ٱلدُّجى   وَبِيضٍ تَرُدُّ عَلَيها ٱلنَّهارا

---

(١) تخفي (٢) صيد جمع اصيد وهو الذي يرفع رأسه كبراً (٣) جاس الديار طاف بينها في الغارة

وَأَطْلَعْتَ فيهـا نُجومَ ٱلْقَنا ... فَلَيْسَتْ تَغُورُ إذا ٱلنَّجْمُ غارا
وَيوْمَ ٱلْمدائِنِ إذْ زُرْتَهـا ... وَقَـدْ مَنَعَتْها ٱلظُّبِي أَنْ تُزارا
وَخاضَتْ جِيادُكَ فيها ٱلدِّماءَ ... وَمِن قَبْلُ جاءَتْ تُثِيرُ ٱلْغُبارا
سَقَيْتَ ٱلرِّماحَ دَماً فَٱنْثَنَتْ ... نَشاوى كَأَنْ قَدْ شَرِبْنَ ٱلْعُقارا
وَكَمْ مِنْ مُلُوكٍ تَوَعَّدْتَهُمْ ... عَلى ٱلنَّأْيِ مِنْهُمْ فَماتُوا حِذارا
فَقَدْ عُذْتُ مِنْكَ بِمُسْتَلْئِمٍ ... يُبِيحُ ٱلتَّلِيدَ وَيَحْمِي ٱلذِّمارا[1]
بِغَيْثٍ يَجُودُ إذا ٱلْغَيْثُ ضَنَّ ... وَلَيْثٍ يَثُورُ إذا ٱلنَّقْعُ ثارا

وقال يمدح ابا اليقظان عمار بن نصر بن حمدان

يا أَميراً خَضَـعَ ٱلدَّهْرُ لَهُ ... فَغَدا يَفْعَلُ قَسْراً ما أَمَرْ
وَإذا ٱلْجَدْبُ عَرا كانَ حَياً[2] ... وَإذا ٱلْخَطْبُ دَجا كانَ قَمَرْ
وَإذا هُزَّ لِمَعْرُوفٍ مَضى ... كَٱلْحُسامِ ٱلْعَضْبِ إنْ هُزَّ بَتَرْ
صادِقُ ٱلْبِشْرِ تَرى ماءَ ٱلنَّدى ... يَرْتَقِي في وَجْهِهِ أَوْ يَنْحَدِرْ
قُلْتُ إذْ بَرَّزَ[3] سَبْقاً في ٱلْعُلى ... أَإلى ٱلْمَجْدِ طَرِيقٌ مُخْتَصَرْ
إنْ تَكُنْ تَغْلِبُ يَوْماً وَسَمَتْ ... صَفْحَةَ ٱلدَّهْرِ بِيَوْمٍ مُشْتَهِرْ
فَبَنُوا ٱلْحارِثِ فيهِمْ وَزَرٌ[4] ... حِينَ لا يُنْجِي مِنَ ٱلدَّهْرِ وَزَرْ

---

(١) المستلئم لابس الدرع . والتليد المال القديم واباحه اطلقه والذمار ما يلزم حفظه من عرض وناموس (٢) مطراً (٣) برَّز الرجل على اقرانه سبقهم
(٤) ملجأ ومعتصم

مَعْشَرٌ لَوْلا أَحادِيثُ ٱلنَّدَى   عَنْهُمُ لَمْ يَعْرِفِ ٱلنَّاسُ سَمَرْ[١]
يا أَبا ٱلْيَقْظَانِ أَيْقَظْتَ ٱلنَّدَى   فَمَلأْتَ ٱلْبَدْوَ مِنْهُ وَٱلْحَضَرْ
وَلَكَمْ أَرْدَيْتَ مِن مُسْتَلْئِمٍ   صادِقِ ٱلإِقْدامِ يَحْمِي وَيَكُرْ
وَٱلضُّحَى أَدْهَمُ بِٱلنَّقْعِ فَإِنْ   ضَحِكَتْ فيهِ ٱلظُّبَى كانَ أَغَرْ
أَنْتَ وَٱلْعِيدُ ٱلَّذي عاوَدْتَهُ   غُرَّتا هٰذا ٱلزَّمانِ ٱلْمُعْتَكِرْ
لَذَّ فيكَ ٱلْمَدْحُ حَتَّى خِلْتُهُ   سَمَراً لَمْ أَشْقَ فيهِ بِسَهَرْ

وقال يمدح سيف الدولة وناصرها

لا نَعْدَمَنْ غُرَّةَ ٱلأَمِيرِ فَقَدْ   أَعْدَمَنا جُودُ كَفِّهِ ٱلْعَدَما[٢]
سَيْفِ ٱلأَميرِ ٱلَّذي نَصُولُ عَلَى ٱلدَّهْـ   ـرِ إِذا ٱلدَّهْرُ صالَ أَوْ عَرَما[٣]
وَناصِرِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلَّتي شَمَلَتْ   بِٱلْعَدْلِ عُرْبَ ٱلأَنامِ وَٱلْعَجَما
تَكامَلَ ٱلْعِلْمُ فيهِ وَٱكْتَهَلَتْ   آراؤُهُ[٤] قَبْلَ يَبْلُغُ ٱلْحُلُما
يَسْتَنْجِدُ ٱلسَّيْفَ فِي ٱلْخُطُوبِ إِذا   راحَ سِواهُ يَسْتَنْجِدُ ٱلْقَلَما
صُبْحٌ مِنَ ٱلْعَدْلِ ما ٱنْتَحَى[٥] بَلَداً   إِلَّا جَلا ٱلظُّلْمَ عَنْهُ وَٱلظُّلَما

---

(١) السمر حديث الليل (٢) الفقر (٣) خرج عن الحد (٤) اكتهلت آراؤه يريد بذلك ان آراءه صارت آراء كهل (٥) قصد

فِي جَحْفَلٍ غَصَّتِ ٱلْفِجاجُ(١) بِهِ وَأَنَّ مِن وَطْئِهِ ٱلثَّرى أَلَما
إِذا غَدا خافِقَ ٱلْبُنُودِ غَدَتْ جُنْدُ ٱلْمَنايا لِجُنْدِهِ خَدَما
وَسَدَّ أُفْقَ ٱلسَّماءِ قَسْطَلُهُ(٢) فَخِيلَ دُونَ ٱلسَّماءِ مِنْهُ سَما
طَلَعْتَ فيهِ عَلى ٱلْعِراقِ فَكَمْ وَفَّرْتَ وَفْراً(٣) وَكَمْ حَقَنْتَ دَما

وقال ابن نباتة السعدي يمدح القاضي ابا الحسن محمد بن احمد

بَهَرَ ٱلنَّاسَ هَيْبَةً وَجَمالًا فَهُوَ فِي ٱلْعَيْنِ مِثْلُهُ فِي ٱلْقُلُوبِ
قَدْ رَضِينا بِهِ إِذا جارَ دَهْرٌ حاكِماً بَيْنَنا وَبَيْنَ ٱلْخُطُوبِ

وقال يمدح ابا سعيد وهب بن ابرٰهيم الكاتب

وَإِنَّ فَتًى بَعْدَ ٱلْقَطِيعَةِ(٤) زُرْتُهُ
لَأَكْرَمُ مَن تَمْشِي بِهِ قَدَمانِ
فَأَصْبَحَتِ ٱلْأَيَّامُ تَرْهَبُ أَسْهُمِي
وَتَأْخُذُ أَحْداثُ ٱلزَّمانِ أَمانِي
وَإِنَّ ٱلْخَنى(٥) وَٱلْغَدْرَ فِي ٱلنَّاسِ شِيمَةٌ
كَفى ٱللهُ وَهْباً شَرَّها وَكَفانِي
حَمانِي مِنَ ٱلظَّنِّ ٱلْكَذُوبِ وَقالَ لِي
هُمُومُكَ مِن هَمِّي وَشَأْنُكَ مِن شانِي

(١) جمع الفج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين (٢) عباره
(٣) الوفر المال الكثير ووفره كثره (٤) الهجر (٥) فحش الكلام

وقال يمدح صمصام الدولة وقد خلع عليه الخليفة

لا صَحِبْتُ ٱلْحَياةَ إنْ صَحِبَتْني
في ٱلْمُلِمَّاتِ مُهْجَةٌ تُسْتَضامُ(١)
كَيفَ أَخشَى ٱلْخُطوبَ وَٱللهُ مِنهُنَّ مُجيري وَٱلْمَرْزُبانُ(٢) ٱلْهُمامُ
أَيُّ شَيْءٍ نَقولُهُ فيكَ أَفْنَيْتَ ٱلْمَعاني وَضاقَ فيكَ ٱلْكَلامُ
أَنتَ مِن قَبلِ أَنْ تَحَلَّيْتَ ماضٍ
لا بِحَلْيِ ٱلنِّجادِ(٣) يَمضِي ٱلْحُسامُ
لَمْ تَزِدْكَ ٱلأَلقابُ زَيناً وَما زا دَكَ إلّا ٱلإِجلالُ وَٱلإِعظامُ
كُنْتَ فَوقَ ٱلَّذي يَظُنُّ بِكَ ٱلْمُحْسِنُ ظَنّاً لَمّا بَلاكَ ٱلإِمامُ(٤)
ضارِبٌ جَرَّبَ ٱلسُّيوفَ فَما أَرْ ضاهُ إلّا ٱلْمُهَنَّدُ ٱلصَّمْصامُ
ٱلَّذي لَيسَ لِلسَّوابِغِ وَٱلْبِيـ ضِ عَلَيْهِ إذا أَجَرْنَ ذِمامُ(٥)
حَفِظَ ٱللهُ دَوْلَةً أَنتَ تَرْعا ها بِعَينٍ أَجفانُها ما تَنامُ
باسِطاً دونَها يَدَ ٱلأَسَدِ ٱلأَسْوَدِ ما خَلْفَ ظَهْرِهِ لا يُرامُ

(١) الملمات المصائب . وتستضام تظلم وتقهر (٢) المرزبان رئيس الفرس ويريد به الممدوح (٣) النجاد علاقة السيف (٤) يريد بالامام الخليفة الذي خلع على صمصام لدولة (٥) السوابغ جمع السابغة وهي الدرع الواسعة · واجرن خفرن وحرسن . والذمام الحرمة

وقال الشريف الرضي يمدح امير المؤمنين القادر بالله

وَبَرَزْتَ فِي بُرْدِ ٱلنَّبِيِّ وَلِلْهُدَى ... نُورٌ عَلَى أَطْرَافِ وَجْهِكَ مُشْرِقُ
فِي مَوْقِفٍ تُغْضِي ٱلْعُيُونُ جَلَالَةً ... فِيهِ وَيَعْثُرُ بِٱلْكَلَامِ ٱلْمَنْطِقُ
وَكَأَنَّمَا فَوْقَ ٱلسَّرِيرِ وَقَدْ سَمَا ... أَسَدٌ عَلَى نَشَزَاتِ[1] غَابٍ مُطْرِقُ
وَٱلنَّاسُ إِمَّا رَاجِعٌ مُتَهَيِّبٌ ... مِمَّا رَأَى أَوْ طَالِعٌ مُتَشَوِّقُ
مَالُوا إِلَيْكَ مَحَبَّةً فَتَجَمَّعُوا ... وَرَأَوْا عَلَيْكَ مَهَابَةً فَتَفَرَّقُوا
وَغَرَسْتَ فِي مُهَجِ ٱلْقُلُوبِ مَوَدَّةً ... تَزْكُو عَلَى مَرِّ ٱلزَّمَانِ وَتُورِقُ
عَطْفاً أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّنَا ... فِي دَوْحَةِ ٱلْعَلْيَاءِ لَا نَتَفَرَّقُ
مَا بَيْنَنَا يَوْمَ ٱلْفِخَارِ تَفَاوُتٌ ... أَبَداً كِلَانَا فِي ٱلسِّيَادَةِ مُعْرِقُ[2]
إِلَّا ٱلْخِلَافَةَ مَيَّزَتْكَ فَإِنَّنِي ... أَنَا عَاطِلٌ مِنْهَا وَأَنْتَ مُطَوَّقُ

وقال صرَّدُر يمدح ابا القاسم بن رضوان

أَنَا مِنْكُمْ إِذَا ٱنْتَهَيْنَا إِلَى ٱلْعِرْ ... قِ ٱلْتَفَفْنَا ٱلْتِفَافَ بَانٍ بِرَنْدِ[3]
نَسَبٌ لَيْسَ بَيْنَنَا فِيهِ فَرْقٌ ... غَيْرَ عَيْشَيْ حَضَارَةٍ وَتَبَدٍّ[4]
لَكُمُ ٱلرُّمْحُ وَٱلسِّنَانُ وَعِنْدِي ... مَا تُحِبُّونَ مِنْ بَيَانٍ وَمَجْدِ
خَلِّصُونِي مِنْ ظَنِّكُمْ أَوْ أَنَادِي ... بِٱلَّذِي يُنْقِذُ ٱلْأَسَارَى وَيَفْدِي

---

(١) جمع نشزة وهي مكان مرتفع (٢) له عرق في السيادة اي اصل
(٣) البان شجر يشبه ورقه ورق الصفصاف . والرند شجر طيب الرائحة
(٤) التبدي الاقامة في البادية وهو ضد الحضارة

في يَدَيْهِ غَمامَتـانِ لِظِلٍّ وَلِقَطْرٍ مِن غَيْرِ بَرْقٍ وَرَعْدِ
فَرْقُ ما بَيْنَهُ وَبَينَ سِواهُ فَرْقُ ما بينَ لُجِّ بَحْرٍ وَثَمْدِ (١)
كَمْ عَدُوٍّ أَماتَـهُ بِوَعيدِ وَوَلِيٍّ أَحيـاهُ مِنْهُ بِوَعْدِ
لَسْتَ تَدْري أَمِن زَخارِفِ رَوْضٍ صاغَهُ اللهُ أَمْ لآلِئِ عِقْـدِ
مُطْلِعٌ في دُجى الخُطوبِ إذا أَظْـلَمْنَ مِن رَأْيِهِ كَواكِبَ سَعْدِ
زادَكَ اللهُ ما تَشاءُ مَزيداً سَيْلُهُ غَيْرُ واقِفٍ عِنْدَ حَدِّ
في رَبيعٍ نَظيرِ جَنّاتِ عَدْنٍ وَدِيارٍ جَميعُها دارُ خُلْدِ

وقال ابن سنان الخفاجي يمدح الامير ناصر الدولة

حَدِّثْ بِبَأْسِ بَني حَمْدانَ في أُمَمٍ
تَأْتي فَقَدْ ظَهَرَتْ في هٰـذِهِ النُّذُرُ
وَاذْكُرْ لَهُمْ سِيَراً في المَجْدِ مُعْجِزَةً
لَوْلا الشَّريعَةُ قُلْنَـا إنَّها سُوَرُ
قَوْمٌ إذا طَلَبَ الأَعداءُ عَيْبَهُمُ فَمـا يَقولونَ إلّا أَنَّهُمْ بَشَرُ
تَسْمو البِلادُ إذا عُدَّتْ وَقائِعُهُمْ
فيها وَتَبْتَسِمُ الدُّنيا إذا ذُكِرُوا
ماتُوا وَأَحيا ابْنَ ذي المَجْدَيْنِ ذِكْرُهُمُ
فَمـا يَظُنُّونَ إلّا أَنَّهُمْ نُشِرُوا

---

(١) لجّ البحر معظمه والثمد الماء القليل

كَأَنَّمـا رَأْيُهُ في كُلِّ مُشْكِلَةٍ
عَينٌ عَلى كُلِّ ما يَخْفى وَيَستَتِرُ
وَناصِرُ ٱلدَّوْلةِ ٱلْمَشْهورُ مَوْقِفُـهُ
في نَصْرِها وَضِرامُ ٱلْحَرْبِ يَستَعِرُ
أَنْتُمْ صَوارِمُها وَٱلْبِيضُ نابِيَةٌ
وَشُهْبُها وَظَلامُ ٱلْخَطْبِ مُعْتَكِرُ
هِيَ ٱلْخِلافَةُ ما زالَتْ مَنابِرُها
إِلى سُيُوفِكُمُ في ٱلرَّوْعِ تَفْتَقِرُ

وكتب الى ابي سلامة محمود بن نصر يمدحه ويذكر وصول ملك الروم الى قلعة عزاز

إِذا طَلَعَتْ بُدُورُ بَني حَمِيدٍ فَحَقٌّ لِلْكَواكِبِ أَنْ تُضاما
وَرُبَّ مُنازِعٍ لَكَ في ٱلْمَعالي سَهِرْتَ عَلى ٱلطِّلابِ[1] لَهاوَناما
وَمُجْتازٍ بِأَرْضِكَ حَذَّرَتْهُ سُيُوفُكَ أَنْ يُرِيدَ بِها مُقاما
أَدَلَّ بِجَمْعِـهِ فَكَفاكَ جَدٌّ تَفُلُّ سُعُودُهُ ٱلْجَيْشَ ٱللُّهاما[2]
وَرَوَّتْني سَحائِبُكَ في بِلادٍ كَثيراً ما شَكَوْتُ بِها ٱلْأُواما
وَمالي وَٱلْبَخيلَ وَقَدْ كَفَتْني مَواهِبُكَ ٱلَّتي كَفَتِ ٱلْأَناما

---

(١) طالبه طلب حقًّا له عليه ومصدره الطلاب (٢) ادلَّ اجترأ والجد الحظ واللهام الجيش العظيم يريد بذلك ان ملك الروم اجـترأ عليك بسبب جيشه فـكان حظك كافيا لهزيمته

وقال ايضاً يمدحه

خَلِيلَيَّ قَدْ عادَ قَلْبي إِلَيَّ وَقَرَّتْ بَلَابِلُهُ وَٱطْمَأَنْ
وَما زِلتُ أَزْهدُ في مَن عَرَفْــتُ حَتَّى سَكَنْتُ لِفَقْدِ ٱلسَّكَنْ (١)
وَكَيْفَ أُضامُ وَلِي ناصرا نِ ذُو ٱلْحَسَبَينِ وَهٰذا ٱلْأَسَنْ
حُسامانِ ما لَهُمـا نَبْوَةٌ وَلا يُتَّقى مِنْهُمَا بِٱلْجُنَنْ (٢)
وَما نالَ عَفْواً جَمِيلَ ٱلثَّناء وَلٰكِن شَراهُ بِأَغْلى ٱلثَّمَنْ
يَدِلُّ عَلى جُودِهِ بِشْرُهُ وَما لَمَعَ ٱلْغَيثُ حَتَّى هَتَنْ
تَلُوحُ لَهُ خافِياتُ ٱلْقُلُوبِ فَسِرُّ ٱلتَّضاء لَدَيْهِ عَلَنْ
إِذا أَخْصَبَتْ بِنَداهُ ٱلْبِلادُ فَمَا شاءَتِ ٱلسُّحْبُ فَلْتَفْعَلَنْ

وقال الارجاني يمدح الوزير ابا القاسم عليّ بن طراد

أَبَنِي ٱلرَّجاء ٱلسَّائِرِينَ لِيُدْرِكُوا في ٱلدَّهْرِ أَقْصَى غايَةِ ٱلْمُرْتادِ (٣)
مِنَحُ ٱلْبِحارِ تَدِقُّ عَنْ أَفْكارِنا فَرِدُوا فِناءَ عَلِيِّ بْنِ طِرادِ
مِن مَعْشَرٍ بِيضِ ٱلْوُجُوهِ أَكارِمٍ يَوْمَ ٱلسَّماحِ وَفِي ٱلْوَغى أَنْجادِ
رَضِعوا لِبانَ ٱلْمَجْدِ في حَجْرِ ٱلْعُلى (٤)
فَعَلَوا عَلى ٱلْأَكْفاء وَٱلْأَنْدادِ
وَأَظَلَّهُمْ بَيْتُ ٱلنُّبُوَّةِ وَٱبْتَنَوْا مُلْكاً بِبِيضٍ فِي ٱلْأَكُفِّ حِدادِ

(١) سكن اليه ارتاح . والسكن كل ما يستأنس به ويسكن اليه
(٢) الجنن جمع الجنة وهي كل ماوقاك من سلاح وغيره (٣) الطالب (٤) حجر العلى كنفها وحضنها

فَلَهُمْ إذا ما زُرْتَهُمْ وَخَبَرْتَهُمْ شَرَفُ ٱلْمُلُوكِ وَسِيرَةُ ٱلزُّهَّادِ
قَوْمٌ إذا سَفَرُوا حَسِبْتَ وُجُوهَهُمْ
لِلنَّـاظِرِينَ أَهِلَّةَ ٱلْأَعْيـادِ
وَتَكادُ إنْ وَطِئُوا ٱلْمَنابِرَ أَنْ تُرى
في ٱلْحـالِ وَهْيَ وَرِيقَةُ ٱلْأَعْوادِ
وكَفاهُمُ شَرَفاً بِأَنَّكَ مِنْهُمُ يَوْمَ ٱفْتِخارِ مَعـاشِرِ ٱلْأَمْجادِ
ذَهَبُوا بِفَخْرٍ من زَمانِكَ طارِفٍ وَأَتَوْكَ مِن عَلْيائِهِمْ بِتِلادِ(١)
وَرِثَتْ يَداكَ ٱلْجُودَ مِن عَمْرٍو ٱلْعُلى
وَٱلْجُـودُ يُورِثُهُ بَنُو ٱلْأَجْوادِ

وقال سبط بن التعاويذي يمدح امير المؤمنين الامام الناصر لدين الله

وَمُتَيَّمٍ كَتَمَ ٱلْهَوى عَن صَحْبِهِ فَوَشَتْ بِسِرِّ ضُلُوعِهِ زَفَراتُهُ
صَبٌّ إذا ذَكَرَ ٱلفِراقَ تَصاعَدَتْ أَنْفاسُهُ وَتَحَدَّرَتْ عَبَراتُهُ
وَمِنَ ٱلْبَلِيَّةِ أَنَّ أَثْوابَ ٱلصِّبا بَلِيَتْ فَزادَتْ جِدَّةً صَبَواتُهُ(٢)
بِنَدى أَبِي ٱلْعَبَّاسِ أَوْرَقَ عُودُهُ فَحَلا جَناهُ وَأَيْنَعَتْ ثَمَراتُهُ
مَلِكٌ تُذِلُّ ٱلْأُسْدَ في غاباتِها وَٱلْبِيضَ في أَغْمادِها سَطَواتُهُ
طَلْقُ ٱلْمُحَيَّا ما أَماطَ لِثامَـهُ في مَأْزِقٍ إلَّا ٱنْجَلَتْ هَبَواتُهُ(٣)

(١) الطارف الجديد والتلاد القديم (٢) جمع صبوة وهي جهلة الفتوة
(٣) جمع هبوة وهي الغبرة والمأزق المضيق

أَلِفَتْ صَواهِلُهُ ٱلقَنا فَكَأَنَّمَا نَبَتَتْ عَلى أَعْرافِها أَسَلاتُهُ[1]
أَسَدٌ إِذا بَعُدَتْ عَلَيْهِ فَرِيسَةٌ ضَمِنَتْ لَهُ إِدْناءَها وَثَباتُهُ
وَإِذا شَكَتْ قِصَراً مُتُونُ سُيُوفِهِ كَفِلَتْ بِأَنْ سَتُطِيلَها خُطَواتُهُ
مَحْمُودَةٌ يَوْمَ ٱلنَّدى آثارُهُ مَعْرُوفَةٌ يَوْمَ ٱلوَغى كَرّاتُهُ
يَرْعى ٱلمَمالِكَ مِنْهُ قَلْبٌ أَصْمَعٌ تُمْسِي مُوَكَّلَةً بِها عَزَماتُهُ[2]
عَزَماتُ رَأْيٍ لا يَفِيلُ صَوابُهُ وَغِرارُ بَأْسٍ لا تُفَلُّ شَباتُهُ[3]
لِٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ حِباؤُهُ وَعَطاؤُهُ وَلِذِي ٱلإِساءَةِ حِلْمُهُ وَأَناتُهُ
وَإِذا جَفا ٱلغَيْثُ ٱلبِلادَ فَأَمْسَكَتْ
أَنْ تَسْتَهِلَّ عَلى ٱلثَّرى قَطَراتُهُ
رَمَقَ ٱلسَّماءَ بِطَرْفِهِ فَتَبَجَّسَتْ أَنْواؤُهُ وَتَنَزَّلَتْ بَرَكاتُهُ
فَٱسْتَدْفِعُوا ما رابَكُمْ[4] بِدُعائِهِ إِنَّ ٱلإِمامَ مُجابَةٌ دَعَواتُهُ
وَثِقُوا بِنِيَّةِ عَدْلِهِ فَصَلاحُكُمْ يَبْدُو إِذا صَلُحَتْ لَكُمْ نِيّاتُهُ
أَوْضَحْتُمُ يا آلَ عَبّاسٍ لَنا نَهْجَ ٱلهُدى حَتّى ٱنْجَلَتْ شُبُهاتُهُ
أَيَّدْتُمُ ٱلدِّينَ ٱلحَنِيفَ فَأَصْبَحَتْ مَجْمُوعَةً بِسُيُوفِكُمْ أَشْتاتُهُ

---

(١) الاعراف جمع العرف وهو شعر الفرس . والاسلات اطراف الرماح
(٢) القلب الاصمع الذكي المتيقظ (٣) يفيل يخطئ والغرار حد السيف
(٤) اي اطلبوا ان يدفع ويبعد عنكم بدعائه ما رابكم اي ما اوقعكم في الريب

أَعزَزْتُموهُ فَما يَلِينُ قِيادُهُ وَدَعَمْتُموهُ فَما تَلِينُ قَناتُهُ (١)
أَوَيَطْمَعُ الأَعداءُ فيهِ وَأَنْتُمُ أَبطالُهُ وَلُيوثُهُ وَكُماتُهُ
أَلقى الزَّمانُ إِلَيكُمُ بِعِنانِهِ فَغَدَتْ مُذَلَّلَةً لَكُمْ صَهَواتُهُ (٢)
وَمَلَكْتُموهُ فَأَصبَحَتْ مَوسُومَةً بِجَمِيلِ آثارِ لَكُمْ جَبَهاتُهُ
وَبِكُمْ سَقى اللهُ البِلادَ وَأَنْتُمُ أُمَناؤُهُ في خَلْقِهِ وَثِقاتُهُ
فَلأَصْرِفَنَّ الشِّعْرَ إِلَّا عَن فَتًى كَالسَّيفِ تَلمَعُ في الدُّجى جَفَناتُهُ
هِيَ بِنْتُ فِكْرِي وَالكَرِيمُ يَغارُ أَنْ تُهْدى إِلى غَيرِ الكَرِيمِ بَناتُهُ

وقال يمدح المولى الصاحب الكبير

لَهُ سَماحٌ لا أَهلُ بادِيَةٍ يُخْطِئُهُمْ صَوْبُهُ وَلا بَلَدُ
وَرَأْفَةٌ لَوْ غَدَتْ مُقَسَّمَةً في النَّاسِ ما عَقَّ والِداً وَلَدُ
وَهِمَّةٌ طالَتِ السَّماءَ فَما يَطْمَعُ في نَيلِ شَأْوِها أَحَدُ
فَقُلْ لِمَن رامَ أَنْ يُساجِلَهُ (٣) مَهْلاً فَما تَلْمَسُ السَّماءَ يَدُ
وَلَوْ رَأَوْهُ في جَحْفَلٍ صَعِقُوا (٤) أَوْ شَهِدُوهُ في مَحْفَلٍ سَجَدُوا
يَحْطِمُ يَوْمَ الوَغى السِّلاحَ فَلا الـعُدَّةُ ناجٍ مِنْهِ وَلا العِدَدُ (٥)
يُعِدُّ لِلرَّوْعِ كُلَّ سابِقَةٍ (٦) لاحِقَةٍ ما لِجَرْيِها أَمَدُ

---

(١) يريد بلين القياد ولين القناة الخضوع والذل (٢) الصهوات جمع الصهوة وهي مقعد الفارس (٣) يفاخره (٤) غشي عليهم (٥) جمع العدة وهي كل ما اعددته لحوادث الدهر (٦) مؤنث سابق وهو اول خيل الحلبة

يَفْديكَ يا مُحْكِمَ ٱلإِغارَةِ وَٱلعَقْـدِ رِجالٌ لِلنَّكْثِ ما عَقَدوا
لا يُضْمِرونَ ٱلوَفاءَ إنْ عَهِدوا عَهْداً وَلا يُنْجِزونَ ما وَعَدوا
إذا تَيَقَّظْتَ لِلْعُلى رَقَدُوا عَنْها وَإنْ قُمْتَ لِلنَّدى قَعَدُوا
فَلْيَهْنِ مِنْكَ ٱلآباءَ ما زَرَعُوا مِن خَلَفٍ صالِحٍ وَما حَصَدُوا
آباءُ صِدْقٍ[1] طابُوا عَلى سالِفِ ٱلـدَّهْرِ أُصولاً فَطابَ ما وَلَدُوا
فاتُوا ٱلوَرى سُؤْدُداً بِما رَكِبُوا مِن صَهَواتِ ٱلأَيّامِ وَٱقْتَعَدُوا
وَأَيُّ جِيدٍ وَأَيُّ سالِفَةٍ لَيْسَ عَلَيْها وَسْمٌ لَهُمْ وَيَدُ

وقال يمدح الامام الناصر لدين الله

مَدْحُكَ لا يَسْتَطِيعُهُ ٱلبَشَرُ أَنّى وَقَدْ أُنْزِلَتْ بِهِ ٱلسُّوَرُ[2]
سُسْتَ ٱلرَّعايا بِسيرَةٍ لَمْ يَسِرْ في ٱلنَّـاسِ إلّا بِمِثْلِها عُمَرُ
تَبْقى بَقـاءَ ٱلأَيّامِ حالِيَةً بِٱلعَدْلِ مِنْها ٱلآثارُ وَٱلسِّيَرُ
مَعْدَلَةٌ عَمَّتِ ٱلبِلادَ فَمـا لِلْجَوْرِ عَيْنٌ بِهـا وَلا أَثَرُ
وَرَحْمَةُ ٱللهِ مِن دَلائِلِهـا في ٱلأَرْضِ عَدْلُ ٱلسُّلْطانِ وَٱلمَطَرُ
يَحْلُمُ عَن قُدْرَةٍ وَأَحْسَنُ ما مَنَّ أَخو ٱلحِلْمِ وَهْوَ مُقْتَدِرُ
أَحالَ طَبْعَ ٱلدَّهْرِ ٱلخَؤُونِ فَما تُضْمِرُ سُوءاً لِأَهْلِهِ ٱلغِيَرُ[3]
فَنَحْنُ بِٱلنّاصِرِ ٱلإِمـامِ إذا عَدَتْ عَوادي[4] ٱلأَيّامِ نَنْتَصِرُ

---

(١) اي آباء صادقون (٢) جمع السورة وهي القطعة المستقلة من القرآن
(٣) احداث الدهر ونوائبه (٤) عوادي الايام عوائقها وشواغلها

مِن مَعْشَرٍ تَخْضَعُ ٱلْجِباهُ لَهُمْ وَتَقْشَعِرُّ ٱلْجُلُودُ إِنْ ذُكِرُوا
بِهِمْ تُحَطُّ ٱلْأَوْزارُ عَنَّا وَإِنْ عَنَّ بَلاءٌ فَهُمْ لَنا وَزَرُ
يُوفُونَ بِٱلْعَهْدِ وَٱلذِّمامِ وَلِلدَّهْـرِ لَيالٍ بِأَهْلِهِ غُـدُرُ[1]
رَدَّ بِإِحسانِهِ ٱلْإِمامُ أَبُو ٱلْـعَبّاسِ أَيَّامَهُمْ وَقَدْ غَبَرُوا[2]

وقال يمدح الوزير عضد الدين وقومه

أُحاوِلُ مِثْلَ مَجْدِ ٱلدِّينِ جاراً بِهِ عِنْدَ ٱلْحَوادِثِ يُسْتَجارُ
تَكَفَّلَ أَنْ يُرَوِّيَ ٱلْأَرْضَ جُوداً وَما كَفِلَتْ بِهِ ٱلسُّحْبُ ٱلْغِزارُ
إِذا ٱكْتَحَلَتْ بِهِ ٱلْأَبْصارُ أَغْضَتْ
وَفِيها مِن مَهابَتِهِ ٱنْكِسارُ
وَكَمْ مِن غارَةٍ شَعْواءَ يُمْسي لَها في كُلِّ جانِحَةٍ أُوارُ[3]
تَجِيشُ بِها صُدورُ ٱلْقَوْمِ حَتَّى يَكادُ يَطِيرُ بَيْنَهُمُ ٱلشِّرارُ
إِذا حَسَرَ ٱلْكَمِيُّ بِها لِثاماً غَدا وَلِثامُهُ ٱلنَّقْعُ ٱلْمُثارُ
تَلَقَّاها بِرَأْيٍ غَيْرِ نابٍ وَعَزْمٍ لا يُفَلُّ لَهُ غِرارُ
فَقادَ صِعابَها وَبِها جِماحٌ وَأَخْمَدَ نارَها وَلَها ٱسْتِعارُ
أَلَسْتَ مِنَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ مَضاءٌ إِذا نَبَتِ ٱلْمَضارِبُ وَٱلشِّفارُ
إِذا شَهِدُوا ٱلْوَغى فَهُمُ لُيُوثٌ وَإِنْ سُئِلُوا ٱلنَّدى فَهُمُ بِحارُ

---

(١) الليالي الغُدُر الغادرات الخائنات وهي جمع غدور (٢) مضوا وذهبوا
(٣) الشعواء المتفرقة والاوار حر النار

وَإِنْ ضَنَّتْ غَوادي ٱلمُزْنِ صابُوا حَياً وَإِذا دَجا خَطْبٌ أَنارُوا
وُجُوهٌ كَٱلشُّمُوسِ لَها ضِياءٌ وَأَحْسابٌ كَما ٱتَّضَحَ ٱلنَّهارُ
وَأَحلامٌ إِذا ٱلأَطْوادُ طاشَتْ رَسَتْ وَلَها ٱلسَّكِينَةُ وَٱلْوَقارُ
هُمُ ٱلنَّجْمُ ٱلَّذي إِنْ ضَلَّ سارٍ هَداهُ بِنُورِهِ وَهُمُ ٱلْمَنارُ

وقال التهامي يمدح الامير ابا سنان غريب بن محمد

مَلِكٌ يُهِينُ ٱلنَّفْسَ في يوْمِ ٱلْوَغى
وَهَوانُها في ٱلْحَرْبِ خَيْرُ هَوانِ
جُبِلَ ٱلأَنامُ عَلى ٱلْخِلافِ وَلا أَرى
في جُودِهِ رَجُلَيْنِ يَخْتَلِفانِ
يَهْتَزُّ لِلْمَعْرُوفِ وَهْوَ سَجِيَّةٌ
لِلأَكْرَمِينَ كَهِزَّةِ ٱلنَّشْوانِ
لِلّٰهِ دَرُّ يَدُ ٱلْخُطُوبِ فَإِنَّها
صَدأُ ٱللِّئامِ وَصَيْقَلُ ٱلْفِتْيانِ[١]
جَرَّدْنَ مِثْلَ أَبي سِنانٍ صارِماً
في كُلِّ ناحِيَةٍ لَهُ حَدّانِ
كَٱللَّيْثِ إِلَّا أَنَّ جارَكَ آمِنٌ
وَٱللَّيْثُ لَيْسَ بِآمِنِ ٱلْجِيرانِ

---

(١) الصيقل الذي يسن السيوف

وقال شبلي الملاط يمدح الآنسة مي[1] في الحفلة التي اقامها
لها النادي الادبي في بيروت سنة ١٩٢٢

الا حملوا إليكَ حديثَ ميٍّ كأزهارِ الخمائلِ في شذاها
وهل رصدوا فرائدها الغوالي كأبراجِ الكواكبِ في سماها
وهل طافوا بمكتبها وحجّوا هنالكَ في الكنانةِ مُنتداها[2]
إذا نزلوا على عصماء علمٍ تذيبُ العمرَ كي تحيي سواها
تذوبُ كما يذوبُ لها يراعٌ على شفتيهِ يجري أصغراها
إذا ناجتْ بهِ الجوزاءَ ودّتْ جباهُ النجمِ أنْ ترعى ثراها
وليس سوابحُ الأفلاكِ تجري بأبعدَ أوْ بأسرعَ في مداها
مِنَ القلمِ الذي علّته[3] ميٌّ مسهّدةً عليهِ مُقلتاها
سقتْ غربيهِ[4] مِن شهدٍ وخمرٍ كذلكَ مَن براها قدْ سقاها
كأنّ اللهَ مِنْ سحرٍ ودرٍّ أتاحَ لِميَّ لاحظةً وفاها
وشاورَ أمّها لمّا براها وشاورَ يومَ كوّنها أباها
فجاءتْ ميُّ معجزةً تناهى مِنَ المغنى إليها ما تناهى
وضاقتْ أرضُ لبنانٍ عليها ورنَّ بأذنِها صوتٌ دعاها

(١) هي الآنسة النابغة ماري زيادة المعروفة في عالم الادب باسم « مي » وهو الاسم الذي استعارته لها في كتاباتها (٢) حجّ قصد . والكنانة مصر
(٣) سقته تباعاً (٤) حدّيه

« تَرَحَّلْ عَنْ مَكانٍ فيهِ ضَيْمٌ[١] وَخَلِّ ٱلدَّارَ تَنْعي مَن بَناها »

وَشَدَّتْ[٢] نَحوَ أَرْضِ ٱلنِّيلِ عِلْماً
بِأَنَّ ٱلرِّزْقَ رَحْبٌ في حِماها

رَأَتْ كُلَّ ٱلغِنى عِلْماً صَحيحاً يَجُرُّ وَراءَهُ مَجْداً وَجاها
أَلا نِعْمَ ٱلكِتابُ فَتًى لِمَيٍّ إِذا سُئِلَتْ فَتاةٌ عَن فَتاها
وَكَمْ أَوْلَتْ مِنَ ٱلإِخْلاصِ مِصْراً وَكَمْ خَدَمَتْ بِنَهْضَتِها نِساها
وَكَمْ أَدَّى لَها ٱلهَرَمُ ٱحْتِراماً وَأَكْبَرَها ٱلْمُقَطَّمُ في عُلاها
وَكَمْ مِن مَرَّةٍ مِصْرٌ تَمَنَّتْ وَوَدَّتْ أَنَّها إِحدى ظِباها
رُوَيْداً إِنَّ بِنْتَ ٱلأَرْزِ مَيٌّ وَحَسْبُ ٱلأَرْزِ أَنْ يُدعى أَباها
فَما ضَنَّتْ عَلى مَيٍّ بِلادٌ إِذا ذُكِرَتْ تَرَنَّحَ جانِباها
دِيارٌ غُذِّيَتْ مَيٌّ هَواها وَشَبَّتْ وَهْيَ ذاكِرَةٌ هَواها
تَوارَتْ مَيُّ لاهِيَةً بِسِفْرٍ تُؤَلِّفُهُ جَديداً في خِباها[٣]
وَلَيسَ لَها حِلًى إِلَّا مِدادٌ وَثَوْبٌ مِن مُؤَلِّفِها كَساها

كَذا ٱقْتَرَحَتْ عَلى ٱلدُّنْيا مُناها
كَذلِكَ مَرَّ شَطْرٌ مِن صِباها

وَمَن بَدَأَتْ بِما عانَتْهُ مَيٌّ فَإِنَّ ٱللهَ يُحْسِنُ مُنْتَهاها

---

(١) ظلم وقهر (٢) اسرعت (٣) الخباء الخيمة والقبة

وقال الخوري بطرس البستاني يرحب بالجنرال غورو
يوم زيارته دير القمر في ٢٠ آذار سنة ١٩٢٠

أيها القائدُ الكبيرُ الخطيرُ   أنتَ للسيفِ من صباكَ سميرُ
أقسمَ السيفُ أن يكونَ أميراً   إن نضاهُ[1] على عداهُ الأميرُ
سِر بجوِّ العلى إلى حيثُ تهوى   فالمعالي تسيرُ حيثُ تسيرُ
ولكَ القلبُ أينما كنتَ برجٌ   ولكَ الصدرُ منبرٌ وسريرُ
كنتَ في الحربِ آيةَ البأسِ حتى   هابكَ القِرنُ[2] وهو ليثٌ هصورُ
فسحقتَ الجيوشَ تلوَ جيوشٍ   وغدت تحتكَ الرواسي تمورُ[3]
وحصونٌ في رمسَ قامت جبالاً   شاهقاتٍ تهابهنَّ النسورُ
ما حمتها صحائفٌ من حديدٍ   بل حمتها من الجنودِ الصدورُ
قلبُ غورو والموتُ عذبٌ لديهِ   يومَ يدعو إلى الجهادِ النفيرُ[4]
حمَّسَ الجندَ في المعاركِ حتى   باتَ كلٌّ إلى المنونِ يطيرُ
ما بناهُ الألمانُ في نصفِ قرنٍ   زعزعتهُ من أسهِ كفُّ غورو
هيَ خطَّتْ والنصرُ طوعٌ لما خطَّتْ   وربُّ النصرِ العزيزُ القديرُ
من عليهِ عوَّلتَ في كلِّ خطبٍ   مستجيراً بهِ ونِعمَ المجيرُ

---

(١) استله (٢) القرن من يقاومك (٣) الرواسي من الجبال الثوابت الرواسخ . وتمور تموج وتضطرب (٤) البوق ويراد به هنا بوق الحرب

أيها البوش[١] لا تنوحوا فهذي شيمة الدهر والحظوظ تدور
قد سكرتم عجباً وتهتم دلالا فانظروا اليوم كيف كان المصير

...

يوم طارت يمين غورو ترنحتم سروراً وهل يليق السرور
كان ذا منكم غروراً وما يعلق إلا بالأغبياء الغرور
إن يمناه إن تطر يبق فيه قلب ليث على الليوث يغير[٢]
أو ما فيه همة لا تسامى أو ما فيه عزمة لا تخور[٣]
كانت الحرب بالسلاح فأمست حرب فن يفوز فيها الخبير

...

جئت غورو لبنان والأمن فيه ضائع والبلاء طام غزير
جئت لبنان والمجازر[٤] فيه زاخرات كأنهن بحور
جئت لبنان والعيون دوام وفؤاد الفقير فيه كسير
فتدارك حشاشة في بنيه قبل أن ينزل البلاء الكبير

...

إن جيراننا استطالوا علينا فصبرنا ولم يرعنا الزئير
وربضنا حول العرين أسوداً ووقفنا والذئب فينا يغور

---

(١) اتمب الالمان (٢) اغار على العدو دفع عليهم الخيل واوقع بهم
(٣) لا تفتر ولا تضعف (٤) المذابح

كَيفَ نُغضِي عَلى ٱلْهوانِ وَفينا كُلُّ حُرٍّ بِهِ ٱلعِدى تَستَجِيرُ
نَحنُ قَومٌ إلى ٱلضَّياغِمِ نُعزى لَم يَرُعْنا شَرُّ ٱلعِدى ٱلمُستَطِيرُ[1]
نَحنُ لَولا حُبُّ ٱلسَّلامِ لَطِرْنا مِثلَما كُنَّا لِلحُروبِ نَطِيرُ
نَحنُ لَولا هِيامُنا بِفَرَنسا لَجَهِلْنَا وَما عَلَيْنا نَكِيرُ
إنَّ في صَدرِنا نُفُوساً كِباراً كُلُّ خَطبٍ في مُقلَتَيها صَغيرُ
فَٱدَّخِرنا لِحادِثاتِ ٱللَّيالي فَٱبنُ لُبنانَ في ٱلوَغى مَشهُورُ
يا أَبا ٱلحَزمِ عالِجِ ٱلدَّاءَ فِينا إنَّ داءَ ٱلشِّقاقِ داءٌ مُبِيرُ[2]
فَرَّقَ ٱلتُّركُ بَينَنا مِن قُرونٍ فَعَدَوْنا وَٱلغِلُّ[3] فينا يَثُورُ
إنَّ عَينَ ٱلسَّماءِ تَرعاكَ يَقظَى وَقُلوبَ ٱلأَعوانِ حَولَكَ سُورُ

وقال رشيد نخله يشكر اهالي زحلة على مجاملتهم له
بعد خروجه من معتقله

هانَ خَطبٌ كانَ خَطباً جَلَلا وَتَعَزَّى ٱلقَلبُ عَنهُ وَسَلا
لَيسَ في ما نابَنِي غَيرُ ٱلَّذي جَدَّدَ ٱلعَزمَ وَأَحيا ٱلأَمَلا
كُنتُ لا أَرجُو عَلى ٱلجُلَّى ٱلفَتى إنْ شَكا ٱلعاني وَناحَ ٱلمُبتَلى
فَإِذا بَينَ خِيامِ ٱلمُنْحَنى فِتيَةُ ٱلبَأسِ وَإِخوانُ ٱلوَلا
وَبِوادي زَحلَةٍ مَن لَو نَضا قَلَماً خِلناهُ هَزَّ ٱلأَسَلا
ضارِبٌ في ٱلحَيفِ حَتَّى يَنجَلي نازِلٌ كَٱلسَّيفِ أَنَّى نَزَلا

---

(١) الشر المستطير المنتشر المتفرق (٢) مهلك (٣) الحقد

إيهِ يا زَحلَةُ يا عِزَّ ٱلحِمَى ... إيهِ كَمْ أَطلَعتِ فينا بَطَلا
إنْ أَرَدْنا ٱلسَّيفَ فَٱلسَّيفُ لَنَا ... أَنتِ أَوْ شِئْنا ٱلعُلَى أَنتِ ٱلعُلَى
أَوْ أَرَدنا ٱلنَّابِغِينَ ٱلبُسَلا ... فَبَنُوكِ ٱلنَّابِغُونَ ٱلبُسَلا
سامَحَ ٱللهُ ٱلَّذي علَّمَنَا ... حُسْنَ ظَنِّ ٱلنَّفسِ في هٰذا ٱلمَلا
كُلُّ ما نَحمِلُهُ مِن ذَنْبِنَا ... إنَّنَا قَومٌ كِرامٌ نُبَلا
نَحفَظُ ٱلعَهْدَ وَنَرْعى حَقَّهُ ... جارَ مَن عاهَدَنا أَوْ عَدَلا
دِلَّني أَيُّ مُحِبٍّ وَالِهٍ ... عافَ مَن يَهْوَى جَفا أَوْ وَصَلا

وقال جميل الزهاوي يثني على حمية البيروتيين في الحفلة التي اقامها له نصراء الادب في نزل السنترال سنة ١٩٢٤

بَيرُوتُ رُوحٌ لَهُ لُبنانُ جُثمانُ ... فَلْيَحيَ لِلْمَجدِ بَيرُوتٌ وَلُبنانُ
بَيرُوتُ نَسرٌ لَهُ لُبنانُ أَجنِحَةٌ ... لُبنانُ عينٌ لَها بَيرُوتُ إِنسانُ
بَيرُوتُ بَيتٌ لَهُ لُبنانُ أَعمِدَةٌ ... بَيرُوتُ صَرحٌ لَهُ لُبنانُ أَركانُ
أَبناءُ بَيرُوتَ أُسدٌ في مَرابِضِها ... وَأَهلُ لُبنانَ في ٱلأَطوادِ عِقبانُ
قَومٌ لَهُم مِن خِلالِ ٱلحَمدِ أَوفَرُها ... وَفي ٱلذَّكاءِ على ٱلأَقرانِ رُجحانُ
أَمَّا ٱلبِلادُ فَأَدنى ما رَأَيتُ بِها ... حَضارَةٌ مَلَأَتْ عَيني وَعُمرانُ
تَحَرَّرَتْ مِن إِسارٍ كانَ يُرهِقُها ... فَما بِها لِسِوى ٱلقانُونِ سُلطانُ
أَلغَربُ وَٱلشَّرقُ حَتَّى ٱليَومِ ما ٱستَوَيا ... هٰذا نَشِيطٌ وَهٰذا بَعدُ كَسْلانُ

يفوز من كان ذا عزمٍ بمطلبه   أمّا نصيب الكسالى فهو حرمان

تغيّرت بعد حربٍ ثار ثائرها   على البسيطة أقوامٌ وبلدان

ألنّاس في الغرب بعد الحرب قد سعدوا

والنّاس في الشّرق بعد الحرب قد هانوا

لا ترتقي أمّةٌ حتّى يكون لها   يوماً على سيّئ العادات عصيان

حللت بالأمس بستاناً فأفرحني   وخير ما يفرح الإنسان بستان

حيث البلابل قد كانت مغرّدةً   وكان يطربني منهنّ ألحان

انّ البلابل بالأدواح مولعةٌ   وزينة الدّوح أوراقٌ وأغصان

من موقظات شجوناً [illegible] راقدةً   وإنّما توقظ الأشجان أشجان

العندليب على الأطيار قاطبةً   رئاسةٌ عندما يشدو وسلطان

نزا(١) على البان غرّيداً كعادته   فودّ كلّ قضيبٍ أنّه البان

واهتزّ من تحته غصنٌ تبوّأه

حتّى لقد خلت(٢) أنّ الغصن نشوان

أرى الرّبيع تلاقي الرّوض مكتسياً

أمّا الخريف ففيه الرّوض عريان

ينادم البلبل الغرّيد روضته   والرّوض للبلبل الغرّيد أوطان

---

(١) وثب (٢) كان الاصل : حتى ظننت بان . ولا يتعدى ظن بالباء

أَأَنْتَ مِن ذِكْرِ أَوْطانٍ خَفَقْتَ بِها
يا قَلْبُ ذُو جَذَلٍ أَمْ أَنْتَ أَسوانُ[١]

لُبنانُ قامَ بِتَهذِيبِ ٱلْفَتاةِ وَما تَهذِيبُها غَيرُ إِصْلاحٍ لَهُ شانُ
وَإِنَّ إِصْلاحَها إِصْلاحُ مَمْلَكَةٍ وَإِنَّ إِهمالَها مَوْتٌ وَخُسْرانُ
لِلْمَرْأَةِ ٱلفَضْلُ فِي ٱلعُمْرانِ نَشْهَدُهُ لَوْلا تَقَدُّمُها ما تَمَّ عُمْرانُ
فَإِنَّما هِيَ لِلْأَبْناءِ مَدْرَسَةٌ وَإِنَّما هِيَ لِلْآباءِ مِعْوانُ
وَإِنَّما هِيَ لِلْمَفْجُوعِ تَعْزِيَةٌ وَإِنَّما هِيَ لِلْمَحْزُونِ سُلْوانُ
أَلْخَيرُ فِي أَنْ يُعِزَّ ٱلْمَرْءُ صِنْوَتَهُ[٢] وَٱلشَّرُّ أَنْ يَهْضِمَ ٱلْإِنْسانَ إِنْسانُ

وقال الشريف الرضي يمدح الملك شرف الدولة ابا الفوارس

إِيهِ لَقَدْ أَسَرَ ٱلدُّنْيا بِنَجْدَتِهِ[٣] أَبُو ٱلْفَوارِسِ وَٱلْإِقْدامُ لِلْبَطَلِ
ماضٍ عَلَى ٱلْهَوْلِ طَلَّاعٌ بِغُرَّتِهِ عَلَى ٱلْحَوادِثِ مِقْدامٌ عَلَى ٱلْأَجَلِ
هُنِّئْتَ يا مَلِكَ ٱلْأَمْلاكِ مَنْزِلَةً رَدَّتْ عَلَيْكَ بَهاءَ ٱلْأَعْصُرِ ٱلْأُوَلِ
دَعاكَ رَبُّ ٱلْمَعالِي زَيْنَ مِلَّتِهِ وَمِلَّةٌ أَنْتَ فِيها زِينَةُ ٱلْمِلَلِ
وَلَيْسَ يَأْتَلِفُ ٱلْإِحْسانُ فِي مَلِكٍ
حَتَّى يُؤَلِّفَ بَيْنَ ٱلْقَوْلِ وَٱلْعَمَلِ

---

(١) حزين (٢) شقيقته (٣) بشجاعته

وقال وديع عقل في الحفلة التي اقيمت لخليل مطران

سائلِ ٱلبُلبُلَ ٱلَّذي غابَ عنَّا ... واجِداً وٱصطفى ٱلكِنانةَ كِنَّا
هَلْ تَجافى رِياضَ لُبنانَ إلَّا ... يَوْمَ كانَ ٱلمُقامُ يُحسَبُ جُبْنَا
سَئِمَ ٱلعيشَ حَيثُ لا يَجِدُ ٱلصَّا ... دِحُ غُصْنا في دَوْحَةٍ مُطمَئِنَّا
وَٱنتَحى عِندَ مَلْعَبِ ٱلنّيلِ رَوْضاً ... مُطمَئِنّاً فَٱحتَلَّ غُصْناً وَغَنَّى
هاجَ في بَثِّ شَوْقِهِ وَجْدَ «شَوْقي» ... فَٱبتَغى أَوْ يَكُونَ ذاكَ ٱلمُعَنَّى
وَتَصابى فَصاحَ «حافِظُ» زِدْنا ... يا خَليلي مِنَ ٱلتَّصابي تُذِبْنا
أَنْصَفَتْهُ مِصْرُ كَما أَنْصَفَتْنا ... حِينَ قالَتْ «مِنكُمْ أَميرٌ وَمِنَّا»
هُوَ ذا ٱلرَّوضُ يا أَمِيرَ ٱلقَوافي ... نَضُرَتْ عُودُهُ وعادَ وعُدْنا
لا تَسَلْنا عنْ حالِهِ كيفَ كانَتْ ... قَبلَ هٰذا وَلا تَسَلْ كَيْفَ كُنَّا
نَحنُ قَوْمٌ دارَتْ عَلَيْنا ٱلأَيامُ ... بِرَحى تَطْحَنُ ٱلجَلامِيدَ طَحْنَا
وَطَوتْنا قُبُورُنا ثُمَّ فُتْنا ... ناشِئينَ ٱلأَكْفانَ وَٱلتُّرْبَ عَنَّا
نَضِرَ ٱلرَّوْضُ يا خَليلُ وَلٰكِنْ ... ما ٱسْتَطَبْنا لِصادِحٍ فيهِ لَحْنا
إِنْ سَأَلناكَ أَنْ تُقيمَ تُجِبْنا ... لَيسَ لِلمَرْءِ كُلُّ ما يَتَمَنَّى
عَمْرَكَ ٱللهَ مَنْ يَسُوسُ ٱلقَوافي ... عِندَنا وَٱلخَليلُ قَدْ شَطَّ عَنَّا
وَإِلى مَنْ نَعُودُ في طَلَبِ ٱلنَّشْـ ... وى إذا يا خَليلُ نَحنُ ٱخْتَلَفْنا
أَيْ مُجيدَ ٱلشِّعْرِ ٱلشَّريفِ وَلَيسَ ٱلشِّعْرُ ... إِلَّا ٱلأَخْلاقَ مِنِّي وَمِنْكَ
لَكَ فِينا ٱلأَمْرُ ٱلمُطاعُ فَإِنْ تَسْـ ... مَحْ نَطَقْنا وَإِنْ أَرَدْتَ خَرِسْنا

الباب الرابع

في التهاني

قال ابو الطيب يهنئ سيف الدولة بعيد الاضحى

لِكُلِّ امرئٍ من دهرِهِ ما تعوّدا
وعادةُ سيفِ الدولةِ الطعنُ في العدى
هوَ البحرُ غُصْ فيهِ إذا كانَ ساكناً
على الدرِّ واحذرْهُ إذا كانَ مزبدا
تظلُّ ملوكُ الأرضِ خاشعةً لهُ تفارقُهُ هلكى وتلقاهُ سجدا
وصولٌ إلى المستصعباتِ بخيلِهِ فلو كانَ قرنُ الشمسِ ماءً لأوردا
هنيئاً لكَ العيدُ الذي أنتَ عيدُهُ
وعيدٌ لمن سمّى (١) وضحّى وعيّدا
ولا زالتِ الأعيادُ لُبسَكَ بعدهُ تُسلِّمُ مخروقاً وتُعطى مُجدَّدا
فذا اليومُ في الأيامِ مثلُكَ في الورى
كما كنتَ فيهم أوحداً كانَ أوحدا

---

(١) ذكر اسم الله يعني عند ذبح الضحايا

هُوَ ٱلجَدُّ حتَّى تفضُلُ ٱلعَيْنُ أُخْتَها
وَحتَّى يَكُونُ ٱليَـومُ لِليَوْمِ سَيِّدا

رَأَيْتكَ مَحْضَ ٱلحِلمِ في مَحْضِ قُدْرَةٍ
وَلَوْ شِئْتَ كانَ ٱلحِلْمُ مِنْكَ ٱلمُهَنَّدا

وَما قَتَـلَ ٱلأَحرارَ كَٱلعَفوِ عَنْهُمُ
وَمَن لَكَ بِٱلحُرِّ ٱلَّذي يَحْفَظُ ٱليَدا

إذا أَنتَ أَكْرَمتَ ٱلكَرِيمَ مَلَكْتَهُ
وَإِنْ أَنتَ أَكْرَمتَ ٱللَّئِيمَ تَمَرَّدا

وَوَضعُ ٱلنَّدى في مَوضِعِ ٱلسَّيْفِ بِٱلعُلى
مُضِرٌّ كَوَضْعِ ٱلسَّيفِ في مَوضِعِ ٱلنَّدى

وَلٰكِنْ تَفوقُ ٱلنَّاسَ رَأياً وَحِكْمَةً كَما فُقْتَهُمْ حالاً وَنَفْساً وَمَحْتِدا

يَدِقُّ عَلى ٱلأَفكارِ ما أَنتَ فاعِلٌ فَيُتْرَكُ ما يَخْفَى وَيُؤْخَذُ ما بَدا

أَزِلْ حَسَدَ ٱلحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ [1] فَأَنتَ ٱلَّذي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَّدا

إذا شَدَّ زَنْدي حُسْنُ رَأيِكَ فِيهِمِ
ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ ٱلهامَ مُغْمَدا

وَما أَنا إِلَّا سَمْهَرِيٌّ [2] حَمَلْتَهُ فَزَيَّنَ مَعْروضاً [3] وَراعَ مُسَدَّدا [4]

---

(١) ادلالهم (٢) رمح (٣) محمولاً بالعرض (٤) موجهاً الى المطعون

وَما ٱلدَّهرُ إلَّا مِن رُواةِ قَصائِدي
إذا قُلتُ شعراً أَصبَحَ ٱلدَّهرُ مُنشِدا
فَسارَ بِهِ مَنْ لا يَسيرُ مُشَمِّراً وَغَنَّى بِهِ مَنْ لا يُغَنِّي مُغَرِّدا
أَجِزْني إذا أُنشِدْتَ شِعراً فإنَّما بِشِعْري أَتاكَ ٱلمادِحُونَ مُرَدَّدا
وَدَعْ كُلَّ صَوتٍ غَيرَ صَوتِي فإنَّني
أنا ٱلطائِرُ ٱلْمَحْكِيُّ وٱلآخَرُ ٱلصَّدى
تَرَكتُ ٱلسُّرى[1] خَلْفي لِمَنْ قَلَّ مالُهُ
وَأَنعَلتُ أَفراسي بِنُعْماكَ عَسْجَدا
وَقَيَّدتُ نَفْسِي في ذَراكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ ٱلإحسانَ قَيْداً تَقَيَّدا
إذا سَأَلَ ٱلإنسانُ أَيَّامَهُ ٱلغِنى وَكُنتَ عَلى بُعْدٍ جَعَلْنَكَ مَوْعِدا

وقال يهنئه ببرئه من علة اعترته

أَلْمَجْدُ عُوفِيَ إذْ عُوفيتَ وَٱلكَرَمُ وَزالَ عَنكَ إلى أَعدائِكَ ٱلأَلَمُ
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ ٱلغاراتُ وَٱبتَهَجَتْ
بِها ٱلمَكارِمُ وَٱنهَلَّتْ بِها ٱلدِّيَمُ[2]
وَراجَعَ ٱلشَّمسَ نُورٌ كانَ فارَقَها
كأَنَّما فَقْدُهُ في جِسمِها سَقَمُ

(١) السير في الليل (٢) انهلت سالت والديم جمع ديمة وهي مطر يدوم اياماً في سكون

وَلاحَ بَرْقُكَ لي مِنْ عارِضَيْ[1] مَلِكٍ
ما يَسْقُطُ ٱلغَيْثُ إلّا حِينَ يَبْتَسِمُ
يُسْمَى ٱلْحُسامَ وَلَيْسَتْ مِن مُشابَهَةٍ
وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ ٱلْمَخْدُومُ وَٱلْخَدَمُ
تَفَرَّدَ ٱلعُرْبُ في ٱلدُّنيا بِمَحْتِدِهِ
وَشارَكَ ٱلعُرْبَ في إِحْسانِهِ ٱلعَجَمُ
وَأَخْلَصَ ٱللهُ لِلْإِسْلامِ نُصْرَتَهُ وَإِنْ تَقَلَّبَ في آلائِهِ ٱلأُمَمُ
وَمـا أُخُصُّكَ في بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ إِذا سَلِمْتَ فَكُلُّ ٱلنَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وقال ايضاً يهنئه بعيد الفطر

أَلصَّوْمُ وَٱلفِطْرُ وَٱلأَعْيادُ وَٱلعُصُرُ مُنيرَةٌ بِكَ حَتَّى ٱلشَّمْسُ وَٱلقَمَرُ
تُري ٱلأَهِلَّـةَ وَجْهاً عَمَّ نائِلُهُ فَما يُخَصُّ بِهِ مِن دُونِها ٱلبَشَرُ
ما ٱلدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلّا رَوْضَةٌ أُنُفٌ[2]
يا مَن شَمائِلُـهُ في دَهْرِهِ زَهَرُ
ما يَنْتَهي لَكَ في أَيامِـهِ كَرَمٌ فَلا ٱنْتَهى لَكَ في أَعْوامِهِ عُمُرُ
فَإِنَّ حَظَّكَ مِن تَكْرارِهـا شَرَفٌ
وَحَظُّ غَيْرِكَ مِنْها ٱلشَّيْبُ وَٱلكِبَرُ

(١) العارضان صفحتا الوجه (٢) الانف التي لم ترعَ

وقال ابو محمد الخازن يهنئ الصاحب بولده ابي الحسن العباد

بُشرى فقد أنجز ٱلإقبالُ ما وعدا
وكوكبُ ٱلمجدِ في أفقِ ٱلعلى صعدا
وقد تفرّع في أرضِ ٱلوزارةِ عن
دوحِ ٱلرسالةِ غصنٌ مورقٌ رشدا
لله أيّةُ شمسٍ للعلى ولدت نجماً وغابةِ عزٍّ أطلعت أسدا
يا دهرهُ حقّ أن تزهى بمولدهِ فمثلهُ منذُ كانَ ٱلدهرُ ما ولدا
فمن موالٍ يوالي ٱلحمدَ مبتهلًا ومخلصٍ يستديمُ ٱلشكرَ مجتهدا
وكادتِ ٱلغادةُ ٱلهيفاءُ من طربٍ
تعطي مبشّرها ٱلإرهافَ[1] وٱلغيدا[2]
وذي ضغائنَ طارت روحهُ شققاً[3] منهُ وطاحت شظايا[4] نفسهُ قددا
علماً بأنّ ٱلحسامَ ٱلصاحبيَّ غدا مجرّداً وٱلشهابَ ٱلهاشميَّ بدا
وأنّهُ إن دهت شعبٌ[5] كانَ منصدعاً بهِ وأمرٍ عَشِعبٌ[6] كانَ مختصدا
فأرفعُ ٱلمجدِ أعياناً[7] وأسمقهُ مجدٌ يناسبُ فيهِ ٱلوالدُ ٱلولدا
فليهنِئِ ٱلصاحبَ ٱلمولودُ ولتردِ ٱلسعودُ تجلو علیهِ ٱلفارسَ ٱلنجدا

---

(١) ضمور الخصر ودقته (٢) النعومة (٣) جمع شقة (٤) جمع شظية وهي كل فلقة من شيء (٥) صدع وشق (٦) ناحية او ما انفرج بين شيئين (٧) جمع عين وهي حقيقة الشيء المدركة بالعيان

فَخُذْ إِلَيْكَ عَرُوساً بِنْتَ لَيْلَتِها   مِن خادِمٍ مُخْلِصٍ وُدًّا وَمُعتَقَدا

وقال ابو العتاهية يهنئ المهدي بالخلافة

أَلَا ما لِسَيِّدَتي مالَها   تُدِلُّ فَأَحمِلُ إِدْلالَها
وَإِلَّا فَفِيمَ تَجَنَّتْ(١) وَما   جَنَيْتُ سَقَى ٱللّٰهُ أَطْلالَها
أَتَتْهُ ٱلْخِلافَةُ مُنْقادَةً   إِلَيْهِ تُجَرِّرُ أَذْيالَها
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ   وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَها
وَلَوْ رامَها أَحَدٌ غَيْرُهُ   لَزُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزالَها
وَلَوْ لَمْ تُطِعْهُ بَناتُ ٱلْقُلو   بِ لَما قَبِلَ ٱللّٰهُ أَعْمالَها
وَإِنَّ ٱلْخَلِيفَةَ مِن بُغْضِ لا(٢)   إِلَيْهِ لَيُبْغِضُ مَن قالَها

وقال ايضاً يهنئ موسى الهادي بولد ولد له في اول يوم ولي الخلافة

أَكْثَرَ مُوسى غَيْظَ حُسَّادِهِ   وَزَيَّنَ ٱلْأَرْضَ بِأَوْلادِهِ
وَجاءَنا مِن صُلْبِهِ سَيِّدٌ   أَصْيَدُ(٣) في تَقْطِيعِ أَجْدادِهِ
فَٱكْتَسَتِ ٱلْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً   وَٱسْتَبْشَرَ ٱلْمُلْكُ بِمِيلادِهِ
كَأَنَّني بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ   بَيْنَ مَوالِيهِ وَقُوّادِهِ
في مَحْفِلٍ تَخْفِقُ راياتُهُ   قَدْ طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ بِأَجْنادِهِ

---

(١) تجنى عليه ادّعى عليه ذنباً لم يفعله (٢) اي من بغضه لرد الطلب بكلمة لا (٣) الاصيد الملك والذي يرفع رأسه كبراً

وقال سبط بن التعاويذي يهنئ الوزير عضد الدين ببرئه من مرض

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ عُوفِيَ أَلْكَرَمُ وَٱنْبَعَثَتْ بِٱلْخَواطِرِ ٱلْهِمَمُ
وَٱشْتَدَّ أَزْرُ ٱلْإِسلامِ وَٱبْتَهَجَ ٱلْـمُلْكُ وَأَوْفَتْ بِنَذْرِها ٱلْأُمَمُ
عافِيَــةٌ لِلْحَسُودِ مُرْضَهُ وَصِحَّةٌ وَهْيَ لِلْعِدى سَقَمُ
هٰذا هَنــاءٌ لِلْخَلْقِ قاطِبَةً يَشْتَرِكُ ٱلْعُرْبُ فيهِ وَٱلْعَجَمُ
فَٱلْيَوْمَ شَمْلُ ٱلْعُلى جَمِيعٌ وشَعْــبُ ٱلْمَجْدِ وَٱلْمَكْرُماتِ مُلْتَئِمْ
أَسْفَرَ وَجْهُ ٱلزَّمانِ مُبْتَسِماً بِماجِدٍ لِلْعُفـاةِ يَبْتَسِمُ
تَرَى وُفودُ ٱلنَّدى بِساحَتِهِ عَلى بُحُورِ ٱلْعَطاءِ تَزْدَحِمُ
يا مَن تَصِحُّ ٱلْعُلى بِصِحَّتِهِ وَيَشْتَكِي لِاشْتِكائِهِ ٱلْكَرَمُ
وَمَن لَهُ راحَةٌ أَنامِلُهــا تَفْعَلُ فينا ما تَفْعَــلُ ٱلدِّيَمُ
تَكادُ لِلْبأْسِ وَٱلسَّماحِ يَذُو بُ ٱلسَّيْفُ فيها وَيُورِقُ ٱلْقَلَمُ
إِلَيْكَ مَدْحاً أَمْلَتْ بَدائِعَهُ عَلَيَّ مِنْكَ ٱلْأَخْلاقُ وَٱلشِّيَمُ
لا عَدِمَتْكَ ٱلدُّنْيا وَلا بَرِحَتْ مُنِيخَةً فِي عِراصِكَ[1] ٱلنِّعَمُ

وقال يهنئ امير المؤمنين الامام المستضيء بامر الله بدار استجدها

إِذا سَمَحْتَ لَنا وَٱلسُّحْبُ مُخْلِفَةٌ[2]
فَجُودُ كَفِّكَ يُغْنِينا عَنِ ٱلدِّيَمِ

---

(١) عِراص جمع عرصة وهي ساحة الدار . وأناخ بالمكان اقام بــه
(٢) اخلفت السحب اذا اطمعت في النزول ثم نكصت عنه

أعادَ مُلكَكَ لِلدُّنيا نَضارَتَها وَما تَصَرَّمَ مِنْ أيّامِها ٱلقُدُمِ
فَالنّاسُ في جَنَّةٍ مِن عَدلِ سيرَتِكَ ٱلحُسنى وَمِن بَأسِكَ ٱلمَرهوبِ في حَرَمِ
خَيرُ ٱلبِلادِ مَكانٌ أنتَ واطِئُهُ وَأُمَّةٌ أنتَ مِنها أفضَلُ ٱلأُمَمِ
بَنَيتَ داراً قَضى بِٱلسَّعدِ طالِعُها قامَتْ لِهَيبَتِها ٱلدُّنيا عَلى قَدَمِ
سَمَتْ عَلى كُلِّ دارٍ رِفعَةً وَعَلَتْ عُلُوَّ هِمَّةِ بانيها عَلى ٱلهِمَمِ

وقال يمدح عماد الدين ابن الوزير عضد الدين ويهنئه بعيد النحر

عَمَّ مَعرُوفُهُ فَأَصبَحَ لا يَفرُقُ في ٱلجُودِ بَينَ حُرٍّ وَعَبدِ
مَهَّدَتْ مَجدَهُ ٱلأَثيلَ رِجالٌ رَضِعُوا دَرَّةَ[1] ٱلعُلى في ٱلمَهدِ
مُورِدُو ٱلبِيضِ وَٱلأَسِنَّةِ في يَومِ وَغًى نَحرَ كُلِّ أَغلَبَ وَردِ[2]
نَهَدُوا لِلعِدى بِكُلِّ طَليقِ ٱلـحَدِّ ماضٍ وَكُلِّ أَجرَدَ نَهدِ[3]
شِيَمٌ يا بَني ٱلمُظَفَّرِ بِيضٌ لَكُمُ في زَمانِنا ٱلمُسوَدِّ
وَأَيادٍ أَجهَدتُ في عَدِّها نَفسِي فَلَمْ أُفنِها وَأَفنَيتُ جَهدي
يا مُعيني وَٱلدَّهرُ يَخطِمُ عُودي بَينَ هَزلٍ مِنَ ٱلخُطُوبِ وَجِدِّ
كانَ خَصمي فَمُذْ لَجَأتُ إلى بابِكَ أَضحَتْ أَيّامُهُ وَهيَ جُندي
قَدْ أَطَلَّتْ بَشائِرُ ٱلحَمدِ في أَكرَمِ زَوْرٍ[4] مِنهُ وَأَشرَفِ وَفدِ
حَظُّهُ مِنكَ حَظُّنا مِنهُ فَٱلبَسهُ وَعَيِّدْ فيهِ بِطائِرِ سَعدِ

(١) لبن (٢) الاغلب الاسد والورد الجريء او الاسد (٣) نهد لعدوه ، ر والطليق ذو الحدة والاجرد السبّاق والنهد الجسيم الجميل (٤) زائر

وقال يهنئه بمولود ولد له

قُمْ بَينَ أَكْسارِ ٱلْبُيُوتِ وَنادِ قَدْ طَرَّقَتْ أُمُّ ٱلنَّدى بِجَوادِ (١)
نَشَأَتْ لِإِسْداءِ ٱلْمَكارِمِ مُزْنَةٌ يَغْنى ٱلْفَقِيرُ بِها وَيَرْوى ٱلصَّادي
بَكَتِ ٱلْعِشارُ فِصالَها (٢) وَتَبَسَّمَتْ لِقُدُومِهِ ٱلْأَسْيافُ فِي ٱلْأَغْمادِ
فَٱسْعَدْ عِمادَ ٱلدِّينِ مُغْتَبِطاً بِمَيْـمُونِ ٱلْقُدُومِ مُبارَكِ ٱلْمِيلادِ
فَكَأَنَّهُ قَدْ مَدَّ عَنْ كَثَبٍ إِلى ٱلْـ عَلْياءِ كَفَّ مُدَرَّبٍ مُعْتادِ
وَغَدا أَمامَ ٱلْجَيْشِ لَيْثَ كَتِيبَةٍ يَخْتالُ فِي غابِ ٱلْقَنا ٱلْمُنْآدِ (٣)
مُتَسَرْبِلاً كَأَبِيهِ ثَوْبَيْ نَجْدَةٍ وَسَماحَةٍ يَوْمَيْ نَدًى وَجِلادِ
مُتَقَيِّلاً (٤) فِي جُودِهِ وَإِبائِهِ أَخْلاقَ آباءٍ لَهُ أَجْوادِ
جارٍ عَلى أَعْراقِهِمْ يَنْمِي إِلى شِيَمٍ لَهُمْ فِي ٱلْمَكْرُماتِ وَعادِ (٥)
حَتَّى تَرى فِيهِ نَجِيباً ما رَأَتْ آباؤُكَ ٱلْكُرَماءُ فِي ٱلْأَوْلادِ

وقال يهنئ عضد الدين بعيد الفطر

يا ٱبْنَ ٱلْمُظَفَّرِ أَنْتَ أَنْشَرْتَ (٦) ٱلنَّدى
مِنْ بَعْدِ ما ٱنْقَرَضَ ٱلْكِرامُ وَبادُوا
مَنْ كانَ مَفْخَرُهُ بِمَجْدٍ تالِدٍ فَٱفْخَرْ فَمَجْدُكَ طارِفٌ وَتِلادُ

---

(١) اكسار جمع كسر وهو السقف السفلى من الخباء (٢) العشار جمع العشراء وهي من النوق كالنفساء من النساء . والفصال جمع الفصيل وهو ولد الناقة
(٣) الكتيبة جماعة الخيل اذا اغارت من المئة الى الالف والمنآد المنعطف
(٤) مشبها (٥) اعراقهم اصولهم والعاد جمع عادة (٦) احييت

غنيَتْ عَن ٱلأنْواء أَرْضُ أصبحتْ
بِنَدى أبي ٱلفَرَجِ ٱلجوادِ تُجادُ

يَقْظانُ في طَلَبِ ٱلمحامِدِ ساهِرٌ لا يَطْمَئِنُّ بِمُقْلَتَيْهِ رُقادُ

يَلْقى ٱلعِدى وٱلبِشْرُ يَقْطُرُ ماؤُهُ فَيُعيدُ نارَ ٱلضِّغْنِ وَهْيَ رَمادُ

ماضي ٱلشَّبا[1] تَلْقى ٱلنُّفوسُ حِمامَها
ما فارَقَتْ أَسْيافَهُ ٱلأَغْمادُ

تَسْمو بِهِ نَفْسٌ لَهُ مَطْبُوعَةٌ كَرَماً وَآباءٌ لَهُ أَجْوادُ

لَمْ يَكْفِهِ ما وَرَّثوهُ عَنِ ٱلْعُلى شَرَفاً فَشادَ بِنَفْسِهِ ما شادوا

فَٱلْبَسْ لِعيدِ ٱلفِطْرِ حُلَّةَ سُؤْدُدٍ هِيَ لِلنَّواظِرِ وٱلقُلوبِ سَوادُ[2]

وقال صرّدر يمدح ابن فضلان ويهنئه بخلاصه من السجن

إنَّ ٱلشَّدائِدَ مُذْ عُنينَ بِهِ فارَقْنَ جُلْموداً مِنَ ٱلصَّخْرِ
حَمَلَ ٱلنَّوائِبَ فَوْقَ عاتِقِهِ حَتّى رَجَعْنَ إِلَيْهِ بِٱلْعُذْرِ
لا تُنْكِروا حَبْساً أَلَمَّ بِهِ إِنَّ ٱلحِسانَ تُصانُ بِٱلخِدْرِ
أَوَلَيْسَ يوسُفُ بَعْدَ مِحْنَتِهِ نَقَلوهُ مِن سِجْنٍ إِلى قَصْرِ
أَنا مَنْ يُغالي في مَحَبَّتِهِ وَوَلائِهِ في ٱلسِّرِّ وَٱلجَهْرِ
ما ذاقَ طَعْمَ ٱلنَّوْمِ ناظِرُهُ حَتّى ٱلبَشيرُ أَتاهُ بِٱلبُشْرِ[3]

---

(١) الشبا جمع شباة وهي الحدّ (٢) السواد من القلب حبته ومن العين حدقتها (٣) الخبر الجيد

وقال يهنئ الوزير عميد الدولة بعوده من خراسان
وقد صاهر نظام الملك

بَلَغْتَ عَمِيدَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْغَايَةَ ٱلَّتي
رَكائِبُ أَبْنَاءِ ٱلْمُنى دُونَهَا حَسْرَى
وَمَا زِلْتَ تَعْلُو ٱلْمَجْدَ حَتّى جَعَلْتَهُ
عَلَيْكَ حَبِيساً لا يُباعُ وَلا يُشْرَى
تُوالِيكَ حَبَّاتُ ٱلْقُلُوبِ كَأَنَّما
خُلِقْتَ سُرُوراً في ٱلضَّمائِرِ أَوْ سِرّا
فَإِنْ كانَ لِلنَّفْسِ ٱلطَّرُوبِ تَنَسُّمٌ
فَأَجْدِرْ بِأَنْ تَهْوى خَلائِقَكَ ٱلزُّهْرا
تَساوَتْ يَداكُمْ بَسْطَةً وَسَماحَةً
فَلَمْ تَفْخَرِ ٱلْيُمْنى بِفَضْلٍ عَلى ٱلْيُسْرى
وَمُعْتَرَكٍ لِلْقَوْمِ مَزَّقْتَ جَمْعَهُ
بِحَدِّ لِسانٍ يُحْسِنُ ٱلْكَرَّ وَٱلنَّشْرا
وَفَحْشاءَ أَدَّتْها إِلَيْكَ جَهالَةٌ
جَعَلْتَ رِتاجَ ٱلْحِلْمِ مِنْ دُونِها سِتْرا
رَأَيْتُكَ طَوْداً لِلْخَلِيفَةِ شامِخاً
وَسَيْفاً عَلى شانِيهِ يَنْتَدِبُ ...

وَحاوَرْتَهُ[1] حَتَّى شَغَفْتَ فُؤادَهُ
أَلا رُبَّما كانَ ٱلْبَيانُ هُوَ ٱلسِّحْرا

رَأَى فيكَ ما يَهْواهُ مَجْداً وَسُؤْدُداً
فَما كُنْتَ إِلَّا في مَجالِسِهِ صَدْرا

مَلِيكٌ حَمَى ٱلرَّحْمٰنُ بَيْضَةَ مُلْكِهِ
فَما في ٱلْوَرَى مَنْ يَسْتَطِيعُ لَها كَسْرا

هُمامٌ إِذا ما هَزَّ في ٱلْخَطْبِ رَأْيَهُ
فَما عَجَبٌ أَنْ يُخْجِلَ ٱلْبِيضَ وَٱلسُّمْرا

لَئِنْ كُنْتَ أَنْتَ ٱلْمُشْتَري في سَمائِهِ
عُلُوّاً فَقَدْ قارَنْتَ في أُفْقِهِ ٱلشِّعْرَى[2]

فَأَصْبَحْتُما كَٱلْفَرْقَدَيْنِ تَناسُباً
فَأَكْرِمْ بِذا حَمْواً وَأَكْرِمْ بِذا صِهْرا

وَأُبْتَ كَما آبَ ٱلرَّبِيعُ إِلى ٱلثَّرى
يَخِيطُ عَلى أَعْطافِها حُلَلاً خُضْرا

وَلِلّهِ فينا نِعْمَةٌ إِثْرَ نِعْمَةٍ
وَعَوْدُكَ مَحْرُوساً هُوَ ٱلنِّعْمَةُ ٱلْكُبْرى

فَلا كانَ يَوْمٌ لَسْتَ في صَدْرِهِ ضُحىً
وَلا كانَ لَيْلٌ لَسْتَ في عَجْزِهِ فَجْرا

---

(١) خاطبته وراجعته في الكلام (٢) المشتري نجم من السيارات في الفلك السادس والشعرى الكوكب الذي يطلع في الجوزاء وطلوعه في شدة الحر

وقال يهنئ الوزير ابن جهير بعوده الى الوزارة بعد ان عزل عنها

قَدْ رَجَعَ ٱلْحَقُّ إلى نِصابِهِ وَأَنتَ مِن كُلِّ ٱلْورى أَوْلى بِهِ
ما كُنْتَ إلَّا ٱلسَّيْفَ سَلَّتْهُ يَدٌ ثُمَّ أَعادَتْــهُ إلى قِرابِــه
مِثْلُكَ مَحْسُودٌ وَلٰكِنْ مُعْجِزٌ أَنْ يُدْرِكَ ٱلْبارِقُ مِنْ سَحابِه
أَكْرِمْ بِها وِزارَةً ما سَلَّمتْ ما ٱسْتُودِعَتْ إلَّا إلى أَرْبابِهِ
مَشُوقَةٌ إلَيْكَ مُــذْ فارَقْتَها شَوْقَ أَخي ٱلشَّيْبِ إلى شَبابِهِ
حاوَلَها قَوْمٌ وَمَن هٰذا ٱلَّذي يُخْرِجُ لَيْثاً خادِراً مِن غابِهِ
تَيَقَّنُوا لَمَّا رَأَوْها صَعْبَــةً أَنْ لَيْسَ لِلْجَوْ سِوى عُقابِهِ
إنَّ ٱلْهِلالَ يُرْتَجى طُلُوعُهُ بَعْدَ ٱلسِّرارِ[1] لَيْلَةَ ٱحْتِجابِهِ
وَٱلشَّمْسُ لا يُؤْيَسُ مِن طُلُوعِها وَإنْ طَواها ٱللَّيْلُ في جِلْبابِهِ
مَن يَعْشَقِ ٱلْعَلْياءَ يَلْقَ عِنْدَها ما لَقِيَ ٱلْمُحِبُّ مِن أَحْبابِهِ
ما لُؤْلُؤُ ٱلْبَحْرِ ولا مَرْجانُهُ إلَّا وَراءَ ٱلْهَوْلِ مِن عُبابِهِ

وقال الشريف الرضي يهنئ خاله ابا الحسين بن الناصر بمولود

هُوَ ٱلذَّكَرُ ٱلْمُرَشَّحُ لِلْمَعالي وَلِلْبِيضِ ٱلْقَواضِبِ وَٱللِّدانِ[2]
سَتَنْظُرُهُ إذا ٱتَّسَعَتْ سِنُوهُ وَأَخْرَجَهُ زَمانٌ عَن زَمانِ
رَبِيباً لِلصَّوارِمِ وَٱلْعَوالي وَتِرْباً لِلْمَفاوِزِ وَٱلرِّعانِ[3]

(١) السرار آخر ليلة من الشهر (٢) اللدان جمع اللدن وهو من الرماح اللين (٣) جمع الرعن وهو الجبل الطويل والترب من ولد معك وتربى

طَلِيقَ ٱلْكَفِّ فِي يَوْمِ ٱلْعَطَايَا   جَرِيءَ ٱلرُّمْحِ فِي يَوْمِ ٱلطِّعَانِ
يَنَالُ ٱلْمَجْدَ مِنْ عُتُقِ ٱلْمَذَاكِي (١)   وَيَجْنِي ٱلْعِزَّ مِنْ طَرَفِ ٱلسِّنَانِ
يُرَبَّى بَيْنَ أَحْشَاءِ ٱلْمَعَالِي   وَيُودَعُ بَيْنَ أَجْفَانِ ٱلْأَمَانِي

وقال ايضاً يهنئ بعض اصدقائه بمولود

لِيَهْنِكَ يَا ٱبْنَ ٱلْأَكْرَمِينَ ٱبْنُ حُرَّةٍ
تَمَزَّقَ عَنْهُ ٱلنَّحْسُ عَنْ غُرَّةِ ٱلسَّعْدِ
فَرَبِّ لَهُ خَيْلَ ٱلْوَغَى فَلِمِثْلِهِ
تُرَبِّي ٱللَّيَالِي كَاهِلَ ٱلْفَرَسِ ٱلنَّهْدِ (٢)
كَأَنِّي بِهِ جَارٍ عَلَى حُكْمِ سَيْفِهِ
يُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَبِيتَ عَلَى حِقْدِ
إِلَى جَدِّهِ تُنْمَى شَمَائِلُ مَجْدِهِ
وَهَلْ تَرْجِعُ ٱلْأَشْبَالُ إِلَّا إِلَى ٱلْأُسْدِ
فَلَوْ قِيلَ يَوْماً أَيْنَ صَفْوَةُ يَعْرُبٍ
رَأَيْتَ ٱلْعُلَى تُومِي إِلَى ذٰلِكَ ٱلْمَهْدِ

وقال السريّ الرفاء يهنئ الامير حمدان بن ناصر الدولة بالبرء من علةٍ نالته

مَلِكٌ إِلَى أَفْعَالِهِ   تُنْمَى ٱلْمَنَاقِبُ وَٱلْمَفَاخِرْ

(١) العتق جمع العاتق وهو الكريم من الخيل او المتقدم . والمذاكي من الخيل التي تمّ سنها وكملت قوتها (٢) النهد الفرس الحسن الجسيم

وَتَغايَرَتْ فِيـهِ ٱلْعُلى حَتّى حَسِبْناها ضَرائِرْ
ذُخْرَ ٱلثَّنـاءِ وَفَرَّقَتْ يُمْناهُ مُجْتَمَعَ ٱلذَّخائِرْ
مُتَقَيِّلاً[١] شَرَفَ ٱلأَرا قِمِ كابِراً مِنْهُمْ فَكابِرْ
أَقْمـارُ مَجْـدٍ تَنْجَلي بِضِيائِها ظُلَمُ ٱلدَّياجِرْ
وَجِبـالُ أَحْلامٍ تُقِلُّـهُمُ ٱلأَسِرَّةُ وَٱلْمَنابِرْ
آسادُ كُلِّ كَرِيهَـةٍ فَتَكَتْ بِآسادٍ خَوادِرْ[٢]
كَمْ حاوَلُوا كَسْرَ ٱلْعَدُ وِّ بِصَوْلَةِ ٱلأُسْدِ ٱلْقَساوِرْ
وَغَدَوْا وَطِيبُ ثَنـائِهِمْ يُنْبِيكَ عَنْ طِيبِ ٱلْعَناصِرْ
يا ناصِرَ ٱلْـكَرَمِ ٱلَّذي لَوْلاهُ كانَ بِغَيْرِ ناصِرْ
مَنْ كانَ مِثْلَكَ لَمْ تَنَلْ مِعْشارَ سُؤْدُدِهِ ٱلْعَشائِرْ
شِيَمٌ إِذا ما شِمْتَهـا أَغْنَتْ عَنِ ٱلدِّيَمِ ٱلْهَوامِرْ
يَهْنِي ٱلْمَكارِمَ أَنَّهـا أَمِنَتْ بِبُرْئِكَ ما تُحاذِرْ
مِنْ بَعْدِ ما أَنْحَتْ عَلَيْـكَ نَوائِبٌ خُزْرُ ٱلنَّواظِرْ[٣]
فَٱهْتَزَّ جِسْمُكَ مِثْلَما يَهْتَزُّ ماضي ٱلْحَـدِّ باتِرْ
لا زالَ لُطْفُ ٱللهِ يَدْ رَأُ عَنْكَ مَكْرُوهَ ٱلدَّوائِرْ

---

(١) متشبهاً (٢) مقيمة في خدرها اي أَجمتها (٣) العيون الخزر الحول او الضيقة

وقال ابن الرومي يهنئ عُبيد الله بن عبد الله بالمهرجان

أَيُّهذا ٱلأَمِيرُ أَسعدَكَ ٱللّٰهُ وأَبقاكَ ما جرى ٱلعصرانِ
إنَّ عِيداً تكونُ حلياً عليهِ بِكَ عن كُلِّ ما سِواهُ لَغانِ
يا ٱبنَ سيفِ ٱلمُلوكِ طابَ لكَ ٱلعيشُ بِرغمِ ٱلعدوِّ ذي ٱلشَّنآنِ (١)
إنْ تُثِبْ جِسمَكَ ٱلنعيمَ فَبِٱلأتعابِ في حالِ راحةِ ٱلأبدانِ
وبِحَملِ ٱلثِّقلِ (٢) ٱلثَّقيلِ عليهِ يومَ غُرمٍ ويومَ حَربٍ عوانِ
أَوْ تُثِبْ عينَكَ ٱلإجالةَ في نُزْ هَةِ وَجهٍ يَروقُ أو بُستانِ
فَبِإغضائِها مِنَ ٱلسوءِ وٱلفحشاءِ وٱلذَّنبِ حِينَ يَجنيهِ جانِ
ومُراعاتِها حِمَى ٱلدِّينِ وٱلمُلكِ إذا طابَ مَرقدُ ٱلوَسْنانِ
وبِما لا تَزالُ تَقذى إلى أنْ تَتَجلّى خَصاصةُ (٣) ٱلإخوانِ
أَوْ تُثِبْ أُذنَكَ ٱلسَّماعَ فأدنى حقِّ إصغائِها إلى ٱللَّهفانِ (٤)
ولَشِعرٌ فيهِ مَديحُكَ أَحرى مِن رَقيقِ ٱلنَّسيبِ في ٱلألحانِ
أصبحَ ٱلشِّعرُ شاكِراً لكَ دونَ ٱلنّاسِ نُعماءَ مُنعِمٍ مِحسانِ
أنتَ تَرعاهُ وَهوَ يَرعى بِكَ ٱلمَجدَ فَيا نِعمَ ما رَعى ٱلرّاعِيانِ
أنتَ كَهلُ ٱلكُهولِ يومَ تَرى ٱلرَّأْيَ ويومَ ٱلوَغى مِنَ ٱلفِتيانِ
قُلْ لِمَنْ رامَ شأوَهُ في ٱلمَعالي لَستَ من خَيلِ ذٰلِكَ ٱلمَيدانِ

(١) البغض (٢) الحمل الثقيل (٣) الخصاصة ضيق الحال (٤) المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر

لَيسَ بِالْخاشِعِ الضَّئيلِ وَلٰكِن قَدَّهُ اللّهُ قَدَّ سَيفٍ يَمانِ
صَفحَتاهُ عَقيقَتانِ مِنَ البَر قِ وَفي مَضرَبَيهِ[1] صاعِقَتانِ
وَإِذا زاوَلَ الأُمورَ فَثَبْتٌ رابِطُ الجَأْشِ أَيِّدُ[2] الأَركانِ

وقال البحتري يهنئ جعفر المتوكل بالخلافة

إِنَّ الخِلافَةَ لَمّا اهتَزَّ مِنبَرُها بِجَعفَرٍ أُعطِيَت أَقصى أَمانيها
ما ضَيَّعَ اللّهُ في بَدوٍ وَفي حَضَرٍ رَعِيَّةً أَنتَ بِالإِحسانِ راعيها
وَأُمَّةٌ كانَ قُبحُ الجَورِ يُسخِطُها
دَهراً فَأَصبَحَ حُسنُ العَدلِ يُرضيها
مازِلتَ بَحراً لِعافينا[3] فَكَيفَ وَقَد
قابَلتَنا وَلَكَ الدُنيا بِما فيها
أَعطاكَها اللّهُ عَن حَقٍّ رَآكَ لَهُ أَهلاً وَأَنتَ بِحَقِّ اللّهِ تُعطيها

وقال ايضاً مهنئاً يوسف بن محمد بالولاية

مَدَّت وِلايَةُ يوسُفَ بنِ مُحَمَّدٍ
سوراً عَلى ذاكَ الفَضاءِ البَلقَعِ[4]
أَمسى يُدَبِّرُها بِهَديِ أُسامَةٍ
وَبِكَيدِ بَهرامٍ وَنَجدَةِ تُبَّعِ[5]

---

(١) حديه (٢) قوي (٣) العافي كل طالب فضل او رزق (٤) القفر
(٥) الهدي السيرة والكيد المكر والحيلة . والنجدة الشجاعة

فَإذا هُمُ قَحِطُوا[١] فَأَعْشَبُ مَرْبَعٍ
وَإذا هُمُ فَزِعُوا فَأَقْرَبُ مَفْزَعِ
وَلتَهْنِكَ ٱلآنَ ٱلوِلايَةُ إِنَّها
طَلَبَتْكَ مِن بَلَدٍ بَعيدِ ٱلْمَنْزَعِ[٢]
لَمْ تُعْطِها أَمَلًا وَلَمْ تَشْغَلْ بِها
فِكْراً وَلَمْ تَسْأَلْ لَها عَن مَوْضِعِ
وَرَأَيْتَ نَفْسَكَ فَوْقَها وَهْيَ ٱلَّتي
فَوْقَ ٱلعَلِيِّ مِنَ ٱلرِّجالِ ٱلْأَرْفَعِ
وَصَلَتْكَ حِينَ هَجَرْتَها وَتَزَيَّنَتْ
لِأَغَرَّ وافي ٱلسَّاعِدَيْنِ سَمَيْذَعِ[٣]

وقال ايضاً مهنئاً الفتح بن خاقان بالبرء من علته

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلى أَهْلِ ٱلنَّوافِلِ وَٱلْفُضُولِ
وَكَيْفَ تَرُومُ لِلشَّرَفِ ٱلْمُعَلَّى وَتَخْطُو صاحِبَ ٱلقَدْرِ ٱلضَّئِيلِ
وَما تَنْفَكُّ أَحداثُ ٱللَّيالي تَمِيلُ عَلى ٱلنَّباهَةِ لِلْخُمُولِ
كَفاكَ ٱللهُ ما تَخْشَى وَغَطَّى عَلَيْكَ بِظِلِّ نِعْمَتِكَ ٱلظَّلِيلِ
فَلَمْ أَرَ مِثْلَ عِلَّتِكَ ٱسْتَفاضَتْ بِإِعْلانِ ٱلصَّبابَةِ وَٱلْعَوِيلِ
وَقَدْ كانَ ٱلصَّحِيحُ أَشَدَّ شَكْوى غَداتَئِذٍ مِنَ ٱلدَّنِفِ ٱلْعَلِيلِ

---

(١) اجدبوا (٢) المسافة (٣) السميذع السيد الكريم الشريف

مُحاذَرَةً عَلى ٱلْفَضْلِ ٱلْمُرَجى وَإِشْفاقاً عَلى ٱلْمَجْدِ ٱلْأَثِيلِ
لِيَهْنِ ٱلْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ ثَغْرٍ سَلامَةُ رَأْيِكَ ٱلثَّبْتِ ٱلْأَصِيلِ
وَصِحَّتُكَ ٱلَّتي قامَتْ لَدَيْهِمْ مَقامَ ٱلْفَوْزِ بِٱلْعُمْرِ ٱلطَّوِيلِ

وقال احمد شوقي يهنئ الاتراك بالبلاد التي استرجعوها
من اليونان بعد الحرب الكبرى

قُمْ نادِ أَنْقَرَةً وَقُلْ يَهْنِيكِ مُلْكٌ بَنَيْتِ عَلى سُيُوفِ بَنِيكِ
أَعْطَيْتِهِ ذَوْدَ ٱللَّباةِ عَنِ ٱلشَّرى فَأَخذْتِهِ حُرًّا بِغَيْرِ شَرِيكِ[1]
وَأَقَمْتِ بِٱلدَّمِ جانِبَيْهِ وَلَمْ تَزَلْ تُبْنى ٱلْمَمالِكُ بِٱلدَّمِ ٱلْمَسْفُوكِ
فَعَقَدْتِ تاجَكِ مِنْ ظُبًى مَسْلُولَةٍ وَحَلَلْتِ عَرْشَكِ مِنْ قَناً مَشْبُوكِ
تاجٌ تَرى فِيهِ إِذا قَلَّبْتَهُ جَهْدَ ٱلشَّرِيفِ وَهِمَّةَ ٱلصُّعْلُوكِ
خَرَزاتُهُ دَمُ أُمَّةٍ مَهْضُومَةٍ وَجُهُودُ شَعْبٍ مُجْهَدٍ مَنْهُوكِ
نَحَتَ ٱلشُّعُوبُ مِنَ ٱلْجِبالِ دِيارَهُمْ
وَٱلْقَوْمُ مِنْ أَخْلاقِهِمْ نَحَتُوكِ
لَمْ يُنْقِذِ ٱلْإِسْلامَ أَوْ يَرْفَعْ لَهُ رَأْساً سِوى ٱلنَّفَرِ ٱلْأُولى رَفَعُوكِ
مِنِّي لِعَهْدِكِ يا فَرُوقُ[2] تَحِيَّةٌ كَعُيُونِ مائِكِ أَوْ رُبى وادِيكِ
أَوْ كَٱلْأَصِيلِ جَرى عَلَيْكِ عَقِيقُهُ أَوْ سالَ مِنْ عِقْيانِهِ شاطِيكِ

---

(١) الذود الدفاع واللباة انثى الاسد والشرى مأسدة يضرب بها المثل
(٢) لقب الاستانة

تِلْكَ ٱلْخَمائِلُ وَٱلْعُيونُ ٱخْتارَها لَكِ مِن رُبى جَنّاتِهِ بارِيكِ
تَٱللهِ ما فَتَنَ ٱلْعُيونَ وَلَذَّهـا كَقَلائِدِ ٱلْخُلْجانِ في هادِيكِ[1]
عَن جِيدِكِ ٱلْخالي تَفَتَّقَتِ ٱلرُّبى وَٱسْتَضْحَكَتْ حُورُ ٱلْجِنانِ بِفيكِ
ما أَنسَ لا أَنسَ ٱلشَّبيبَةَ وَٱلْهَوى
وَسَوالِفَ ٱللَّذّاتِ في نادِيكِ
وَلَيالِياً لَمْ نَدرِ أَيْنَ عِشاؤُها مِن فَجْرِها لَوْلا صِياحُ ٱلدِّيكِ
لَوْ أَنَّ سُلْطانَ ٱلْجَمالِ مُخَلَّدٌ لِمَليحَةٍ لَعَذَلْتُ مَن عَزَلوكِ[2]
خَلَعوكِ مِن سُلْطانِهِمْ فَسَلِيهِمِ أَمِنَ ٱلْقُلوبِ وَمُلْكِها خَلَعوكِ
لا يُحْزِنَنَّكِ مِن حُماتِكِ خُطَّةٌ كانَتْ هِيَ ٱلْمُثْلى وَإِنْ ساؤُوكِ
أَيُقالُ فِتْيانُ ٱلْحِمى بِكِ قَصَّروا
أَوْ ضَيَّعوا ٱلْحُرُماتِ أَوْ خانُوكِ
وَهُمُ ٱلْخِفافُ[3] إِلَيْكِ كَٱلْأَنصارِ إِذْ
قَلَّ ٱلنَّصيرُ وَعَزَّ مَن يَفْدِيكِ
إِنّي أَرى ٱلشّورَى ٱلَّتي ٱعْتَصَموا بِها
هِيَ حَبْلُ رَبِّكِ أَوْ زِمامُ نَبِيكِ

---

(١) الخلجان جمع الخليج وهو النهر والهادي العنق (٢) عذله لامه وعزله نحاه عنـه جانباً ويريد الشاعر بذلك انهم تركوا الاستانة واقاموا في انقرة
(٣) جمع الخفيف وهو السريع

وقال الخوري بطرس البستاني يهنئ البطريرك الياس الحويك
بيوبيليهِ الفضي والذهبي سنة ١٩٢٤

أَبصَرَ ٱلشَّرقُ مُنذُ كُنتَ فَتِيًّا كَوكَبَ ٱلْمَجدِ في سَماكَ بَهِيًّا
وَرَأَى ٱلسَّعدَ مِن حَوالَيكَ سُوراً وَرَأَى ٱلرُّشدَ في نُهاكَ جَلِيًّا
وَتَهادى بِما خَلَعتَ عَلَيهِ وَجَنى ٱليُمنَ مِن يَدَيكَ شَهِيًّا
وَتَراءَتْ لَهُ ٱلنُّجومُ ٱلدَّراري حاسِداتٍ يُوبِيلَكَ ٱلفِضِّيّا
أَينَما سِرتَ سارَ حَولَكَ جَيشٌ مِن قُلوبٍ تَفدي ٱلزَّعيمَ ٱلأَبِيّا
قَد مَلَأتَ ٱلتَّاريخَ مَجداً وَنُبلًا وَمَلَأتَ ٱلزَّمانَ عَرفاً ذَكِيّا
وَتَسامَيتَ في ٱلفَضائِلِ حَتَّى خالَكَ ٱلنَّاسُ في ٱلبِلادِ نَبِيّا
وَلَقَد نِلتَ في زَمانِكَ عِزًّا لَم يَنَلْ سَيِّدٌ مَداهُ ٱلقَصِيّا
حِقَبٌ قَد طَوَيتَها في ٱلمَعالي تَزرَعُ ٱلبِرَّ في ٱلصُّدورِ نَقِيّا
أَيُّ يَومٍ ما زِنتَهُ بِمَساعٍ خالِداتٍ تَجلو ٱلوَبا ٱلعَصرِيّا
فَأَخو ٱليَأسِ وَٱلمُلِمَّاتُ أَدمَتْ مُقلَتَيهِ سَقَيتَهُ كَوثَرِيّا
وَٱلضَّلولُ ٱلغَوِيُّ كُنتَ مَناراً لِنُهاهُ فَسارَ سَيراً سَوِيّا
وَخَدَمتَ ٱلبِلادَ في كُلِّ عَهدٍ بِوَفاءٍ وَما أَعَزَّ ٱلوَفِيّا
وَتَناهَيتَ في ٱلحَنانِ عَلى مَن جَعَلَتْهُ يَدُ ٱلشَّقاءِ شَقِيّا
كَم رَآكَ ٱللَّطيمُ تَحنو عَلَيهِ بِٱنعِطافٍ يُحيي ٱلفُؤادَ ٱلشَّجِيّا
كَم رَآكَ ٱلفَقيرُ تُسبِلُ دَمعاً طالَما كانَ في ٱلدَّواهي عَصِيّا

عَرَفَتْكَ ٱلنُّفُوسُ أَمْهَرَ آسٍ[١] يَحْسِمُ ٱلدَّاءَ بَيِّناً وَخَفِيًّا
وَرَأَتْكَ ٱلْبِلادُ فِي كُلِّ خَطْبٍ بَطَلًا يَصْرَعُ ٱلْخُطُوبَ كَمِيًّا
كَمْ حَرَمْتَ ٱلْجُفُونَ نَوْماً هَنِيًّا لِيَعِيشَ ٱلْبَنُونَ عَيْشاً رَخِيًّا[٢]
وَتَهَالَكْتَ فِي مَصَالِحِ شَعْبٍ لَمْ يَزَلْ لِلْعَلِيِّ شَعْباً صَفِيًّا
مُذْ تَوَلَّيْتَ شَأْنَهُ عَزَّ شَأْناً وَغَدَا بِٱلصَّلاحِ شَعْباً غَنِيًّا
يَتَغَذَّى بِنُصْحِ شَيْخٍ حَكِيمٍ عَرَفَ ٱلنَّاسُ قَلْبَهُ ٱلْمَلَكِيَّا
وَهْوَ يَرْوَى[٣] مِمَّا تُفِيضُ عَلَيْهِ مِن حَدِيثٍ يَخَالُهُ نَبَوِيًّا
حَنَّكَتْكَ ٱلْأَيَّامُ حَتَّى رَأَيْنَا مِنْكَ رَأْياً فِي ٱلْمُعْضِلاتِ وَضِيًّا
إِنَّمَا ٱلْحِكْمَةُ ٱلْبَلِيغَةُ تَنْمُو فِي فُؤَادٍ لِلّٰهِ يَحْيَا وَلِيًّا
أَيُّهَا ٱلسَّيِّدُ ٱلْخَطِيرُ هَنِيئاً نِلْتَ قِسْطاً[٤] مِنَ ٱلثَّوابِ وَفِيًّا
لَمْ يَنُؤْ ظَهْرُكَ ٱلضَّلِيعُ بِعِبْءٍ[٥] وَضَعَتْهُ ٱلْعُلَى عَلَيْكَ قَوِيًّا
أَنْتَ أَمْضَى مِنْ أَنْ تَكِلَّ وَمَا كُنْتَ بَعِيدَ ٱلْجِهَادِ إِلَّا فَتِيًّا
وَكَذَا ٱلنَّسْرُ كُلَّمَا شَاخَ أَحْيَا فِيهِ عَزْماً بِهِ يَعِيشُ عَتِيًّا[٦]
فَلَقَدْ كُنْتَ فِي ٱلْعَظَائِمِ فَرْداً وَلَقَدْ عِشْتَ سَيِّداً عَبْقَرِيًّا
وَتَجَشَّمْتَ مُنْذُ عَهْدٍ قَرِيبٍ رِحْلَةً تُعْجِزُ ٱلْهُمَامَ ٱلسَّرِيَّا[٧]

---

(١) طبيب (٢) العيش الرخي الواسع (٣) يشرب ويشبع (٤) حصة ونصيباً (٥) الضليع القوي والعبء الحمل (٦) عتا الشيخ بلغ غاية الكبر وهو عتي (٧) السري ذو المروءة

فَٱمْتَطَيْتَ ٱلْخِضَمَّ حَتَّى عَرَفْنا كَيْفَ تُعْلِي مَقامَكَ ٱلْأَدَبِيَّا
كُلُّ مَنْ عَزَّزَ ٱلْبِلادَ وَأَحيا قَوْمَهُ كانَ بِٱلْخُلُودِ حَرِيَّا
إِنَّ لُبْنانَ وَهُوَ نَشْوانُ فَخْراً يَرْفَعُ ٱلْيَوْمَ فَرْضَهُ ٱلْبَنَوِيَّا
لِأَبِيهِ ٱلَّذِي تَفَرَّدَ حَزْماً وَتَناهى حِلْماً(١) وَعاشَ سَخِيَّا
سَيُباهِي بِكَ ٱلْعُصُورَ وَيَرْوِي لِبَنِيهِ عَفافَكَ ٱلْيُوسُفِيَّا
رُبْعُ قَرْنٍ خَلا وَأَنْتَ تُحَلِّي بِحِلى ٱلْمَجْدِ عَرْشَكَ ٱلْبَطْرَكِيَّا
كَيْفَ لا يُسْكِرُ ٱلْهَناءُ نُفُوساً رَأَتِ ٱلْيَوْمَ عِيدَكَ ٱلذَّهَبِيَّا
عِشْ مَدِيداً لِلدِّينِ تَحْمِي حِماهُ بِحُسامٍ وَرِثْتَ عَن إِيلِيَّا
إِنَّ عَيْنَ ٱلسَّماءِ تَرْعاكَ شَيْخاً ذا جَلالٍ كَما رَعَتْكَ صَبِيَّا
وَإِذا ٱلشَّرْقُ أَنْصَفَتْكَ بَنُوهُ جَعَلُوهُ عِيداً لَهُمْ وَطَنِيَّا

وقال بشاره الخوري صاحب جريدة البرق
يهنئ المطران بطرس شبلي باسقفيته

نَحْنُ شِئْنا وَٱلْبَطْرِيَرْكُ بِحَمْدِ ٱللّٰهِ قَدْ شاءَ مِثْلَما ٱللّٰهُ شاءَ
فَٱصْطَفَيْناكَ دُونَ كُلِّ حَبِيبٍ وَٱنْتَدَبْناكَ مُفْعَمِينَ رَجاءَ
وَعَقَدْنا عَلَيْكَ آمالَ قَوْمٍ نَتَمَنَّى أَنْ لا تَصِيرَ هَباءَ
مَرْكَزٌ أَنْتَ فِيهِ كَٱلرّاكِبِ ٱلْبَحْرِ وَقَدْ عارَكَ ٱلسَّفِينُ ٱلْماءَ
بَيْنَ قَوْمٍ غَنِيُّهُمْ صاحِبُ ٱلْقَوْلِ وَإِنْ كانَ لَيْسَ يَدْرِي ٱلْهِجاءَ

(١) بلغ النهاية في الحلم.

وَٱلأَديبُ ٱلَّذي إِذا قالَ قَوْلَا عاهَدَ ٱلنَّفْسَ لا يَقُولُ رِثاءَ
جَفَّلَتْهُ عَواصِفُ ٱلحِقْدِ كَيْداً وَتَناسى ذِكْرَ ٱلحِمَى مُتَناءِى
أَنْتَ في مِلَّةٍ يَعِزُّ عَلى ٱلنّا سِ فيها أَنْ لا تَرى زَهْراءَ
مِلَّةٌ مِثْلَما تُرى مِلَلُ ٱلشَّرْ قِ وَحالٌ تُبْكي ٱلعُيُونَ دِماءَ
مِلَّةٌ مَسَّها ٱلجُمُودُ إِلى أَنْ باتَ داءُ ٱلجُمُودِ داءً عَياءَ
مَرَضٌ أَعْجَزَ ٱلأُساةَ[1] قَديمٌ وَخُمُولٌ قَدْ حَيَّرَ ٱلعُقَلاءَ
فَإِذا تَمَّتِ ٱلأَماني فَحَمْداً وَإِذا لَمْ تَتِمَّ كُنْتَ بَراءَ[2]
أَيُّها ٱلسَّيِّدُ ٱلمُوَفَّقُ رِفْقاً بِٱلَّذي فيكَ خالَفَ ٱلشُّعَراءَ
نَظَمُوا ٱلشِّعْرَ يُؤْثِرُونَ ٱلثَّناءَ وَنَظَمْتُ ٱلحَقيقَةَ ٱلغَرّاءَ
زَمَنٌ عاشَتِ ٱلمُداجاةُ فيهِ كانَ لا كانَ نُقْطَةً سَوْداءَ
أَيُّ عَصْرٍ راجَتْ بِهِ سِلَعُ ٱلمَدْ حِ وَما كانَ أَهْلُهُ جُهَلاءَ
أَيُّ حُرٍّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ يَرْضى أَنْ يَكُونَ ٱبْتِسامُكَ ٱسْتِهْزاءَ
فَمِنَ ٱلضِّحْكِ ما يَكُونُ عِقابًا وَمِنَ ٱلضِّحْكِ ما يَكُونُ جَزاءَ
خَلَفَ ٱلدِّبْسِ وَهْوَ رَبُّ ٱلمَعالي وَهْوَ مَنْ قَدْ بَنى فَأَعْلى ٱلبِناءَ
سِرْ بِنا لِلْعُلى فَأَنْفُسُنا ظَمْـأَى إِلَيْها وَٱحْلُلْ بِنا ٱلجَوْزاءَ
وَأَفِدْنا مِنْ عِلْمِكَ ٱلجَمِّ عِلْماً وَمِنَ ٱلحَزْمِ هِمَّةً وَمَضاءَ

---

(١) الاطباء (٢) اي بريئاً

وَبِنا فَٱنفخِ ٱلْحَياةَ وَجدِّدْ   مِن قِوانا وَوَحِّدِ ٱلْآرَاءْ
وَٱنْتَدِبْنا تَجِدْ بِنا كُلَّ نَدْبٍ(١)   لِلَّذي تَبْتَغي يُباري ٱلْهَواءْ
فَلَنا مِن شَبابِكَ ٱلْغَضِّ نُورٌ   لِلأَماني يُمَزِّقُ ٱلظَّلْماءْ
فَإِذا ٱلدِّبْسُ جاءَ قَبْلَكَ شَيْئاً   هاتِ يا شِبْلُ بَعْدَهُ أَشْياءْ

وقال الشريف الرضي يهنئ الملك قوام الدين بابرئه من علته

لا زَعْزَعَتْكَ ٱلْخُطُوبُ يا جَبَلُ   وَبِٱلْعِدى حَلَّ لا بِكَ ٱلْعِلَلُ
لا طَرَقَ ٱلدَّاءُ مَن بِصِحَّتِهِ   يَصِحُّ مِنَّا ٱلرَّجاءُ وَٱلْأَمَلُ
لا عَجَبٌ أَنْ نَقيكُمُ حَذَراً   نَحْنُ جُفُونٌ وَأَنْتُمُ مُقَلُ

وقال ابو بكر بن شوذبه الفارسي يهنئ بعيد

أَنْعِمْ بِيَوْمِ ٱلْمِهْرَجانِ فَإِنَّهُ   يَوْمٌ أَتاكَ بِهِ ٱلزَّمانُ جَديدُ
إِنْ كانَ هٰذا ٱلْيَوْمُ عِيداً لِلْوَرى   فَبَقاءُ عُمْرِكَ كُلَّ يَوْمٍ عِيدُ

وقال ابن نباتة المصري يهنئ بعض الامراء بعيد النحر

تَهَنَّ بِعيدِ ٱلنَّحْرِ وَٱبْقَ مُمَتَّعاً   بِأَمْثالِهِ سامي ٱلْعُلى نافِذَ ٱلْأَمْرِ
نُقَلِّدُنا فيهِ قَلائِدَ أَنْعُمٍ   وَأَحْسَنُ ما تَبْدُو ٱلْقَلائِدُ في ٱلنَّحْرِ



(١) الندب الماضي النشيط الخفيف في الحاجة السريع الى الفضائل

الباب الخامس

في المراثي والتعازي



قال المتنبي يرثي والدة سيف الدولة

نُعِدُّ ٱلْمَشْرَفِيَّةَ وَٱلْعَوالي[1] وَتَقْتُلُنا ٱلْمَنونُ بِلا قِتالِ
نَصيبُكَ في حَياتِكَ مِن حَبيبٍ نَصيبُكَ في مَنامِكَ مِن خَيالِ
رَماني ٱلدَّهْرُ بِٱلْأَرْزاءِ حَتَّى فُؤادي في غِشاءٍ مِن نِبالِ
فَصِرْتُ إذا أَصابَتْني سِهامٌ تَكَسَّرَتِ ٱلنِّصالُ عَلى ٱلنِّصالِ
وَهانَ فَما أُبالي بِٱلرَّزايا لِأَنِّي ما ٱنْتَفَعْتُ بِأَنْ أُبالي
كَأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَمْ يَفْجَعْ بِنَفْسٍ وَلَمْ يَخْطُرْ لِمَخْلوقٍ بِبالِ
وَما أَحَدٌ يُخَلَّدُ في ٱلْبَرايا بَلِ ٱلدُّنْيا تَؤولُ إلى زَوالِ
أَطابَ ٱلنَّفْسَ أَنَّكِ مُتِّ مَوْتاً تَمَنَّتْهُ ٱلْبَواقي وَٱلْخَوالي
يَمُرُّ بِقَبْرِكِ ٱلْعافي فَيَبْكي وَيَشْغَلُهُ ٱلْبُكاءُ عَنِ ٱلسُّؤالِ
وَلَوْ كانَ ٱلنِّساءُ كَمَنْ فَقَدْنا لَفُضِّلَتِ ٱلنِّساءُ عَلى ٱلرِّجالِ

(١) المشرفية السيوف والعوالي جمع عالية وهي صدر الرمح والمراد الرماح انفسها

وَما ٱلتَّأْنِيثُ لِٱسْمِ ٱلشَّمْسِ عَيْبٌ وَلا ٱلتَّذْكِيرُ فَخْرٌ لِلْهِلالِ
وَأَفْجَعُ مَن فَقَدْنا مَن وَجَدْنا قُبَيْلَ ٱلْفَقْدِ مَفْقُودَ ٱلْمِثالِ
يُدَفِّنُ بَعْضُنَا بَعْضاً وَتَمْشِي أَواخِرُنا عَلى هامِ ٱلْأَوالِي[1]
أَسَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱسْتَنْجِدْ بِصَبْرٍ وَكَيْفَ بِمِثْلِ صَبْرِكَ لِلْجِبالِ
فَأَنْتَ تُعَلِّمُ ٱلنَّاسَ ٱلتَّعَزِّي
وَخَوْضَ ٱلْمَوْتِ فِي ٱلْحَرْبِ ٱلسِّجَالِ[2]
فَإِنْ تَفُقِ ٱلْأَنامَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ ٱلْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ ٱلْغَزالِ

وقال ابو تمّام يرثي محمد بن حميد الطوسي

كَذا فَلْيَجِلَّ ٱلْخَطْبُ وَلْيَفْدَحِ ٱلْأَمْرُ
وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَغِضْ ماؤُها عُذْرُ[3]
تُوُفِّيَتِ ٱلْآمالُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ ٱلسَّفَرِ ٱلسَّفْرُ[4]
وَما كانَ إِلَّا مالَ مَن قَلَّ مالُهُ وَذُخْراً لِمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ
وَما كانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جُودِ كَفِّهِ
إِذا ما ٱسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ ٱلْعُسْرُ[5]

---

(١) يعني الاوائل وهو مقلوب منه (٢) الحرب السجال التي تكون مرة لك ومرةً عليك (٣) فدحني الامر اثقلني . وغاض الماء قلّ ونقص وذهب في الارض (٤) السَّفر المسافرون (٥) اجتداه طلب جدواه اي عطاءه . واستهل السحاب اشتد انصبابه والعسر الفقر

فَتًى دَهْرُهُ شَطْرانِ فِيما يَنُوبُهُ
فَفي بَأْسِهِ شَطْرٌ وَفي جُودِهِ شَطْرُ
فَتًى ماتَ بَينَ ٱلطَّعْنِ وَٱلضَّرْبِ مِيتَةً
تَقُومُ مَقامَ ٱلنَّصْرِ إِنْ فاتَهُ ٱلنَّصْرُ
وَما ماتَ حَتَّى ماتَ مَضْرِبُ سَيْفِهِ(١)
مِنَ ٱلضَّرْبِ وَٱعْتَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلْقَنا ٱلسُّمْرُ
وَقَدْ كانَ فَوْتُ ٱلْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ
إِلَيْهِ ٱلْحِفاظُ ٱلْمُرُّ وَٱلْخُلُقُ ٱلْوَعْرُ(٢)
وَنَفْسٌ تَعافُ(٣) ٱلعارَ حَتَّى كَأَنَّما
هُوَ ٱلْكُفْرُ يَوْمَ ٱلرَّوْعِ أَوْ دُونَهُ ٱلْكُفْرُ
غَدا غُدْوَةً وَٱلْحَمْدُ نَسْجُ رِدائِهِ
فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفانُهُ ٱلْأَجْرُ
تَرَدَّى ثِيابَ ٱلْمَوْتِ حُمْراً فَما دَجا
لَها ٱللَّيْلُ إِلَّا وَهْيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
كَأَنَّ بَني نَبْهانَ يَوْمَ وَفاتِهِ
نُجُومُ سَماءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِها ٱلْبَدْرُ

---

(١) مضرب السيف حده (٢) الحفاظ الدفاع عن المحارم والوعر الصعب
(٣) تكره

يُعَزَّوْنَ عَن ثاوٍ تُعَزَّى بِهِ ٱلْعُلى
وَيَبْكِي عَلَيْهِ ٱلْبَأْسُ وَٱلْجُودُ وَٱلشِّعْرْ
وَأَنَّى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ مَضَى
إلى ٱلْمَوْتِ حَتَّى ٱسْتَشْهَدا هُوَ وَٱلصَّبْرْ
فَتًى كانَ عَذْبَ ٱلرُّوحِ لا مِن غَضاضَةٍ (١)
وَلٰكِنَّ كِبْراً أَنْ يُقالَ بِهِ كِبْرْ
أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ ٱلحادِثاتِ مُحَمَّداً
يَكُونُ لِأَثْوابِ ٱلنَّدى أَبداً نَشْرْ
إذا شَجَراتُ ٱلْعُرْفِ جُذَّتْ أُصولُها
فَفِي أَيِّ فَرْعٍ يُوجَدُ ٱلْوَرَقُ ٱلنَّضْرُ (٢)
لَئِنْ غَدَرَت في ٱلرَّوْعِ (٣) أَيَّامُهُ بِهِ
فَما زَالَتِ ٱلأَيَّامُ شِيمَتُها ٱلْغَدْرْ
كَذٰلِكَ ما نَنْفَكُّ نَفْقِدُ هالِكاً
يُشارِكُنا في فَقْدِهِ ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْرْ
مَضَى طاهِرَ ٱلأَثْوابِ لَمْ تَبْقَ رَوْضَةٌ
غَداةَ ثَوَى إلَّا ٱشْتَهَتْ أَنَّها قَبْرْ

---

(١) ذلة ونقص (٢) العرف المعروف وجذّ قطع (٣) الحرب

ثَوَى فِي ٱلثَّرَى مَن كَانَ يَحْيَا بِهِ ٱلثَّرَى
وَيَغْمُرُ صَرْفَ ٱلدَّهْرِ نَائِلُهُ ٱلْغَمْرُ (١)
عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللَّهِ وَقْفاً فَإِنَّنِي
رَأَيْتُ ٱلْكَرِيمَ ٱلْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمْرُ

وقال ايضاً يرثيه

ما أَنْتَ بِٱلْمَقْتُولِ صَبْراً إِنَّمَا ... أَمَلِي غَدَاةَ نَعِيِّكَ ٱلْمَقْتُولُ
مَن ذا يُحَدِّثُ بِٱلْبَقَاءِ ضَمِيرَهُ ... هَيْهَاتِ أَنْتَ عَلَى ٱلْفَنَاءِ دَلِيلُ
لَمْ يُودِ مِنْهُ وَاحِدٌ لٰكِنَّمَا ... أَوْدَى بِهِ مِن أَسْوَدَانٍ قَبِيلُ (٢)
هَيْهَاتِ لا يَأْتِي ٱلزَّمَانُ بِمِثْلِهِ ... إِنَّ ٱلزَّمَانَ بِمِثْلِهِ لَبَخِيلُ

وقال ابن عبد ربه يرثي ولده يحيى

وَاكَبِدَا قَدْ تَقَطَّعَتْ كَبِدِي ... وَحَرَّقَتْهَا لَوَاعِجُ ٱلْكَمَدِ
ما مَاتَ حَيٌّ لِمَيِّتٍ أَسَفاً ... أَعْذَرَ مِن وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ
يا رَحْمَةَ ٱللَّهِ جَاوِرِي جَدَثاً ... دَفَنْتُ فِيهِ حُشَاشَتِي بِيَدِي
وَنَوِّرِي ظُلْمَةَ ٱلْقُبُورِ عَلَى ... مَن لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدِ
مَن كَانَ خِلْواً مِن كُلِّ بَائِقَةٍ ... وَطَيِّبَ ٱلرُّوحِ طَاهِرَ ٱلْجَسَدِ
يا مَوْتَ يَحْيَى لَقَدْ ذَهَبْتَ بِهِ ... لَيْسَ بِزُمَّيْلَةٍ (٣) وَلَا نَكِدِ (٤)

---

(١) النائل الغمر العطاء الكثير (٢) أودى به الموت ذهب به. والقبيل الجماعة (٣) جبان وضعيف (٤) عسر صعب قليل الخير

يا مَوْتَهُ لَوْ أَقلتَ عَثْرَتَهُ — يا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكْتَهُ لِغَدِ
يا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعاجِلُهُ — لَكانَ لاشَكَّ بَيْضَةَ ٱلْبَلَدِ (١)
أَوْ كُنْتَ راخَيْتَ فِي ٱلْعِنانِ لَهُ — حازَ ٱلْعَلا وَٱحْتَوى عَلى ٱلْأَمَدِ
أَيَّ حُسامٍ سَلَبْتَ رَوْنَقَهُ — وَأَيَّ رُوحٍ سَلَلْتَ مِن جَسَدِ
وَأَيَّ ساقٍ قَطَعْتَ مِن قَدَمٍ — وَأَيَّ كَفٍّ أَزَلْتَ مِن عَضُدِ
يا قَمَراً أَجْحَفَ ٱلْخُسُوفُ بِهِ — قَبْلَ بُلُوغِ ٱلسَّواءِ (٢) فِي ٱلْعَدَدِ
أَيُّ حَشًى لَمْ يَذُبْ أَسَفاً — وَأَيُّ عَينٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجُدِ
لا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلا جَلَدٌ — فُجِعْتُ بِٱلصَّبْرِ فِيهِ وَٱلْجَلَدِ
لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَداً — لَحُقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِن كَمَدِي
يا لَوْعَةً لا يَزالُ لاعِجُها — يَقْدَحُ نارَ ٱلْأَسى عَلى كَبِدِي

ومن مرثاة لبهاء الدين زهير رثى بها فتح الدين عثمان بن حسام الدين
والي الاسكندرية

عَلَيْكَ سَلامُ ٱللهِ يا قَبْرَ عُثْمانِ — وَحَيَّاكَ عَنِّي كُلُّ رَوْحٍ (٣) وَرَيْحانِ
وَلا زالَ مُنْهَلًّا عَلى تُرْبِكَ ٱلْحَيا (٤) — يُغادِيكَ (٥) مِنْهُ كُلُّ أَوْطَفَ (٦) هَتَّانِ

---

(١) بيضة البلد الذي يجتمع اليه ويقبل قوله (٢) السواء الوسط بين الحدين والمنتصف . وليلة السواء ليلة اربع عشرة لاستواء القمر فيها (٣) الروح نسيم الريح (٤) المطر (٥) يباكرك (٦) اي كل سحاب اوطف وهو المسترخي لكثرة مائه

لَقَدْ خُنْتُهُ فِي ٱلْوُدِّ إِذْ عِشْتُ بَعْدَهُ
وَما كانَ فِي وُدِّ ٱلصَّدِيقِ بِخَوَّانِ
وَعَهْدِي بِصَبْرِي فِي ٱلْخُطُوبِ يُطِيعُنِي
فَمالِي أَراهُ ٱلْيَوْمَ أَظْهَرَ عِصْيانِي
فَيا ثاوِياً قَدْ طَيَّبَ ٱللهُ ذِكْرَهُ
فَأَضْحَى وَطِيبُ ٱلذِّكْرِ عُمْرٌ لَهُ ثانِ
وَجَدْتَ ٱلَّذِي أَسْلاكَ عَنِّي وَإِنَّنِي
وَحَقِّكَ ما حَدَّثْتُ نَفْسِي بِسُلْوانِ
فَدَيْتُ ٱلَّذِي فِي حُبِّهِ ٱتَّفَقَ ٱلْوَرَى
فَلَوْ سُئِلُوا لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ إِثْنانِ
لَقَدْ دَفَنَ ٱلْأَقْوامُ يَوْمَ وَفاتِهِ بَقِيَّةَ مَعْرُوفٍ وَخَيْرٍ وَإِحْسانِ
وَوارَوْهُ وَٱلذِّكْرَى تُمَثِّلُ شَخْصَهُ كَأَنَّهُمُ وارَوْهُ ما بَيْنَ أَجْفانِ
يُواجِهُنِي فِي كُلِّ وَقْتٍ خَيالُهُ كَما كُنْتُ أَلْقاهُ قَدِيماً وَيَلْقانِي
وَأَحْسَبُ لَوْ نادَيْتُهُ وَهْوَ مَيِّتٌ لَجاوَبَنِي تَحْتَ ٱلتُّرابِ وَلَبَّانِي
هَنِيئاً لَهُ قَدْ طابَ حَيّاً وَمَيِّتاً فَما كانَ مُحْتاجاً لِتَطْيِيبِ أَكْفانِ
صَدِيقِي ٱلَّذِي إِذْ ماتَ مَوَّتَ مُهْجَتِي
فَما لِيَ لا أَبْكِيهِ وَٱلرُّزْءُ رُزْءانِ
وَكانَ أَنِيسِي مُذْ بُلِيتُ بِغُرْبَةٍ وَكُنْتُ كَأَنِّي بَيْنَ أَهْلِي وَأَوْطانِي

وَقَدْ كانَ أَسْلاني عَنِ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمْ
وَلا أَحَدٌ عَنْهُ مِنَ ٱلنَّاسِ أَسْلاني
كَرِيمُ ٱلْمُحَيَّا باسِمٌ مُتَهَلِّلٌ مَتى جِئْتَهُ لَمْ تَلْقَهُ غَيْرَ جَذْلانِ
يَمُنُّ لِمَنْ يَرْجُوهُ مِنْ غَيْرِ مِنَّةٍ فَإِنْ قُلْتَ مَنَّانٌ فَقُلْ غَيْرَ مَنَّانِ
فَقَدْتُ حَبِيباً وَٱبْتُلِيتُ بِغُرْبَةٍ وَحَسْبُكَ مِن هٰذَيْنِ أَمْرانِ مُرَّانِ
وَما كُنْتُ عَنْهُ أَمْلِكُ ٱلصَّبْرَ ساعَةً فَما صارَ أَقْسانِي عَلَيْهِ وَأَقْصانِي
هُوَ ٱلْمَوْتُ ما فِيهِ وَفاءٌ لِصاحِبٍ وَهَيْهاتَ إِنْسانٌ يَمُوتُ لِإِنْسانِ
كَذٰلِكَ ما زالَ ٱلزَّمانُ وَأَهْلُهُ فَمِنْ قَبْلِنا كَمْ قَدْ تَفَرَّقَ إِلْفانِ
وَما ٱلنَّاسُ إِلَّا راحِلٌ بَعْدَ راحِلٍ
إِلى ٱلْعالَمِ ٱلْباقِي مِنَ ٱلْعالَمِ ٱلْفانِي

وكتب ابو فراس الحمداني الى سيف الدولة من الاسر
يعزيه باخته

هِيَ ٱلرَّزِيَّةُ إِنْ ضَنَّتْ بِما مَلَكَتْ
فِيها ٱلْجُفُونُ فَما تَسْخُو عَلى أَحَدِ
بِي بَعْضُ ما بِكَ مِنْ حُزْنٍ وَمِن جَزَعٍ
وَقَدْ لَجَأْتُ إِلى صَبْرٍ فَلَمْ أَجِدِ
أَبْكِي بِدَمْعٍ لَهُ مِنْ حَسْرَتِي مَدَدٌ وَأَسْتَرِيحُ إِلى صَبْرٍ بِلا مَدَدِ
وَأَمْنَعُ ٱلنَّوْمَ عَيْنِي أَنْ تَلَذَّ بِهِ عِلْماً بِأَنَّكَ مَوْقُوفٌ عَلى ٱلسَّهَدِ

يا مُفْرَداً باتَ يَبكِي لامُعينَ لَهُ   أَعانَكَ ٱللهُ بِٱلتَّسْلِيمِ وَٱلجَلَدِ
هُوَ ٱلأَسيرُ ٱلمُبَقَّى لافِداءَ لَهُ   يَفْديكَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلأَهلِينَ وَٱلوَلَدِ

وقال ايضاً يعزيه بها

هَيهاتَ ما في ٱلنَّاسِ مِن خالِدِ   لا بُدَّ مِن فَقْدٍ وَمِن فاقِدِ
كُن ٱلمعزَّى لا ٱلمُعَزَّى بِهِ   إنْ كانَ لا بُدَّ مِنَ ٱلواحِدِ

وقال يرثي ابا المرجى جابر بن ناصر الدولة

لَوْ كانَ يَخلُدُ بِٱلفَضائِلِ فاضِلٌ   وُصِلَتْ لَكَ ٱلآجالُ بِٱلآجالِ
أَوْ كُنتَ تُفدى لَافْتَدَتْكَ سَراتُنا   بِنَفائِسِ ٱلأَرْواحِ وَٱلأَموالِ
أَعزِزْ عَلى ساداتِ قَوْمِكَ أَنْ تُرى
فَوْقَ ٱلفِراشِ مُقلَّبَ ٱلأَوْصالِ
وَإِذا ٱلمَنِيَّةُ أَقبَلَتْ لَمْ يَثْنِها
حِرْصُ ٱلحَرِيصِ وَحِيلَةُ ٱلمُحْتالِ
أَأَبا ٱلمُرَجَّى غَيرُ حُزْني دارِسٌ   أَبداً عَلَيكَ وَغَيرُ قَلْبِيَ سالِ
وَلَئِنْ هَلِكتَ فَما ٱلوَفاءُ بِهالِكٍ   وَلَئِنْ بَلِيتَ فَما ٱلوَفاءُ بِبالِ

ورثى اعرابي ابنه فقال

عُيونٌ قَدْ بَكَيْنَكَ مُوجَعاتٍ   أَضَرَّ بِها ٱلبُكاءُ وَما بَلِينا
إِذا أَنفَدنَ دَمعاً بَعدَ دَمعٍ   يُراجِعْنَ ٱلشُّؤونَ فَيَستَقِينا

وقال الشريف الرضي يرثي والدته فاطمة بنت الناصر

أَبْكِيكِ لَوْ نَقَعَ ٱلْغَلِيلَ[1] بُكَائِي
وَأَقُولُ لَوْ ذَهَبَ ٱلْمَقَالُ بِدائِي
وَأَعُوذُ بِٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ تَعَزِّياً
لَوْ كانَ بِٱلصَّبْرِ ٱلْجَمِيلِ عَزائِي
ما كُنْتُ أَذْخَرُ فِي فِداكِ رَغِيبَةً[2]
لَوْ كانَ يَرْجِعُ مَيِّتٌ بِفِداءِ
فارَقْتُ فِيكِ تَماسُكِي وَتَجَمُّلِي[3]
وَنَسِيتُ فِيكِ تَعَزُّزِي وَإِبائِي
كَمْ زَفْرَةٍ ضَعُفَتْ فَصارَتْ أَنَّةً
أَتْمَمْتُها بِتَنَفُّسِ ٱلصُّعَداءِ[4]
قَدْ كُنْتُ آمُلُ أَنْ أَكُونَ لَكِ ٱلْفِدى
مِمّا أَلَمَّ فَكُنْتِ أَنْتِ فِدائِي
وَجَرى ٱلزَّمانُ عَلى عَوائِدِ كَيْدِهِ في قَلْبِ آمالِي وَعَكْسِ رَجائِي
وَتَفَرُّقُ ٱلْبُعَداءِ بَعْدَ مَوَدَّةٍ صَعْبٌ فَكَيْفَ تَفَرُّقُ ٱلْقُرَباءِ

---

(١) نقع الغليل سكن العطش (٢) الرغيبة الامر المرغوب فيه (٣) تماسك ضبط نفسه . وتجمل لم يظهر المسكنة والذل على نفسه (٤) الزفرة التنفس بعد مد النفس . والصعداء تنفس طويل من همّ او تعب

لَوْ كانَ مِثْلَكِ كُلُّ أُمٍّ بَرَّةٍ غَنِيَ ٱلْبَنُونَ بِها عَنِ ٱلْآباءِ
كَيْفَ ٱلسُّلُوُّ وَكُلُّ مَوْضِعِ لَحْظَةٍ
أَثَرٌ لِفَضْلِكِ خالِدٌ بِإِزائي
آوي إِلى بَرْدِ ٱلظِّلالِ كَأَنَّني لِتَحَرُّقي آوي إِلى ٱلرَّمْضاءِ
لَوْ كانَ يُبْلِغُكِ ٱلصَّفيحُ رَسائِلي أَوْ كانَ يُسْمِعُكِ ٱلتُّرابُ نِدائي
لَسَمِعْتِ طُولَ تَأَوُّهي وَتَفَجُّعي وَعَلِمْتِ حُسْنَ رِعايَتي وَوَفائي

وقال يرثي ابا اسحق الصابئ

أَعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلى ٱلْأَعْوادِ
أَعَلِمْتَ كَيْفَ خَبا[1] ضِياءُ ٱلنَّادي
بُعْداً لِيَوْمِكَ في ٱلزَّمانِ فَإِنَّهُ
أَقْذى ٱلْعُيُونَ وَفَتَّ في ٱلْأَعْضادِ[2]
لا يَنْفَدُ ٱلدَّمْعُ ٱلَّذي يُبْكى بِهِ إِنَّ ٱلْقُلُوبَ لَهُ مِنَ ٱلْأَمْدادِ[3]
أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ يُفارِقَ ناظِري لَمَعانُ ذاكَ ٱلْكَوْكَبِ ٱلْوَقَّادِ
ما كُنْتُ أَخْشى أَنْ تَضِنَّ[4] بِلَفْظَةٍ
لِتَقُومَ بَعْدَكَ لي مَقامَ ٱلزَّادِ

(١) طفئ (٢) اقذى العيون التي فيها القذى وهو ما يقع فيها من تبن وغيره. وفت في عضده اضعفه (٣) نفد الدمع ذهب وانقطع والامداد جمع مدد وهو العون (٤) تبخل

يا لَيتَ أَنِّي ما اُقْتَنَيْتُكَ صاحِباً كَمْ قِنْيَةٍ جلَبَتْ أَسىً لِفُؤادِي
لَيسَ ٱلْفَجائِعُ بِٱلذَّخائِرِ مِثْلَها بِأماجِدِ ٱلأَعْيانِ وَٱلأَفْرادِ
إنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ أُسرَتي وَعَشيرَتي فَلأَنتَ أَعْلَقُهُمْ يَداً بِوَدادي
ضاقَتْ عَلَيَّ ٱلأَرْضُ بعْدَكَ كُلُّها وَتَرَكْتَ أَضْيَقَها عَلَيَّ بِلادي
لَكَ في ٱلْحَشَى قَبْرٌ وَإنْ لَمْ تَأوِهِ وَمِنَ ٱلدُّمُوعِ رَوائِحٌ وَغَوادِ

وقال ايضاً يرثيه وقد اجتاز على قبره وهو في الجنينة ببغداد

أَيعلَمُ قَبرٌ بِٱلْجُنَيْنَةِ أَنَّنا أَقَمْنا بِهِ نَنْعي ٱلنَّدى وَٱلْمَعالِيا
حَطَطْنا فَحَيَّيْنا مَساعِيهِ إنَّها عِظامُ ٱلْمَساعِي لا ٱلْعِظامَ ٱلْبَوالِيا
وَما لاحَ ذاكَ ٱلتُّربُ حَتَّى تَحَلَّبَتْ
مِنَ ٱلدَّمعِ أَوْشالٌ مَلأْنَ ٱلْمَآقِيا[١] .
نَزَلْنا إِلَيْهِ عَن ظُهورِ جِيادِنا
نُكَفْكِفُ[٢] بِٱلأَيْدي ٱلدُّمُوعَ ٱلْجَوارِيا
أَقُولُ لِرَكْبٍ رائِحينَ تَعَرَّجُوا[٣] أُرِيكُمْ بِهِ فَرْعاً مِنَ ٱلْمَجْدِ ذاوِيا
أَلا أَيُّها ٱلْقَبْرُ ٱلَّذي ضَمَّ لَحْدُهُ قَضِيباً عَلى هامِ ٱلنَّوائِبِ ماضِيا[٤]
هَل ٱبْنُ هِلالٍ مُنْذُ أُوْدى كَعَهْدِنا هِلالاً عَلى ضَوْءِ ٱلْمَطالِعِ باقِيا

---

(١) الاوشال جمع وشل وهو الكثير من الدمع (٢) نمنع (٣) تعرج على المكان حبس مطيته عليه واقام (٤) اللحد الشق يكون في جانب القبر . والقضيب السيف القطاع

خلا بعدك الوادي الذي كنت أنسه
وأصبح تعروه النوائب واديا
ملأت بمحياك البلاد فضائلا
ويملأ مثواك البلاد مناعيا

وكتب الى صديق له يعزيه عن بنته

يأتي الحِمامُ فينسي المرء منيته
وأعضل الداء ما يلهي عن الأمل
سلى عن العيش أنا لا ندوم له
وهون الموت ما نلقى من العلل
يقودني الموت من داري فأتبعه
وقد هزئت بأطراف القنا الذبل (١)
العقل أبلغ من عزاك من جزع
والصبر أذهب بالبلوى من الأجل
هذا العزاء وإن تحزن فلا عجب
إن البكاء بقدر الحادث الجلل
وكيف نعذل (٢) من يبكي لميته
ونحن نبكي على أيامنا الأول

(١) جمع الذابل وهو الرقيق من الرماح (٢) نلوم

وقال ابو العلاء المعري يرثي فقيهاً حنفيا

غَيْرُ مُجْدٍ في مِلَّتي واعتقادي[1] نَوْحُ باكٍ وَلا تَرَنُّمُ شادِ
وَشَبِيهٌ صَوْتُ ٱلنَّعِيِّ إذا قِيـسَ بِصَوْتِ ٱلْبَشِيرِ في كُلِّ نادِ
أَبَكَتْ تِلْكُمُ ٱلحَمامَةُ أَمْ غَـنَّتْ عَلى فَرْعِ غُصْنِها ٱلمَيَّادِ
صاحِ هٰذي قُبُورُنا تَمْلأُ ٱلرُّحْـبَ[2] فَأَيْنَ ٱلْقُبُورُ مِنْ عَهْدِ عادِ
خَفِّفِ ٱلْوَطْءَ ما أَظُنُّ أَدِيمَ ٱلْـأَرْضِ[3] إِلَّا مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَجْسادِ
وَقَبِيحٌ بِنا وَإِنْ قَدُمَ ٱلْعَهْـدُ هَوانُ ٱلْآباءِ وَٱلْأَجْدادِ
سِرْ إِنِ ٱسْطَعْتَ في ٱلْهَواءِ رُوَيْداً
لا ٱخْتِيالًا عَلى رُفاتِ ٱلْعِبادِ
رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صارَ لَحْداً مِراراً ضاحِكٍ مِنْ تَزاحُمِ ٱلْأَضْدادِ
وَدَفِينٍ عَلى بَقايا دَفِينٍ في طَوِيلِ ٱلْأَزْمانِ وَٱلْآبادِ
تَعَبٌ كُلُّها ٱلْحَياةُ فَما أَعْـجَبُ إِلَّا مِنْ راغِبٍ في ٱزْدِيادِ
إِنَّ حُزْناً في ساعَةِ ٱلْمَوْتِ أَضْعا فُ سُرُورٍ في ساعَةِ ٱلْمِيلادِ
خُلِقَ ٱلنَّاسُ لِلْبَقاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَها لِلنَّفادِ[4]
إِنَّما يُنْقَلُونَ مِنْ دارِ أَعْما لٍ إِلى دارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشادِ
ضَجْعَةُ ٱلْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ ٱلْـ جِسْمُ فيها وَٱلْعَيْشُ مِثْلُ ٱلسُّهادِ

(١) غير نافع في مذهبي (٢) جمع الرحبة وهي الارض الواسعة (٣) اديم الارض ما ظهر منها (٤) للفناء

أَبَناتِ ٱلْهَديلِ أَسْعِدْنَ أَوْ عِدْ نَ قَليلَ ٱلْعَزاءِ بِٱلإِسْعادِ[1]
إِيهِ[2] لِلّهِ دَرُّكُنَّ فَأَنْتُنَّ ٱللَّواتي تُحْسِنَّ حِفْظَ ٱلْوِدادِ
بَيْدَ أَنّي لا أَرْتَضي ما فَعَلْتُنَّ وَأَطْواقُكُنَّ في ٱلأَجْيادِ
فَتَسَلَّبْنَ[3] وَٱسْتَعِرْنَ جَميعاً مِنْ قَميصِ ٱلدُّجى ثِيابَ حِدادِ
ثُمَّ غَرِّدْنَ في ٱلْمَآتِمِ وَٱنْدُبْ نَ بِشَجْوٍ مَعَ ٱلْغَواني ٱلْخِرادِ[4]
قَصَدَ ٱلدَّهْرُ مِنْ أَبي حَمْزَةَ ٱلأَوَّ ابِ مَوْلى حِجىً وَخِدْنَ ٱقْتِصادِ
وَفَقيهاً أَفْكارُهُ شِدْنَ لِلنُّعْـ مانِ ما لَمْ يَشِدْهُ شِعْرُ زِيادِ
وَدِّعا أَيُّها ٱلْحَفِيّانِ[5] ذاكَ ٱلشَّـ خْصَ إِنَّ ٱلْوَداعَ أَيْسَرُ زادِ
وَٱغْسِلاهُ بِٱلدَّمْعِ إِنْ كانَ طُهْراً وَٱدْفِناهُ بَيْنَ ٱلْحَشى وَٱلْفُؤادِ
وَٱحْبُواهُ ٱلأَكْفانَ مِنْ وَرَقِ ٱلْمُصْـ حَفِ كِبْراً عَنْ أَنْفَسِ ٱلأَبْرادِ[6]
وَٱتْلُوا ٱلنَّعْشَ بِٱلْقِراءَةِ وَٱلتَّسْـ بيحِ لا بِٱلنَّحيبِ وَٱلتَّعْدادِ[7]
طالَما أَخْرَجَ ٱلْحَزينُ جَوى ٱلْحُزْ نِ إِلى غَيْرِ لائِقٍ بِٱلسَّدادِ
كَيْفَ أَصْبَحْتَ في مَحَلِّكَ بَعْدي يا جَديراً مِنّي بِحُسْنِ ٱفْتِقادِ
قَدْ أَقَرَّ ٱلطَّبيبُ عَنْكَ بِعَجْزٍ وَتَقَضّى تَرَدُّدُ ٱلْعُوّادِ

---

(١) الهديل صوت الحمام . ويراد ببنات الهديل الحمام واسعدن أسعفن
(٢) تقول للرجل الذي تستزيده من حديث او عمل إيه (٣) تسلبت المرأة لبست الحداد (٤) الغواني جمع غانية وهي الشابة العفيفة والخراد الحييّة
(٥) الحفي المبالغ في الاكرام والبر (٦) حباه اعطاه والمصحف القرآن والابراد جمع برد وهو ثوب مخطط (٧) تعداد الميت عدّ مناقبه واحصاؤها

كُنْتَ خِلَّ ٱلصِّبا فلمّا أرادَ ٱلـ ... ـبَيْنُ وافقْتَ رأيَهُ في ٱلمُرادِ
ورأيتَ ٱلوَفاءَ لِلصّاحِبِ ٱلأَ ... وَّلِ مِن شيمةِ ٱلكريمِ ٱلجَوادِ
وخلعْتَ ٱلشَّبابَ غضًّا فيا لَيْـ ... ـتَكَ أبلَيْتَهُ معَ ٱلأندادِ[1]
فٱذهبا خيرَ ذاهبَيْنِ حَقيقَيْـ ... ـنِ بِسُقْيا روائحٍ وغَوادِ
وٱللّبيبُ ٱللّبيبُ مَن ليسَ يَغْتَـ ... ـرُّ بكَوْنٍ مَصيرُهُ لِلفَسادِ

وقال يرثي جعفر بن عليّ بن المهذب من قصيدة

وَمَن أبَى في ٱلرُّزْءِ غيرَ ٱلأَسى ... كانَ بُكاهُ مُنتهى جَهْدِهِ
فليَذْرِفِ ٱلجَفْنُ على جعفرٍ ... إذْ كانَ لمْ يُفتَحْ على نِدِّهِ
وٱلشَّيْءُ لا يَكثُرُ مُدّاحُهُ ... إلّا إذا قِيسَ إلى ضِدِّهِ
ليسَ ٱلّذي يُبكَى على وَصْلِهِ ... مِثلَ ٱلذي يُبكَى على صَدِّهِ
وٱلطَّرْفُ يُرتاحُ إلى غُمْضِهِ ... وليسَ يُرْتاحُ إلى سُهْدِهِ
كانَ ٱلأسى فرضاً لوَ انَّ ٱلرَّدى ... قالَ لنـا أفدُوهُ ولَمْ نَفْدِهِ
يا دَهْرُ يا مُنْجِزَ إيعادِهِ[2] ... ومُخلِفَ ٱلمأمولِ مِن وَعْدِهِ
أيُّ جديدٍ لكَ لمْ تُبْلِهِ ... وأيُّ أقرانِكَ لمْ تُرْدِهِ
أرى ذوي ٱلفَضْلِ وأضدادَهُمْ ... يَجمعُهُمْ سَيْلُكَ في مَدِّهِ
إنْ لمْ يَكُنْ رُشْدُ ٱلفتى نافِعاً ... فَغَيُّهُ أنفعُ مِنْ رُشْدِهِ
تَجْرِبةُ ٱلدُّنيـا وأفعالِها ... حَثَّتْ أخا ٱلزُّهدِ على زُهْدِهِ

(١) جمع الند وهو المثل والنظير (٢) مصدر اوعده اذا تهدده

لَوْ عَرَفَ ٱلإِنْسانُ مِقْدارَهُ لَمْ يَفْخَرِ ٱلْمَوْلى على عَبْدِهِ
أَمسِ ٱلَّذي مَرَّ على قُرْبِهِ يَعْجَزُ أَهلُ ٱلأَرْضِ عَن رَدِّهِ
أَضحَى ٱلَّذي أُجِلَ في سِنِّهِ مِثْلَ ٱلَّذي عُوجِلَ في مَهْدِهِ
وَلا يُبالي ٱلْمَيتُ في قَبْرِهِ بِذَمِّهِ شُيِّعَ أَوْ حَمْدِهِ
وَٱلْواحِدُ ٱلْمُفْرَدُ في حَتْفِهِ كَٱلْحاشِدِ ٱلْمُكْثِرِ مِن حَشْدِهِ
وَحالَةُ ٱلْباكِي لِآبائِهِ كَحالَةِ ٱلْباكِي على وُلْدِهِ
ما رَغْبَةُ ٱلْحَيِّ بِأَبْنائِهِ عَمَّا جَنى ٱلْمَوْتُ على جَدِّهِ (١)
وَمَجْدُهُ أَفعالُهُ لا ٱلَّذي مِن قَبْلِهِ كانَ وَلا بَعْدِهِ
لَوْلا سَجاياهُ وَأَخلاقُهُ لَكانَ كَٱلْمَعْدُومِ في وُجْدِهِ (٢)
تَشْتاقُ أَيَّارَ نُفُوسُ ٱلْوَرَى وَإِنَّما ٱلشَّوْقُ إِلى وَرْدِهِ
تَدْعُو بِطُولِ ٱلْعُمْرِ أَفواهُها لِمَنْ تَناهَى ٱلْقَلْبُ في وُدِّهِ
وَآفَةُ ٱلْعاشِقِ مِن طَرْفِهِ وَآفَةُ ٱلصَّارِمِ مِن حَدِّهِ
كَمْ صائِنٍ عَن قُبْلَةٍ خَدَّهُ سُلِّطَتِ ٱلأَرْضُ على خَدِّهِ
وَحامِلٍ ثِقْلَ ٱلثَّرى جِيدُهُ وَكانَ يَشْكُو ٱلضُّعفَ مِن عِقْدِهِ
وَرُبَّ ظَمْآنٍ إِلى مَوْرِدٍ وَٱلْمَوْتُ لَوْ يَعْلَمُ في وِرْدِهِ
فَيا أَخا ٱلْمَفْقُودِ في خَمْسَةٍ كَٱلشُّهْبِ ما سَلَّاكَ عَن فَقْدِهِ (٣)

---

(١) اي ما الذي يميل بالمرء الى ابنائه معرضاً عما جناه الموت على جدّه (٢) غناه (٣) اي ان لك العزاء عن فقده باخوته الخمسة الذين هم كالشهب

سَلِّمْ إلى ٱللهِ فَكُلُّ ٱلَّذي ساءَكَ أَوْ سَرَّكَ مِن عِنْدِهِ
إنَّ ٱلَّذي ٱلوَحْشَةُ في دارِهِ تُؤْنِسُهُ ٱلرَّحمَةُ في لَحْدِهِ
لا أَوحشَتْ دارُكَ مِن شَمْسِها وَلا خَلا غابُكَ مِن أُسدِهِ

وقال الطغرائي يعزي معين الملك عن نكبته

تَصَبَّرْ مُعينَ ٱلمُلْكِ إنْ عَنَّ حادِثٌ فَعاقِبَةُ ٱلصَّبْرِ ٱلْجَميلِ جَميلُ
وَلا تَيأَسَنْ مِن صُنْعِ رَبِّكَ إنَّني ضَمينٌ بِأَنَّ ٱللهَ سَوفَ يُديلُ
فَإِنَّ ٱللَّيالي إذْ يَزُولُ نَعيمُها تُبَشِّرُ أَنَّ ٱلنَّائِباتِ تَزُولُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّيلَ بَعْدَ ظَلامِهِ عَلَيْهِ لِإِسفارِ ٱلصَّباحِ دَليلُ
وَأَنَّ ٱلهِلالَ ٱلنِّضْوَ يُقْمِرُ بَعْدَما بَدا وَهوَ شَخْتُ ٱلْجانِبَينِ ضَئيلُ[1]
فَلا تَحْسَبَنَّ ٱلدَّوحَ يُقْلَعُ كُلَّما يَمُرُّ بِهِ نَفْحُ ٱلصَّبا[2] فَيَميلُ
وَلا تَحْسَبَنَّ ٱلسَّيْفَ يُقْصَفُ كُلَّما تَعاوَرَهُ بَعْدَ ٱلْمَضاءِ كُلُولُ
فَقَدْ يَعطِفُ ٱلدَّهرُ ٱلأَبِيُّ عِنانَهُ فَيَشْفَى عَليلٌ أَوْ يُبَلُّ غَليلُ
وَيَرْتاشُ مَقْصُوصُ ٱلْجَناحَينِ بَعْدَما تَساقَطَ رِيشٌ وَٱسْتَطارَ نَسِيلُ[3]

(١) النضو المهزول والشخت الضامر عن غير هزال (٢) نفح الصبا هبوبها
(٣) النسيل ما يسقط من الريش

وَيَسْتَأْنِفُ ٱلْغُصْنُ ٱلسَّلِيبُ[١] نَضارَةً
فَيُورِقُ ما لَمْ يَعْتَوِرْهُ ذُبُولُ

وَلِلنَّجْمِ[٢] مِن بَعْدِ ٱلذُّبُولِ ٱسْتِقامَةٌ
وَلِلْحَظِّ مِن بَعْدِ ٱلذَّهابِ قُفُولُ

وَبَعْضُ ٱلرَّزايا يُوجِبُ ٱلشُّكْرَ وَقْعُها
عَلَيْكَ وَأَحْداثُ ٱلزَّمانِ شُكُولُ

وَلا غَرْوَ أَنْ أَخْنَتْ عَلَيْكَ فَإِنَّما
يُصادَمُ بِٱلْخَطْبِ ٱلْجَلِيلِ جَلِيلُ

وَأَيُّ قَناةٍ لَمْ تُرَنَّحْ[٣] كُعُوبُها
وَأَيُّ حُسامٍ لَمْ تُصِبْهُ فُلُولُ

أَسَأْتَ إِلى ٱلْأَيَّامِ حَتّى وَتَرْتَها
فَعِنْدَكَ أَضْغانٌ لَها وَتُبُولُ[٤]

وَما أَنْتَ إِلَّا ٱلسَّيْفُ يَسْكُنُ غِمْدَهُ
لِيَشْقَى بِهِ يَوْمَ ٱلنِّزالِ قَتِيلُ

أَما لَكَ بِٱلصِّدِّيقِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ
فَتَحْمِلَ وَطْءَ ٱلدَّهْرِ وَهْوَ ثَقِيلُ

وَما غَضَّ مِنْكَ ٱلْحَبْسُ وَٱلذِّكْرُ سائِرٌ
طَلِيقٌ لَهُ في ٱلْخافِقَيْنِ ذَمِيلُ[٥]

فَلا تُذْعِنَنْ لِلْخَطْبِ آدَكَ[٦] ثِقْلُهُ
فَمِثْلُكَ لِلْأَمْرِ ٱلْعَظِيمِ حَمُولُ

---

(١) الذي سلبت اوراقه (٢) النجم من النبات ما نجم على غير ساق
(٣) رنحه اضعفه (٤) وتره اصابه بمكروه والتبول جمع التبل وهو الثأر
(٥) غض منه وضع من قدره والطليق الذي أُحلي سبيله . والخافقان المشرق والمغرب . والذميل السير اللين . ويريد ان ذكره يسير بسرعة (٦) اثقلك واجهدك

وَلا تَجْزَعَنْ لِلْكَبْلِ مَسَّكَ وَقْعُهُ
فَإِنَّ خَلاخِيلَ ٱلرِّجالِ كُبُولُ[١]
وَإِنَّ آمرءًا تَعْدُو ٱلْحَوادِثُ عِرْضَهُ وَيَأْسَى لِما يَأْخُذْنَهُ لَبَخِيلُ[٢]

وقال ابن عبد ربه يرثي ولدًا له

لا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فارَقَ ٱلسَّكَنا
وَلا ٱمْتَلا فَرَحاً إِلَّا ٱمْتَلا حَزَنا
لَهْفِي عَلى مَيِّتٍ ماتَ ٱلسُّرُورُ بِهِ
لَوْ كانَ حَيًّا لَأَحيا ٱلدِّينَ وَٱلسُّنَنا
إِذا ذَكَرْتُكَ يَوماً قُلْتُ واحَزَنا
وَما يَرُدُّ عَلَيكَ ٱلْقَولُ واحَزَنا
يا مُهْجَتي وَمِزاجَ ٱلرُّوحِ في جَسَدي
هَلَّا دَنا ٱلْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنا
حَتَّى يَمُرَّ بِنا في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ لَحْدٌ وَيُلْبِسَنا في واحِدٍ كَفَنا
يا أَطْيَبَ ٱلنَّاسِ رُوحاً ضَمَّهُ بَدَنٌ أَسْتَوْدِعُ ٱللهَ ذاكَ ٱلرُّوحَ وَٱلْبَدَنا
لَوْ كُنْتُ أُعطَى بِهِ ٱلدُّنْيا مُعاوَضَةً مِنْهُ لَما كانَتِ ٱلدُّنْيا لَهُ ثَمَنا

---

(١) الكبل القيد جمعه كبول . والخلاخيل جمع الخلخال وهو حلية من فضة تلبسها نساء العرب في ارجلها (٢) تعدو تتجاوز . والعرض ما يصونه الانسان من نفسه او سلفه ومن يلزمه امره اوما يفتخر به من حسب وشرف . ويأسى يحزن

وقال ايضاً في طفل أُصيب به

عَلى مِثلِها مِن فَجْعَةٍ خانَكَ ٱلصَّبْرُ
فِراقُ حَبِيبٍ دُونَ أَوْبَتِهِ ٱلْحَشْرُ
وَلِي كَبِدٌ مَشْطُورَةٌ في يَدِ ٱلْأَسى
فَتَحْتَ ٱلثَّرى شَطْرٌ وَفَوْقَ ٱلثَّرى شَطْرُ
يَقُولُونَ لِي صَبْرٌ فُؤَادَكَ بَعْدَهُ
فَقُلْتُ لَهُمْ ما لِي فُؤَادٌ وَلا صَبْرُ
إِذا قُلْتُ أَسْلُو عَنْهُ هاجَتْ بَلابِلٌ
يُجَدِّدُها فِكْرٌ يُجَدِّدُهُ ذِكْرُ
وَأَنْظُرُ حَوْلِي لا أَرى غَيْرَ قَبْرِهِ
كَأَنَّ جَمِيعَ ٱلْأَرْضِ عِنْدِي لَهُ قَبْرُ
أَفَرْخَ جِنانِ ٱلْخُلْدِ طِرْتَ بِمُهْجَتِي
وَلَيْسَ سِوى قَعْرِ ٱلضَّرِيحِ لَها وَكْرُ

وقال عبد الله بن الاهتم يرثي ابناً له

دَعَوْتُكَ يا بُنَيَّ فَلَمْ تُجِبْنِي ... فَرُدَّتْ دَعْوَتِي يَأْساً عَلَيَّ
بِمَوْتِكَ ماتَتِ ٱللَّذَّاتُ مِنِّي ... وَكانَتْ حَيَّةً ما دُمْتَ حَيَّا
فَيا أَسَفِي عَلَيْكَ وَطُولَ شَوْقِي ... إِلَيْكَ لَوَ ٱنَّ ذٰلِكَ رَدَّ شَيَّا

ولبعضهم يرثي احد خلانه

فَلَئِنْ بَكَيْنَاهُ لَحُقَّ لَنَا ... وَلَئِنْ تَرَكْنا ذاكَ لِلصَّبْرِ
فَلِمِثْلِهِ جَرَتِ ٱلعُيُونُ دَماً ... وَلِمِثْلِهِ جَمَدَتْ وَلَمْ تَجْرِ

وقال ابو الشغب يرثي ابنه شغباً

قَدْ كانَ شَغْبٌ لَوَ انَّ ٱللهَ عَمَّرَهُ ... عِزًّا تُزادُ بِهِ في عِزِّها مُضَرُ
لَيتَ ٱلجِبالَ تَداعَتْ قَبْلَ مَصْرَعِهِ ... دَكًّا فَلَمْ يَبْقَ مِن أَحْجَارِهَا حَجَرُ
فارَقْتُ شَغْباً وَقَدْ قُوِّستُ[1] من كِبَرٍ
بِئْسَ ٱلخَلِيطانِ طُولُ ٱلحُزْنِ وَٱلكِبَرُ

وقال آخر يرثي ابنه

بُنَيَّ لَئِنْ ضَنَّتْ جُفُونٌ بِمائِها ... لَقَدْ قُرِحَتْ مِنِّي عَلَيكَ جُفُونُ
دَفَنْتُ بِكَفِّي بَعضَ نَفسي فَأَصبَحَتْ
وَلِلنَّفسِ مِنها دافِنٌ وَدَفِينُ

ورثى ابو العتاهية زائدة بن معن وكان صديقاً له

حَزِنْتُ لِمَوْتِ زائِدَةَ بْنِ مَعْنٍ ... حَقيقٌ أَنْ يَطُولَ عَلَيْهِ حُزْني
فَتى قَوْمي وَأَيُّ فَتًى تَوارَتْ ... بِهِ ٱلأَكْفانُ تَحتَ ثَرًى وَلِبْنِ
أَلا يا قَبْرَ زائِدَةَ بْنِ مَعْنٍ ... دَعَوْتُكَ كَيْ تُجِيبَ فَلَمْ تُجِبْني
سَلِ ٱلأَيَّامَ عَنْ أَرْكانِ قَوْمِي ... أُصِبْنَ بِهِنَّ رُكْناً بَعْدَ رُكْنِ

---

(١) صرت اقوس اي منحني الظهر

ورثت اعرابية ابنها فقالت

مَنْ شاءَ بَعْدَكَ فَلْيمُتْ فَعلَيْكَ كُنْتُ أُحاذِرُ
كُنْتَ ٱلسَّوادَ لِناظِري فَعلَيْكَ ذابَ ٱلنَّاظِرُ

وقال احمد بن عبد ربه يرثي ولده يحيي

بَلِيَتْ عِظامُكَ وَٱلأَسى يَتَجَدَّدُ وَٱلصَّبْرُ يَنْفَدُ وَٱلْبُكا لا يَنْفَدُ
يا غائِباً لا يُرْتَجى لإِيابِهِ وَلِقائِهِ دُونَ ٱلْقِيامَةِ مَوْعِدُ
ما كانَ أَحْسَنَ مُلْحَداً ضُمِّنْتَهُ لَوْ كانَ ضَمَّ أَباكَ ذاكَ ٱلْمُلْحَدُ
بِٱلْيأْسِ أَسْلُو عَنْكَ لا بِتَجَلُّدٍ هَيْهاتِ أَيْنَ مِنَ ٱلْحَزِينِ تَجَلُّدُ

ورثى عمر بن الخطاب ابا بكر الصديق بهذه الابيات

ذَهَبَ ٱلَّذِينَ أُحِبُّهُمْ فَعلَيْكِ يا دُنْيا ٱلسَّلامْ
لا تَذْكُرَنَّ ٱلعَيْشَ لي فَٱلْعَيْشُ بَعْدَهُمُ حَرامْ
إِنِّي رَضِيعُ وِصالِهِمْ وَٱلطِّفْلُ يُؤْلِمُهُ ٱلْفِطامْ

وقال مقاتل بن عطية يرثي الوزير نظام الملك

كانَ ٱلْوَزِيرُ نِظامُ ٱلْمُلْكِ لُؤْلُؤَةً
يَتِيمَةً صاغَها ٱلرَّحْمٰنُ مِنْ شَرَفِ
عَزَّتْ وَلَمْ تَعْرِفِ ٱلأَيَّامُ قِيمَتَها
فَرَدَّها غِنْدَما عَزَّتْ إِلى ٱلصَّدَفِ

وقال محمد بن عبد الله العتبي يرثي ابناً له

أَضحتْ بِخَدِّي لِلدُّموعِ رُسُومُ ... أَسَفاً عَلَيْكَ وَفي ٱلفُؤَادِ كُلُومُ
وَٱلصَّبْرُ يُحْمَدُ في ٱلْمَواطِنِ كُلِّها ... إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ

ورثت الخنساء اخاها صخراً فقالت

وَقائِلَةٍ وَٱلنَّعْشُ قَدْفاتَ خَطْوَها ... لِتُدْرِكَهُ يالَهْفَ قَلْبي عَلى صَخْرِ
أَلا ثَكِلَتْ أُمُّ ٱلَّذينَ غَدَوْا بِهِ ... إِلى ٱلْقَبْرِ ماذا يَحْمِلونَ إِلى ٱلْقَبْرِ

وقالت اخت الوليد بن طريف ترثي اخاها الوليد

أَيا شَجَرَ ٱلْخابُورِ مالَكَ مُورِقاً
كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلى ٱبْنِ طَرِيفِ
فَتًى لا يُرِيدُ ٱلعِزَّ إِلَّا مِنَ ٱلتُّقى ... ولا ٱلْمالَ إِلَّا مِنْ قَناً وَسُيُوفِ
فَقَدْناهُ فِقْدانَ ٱلرَّبِيعِ فَلَيْتَنا ... فَدَيْناهُ مِن ساداتِنا بِأُلُوفِ
خَفِيفٌ عَلى ظَهْرِ ٱلْجَوادِ إِذا عَدا ... وَلَيْسَ عَلى أَعْدائِهِ بِخَفِيفِ
عَلَيْكَ سَلامُ ٱللهِ وَقْفاً فَإِنَّني ... أَرى ٱلْمَوْتَ وَقَّاعاً بِكُلِّ شَرِيفِ

وقال اعرابي يرثي بنيه

أَسُكَّانَ بَطْنِ ٱلْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ ٱلْفِدا
فَدَيْنا وَأَعْطَيْناكُمُ ساكِني ٱلظَّهْرِ
فَيالَيْتَ مَنْ فيها عَلَيْها وَلَيْتَ مَنْ
عَلَيْها ثَوى فيها مُقِيماً إِلى ٱلْحَشْرِ

فَقاسَمَنِي دَهْرِي بَنِيَّ مُشاطِراً   فَلَمَّا تَقَضَّى شَطْرُهُ عادَ في شَطْرِي
كَأَنَّهُمُ لَمْ يَعْرِفِ ٱلْمَوْتُ غَيْرَهُمْ   فَثُكْلٌ عَلى ثُكْلٍ وَقَبْرٌ عَلى قَبْرِ
وَقَدْ كُنْتُ حَيَّ ٱلْخَوْفِ قَبْلَ وَفاتِهِمْ
فَلَمَّا تُوُفُّوا ماتَ خَوْفِي مِنَ ٱلدَّهْرِ
أَلا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي   تَقَدَّمْتُ إِذْ كُنَّا إِلى غايَةٍ نَجْرِي
لَقَدْ كُنْتُ ذا نابٍ وَظِفْرٍ عَلى ٱلْعِدَى
فَأَصْبَحْتُ لا يَخْشَوْنَ نابِي وَلا ظِفْرِي
فَلِلّٰهِ ما أَعْطَى وَلِلّٰهِ ما حَوى
وَلَيْسَ لِأَيَّامِ ٱلرَّزِيَّةِ كَٱلصَّبْرِ

وقال آخر يرثي صديقه

خَلِيلَيَّ ما أَزْدادُ إِلَّا صَبابَةً   إِلَيْكَ وَما تَزْدادُ إِلَّا تَنائِيا
خَلِيلَيَّ لَوْ نَفْسٌ فَدَتْ نَفْسَ مَيِّتٍ   فَدَيْتُكَ مَسْرُوراً بِنَفْسِي وَمالِيا

وقال العباس بن الاحنف

إِذا ما دَعَوْتُ ٱلصَّبْرَ بَعْدَكَ وَٱلْبُكا
أَجابَ ٱلْبُكا طَوْعاً وَلَمْ يُجِبِ ٱلصَّبْرُ
فَإِنْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ ٱلرَّجاءُ فَإِنَّهُ
سَيَبْقَى عَلَيْكَ ٱلْحُزْنُ ما بَقِيَ ٱلدَّهْرُ

وقال الصفدي يرثي احد خلانه

يا غائِباً في ٱلثَّرى تَبلى مَحاسِنُهُ
ٱللهُ يُولِيكَ غُفرانًا وَإِحسانا
إن كُنتَ جُرِّعتَ كَأسَ ٱلمَوتِ واحِدَةً
في كُلِّ يَومٍ أَذُوقُ ٱلمَوتَ أَلوانا

وقالت الخنساء ترثي اخاها صخراً

أَعَينَيَّ جُودا وَلا تَجمُدا ألا تَبكِيانِ لِصَخرِ ٱلنَّدى
أَلا تَبكِيانِ ٱلجَرِيءَ ٱلجَوادَ أَلا تَبكِيانِ ٱلفَتى ٱلسَّيِّدا
طَويلُ ٱلنِّجادِ[1] رَفيعُ ٱلعِما دِ سادَ عَشِيرَتَهُ أَمرَدا
يُحَمِّلُهُ ٱلقَومُ ما عالَهُم وَإِنْ كانَ أَصغَرَهُم مَولِدا
جَمُوعُ[2] ٱلضُّيُوفِ إِلى بابِهِ يَرى أَفضَلَ ٱلكَسبِ أَن يُحمَدا

وقالت ايضاً ترثيه

يُذَكِّرُني طُلُوعُ ٱلشَّمسِ صَخراً وَأَندُبُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمسِ
أَلا يا نَفسُ لا تَنسَيهِ حَتّى أُفارِقَ عِيشَتي وَأَزُورَ رَمسِي
وَلَولا كَثرَةُ ٱلباكِينَ حَولي عَلى أَمواتِهِم لَقَتَلتُ نَفسِي
وَما يَبكُونَ مِثلَ أَخِي وَلٰكِنْ أُسَلِّي ٱلنَّفسَ عَنهُ بِٱلتَّأَسِّي

---

(١) النجاد حمائل السيف . يقال فلان طويل النجاد اي طويل القامة وهو من باب الكناية لان طول النجاد يستلزم طول القامة (٢) كثير الجمع

وقال ابو العتاهية يرثي عليَّ بن ثابت

أَخٌ طالَما سَرَّني ذِكْرُهُ فَقَدْ صِرتُ أَشجَى لَدى ذِكْرِهِ
وَقَدْ كُنتُ أَغدُو إلى قَصْرِهِ فَقَدْ صِرتُ أَغدُو إلى قَبرِهِ
وَكُنتُ أَراني غَنِيًّا بِهِ عَنِ ٱلنَّاس لَوْ مُدَّ في عُمْرِهِ
وَكُنتُ مَتى جِئتُ في حاجَةٍ فَأَمري يَجُوزُ عَلى أَمرِهِ
فَتًى لَمْ يُخَلِّ ٱلنَّدى ساعَةً عَلى يُسْرِهِ كانَ أَوْ عُسْرِهِ
فَصارَ عَلِيٌّ إلى رَبِّهِ وَكانَ عَلِيٌّ فَتى دَهْرِهِ
وَخَلَّى ٱلْقُصُورَ ٱلَّتِي شادَها وَحَلَّ مِنَ ٱلْقَبرِ في قَعْرِهِ

وقال ايضاً يرثيه

أَلا مَنْ لي بِأُنسِكَ يا أُخَيَّا وَمَنْ لي أَنْ أَبُثَّكَ ما لَدَيَّا
طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ كَذاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيَّا
بَكَيْتُكَ يا عَلِيٌّ بِدَمْعِ عَيْنِي فَمَا أَغنى ٱلْبُكاءُ عَلَيْكَ شَيَّا
كَفَى حَزَنًا بِدَفْنِكَ ثُمَّ أَنِّي نَفَضْتُ تُرابَ قَبرِكَ مِن يَدَيَّا
وَكانَتْ في حَياتِكَ لي عِظَاتٌ فَأَنتَ ٱلْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

ورثى محمد بن مناذر عبد الحميد الكاتب

إِنَّ عَبْدَ ٱلْحَمِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى هَدَّ رُكناً ما كانَ بِٱلْمَهْدُودِ
ما دَرى نَعْشُهُ وَلا حامِلُوهُ ما عَلى ٱلنَّعْشِ مِنْ عَفافٍ وَجُودِ

وقال ابن الزيّات يرثي أمّ ابنه عُمَر

أَلا مَنْ رَأَى ٱلطِّفْلَ ٱلمُفارِقَ أُمَّهُ
بُعَيْدَ ٱلْكَرى عَيْناهُ تَنْسَكِبانِ
رَأَى كُلَّ أُمٍّ وَٱبْنَها غَيْرَ أُمِّهِ يَبِيتانِ تَحْتَ ٱللَّيْلِ يَنْتَجِيانِ[1]
وَباتَ وَحِيداً في ٱلْفِراشِ تُجِنُّهُ[2]
بَلابِلُ قَلْبٍ دائِمِ ٱلخَفَقانِ
فَلا تَلْحِياني[3] إِنْ بَكَيْتُ فَإِنَّما أُداوِي بِهٰذا ٱلدَّمْعِ ما تَرَيانِ
فَهٰذي عَزَمْتُ ٱلصَّبْرَ عَنْها لِأَنَّني
جَلِيدٌ فَمَنْ بِٱلصَّبْرِ لِٱبْنِ ثَمانِ
ضَعِيفِ ٱلْقِوى لا يَطْلُبُ ٱلْأَجْرَ حِسْبَةً
وَلا يَأْتَسي بِٱلنّاسِ في ٱلْحَدَثانِ[4]
فَلَمْ أَرَ كَٱلْأَقْدارِ كَيْفَ نَصَبْنَني
وَلا مِثْلَ هٰذا ٱلدَّهْرِ كَيْفَ رَماني
أَعَيْنَيَّ إِنْ لَمْ تُسْعِدا ٱلْيَوْمَ عَبْرَتي
فَبِئْسَ إِذاً ما في غَدٍ تَعِدانِي

---

(١) يتحادثان سرّاً (٢) تستره وتخفيه (٣) تعيباني وتلوماني (٤) الحسبة الأَجر . ويأتسي يقتدي . وحدثان الدهر مصائبه

وقال ابن الرومي يرثي ولده محمداً

بُكاؤُكُما يَشْفِي وَإِنْ كانَ لا يُجدي
فَجُودا فَقَدْ أَوْدى نَظِيرُكُما عِنْدي (١)

أَلا قاتَلَ ٱللهُ ٱلْمَنـايا وَرَمْيَها
مِنَ ٱلْقَوْمِ حَبَّاتِ ٱلْقُلوبِ عَلى عَمْدِ

تَوَخّى حِمامُ ٱلْمَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتي   فَلِلّهِ كَيْفَ ٱخْتارَ وَاسِطَةَ ٱلْعِقْدِ

عَلى حِينَ شِمْتُ ٱلْخَيْرَ مِن لَمَحاتِهِ   وَآنَسْتُ مِن أَفْعالِهِ آيَةَ ٱلرُّشْدِ

طَواهُ ٱلرَّدى عَنّي فَأَضْحى مَزارُهُ   بَعيداً عَلى قُرْبٍ قَريباً عَلى بُعْدِ

لَقَدْ أَنْجَزَتْ فيهِ ٱلْمَنايا وَعيدَها
وَأَخْلَفَتِ ٱلْآمالُ ما كانَ مِن وَعْدِ

لَقَدْ قَـلَّ بَينَ ٱلْمَهْدِ وَٱللَّحْدِ لُبْثُهُ
فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ ٱلْمَهْدِ إِذْ ضُمَّ في ٱللَّحْدِ

عَجِبْتُ لِقَلْبي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ
وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسى مِنَ ٱلْحَجَرِ ٱلصَّلْدِ (٢)

وَإِنّي وَإِنْ مُتِّعْتُ بِٱبْنَيَّ بَعْـدَهُ
لَذاكِرُهُ ما حَنَّتِ ٱلنِّيبُ في نَجْدِ (٣)

---

(١) يجدي ينفع وأودى مات (٢) الصلب القاسي (٣) النيب جمع نيباء وهي الناقة الغليظة الناب

وَأَوْلادُنا مِثْلُ ٱلْجَوارِحِ أَيُّها
فَقَدْناهُ كانَ ٱلْفاجِعَ ٱلْبَيِّنَ ٱلْفَقْدِ[1]
لَعَمْرِي لَقَدْ حالَتْ[2] بِيَ ٱلْحالُ بَعْدَهُ
فَيا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حالَتْ بِهِ بَعْدي
ثَكِلْتُ[3] سُرُورِي كُلَّهُ إِذْ ثَكِلْتُهُ
وَأَصْبَحْتُ في لَذّاتِ عَيْشِي أَخا سُهْدِ
أَرَيْحانَةَ ٱلْعَيْنَيْنِ وَٱلْأَنْفِ وَٱلْحَشا
أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرْتَ عَنْ عَهْدي
سَأَسْقِيكَ ماءَ ٱلْعَيْنِ ما أَسْعَدَتْ بِهِ
وَإِنْ كانَتِ ٱلسُّقْيا مِنَ ٱلدَّمْعِ لا تُجْدي
أَعَيْنَيَّ جُودا لي فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرى
بِأَنْفَسَ مِمّا تُسْأَلانِ مِنَ ٱلرِّفْدِ[4]
أَلامُ لِما أُبْدي عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَسى
وَإِنّي لَأُخْفي مِنْكَ أَضْعافَ ما أُبْدي
مُحَمَّدُ ما شَيْءٌ تُوُهِّمَ سَلْوَةً
لِقَلْبِيَ إِلّا زادَ قَلْبي مِنَ ٱلْوَجْدِ

(١) الفاجع الموجع والبيّن الفقد الذي فقده ظاهر (٢) تغيّرت (٣) فقدت
(٤) العطاء

أرى أَخوَيكَ ٱلباقِيَينِ كِلَيهِما
يَكُونانِ لِلأَحزانِ أَورى مِنَ ٱلزَّندِ[1]
إذا لَعِبا في مَلعَبٍ لَكَ لَذَّعا[2]
فُؤادي بِمِثلِ ٱلنّارِ مِن غَيرِ ما قَصدِ
فَما فيهِما لي سَلوَةٌ بَل حَزازَةٌ[3]
يَهيجانِها دُوني وَأَشقى بِها وَحدي
وَأَنتَ وَإِن أُفرِدتَ في دارِ وَحشَةٍ
فَإِنّي بِدارِ ٱلأُنسِ في وَحشَةِ ٱلفَردِ

وقال ايضاً يرثي ابنه هبة الله

أَبُنَيَّ إِنَّكَ وَٱلعَزاءَ مَعاً بِٱلأَمسِ لُفَّ عَلَيكُما كَفَنُ
تَاللهِ لا تَنفَكُّ لي شَجَناً يَمضِي ٱلزَّمانُ وَأَنتَ لي شَجَنُ
ما أَصبَحَتْ دُنيـايَ لي وَطَناً
بَل حَيثُ دارُكَ عِنـدِيَ ٱلوَطَنُ
ما في ٱلنَّهارِ وَقَد فَقَدتُكَ مِن[4] أُنسٍ وَلا في ٱللَّيلِ لي سَكَنُ
أَولادُنا أَنتُم لَنـا فِتَنٌ وَتُفـارِقُونَ فَأَنتُم مِحَنُ

---

(١) ورى الزند خرجت ناره وأورى افعل تفضيل (٢) احرقا (٣) الحرازة تأثير الحزن في القلب (٤) كان الاصل وان فقدتك

وقال ابن هانئ الاندلسي يرثي ابراهيم بن جعفر ويعزي اباه عنه

وَهَبَ ٱلدَّهرُ نَفِيساً فَٱستَرَدْ   رُبَّمَا جادَ بَخِيلٌ فَحَسَدْ
خابَ مَنْ يَرْجُو زَمانًا دائِمًا   تُعْرَفُ ٱلبَأْساءُ مِنْهُ وَٱلنَّكَدْ (١)
فَلَقَدْ أَذْكَرَ مَن كانَ سَها   وَلَقَدْ نَبَّهَ مَنْ كانَ رَقَدْ
هابَ أَنْ يُجرِيَ عَلَيْهِ (٢) حُكْمَهُ   فَنَوى ٱلغَدْرَ لَهُ يَوْمَ وُلِدْ
لَوْ تَراخَى ٱلمَوْتُ عَنْهُ ساعةً   مَلَأَ ٱلأَرْضَ طِعانًا وَصَفَدْ (٣)
يا أَبا أَحمَدَ وَٱلحِكْمَةُ في   قَوْلِ مَنْ قالَ إِلى ٱللهِ ٱلمَرَدْ
لا مَلومٌ أَنتَ في بَعْضِ ٱلأَسى   غَيرَ أَنَّ ٱلحُرَّ أَوْلى بِٱلجَلَدْ
وَٱلمُنى أَنتَ إِذا دُمْتَ لَنا   دامَتِ ٱلنَّعْماءُ وَٱلعَيْشُ ٱلرَّغَدْ
وَهِيَ ٱلأَيَّامُ لا يَأْمَنُها   حازِمٌ يَأْخُذُ مِنْ يَوْمٍ لِغَدْ

وقال صردر يرثي ابا منصور بن يوسف ويعزي عنه صهره ابا القاسم بن رضوان

لا قَبِلْنا في ذِي ٱلمُصابِ عَزاءَ   أَحسَنَ ٱلدَّهرُ بَعْدَهُ أَوْ أَساءَ
حَسَراتٌ يا نَفسُ تَفْتُكُ بِٱلصَّبْـرِ   وَحُزْنٌ يُقَلْقِلُ ٱلأَحْشاءَ
كَيفَ يَسْلُو مَنْ فارَقَ ٱلمَجْدَ وَٱلسُّؤْ   دُدَ وَٱلحَزْمَ وَٱلنَّدى وَٱلعَلاءَ
وَٱلسَّجايا ٱلَّتي إِذا ٱفْتَخَرَ ٱلدُّ   رُّ ٱدَّعاها مَلاسَةً وَصَفاءَ
خَرِسَتْ أَلسُنُ ٱلنُّعاةِ وَوَدَّتْ   كُلُّ أُذْنٍ لَوْ غُودِرَتْ صَمَّاءَ

---

(١) البأساء الشدة والنكد العسر (٢) الضمير في عليه يرجع الى المرثي
(٣) الصفد العطاء

جَهِلُوا أَنَّهُمْ نَعَوْا مُهْجَةَ ٱلْمَجْـدِ ٱلْمُصَفَّى وَٱلْعِزَّةَ ٱلْقَعْساءَ[1]
لَوْ أَرادَتْ عِرْسُ ٱلْمَكارِمِ بَعْلًا عَدِمَتْ بَعْدَ فَقْدِهِ ٱلْأَكْفاءَ[2]
ما دَرى حامِلُوهُ أَنَّهُمْ عَنْـهُمْ أَزالُوا ٱلْأَظْلالَ وَٱلْأَفْياءَ
يُودِعُونَ ٱلثَّرى كَما حَكَمَ ٱللّٰـهُ بِكُرْهٍ غَمامَـةً غَرّاءَ
وَلَوَانَّ ٱلْخِيارَ[3] أَضْحَى إِلَيْهِمْ
مـا أَحَلُّوا ٱلْغَمامَ إِلّا ٱلسَّماءَ
يالَها مِنْ مُصيبَةٍ عَمَّتِ ٱلْعا لَمَ طُرًّا وَخَصَّتِ ٱلْعُظَماءَ
يَتْبَعُ ٱلنَّاسُ ذٰلِكَ ٱلنُّورَ أَرْسا لًا كَما يَتْبَعُ ٱلْخَمِيسُ ٱللِّواءَ[4]
أَنْتَ مِنْ مَعْشَرٍ أَبى طِيبُ ٱلذِّكْـرِ عَلَيْهِمْ أَنْ يُشْمِتَ ٱلْأَعْداءَ
فَهُمُ كَٱلْأَنامِ يَبْلَوْنَ أَجْسا ماً وَلٰكِنْ يُخَلَّدُونَ ثَنـاءَ
وَإِذا كانَتِ ٱلْحَياةُ هِيَ ٱلدَّا ءُ ٱلْمُعَنِّي[5] فَقَدْ عَدِمْنا ٱلشِّفاءَ
إِنَّما هٰذِهِ ٱلْأَمانِيُّ فِي ٱلنَّفْـسِ سَرابٌ ما يَنْقَعُ ٱلْأَظْماءَ[6]
جَلَداً أَيُّها ٱلْأَجَلُّ أَبُو ٱلْقا سِمِ وَٱلْعَوْدُ[7] يَحْمِلُ ٱلْأَعْباءَ
خُلُقٌ فِيكَ أَنْ تُنَجِّي مِنَ ٱلْكَرْ بِ نُفُوساً وَتَكْشِفَ ٱلْغَمّاءَ[8]

---

(١) الثابتة (٢) العرس الزوجة والاكفاء جمع كفوء وهو المثل (٣) الاختيار
(٤) الارسال جمع رَسَل وهو الجماعة والخميس الجيش (٥) المؤذي والمحزن
(٦) السراب ما تراه نصف النهـار كالماء يلصق بالارض . ونقع الظمأ سكّنهُ
(٧) العود في الاصل المسنّ من الابل ويريد به هنـا الشيخ الكامل
(٨) الحزن والداهية

ما كَرِهتَ ٱلأَقدارَ قطُّ وَلَو جا ءَتْ بِبُؤسى وَلا ذَمَمتَ ٱلقَضاء
وَلكَ ٱلعَزْمَةُ ٱلَّتي دُونَها ٱلسَّيــفُ نَفاذاً وَجُرأَةً وَمَضاء

وقال ايضاً يرثي ابا نصر بن حميلة صاحب الديوان

هٰذِهِ ٱلأَرضُ أُمُّنا وَأَبُونا حَمَلَتْنا بِٱلكُرْهِ ظَهراً وَبَطْنا
لَوْ رَجَعْنا إلى ٱليَقينِ عَلِمْنا أَنَّنا في ٱلدُّنَى[١] نُشَيِّدُ سِجْنا
إِنَّما ٱلعَيْشُ مَنْزِلٌ فيــهِ بابا نِ دَخَلْنا مِنْ ذَا وَمِنْ ذَا خَرَجْنا
وَضُرُوبُ ٱلأَطْيارِ لَوْطِرْنَ ماطِرْ نَ فَلا بُدَّ أَنْ يُراجِعْنَ وَكْنَا[٢]
يَحْسِبُ ٱلْهِمُّ[٣] عُمْرَهُ كُلَّ حَوْلٍ فَإِذا ٱسْتَكْثَرَ ٱلحِسابَ تَمَنَّى
خَدَعاتٌ مِنَ ٱلزَّمانِ إذا أَبــكَيْنَ عَيناً مِنهُنَّ أَضحَكْنَ سِنَّا
لَوْ دَرَتْ هٰذِهِ ٱلحَمائِمُ ما نَدْ رِي لَمَا رَجَّعَتْ عَلى ٱلغُصْنِ لَحْنا
مَوْرِدٌ غَصَّ بِٱلزِّحامِ فَلَوْلا سَبْقُ مَنْ جاءَ قَبْلَنَا لَوَرَدْنا
وَأَرى ٱلدَّهْرَ مُفْرَداً وَهْوَ في حا لٍ يَشُنُّ ٱلغاراتِ هَنَّا وَهِنَّا[٤]
ما عَلَيْهِ لَوْ أَنَّهُ كانَ أَبْقى مِنْ أَبي نَصْرٍ ٱلمُهَذَّبِ رُكْنا
والِداً لِلصَّغيرِ بَرًّا وَلِلتِّرْ بِ[٥] أَخاً مُشْفِقاً وَلِلأَكْبَرِ ٱبْنا
مِنْ ذُيُولِ ٱلسَّحابِ أَطْهَرَ ذَيْلاً وقَميصِ ٱلنَّسيمِ أَطْيَبَ رُدْنا[٦]

(١) جمع الدنيا (٢) عشاً (٣) الشيخ الفــاني (٤) اسماء يشار بها الى المكان البعيد (٥) الترب مَن وُلد معك وكان على سنِّك (٦) الردن اصل الكم

ما مَشَتْ في فُؤَادِهِ قَدَمُ ٱلْغِشِّ وَلا أَسْكَنَ ٱلْجَوانِحَ ضِغْنا
إنْ يَكُنْ لِلْحَيـاءِ ماءٌ فَما كا نَ لَهُ غَيرُ ذٰلِكَ ٱلْوَجْهِ مُزْنا[١]
لَهْفَ نَفْسِي على حُسامٍ صَقيلٍ كَيفَ أَضْحَتْ لَهُ ٱلْجَنادِلُ جَفْنا[٢]
وَعَتيقٍ أَثارَ بِٱلسَّبْقِ نَقْعاً فَغَدا فَوْقَهُ يُهـالُ وَيُبْنى[٣]
وَنَفيسٍ مِنَ ٱلذَّخائِرِ لَمْ يُؤْ مَنْ عَلَيْهِ فَٱسْتُودِعَ ٱلْأَرْضَ خَزْنا
أَغْمِضِ ٱلْعَينَ بَعْدَهُ فَغَريبٌ أَنْ تَرى مِثْلَـهُ وَأَيْنَ وَأَنَّى
فَٱلْقُصُورُ ٱلْمُشَيَّداتُ تُعَزَّى وَٱلْقُبُورُ ٱلْمُبَعْثَراتُ[٤] تُهَنَّى

وقال ابن سنان الخفاجي يرثي مخلص الدولة ابا المتوّج
مقلد بن نصر بن منقذ

أَطَلْتَ لَيالِيَّ حَتّى ظَنَنْـتُ أَنَّكَ بِنْتَ بِأَسْحارِها[٥]
وَغادَرْتَ دَمْعِي رَقيبَ ٱلْجُفُونِ فَباعَدْتَ ما بَينَ أَشْفارِها[٦]
وَسَاغِبَةٍ[٧] عَلَّلَتْ في ٱلظَّلامِ بَنِيها بِقُرْبِكَ مِن دارِها
فَكُنْتَ إلى بَذْلِ مـا أَمَّلَتْـهُ أَسْرَعَ مِنْ وَهْمِ أَفْكارِها
جَلَوْتَ غَياهِبَهـا وَٱلْكِرا مُ تَقْري ٱلضُّيُوفَ بِأَعْذارِها

---

(١) سحاباً (٢) الجنـادل الصخور وجفن السيف غمده (٣) الفرس العتيق الرائع الذي يعجب الناس بحسنه والنقع الغبار وهال عليه التراب صبّه (٤) المفرقة والمبدّدة (٥) اي فارقت مع اسحارها (٦) جمع شفر وهو اصل منبت الشعر في حرف الجفن (٧) جائعة

فَإِنِّي لِإِخوانِ صِدْقٍ[1] أَطَلْتَ عَلَيها بَقِيَّةَ أَعْمارِها
مَلَكْتَ ضَمائِرَهـا وَٱسْتَرَقَّ جُودُكَ رِبْقَةَ أَحرارِها[2]
فَإِنْ نَزَحُوا فيكَ ماءَ ٱلْجُفُونِ فَإِنَّكَ إِنْسانُ أَبْصارِها[3]
وَإِنْ عَقَرُوا[4] لَكَ حَبَّ ٱلْقُلُوبِ فَقَدْ كُنْتَ مَوْضِعَ أَسْرارِها

وقال ابن الخياط يرثي ابن الامير عثمان وكان قد قُتِل بالبقاع

لَيسَ ٱلْبُكاءُ وَإِنْ أُطِيلَ بِمُقْنِعي
أَلْخَطْبُ أَعْظَمُ قِيمَةً مِن أَدْمُعي
أَوَ كُلَّما أَوْدى ٱلزَّمانُ بِمُنْفِسٍ
مِنِّي جَعَلْتُ إِلى ٱلْمَدامِعِ مَفْزَعي[5]
هَلَّا شَجانِي أَنَّ نَفْسِي لَمْ تَفِضْ[6]
أَسَفاً وَأَنَّ حَشايَ لَمْ تَتَقَطَّعِ
ما كانَ هٰذا ٱلْقَلْبُ أَوَّلَ صَخْرَةٍ
مَلْمُومَةٍ قُرِعَتْ فَلَمْ تَتَصَدَّعِ[7]
يا لِلرِّجالِ لِنازِلٍ لَمْ يُحْتَسَبْ وَلِحادِثٍ ما كانَ بِٱلْمُتَوَقَّعِ[8]

---

(١) يقال رجل صدق اي مرضي في الصداقة ولا يخون (٢) استرق ملك والربقة العروة (٣) نزح ماء الجفون استقاه حتى نفد وانسان العين بؤبؤها (٤) جرحوا ونحروا (٥) المنفس النفيس والمفزع الملجأ (٦) فاضت نفسه خرجت روحه (٧) الصخرة الململمة المستديرة الصلبة وتصدَّع تشقَّق (٨) احتسب ظَنَّ وتوقع الامر انتظر وقوعه

ما خِلتُني أُلجا إلى صبرٍ على ... زَمنٍ بِتفريقِ الأحبّةِ مُولَعِ
تاللهِ ما جارَ الزمانُ ولا اعتدى ... بأشدَّ من هذا المُصابِ وأوجعِ
أشكو إلى الأيّامِ فيكَ رَزيّتي ... هل تسمعُ الأيّامُ شكوى مُوجَعِ
أخضعتَني لِلنائباتِ ومَن يُصبْ ... يوماً بمثلِكَ يستذِلّ ويخضعِ

وقال جميل الزهاوي يرثي شهداء لبنان وسوريا في الحرب الكبرى

على كلِّ عودٍ صاحبٌ وخليلُ ... وفي كلِّ بيتٍ رنّةٌ وعويلُ
أجالوا بهاتيكَ المشانقِ نظرةً ... يلوحُ عليها اليأسُ حينَ تجولُ
يرومونَ أن يلقَوا عُدولاً (١) فينطِقوا
وهيهاتِ ما في الحاضرينَ عدولُ
ستبكي على تلكَ الوجوهِ منازلٌ
وتبكي رُبوعٌ للعُلى وطُلولُ (٢)
سرت روحُهم تطوي السماءَ لربِّها ... وما غيرُ ضوءِ الفرقدينِ دليلُ
فأعظِمْ بخطبٍ فيهِ للمجدِ شقوةٌ ... وفي جسدِ العلياءِ منهُ نحولُ
ويا لكَ من رُزءٍ حمِدتُ لهُ البُكا ... وقُبّحتُ فيهِ الصبرَ وهوَ جميلُ
وإنَّ بكائي اليومَ لو نفعَ البُكا ... عليهمْ وفي مستقبلي سيطولُ
أبعدَ بني قومي أُنهنِهُ عبرتي (٣) ... وأمنعُها إنّي إذاً لبخيلُ

(١) عادلين (٢) جمع طلل وهو المرتفع من اثار الدار (٣) نهنه عبرته كفّها ومنعها

قَدِ ٱسْوَدَّ لَيْلُ ٱلظُّلْمِ حَتَّى كَأَنَّهُ
سِتَارٌ عَلَى ٱلأَرْضِ ٱلْفَضَاءِ سَدِيلُ (١)
فَيَا لَكَ مِن لَيْلٍ يَرُوعُ (٢) كَأَنَّمَا
بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْـهُ يَرْقُبُ غُولُ
وَقَدْ قَرَّ حَتَّى قِيلَ قَدْ جَمَدَ ٱلدُّجَى
وَخِلْتُ بَيَاضَ ٱلصُّبْحِ لَيْسَ يَسِيلُ
وَعَسْعَسَ يَرْتَاعُ ٱلْكَرَى مِن ظَلامِهِ
وَطَالَ وَلَيْلُ ٱلْخَائِفِينَ يَطُولُ (٣)
إِذِ ٱلْوَطَنُ ٱلْمَأْسُورُ يَنْهَضُ قَائِماً فَتَقْعُدُ أَغْـلالٌ بِهِ وَكُبُولُ

• • •

مَضَى مَا مَضَى لا عَادَ وَٱلْيَوْمَ فَٱسْتَمِعْ
إِلَى لَهْجَةِ ٱلتَّارِيخِ كَيْفَ تَقُـولُ
سَتُكْتَبُ فِيـهِ بِٱلدِّمَاءِ حَوَادِثٌ
وَتُقْرَأُ لِلْوَيْلاتِ فِيـهِ فُصُولُ
وَيَذْهَبُ هٰذَا ٱلْجِيلُ نِضْوَ شَقَائِهِ (٤)
وَيَأْتِي سَعِيداً بِٱلسَّلَامَةِ جِيـلُ

---

(١) مُرخى ومرسل (٢) يخيف (٣) عسعس الليل اقبل ويرتاع يفزع والكرى النعاس (٤) اي مهزولاً من شقائه

وقال حافظ ابراهيم يرثي محمود باشا سامي البارودي

رُدُّوا عَلَيَّ بَيانِي بَعْدَ مَحْمُودِ إِنِّي عَيِيتُ وَأَعْيا ٱلشِّعْرُ مَجْهُودِي
ما لِلْبَلاغَةِ غَضْبَى لا تُطاوِعُنِي وَما لِحَبْلِ ٱلْقَوافِي غَيْرَ مَمْدُودِ
وَلَوْ دَرَتْ أَنَّ هٰذا ٱلْخَطْبَ أَفْحَمَنِي
لَأَطْلَقَتْ مِنْ لِسانِي كُلَّ مَعْقُودِ
لَبَّيْكَ يا مُؤْنِسَ ٱلْمَوْتَى وَمُوحِشَنا
يا فارِسَ ٱلشِّعْرِ وَٱلْهَيْجاءِ وَٱلْجُودِ
مُلْكُ ٱلْقُلُوبِ وَأَنْتَ ٱلْمُسْتَقِلُّ بِهِ
أَبْقَى عَلَى ٱلدَّهْرِ مِنْ مُلْكِ ٱبْنِ داوُدِ
تَجْرِي ٱلسَّلاسَةُ فِي أَثْناءِ مَنْطِقِهِ
تَحْتَ ٱلْفَصاحَةِ جَرْيَ ٱلْماءِ فِي ٱلْعُودِ
لَوْ حَنَّطُوكَ بِشِعْرٍ أَنْتَ قائِلُهُ
غَنِيتَ عَنْ نَفَحاتِ ٱلْمِسْكِ وَٱلْعُودِ
لَبَّيْكَ يا خَيْرَ مَنْ هَزَّ ٱلْيَراعَ وَمَنْ
هَزَّ ٱلْحُسامَ وَمَنْ لَبَّى وَمَنْ نُودِي
إِنْ هُدَّ رُكْنُكَ مَنْكُوبًا فَقَدْ رَفَعَتْ
لَكَ ٱلْفَضِيلَةُ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودِ
كُنْتَ ٱلْوَزِيرَ وَكُنْتَ ٱلْمُسْتَعانَ بِهِ وَكانَ هَمُّكَ هَمَّ ٱلْقادَةِ ٱلصِّيدِ

كَمْ وَقْفَةٍ لَكَ وَٱلأَبطالُ طائِرَةٌ
وَٱلْحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيداً بِصِنْدِيدِ
لَوْ أَنْصَفُوا أَوْدَعُوهُ جَوْفَ لُؤْلُؤَةٍ
مِن كَنْزِ حِكْمَتِهِ لا جَوْفَ أُخْدُودِ[1]
وَأَنْزَلُوهُ بِأُفْقٍ مِن مَطالِعِهِ فَوْقَ ٱلْكَواكِبِ لا تَحْتَ ٱلْجَلامِيدِ

وقال ايضاً يرثي بنت محمود باشا البارودي

بَينَ ٱلسَّرائِرِ ضِنَّةً دَفَنُوكِ أَمْ فِي ٱلْمَحاجِرِ خِلْسَةً خَبَؤُوكِ
يابِنْتَ مَحْمُودٍ يَعِزُّ عَلى ٱلْوَرى لَمْسُ ٱلتُّرابِ لِجِسْمِكِ ٱلْمَنْهُوكِ
تَرَكُوا شَبابَكِ فِيهِ نَهْباً لِلْبِلى واهاً لِغَضِّ شَبابِكِ ٱلْمَتْرُوكِ
وَحَثَوْهُ فَوْقَ سَناكِ يا شَمْسَ ٱلضُّحَى
فَبَكَى لَهُ بَدْرُ ٱلسَّماءِ أَخُوكِ
داسَ ٱلحِمامُ عَرِينَ آسادِ ٱلشَّرى
يالَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ كانَ أَبُوكِ
عَهْدِي بِهِ يَلْقَى ٱلرَّدى بِمُهَنَّدٍ يَعْلُوهُ غِمْدٌ مِن دَمٍ مَسْفُوكِ
يا نَفْسَ مَحْمُودٍ وَأَنْتِ عَلِيمَةٌ بِطَرِيقِ هٰذا ٱلعالَمِ ٱلْمَسْلُوكِ
عَهِدُوكِ لا تَتَصَدَّعِينَ لِحادِثٍ أَوَ أَنْتِ باقِيَةٌ كَما عَهِدُوكِ
هٰذا ٱلتُّرابُ وَأَنْتِ أَعْلَمُ مُلْتَقَى هٰذا ٱلْوَرى مِن سُوقَةٍ وَمُلُوكِ

---

(١) الاخدود حفرة مستطيلة في الارض

هَلْ أَنتِ إِلَّا بَينَ جَنْبَيْ مـاجِدٍ
صَعْبِ الشَّكِيمَةِ لِلخُطُوبِ ضَحُوكِ
يُغْضِي بِحَضْرَتِهِ الزَّمانُ فَيَلْتَقِي عِزُّ المَلِيكِ وَذِلَّةُ المَمْلُوكِ

وقال يرثي الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

سَلامٌ عَلى الإِسْلامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ سَلامٌ عَلى آياتِهِ النَّضِراتِ
لَقَدْ كُنْتُ أَخْشى عادِيَ المَوْتِ قَبْلَهُ
فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَياتِي
زَرَعْتَ لَنا زَرْعاً فَأَخْرَجَ شَطْأَهُ[1] وَبِنْتَ وَلَمَّا نَجْتَنِ الثَّمَراتِ
مَدَدْنا إِلى الأَعْلامِ بَعْدَكَ راحَنا فَرُدَّتْ إِلى أَعْطافِنا صَفِراتِ[2]
وَجالَتْ بِنا تَبْغِي سِواكَ عُيُونُنا فَعُدْنَ وَآثَرْنَ العَمَى شَرِقاتِ
وَكَمْ لَكَ في إِغْفاءَةِ الفَجْرِ يَقْظَةً نَفَضْتَ عَلَيْها لَذَّةَ الهَجَعاتِ
وَكَمْ لَيْلَةٍ عانَدْتَ في جَوْفِها الكَرى
وَنَبَّهْتَ فِيهـا صادِقَ العَزَماتِ
وَأَرْصَدْتَ لِلباغِي عَلى دِينِ أَحْمَدٍ شَباةَ يَراعٍ ساحِرِ النَّفَثاتِ
إِذا مَسَّ خَدَّ الطِّرْسِ فاضَ جَبِينُهُ
بِأَسْطارِ نُورٍ باهِرِ اللَّمَعـاتِ
فَيا سَنَةً مَرَّتْ بِأَعْوادِ نَعْشِهِ لَأَنْتِ عَلَيْنا أَشْأَمُ السَّنَواتِ

---

(١) الشطء ورق الزرع (٢) راح جمع راحة وصفرات خاليات وفارغات

حَطَمْتِ لَنا سَيْفاً وَعَطَّلْتِ مِنْبَراً وَأَزْوَيْتِ رَوْضاً ناضِرَ ٱلزَّهَراتِ
وَأَطْفَأْتِ نِبْراساً وَأَشْعَلْتِ أَنفُساً عَلى جَمَراتِ ٱلْحُزْنِ مُنْطَوِياتِ

الاندلس الجديدة

من قصيدة لاحمد شوقي بك

يا أُخْتَ أَنْدَلُسٍ عَلَيْكِ سَلامُ هَوَتِ ٱلْخِلافَةُ عَنْكِ وَٱلْإِسْلامُ
نَزَلَ ٱلْهِلالُ عَنِ ٱلسَّماءِ فَلَيْتَها طُوِيَتْ وَعَمَّ ٱلْعالَمِينَ ظَلامُ
أَزْرَى بِهِ وَأَزالَهُ عَنْ أَوْجِهِ قَدَرٌ يَحُطُّ ٱلْبَدْرَ وَهْوَ تَمامُ
جُرْحانِ تَمْضي ٱلْأُمَّتانِ عَلَيْهِما هٰذا يَسِيلُ وَذاكَ لا يَلْتامُ
بِكُما أُصِيبَ ٱلْمُسْلِمُونَ وَفِيكُما دُفِنَ ٱلْيَراعُ وَغُيِّبَ ٱلصَّمْصامُ
لَمْ يُطْوَ مَأْتَمُها وَهٰذا مَأْتَمٌ لَبِسُوا ٱلسَّوادَ عَلَيْكِ فِيهِ وَقامُوا
ما بَيْنَ مَصْرَعِها وَمَصْرَعِكِ ٱنْقَضَتْ
فِيما نُحِبُّ وَنَكْرَهُ ٱلْأَيّامُ
خَلَتِ ٱلْقُرُونُ كَلَيْلَةٍ وَتَصَرَّمَتْ دُوَلُ ٱلْفُتُوحِ كَأَنَّها أَحْلامُ
وَٱلدَّهْرُ لا يَأْلُوا[1] ٱلْمَمالِكَ مُنْذِراً فَإِذا غَفَلْنَ فَما عَلَيْهِ مَلامُ
مَقْدُونِيا وَٱلْمُسْلِمُونَ عَشِيرَةٌ كَيْفَ ٱلْخُؤُولَةُ فِيكِ وَٱلْأَعْمامُ
أَتُراهُمُ هانُوا وَكانَ بِعِزِّهِمْ وَعُلُوِّهِمْ يَتَخايَلُ ٱلْإِسْلامُ
أَرَأَيْتِ كَيْفَ أُدِيلَ[2] مِنْ أُسْدِ ٱلشَّرى وَشَهِدْتِ كَيْفَ أُبِيحَتِ ٱلْآجامُ

---

(١) لا يترك (٢) اديل منه نزعت الدولة منه واعطيت غيره

زَعَمُوكِ هَمًّا لِلْخِلافَةِ ناصِباً وَهَلِ ٱلْمَمالِكُ راحَةٌ وَمَنامُ
وَيَقُولُ قَوْمٌ كُنْتِ أَشأَمَ مَوْرِدٍ وَأَراكِ سائِغَةً عَلَيْكِ زِحامُ
لَوْ آثَرُوا ٱلْإِصْلاحَ كُنْتِ لِعَرْشِهِمْ
رُكْناً عَلى هامِ ٱلنُّجُومِ يُقامُ
صُوَرُ ٱلْعَمَى شَتَّى وَأَقْبَحُها إِذا نَظَرَتْ بِغَيْرِ عُيُونِهِنَّ ٱلْهامُ

...

عِيسى سَبِيلُكَ رَحْمَةٌ وَمَحَبَّةٌ في ٱلْعالَمِينَ وَعِصْمَةٌ وَسَلامُ
ما كُنْتَ سَفَّاكَ ٱلدِّماءِ وَلا ٱمْرَءًا هانَ ٱلضَّعِيفُ عَلَيْهِ وَٱلْأَيْتامُ
يا حامِلَ ٱلْآلامِ عَنْ هٰذا ٱلْوَرى كَثُرَتْ عَلَيْهِ بِٱسْمِكَ ٱلْآلامُ
أَنْتَ ٱلَّذي جَعَلَ ٱلْعِبادَ جَمِيعَهُمْ رَحِماً وَبِٱسْمِكَ تُقْطَعُ ٱلْأَرْحامُ

...

يا أُمَّةً بِفَرُوقَ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ قَدَرٌ تَطِيشُ إِذا أَتى ٱلْأَحْلامُ
فِيمَ ٱلتَّخاذُلُ بَيْنَكُمْ وَوَراءَكُمْ أُمَمٌ تُضاعُ حُقُوقُها وَتُضامُ
إِنَّ ٱلْأُلى فَتَحُوا ٱلْفُتُوحَ جَلائِلًا
دَخَلُوا عَلى ٱلْأُسْدِ ٱلْغِياضَ[1] وَنامُوا
هٰذا جَناهُ عَلَيْكُمُ آباؤُكُمْ صَبْراً وَصَفْحاً فَٱلْجُناةُ كِرامُ
رَفَعُوا عَلى ٱلسَّيْفِ ٱلْبِناءَ فَلَمْ يَدُمْ ما لِلْبِناءِ عَلى ٱلسُّيُوفِ دَوامُ

(١) الغياض جمع غيضة وهي الأجمة ومجتمع الشجر في مغيض ماء

أَبقَى ٱلْمَمالِكِ ما ٱلْمَعارِفُ أُسُّهُ وَٱلْعَدْلُ فيـــهِ حائِطٌ وَدِعامُ

...

صَبْراً أَدَرْنَةَ كُلُّ مُلْكٍ زائِلٌ يَوْماً وَيَبْقَى ٱلْمالِكُ ٱلْعَلَّامُ

وقال ايضاً يرثي الطيارين فتحي ونوري

أُنظُرْ إلى ٱلأَقمارِ كَيفَ تَزُولُ وَإلى وُجوهِ ٱلسَّعْدِ كَيفَ تَحُولُ
وَإلى ٱلجِبالِ ٱلشُّمِّ كَيفَ يُميلُها عادي ٱلرَّدى بِإِشارَةٍ فَتَميلُ
وَإلى ٱلنُّسُورِ تَقاصَرَتْ أَعمارُها وَٱلعَهْدُ في عُمْرِ ٱلنُّسُورِ يَطُولُ
فَتْحُ ٱلسَّماءِ وَنُورُها سَكَنا ٱلثَّرى فَٱلأَرْضُ وَلْهَى وَٱلسَّماءُ ثَكُولُ
سِرْ في ٱلْهَواءِ وَلُذْ بِناصِيَةِ ٱلسُّهَى أَلْمَوْتُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ سَبيلُ
«وَلِكُلِّ نَفْسٍ ساعَةٌ مَن لَمْ يَمُتْ
فيها عَزيزاً ماتَ وَهْوَ ذَليــلُ»
ما ٱلْمَوْتُ مِن هَمَلٍ[1] ٱلأَنامِ كَهالِكٍ
زالَتْ بِهِ دُنْيا وَماتَ قَبيلُ[2]
فَٱرْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَها
فَٱلذِّكْرُ عُمْرٌ لَوْ عَلِمْتَ طَويلُ
لا تَذْهَبُ ٱلحَسَناتُ في إِثْرِ ٱلْفَتى إِنَّ ٱلزَّمانَ بِنَشْرِهِنَّ كَفيلُ
يا أَيُّها ٱلشُّهَداءُ لَنْ يُنْسَى لَكُمْ فَتْحٌ أَغَرُّ عَلى ٱلسَّماءِ جَميلُ

---

(١) الهمل المتروك بلا راع (٢) القبيل الجماعة

وَٱلْمَجْدُ فِي ٱلدُّنيا لِأَوَّلِ مُبْتَنٍ   وَلِمَن يُشَيِّدُ بَعْدَهُ فَيُطِيلُ
لَوْلا نُفُوسٌ زُلْنَ فِي سُبُلِ ٱلعُلى   لَمْ يَهْدِ فِيها ٱلسَّالِكِينَ دَلِيلُ
وَٱلنَّاسُ باذِلُ رُوحِهِ أَوْ مالِهِ   أَوْ عِلْمِهِ وَٱلآخَرُونَ فُضُولُ
وَمِنَ ٱلعَجائِبِ فِي زَمانِكَ أَنْ يَفِي   لَكَ فِي ٱلْحَياةِ وَفِي ٱلْمَماتِ خَلِيلُ
لَوْ كانَ يُفْدَى هالِكٌ لَفَداكُمُ   فِي ٱلْجَوِّ نَسْرٌ بِٱلْحَياةِ بَخِيلُ
إِنِّي أَخافُ عَلى ٱلسَّماءِ مِنَ ٱلْأَذى   فِي يَوْمِ يَفْسُدُ فِي ٱلسَّماءِ ٱلْجِيلُ
كانَتْ مُطَهَّرَةَ ٱلْأَدِيمِ نَقِيَّةً   لا آدَمٌ فِيها وَلا قابِيلُ
يَتَوَجَّهُ ٱلعافِي إِلى رَحَماتِها   وَيَرى بِها بَرْقَ ٱلرَّجاءِ عَلِيلُ
وَٱلْيَوْمَ لِلشَّهَواتِ فِيها وَٱلْهَوى   سُبُلٌ وَلِلدَّمِ وَٱلدُّمُوعِ مَسِيلُ

• • •

هَلِعَتْ دِمَشْقُ وَأَقْبَلَتْ فِي أَهْلِها   مَلْهُوفَةً لَمْ تَدْرِ كَيْفَ تَقُولُ
مَشَتِ ٱلشُّجُونُ بِها وَعَمَّ غِياطَها[1]
بَيْنَ ٱلْجَداوِلِ وَٱلْعُيُونُ ذُبُولُ
فِي كُلِّ سَهْلٍ أَنَّةٌ وَمَناحَةٌ   وَبِكُلِّ حَزْنٍ رَنَّةٌ وَعَوِيلُ
قُلْ لِلْإِمامِ مُحَمَّدٍ وَلِآلِهِ   صَبْرُ ٱلعِظامِ عَلى ٱلعَظِيمِ جَمِيلُ
إِنْ تَفْقِدُوا ٱلآسادَ أَوْ أَشْبالَها   فَٱلْغابُ مِن أَمْثالِها مَأْهُولُ

---

(١) جمع الغوط وهو المطمئن من الارض

وقال احمد تقي الدين يرثي نجيب عبد الملك ناظر المعارف

أَنَجِيبُ مالَكَ لا تَرُدُّ جَوابا وَلَقَدْ عَهِدْتُكَ تَخْلُبُ ٱلأَلبابا
ماذا دَهاكَ مِنَ ٱلخُطوبِ فَأَظْلَمَتْ
دارٌ رَأَيتُ دُمُوعَها تَسْكابا
بِٱلأَمسِ كُنْتَ عَمُودَها وَضِياءَها
وَٱليَومَ عَنْها نُورُ وَجْهِكَ غابا
ما لي أُفَتِّشُ لا أَراكَ وَلا أَرى غَيْرَ ٱلدُّموعِ لِناظِرَيَّ خِطابا
أَسْرَعْتَ في هٰذا ٱلرَّحيلِ وَكُلُّنا نُزْجي إلى هٰذا ٱلمَصيرِ رِكابا
لٰكِنَّ طَرْفَكَ كانَ أَوَّلَ سابِقٍ يا لَيْتَهُ لَمْ يَسْبِقِ ٱلأَتْرابا
لَهَفي عَلى شِبْلٍ جَريءٍ نابِهٍ لَمْ تَلْقَهُ وَكِلًا وَلا هَيَّابا
لَهفي عَلى ذاكَ ٱلجَبينِ وَهَلْ يَدٌ تَحْثُو عَلى ذاكَ ٱلجَبينِ تُرابا
لَهفي عَلى دُورِ ٱلمَعارِفِ إِنَّها فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ ناظِراً خَلَّابا
إِنَّ ٱلمَعارِفَ وَٱلمَكارِمَ وَٱلنُّهى شَقَّتْ عَلَيْكَ مِنَ ٱلأَسى جِلْبابا
قَدْ كُنْتَ ناظِرَها وَفاقِدُ طَرْفِهِ يَلْقَى بِإِحدى ٱلمُقْلَتَينِ عَذابا
وَفَّيتَ قِسْطَكَ لِلمَعالي في ٱلصِّبا وَلَكَمْ فَتًى دُونَ ٱلمَعالي شابا

وقال عبد الرحمن العطوى في رثاء ابن ابي دوءاد

وَلَيسَ صَريرُ ٱلنَّعْشِ ما تَسْمَعُونَهُ وَلٰكِنَّهُ أَصلابُ قَومٍ تَقَصَّفُ
وَلَيسَ فَتِيقُ ٱلمِسْكِ رَيَّا حُنُوطِهِ وَلٰكِنَّهُ ذاكَ ٱلثَّناءُ ٱلمُخَلَّفُ

من مرثاة للشيخ ناصيف اليازجي يرثي ولده حبيباً

ذَهَبَ ٱلْحَبِيبُ فَيا حُشاشَةُ[١] ذُوبِي ... أَسَفاً عَلَيْهِ وَيا دُمُوعُ أَجِيبِي
رَبَّيْتُهُ لِلْبَيْنِ حَتَّى جاءَهُ ... فِي جِنْحِ لَيْلٍ خاطِفاً كَٱلذِّيبِ
يا أَيُّها ٱلأُمُّ ٱلْحَزِينَةُ أَجْمِلِي ... صَبْراً فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ خَيْرُ طَبِيبِ
لا تَخْلَعِي ثَوْبَ ٱلْحِدادِ وَلازِمِي ... نَدْباً عَلَيْهِ يَلِيقُ بِٱلْمَنْدُوبِ
هٰذا هُوَ ٱلْغُصْنُ ٱلرَّطِيبُ أَصابَهُ ... سَهْمُ ٱلْقَضاءِ فَماتَ غَيْرَ رَطِيبِ
إِنِّي وَقَفْتُ عَلى جَوانِبِ قَبْرِهِ ... أَسْقِي ثَراهُ بِمَدْمَعِي ٱلْمَصْبُوبِ
وَلَقَدْ كَتَبْتُ لَهُ عَلى صَفَحاتِهِ ... يا لَوْعَتِي مِن ذٰلِكَ ٱلْمَكْتُوبِ
لَكَ يا ضَرِيحُ كَرامَةٌ وَمَحَبَّةٌ ... عِنْدِي لِأَنَّكَ قَدْ حَوَيْتَ حَبِيبِي

ومن مرثاة لبشاره عبد الله الخوري يرثي بها المرحوم نجيب حبيقه

أَلا أَيُّها ٱلطَّيْرُ ٱلْمُغَرِّدُ فِي ٱلضُّحَى ... عَلى غُصُنٍ لَدْنِ ٱلْقَوامِ رَطِيبِ
أَتَنْدُبُ إِلْفاً فَرَّقَ ٱلدَّهْرُ بَيْنَهُ ... وَبَيْنَكَ أَمْ تَبْكِي لِفَقْدِ نَسِيبِ
تُفَتِّشُ عَنْهُ فِي ٱلرِّياضِ وَتَنْثَنِي ... بِلَوْعَةِ مَلْذُوعِ ٱلْفُؤادِ كَئِيبِ
فَلا أَنْتَ تَلْقاهُ فَتَنْقَعَ[٢] غُلَّةً[٣] ... وَلا هُوَ إِنْ نادَيْتَهُ بِمُجِيبِ
فَتُمْسِي غَرِيباً فِي ٱلْفَلاةِ مُشَرَّداً ... وَنارُ ٱلْأَسَى فِي ٱلْقَلْبِ ذاتُ لَهِيبِ
تُحاوِلُ أَنْ تَلْقَى مَبِيتاً بِذِي ٱلْحِمَى
وَقَدْ آذَنَتْ شَمْسُ ٱلضُّحَى بِمَغِيبِ

---

(١) الحشاشة بقية الروح في المريض والجريح (٢) تسكن (٣) عطشاً

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ وَكْراً يَقِيكَ مِنَ ٱلْأَذى　　فَقَلْبِيَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ غَرِيبِ
وَإِنْ كُنْتَ لَا تَبْغِي ٱلسُّلُوَّ وَلَا تَرَى　　لِقَلْبِكَ بُدّاً مِنْ جَوًى وَوَجِيبِ[1]
فَسِرْ بِي بِسِرْبِيَ[2] لَوْعَةٍ وَنَحِيبِ　　إِلَى جَدَثٍ فِيهِ يُقِيمُ حَبِيبِي

• • •

وَقَفْتُ لَدَى مَثْوَى ٱلنَّجِيبِ وَلِلدُّجَى　　جَلَالَةُ مَلْكٍ فِي ٱلْأَنَامِ مَهِيبِ
وَقَدْ خَيَّمَ ٱلصَّمْتُ ٱلرَّهِيبُ بِسَاحَةٍ　　يَحُومُ عَلَيْهَا ٱلْيَوْمَ كُلُّ أَدِيبِ
وَمَيَّلَ مُعْتَلُّ ٱلنَّسِيمِ بِكَفِّهِ　　ٱللَّطِيفَةِ عُنْقَ ٱلزَّهْرِ عِنْدَ هُبُوبِ
سُكُونُ ظَلَامٍ لَا يُقَطِّعُهُ سِوَى　　حَفِيفِ[3] نُفُوسٍ أَوْ حَنِينِ قُلُوبِ
وَمَا هِيَ إِلَّا وَقْفَةٌ ثُمَّ ضُرِّجَتْ　　ثِيَابِي بِدَمْعٍ بِٱلدِّمَاءِ خَضِيبِ
وَقَدْ هَلَعَ ٱلْعُصْفُورُ مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى
فَقَالَ بِصَوْتٍ خَافِتٍ وَمُرِيبِ
عَلَامَ أَرَى هٰذِي ٱلنُّفُوسَ حَزِينَةً　　وَأَسْمَعُ فِي ذَا ٱلْقَبْرِ صَوْتَ نَحِيبِ
فَقُلْتُ وَقَلْبِي وَاجِفٌ وَنَوَاظِرِي　　تُشِيرُ إِلَى مَثْوًى إِلَيَّ قَرِيبِ
هُنَا أَيُّهَا ٱلْعُصْفُورُ مُضْطَجَعُ ٱلْوَفَا
هُنَا أَيُّهَا ٱلْعُصْفُورُ قَبْرُ نَجِيبِ

—>>*<<—

(١) خفقان (٢) السرب القطيع من الظباء وغيرها (٣) حفّ الطائر حفيفاً اذا سمع عند حركته صوت

الباب السادس

في الفخر والحماسة



قال المتنبي يفتخر

إذا شئتُ حَفَّتْ بي على كُلِّ سابِحٍ
رِجالٌ كأنَّ ٱلْمَوْتَ في فَمِها شَهْدُ(١)

ثِقالٌ إذا لاقَوْا خِفافٌ إذا دُعُوا
كَثيرٌ إذا شَدُّوا قَليلٌ إذا عُدُّوا(٢)

أَذُمُّ إلى هٰـذا ٱلزَّمانِ أُهَيْلَهُ فأَعْلَمُهُمْ فَدْمٌ وأَحْزَمُهُمْ وَغْدُ(٣)

وَمِن نَكَدِ ٱلدُّنْيا على ٱلْحُرِّ أَنْ يَرى
عَدُوًّا لَهُ ما مِن صَداقَتِهِ بُدُّ(٤)

وأُكْبِرُ نَفْسِي عَن جَزاءٍ بِغِيبَةٍ
وَكُلُّ ٱغْتِيابٍ جُهْدُ مَن ما لَهُ جُهْدُ

فَلَمْ أَرَ قَبْلي مَن مَشَى ٱلْبَحْرُ نَحْوَهُ
وَلا رَجُلًا قامَتْ تُعانِقُهُ ٱلأُسْدُ

---

(١) حفَّ به احاط والسابح الفرس السريع الجري (٢) شدَّ عليه حمل وهجم (٣) الفدم العيي في ثقل وقلة فهم . والوغد الاحمق الخسيس (٤) النكد قلة الخير

وقال الابيوردي مفتخرا بنفسه

تَقُولُ ٱبْنَةُ ٱلسَّعْدِيِّ وَهْيَ تَلُومُني   أَمَا لَكَ عَنْ دارِ ٱلْهَوانِ رَحِيلُ
فَإِنَّ عَناءَ ٱلْمُسْتَنِيمِ (١) إِلى ٱلْأَذى   بِحَيْثُ يَذِلُّ ٱلأَكْرَمُونَ طَوِيلُ
فَثِبْ وَثْبَةً فيها ٱلْمَنايا أَوِ ٱلْمُنى   فَكُلُّ مُحِبٍّ لِلْحَياةِ ذَلِيلُ
وَإِنْ لَمْ تُطِقْها فَٱعْتَصِمْ بِٱبْنِ حُرَّةٍ   لِهِمَّتِهِ فَوْقَ ٱلسِّماكِ مَقِيلُ (٢)
يُعِينُ عَلى ٱلْجُلَّى (٣) وَيَسْتَمْطِرُ ٱلنَّدى
عَلى ساعَةٍ فيها ٱلنَّوالُ قَلِيلُ
فَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْفَتى مِن ضَراعَةٍ   تَرُدُّ إِلَيْهِ ٱلطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ
وَما عَلِمَتْ أَنَّ ٱلْعَفافَ سَجِيَّتي   وَصَبْرِي عَلى رَيْبِ ٱلزَّمانِ جَمِيلُ
أَبَى لِيَ أَنْ أَغْشَى ٱلْمَطامِعَ مَنْصِبِي (٤)
وَرَبِّي بِأَرْزاقِ ٱلْعِبادِ كَفِيلُ

وقال ايضاً مفتخراً

وَإِنِّي إِذا أَنْكَرَتْنِي ٱلْبِلادُ   وَشِيبَ (٥) رِضى أَهْلِها بِٱلْغَضَبْ
لَكَالضَّيْغَمِ ٱلْوَرْدِ كادَ ٱلْهَوانُ   يَدِبُّ إِلى غابِهِ فَٱغْتَرَبْ
فَشَيَّدْتُ مَجْداً رَسا أَصْلُهُ   أَمُتُّ (٦) إِلَيْهِ بِأُمٍّ وَأَبْ

(١) استنام الى الاذى سكن اليه واطمأن (٢) السماك كوكب نيّر والمقيل موضع القيلولة وهي النوم في نصف النهار ويريد به هنا المكان أيًّا كان (٣) الامر العظيم (٤) اصلي (٥) خُلِط (٦) أصل اليه

وَلَمْ أَنظِمِ ٱلشِّعْرَ عُجْباً بِـهِ وَلَمْ أَمْتَدِحْ أَحَداً مِن أَرَبْ
وَلا هَزَّنِي طَمَعٌ لِلْقَرِيضِ وَلٰكِنَّـهُ تُرْجُمَانُ ٱلْأَدَبْ

وقال ايضاً مفتخراً بقومه

أَنَا ٱبْنُ ٱلْأَكْرَمِينَ أَباً وَأُمّاً وَهُمْ خَيرُ ٱلْوَرَى عَمّاً وَخَالا
وَأَرْجَحُهُمْ إِذَا قَدِرُوا حُلُوماً(١) وَأَصْدَقُهُمْ إِذَا ٱفْتَخَرُوا مَقَالا
وَأَصْلَبُهُمْ لَدَى ٱلْغَمَرَاتِ عُوداً إِذَا ٱلْخَفِرَاتُ(٢) خَلَّيْنَ ٱلْحِجَالا
وَقَدْ عَلِمَ ٱلْقَبَائِلُ أَنَّ قَوْمِي أَعَزُّهُمُ وَأَكْرَمُهُمْ فَعَالا
وَأَصْرَحُهُمْ إِذَا ٱنْتَسَبُوا أُصُولَا وَأَعْظَمُهُمْ إِذَا وَهَبُوا سِجَالا(٣)

وقال مهيار الديلمي مفتخراً بنفسه

أَعْجِبَتْ بِي بَيْنَ نَادِي قَوْمِهَا أُمُّ سَعْدٍ فَمَضَتْ تَسْأَلُ بِي
سَرَّهَا مَا عَلِمَتْ مِن خُلُقِي فَأَرَادَتْ عِلْمَهَا مَا حَسَبِي
لَا تَخَالِي نَسَباً يَخْفِضُنِي أَنَا مَنْ يُرْضِيكِ عِنْدَ ٱلنَّسَبِ
قَوْمِيَ ٱسْتَوْلَوْا عَلَى ٱلدَّهْرِ فَتًى وَمَشَوْا فَوْقَ رُؤُوسِ ٱلْحُقُبِ
قَدْ قَبَسْتُ ٱلْمَجْدَ مِن خَيرِ أَبٍ وَقَبَسْتُ ٱلدِّينَ مِن خَيرِ نَبِي
وَضَمَمْتُ ٱلْفَخْرَ مِن أَطْرَافِهِ سُؤْدُدَ ٱلْفُرْسِ وَدِينَ ٱلْعَرَبِ

---

(١) جمع حلم وهو الاناة واطمئنان النفس عند صدمة المكروه (٢) النساء الحييات الخجلات والحجال جمع الحجلة وهي ستر العروس في جوف البيت
(٣) جمع سجل وهو ملء الدلو واستعيرت هنا السجال للعطايا

وقال الشريف الرضي يفتخر

أَكُلُّ قَرِيبٍ لي بَعِيدٌ بِوُدِّهِ وَكُلُّ صَدِيقٍ بَينَ أَضْلُعِهِ حِقْدُ
وَللهِ قَلْبٌ لا يُبِلُّ غَلِيلَهُ وِصالٌ وَلا يُلْهِيهِ عَنْ خِلِّهِ وَعْدُ
يُكَلِّفُني أَنْ أَطْلُبَ ٱلْعِزَّ بِٱلْمُنى وَأَيْنَ ٱلْعُلى إِنْ لَمْ يُساعِدُني ٱلْجَدُّ
أُرِيدُ مِنَ ٱلْأَيّامِ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَما بَيْنَ أَضْلاعِي لَها أَسَدٌ وَرْدُ
أَلا لَيتَ شِعْرِي هَلْ تُبَلِّغُني ٱلْمُنى
وَتَلْقَى بِيَ ٱلْأَعْداءَ أَحْصِنَةٌ جُرْدُ
كَأَنَّ نُجُومَ ٱللَّيْلِ تَحْتَ سُرُوجِها
تَهاوى عَلى ٱلظَّلْماءِ وَٱللَّيْلُ مُسْوَدُّ
يُعِيدُ عَلَيْها ٱلطَّعْنَ كُلُّ ٱبْنِ هِمَّةٍ كَأَنَّ دَمَ ٱلْأَعْداءِ في فَمِهِ شَهْدُ
يُضارِبُ حَتّى ما لِصارِمِهِ قُوًى وَيَطْعَنُ حَتّى ما لِذابِلِهِ جَهْدُ
إِذا عَرَبِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ سَيْفِهِ مَضاءً عَلى ٱلْأَعْداءِ أَنْكَرَهُ ٱلْجَدُّ
يَوَدُّ رِجالٌ أَنَّني كُنْتُ مُفْحَماً
وَلَوْلا خِصامِي لَمْ يَوَدُّوا ٱلَّذي وَدُّوا
زَهِدْتُ وَزُهْدي في ٱلْحَياةِ لِعِلَّةٍ وَحُجَّةُ مَنْ لا يَبْلُغُ ٱلْأَمَلَ ٱلزُّهْدُ
وَهانَ عَلى قَلْبي ٱلزَّمانُ وَأَهْلُهُ
وَوِجْدانُنا وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُنا فَقْدُ

وقال ابو فراس الحمداني يمدح سيف الدولة ويفتخر بنفسه

أَسَيفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمَأْمولَ إِنِّي ... عَنِ ٱلدُّنيا إِذا ما عِشْتَ سالِ
وَمَنْ وَرَدَ ٱلْمَهالِكَ لَمْ تَرُعْهُ ... رَزايا ٱلدَّهْرِ في أَهْلٍ وَمالِ
وَأَنتَ أَشَدُّ هٰذا ٱلنَّاسِ بَأْساً ... وَأَصْبَرُهُمْ عَلى نُوَبِ ٱللَّيالي
ضَرَبْتَ فَلَمْ تَدَعْ لِلسَّيْفِ حَدّاً ... وَجُلْتَ بِحَيْثُ ضاقَ عَنِ ٱلْمَجالِ
وَقُلْتَ وَقَدْ أَطَلَّ ٱلْمَوْتُ صَبْراً ... وَإِنَّ ٱلصَّبْرَ عِنْدَ سِواكَ غالي
أَلا هَلْ مُنْكِرٌ يا ٱبْنَي نِزارٍ ... مَقامي يَوْمَ ذٰلِكَ أَوْ مَقالي
أَلَمْ أُثْبِتْ لَها وَٱلْخَيْلُ فَوْضى[1] ... بِحَيْثُ تَخِفُّ أَحْلامُ ٱلرِّجالِ
تَرَكْتُ ذَوابِلَ ٱلْمُرّانِ[2] فيها ... مُخَضَّبَةً مُحَطَّمَةَ ٱلْأَعالي
وَرُحْتُ أَجُرُّ رُمْحي عَنْ مَقامٍ ... تُحَدِّثُ عَنْهُ رَبّاتُ ٱلْحِجالِ
فَقائِلَةٌ تَقولُ أَبا فِراسٍ ... لَقَدْ حامَيْتَ عَنْ حَرَمِ ٱلْمَعالي
وَقائِلَةٌ تَقولُ جُزيتَ خَيْراً ... أُعِيذُ عُلاكَ مِنْ عَيْنِ ٱلْكَمالِ
وَمُهْري لا يَمَسُّ ٱلْأَرْضَ زَهْواً ... كَأَنَّ تُرابَها قُطْبُ ٱلنِّبالِ
كَأَنَّ ٱلْخَيْلَ تَعْلَمُ مَنْ عَلَيْها ... فَفي بَعْضٍ عَلى بَعْضٍ تَغالِ
عَلَيْنا أَنْ نُعاوِدَ كُلَّ يَوْمٍ ... رَخيصٌ عِنْدَهُ ٱلْمُهَجُ ٱلْغَوالي
وَلِلْوُرّاثِ إِرْثُ أَبي وَجَدّي ... جِيادُ ٱلْخَيْلِ وَٱلْأَسَلِ ٱلطِّوالِ
وَما تَجْني سَراةُ بَني أَبينا ... سِوى ثَمَراتِ أَطْرافِ ٱلْعَوالي

(١) مختلط بعضها ببعض (٢) المرّان الرماح الصلبة اللدنة والذوابل الرقاق

مَمالِكُنا مَكاسِبُنا إذا ما تَوارَثَها رِجالٌ عَنْ رِجالِ
فَإِنْ عِشْنا ذَخَرْناها لِأُخرى وَإِنْ مُتْنا فَمَوْتاتِ ٱلرِّجالِ

وقال ايضاً مفتخراً بنفسه

مَنْ كانَ مِثْلي لَمْ يَمُتْ إِلّا أَمِيراً أَوْ أَسِيرا
لَيْسَتْ تَحِلُّ سَراتُنا إِلّا ٱلصُّدُورَ أَوِ ٱلْقُبُورا

وكتب الى سيف الدولة من الاسر

يُنافِسُني هٰذا ٱلزَّمانُ وَأَهْلُهُ وَكُلُّ زَمانٍ لي عَلَيْكَ مُنافِسُ
شَرَيْتُكَ مِنْ دَهْرِي بِذِي ٱلنَّاسِ كُلِّهِمْ
فَلا أَنا مَبْخُوسٌ وَلا ٱلدَّهْرُ باخِسُ
تَشَوَّقَني ٱلأَهلُ ٱلْكِرامُ وَأَوْحَشَتْ
مَواكِبُ بَعْدي عِنْدَهُمْ وَمَجالِسُ
وَمَلَّكْتُكَ ٱلنَّفْسَ ٱلْكَرِيمَةَ طائِعاً وَتُبذَلُ لِلْمَوْلى ٱلنُّفُوسُ ٱلنَّفائِسُ
رَفَعْتُ عَنِ ٱلْحُسَّادِ نَفْسِي وَهَلْ هُمُ
وَمَنْ حَسَدُوا لَوْ شِئْتَ إِلّا فَرائِسُ
أَيُدْرِكُ ما أَدْرَكْتُ إِلّا ٱبْنُ هِمَّةٍ يُمارِسُ في كَسْبِ ٱلْعُلى ما أُمارِسُ
يَضِيقُ مَكانِي عَنْ سِوايَ لِأَنَّني عَلى قُمَّةِ ٱلْمَجْدِ ٱلْمُؤَثَّلِ جالِسُ
سَبَقْتُ وَقَوْمي بِٱلْمَكارِمِ وَٱلْعُلى
وَإِنْ رَغِمَتْ مِنْ آخَرِينَ ٱلْمَعاطِسُ

وقال من قصيدة يفتخر بها وهي من غرر قصائده

سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا جَدَّ جِدُّهُمْ (١)
وَفي ٱللَّيْلَةِ ٱلظَّلْماءِ يُفْتَقَدُ ٱلْبَدْرُ
وَلَوْ سَدَّ غيري ماسَدَدْتُ ٱكْتَفَوْا بِهِ
وَما كانَ يَغْلو ٱلتِّبْرُ لَوْ نَفَقَ ٱلصُّفْرُ (٢)
وَإنّي لَجَرّارٌ لِكُلِّ كَتيبَةٍ
مُعَوَّدَةٍ أَنْ لا يُخِلَّ بِها ٱلنَّصْرُ (٣)
فَأَصْدى إلى أَنْ تَرْتَوي ٱلْبيضُ وَٱلْقَنا
وَأَسْغَبُ حَتّى يَشْبَعَ ٱلذِّئْبُ وَٱلنَّسْرُ (٤)
وَيا رُبَّ دارٍ لَمْ تُخِفْني مَنيعَةٍ طَلَعْتُ عَلَيْها بِٱلرَّدى أَنا وَٱلْفَجْرُ
وَساحِبَةِ ٱلْأَذْيالِ نَحْوي لَقيتُها فَلَمْ يَلْقَها جافي ٱللِّقاءِ وَلا وَعْرُ
وَهَبْتُ لَها ما حازَهُ ٱلْجَيْشُ كُلَّهُ وَرُحْتُ وَلَمْ يُكْشَفْ لِأَبْياتِها سِتْرُ
وَلا راحَ يُطْغيني بِأَثْوابِهِ ٱلْغِنى
وَلا باتَ يَثْنيني عَنِ ٱلْكَرَمِ ٱلْفَقْرُ
وَما حاجَتي في ٱلْمالِ بَغْيَ وُفورِهِ إذا لَمْ أَفِرْ عِرْضي فَلا وَفَرَ ٱلْوَفْرُ (٥)

---

(١) اي اذا جدّوا هم جَدَّهُم (٢) النحاس (٣) الكتيبة الجيش واخلّ بها النصر تركها او لم يفِ لها (٤) اصدى أعطش واسغب اجوع (٥) بغى وفور المال طلب كثرته ووفر عرضه صانه

أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ[1] لَدَى ٱلْوَغَى
وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبُّهُ غُمْرُ
وَلٰكِنْ إِذَا حُمَّ ٱلْقَضَاءُ عَلَى ٱمْرِئٍ فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرُ
وَقَالَ أُصَيْحَابِي ٱلْفِرَارَ أَوِ ٱلرَّدَى فَقُلْتُ هُمَا أَمْرَانِ أَحْلَاهُمَا مُرُّ
وَلٰكِنَّنِي أَمْضِي لِمَا لَا يَعِيبُنِي
وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ أَحْلَاهُمَا ٱلْأَسْرُ
وَنَحْنُ أُنَاسٌ لَا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا لَنَا ٱلصَّدْرُ دُونَ ٱلْعَالَمِينَ أَوِ ٱلْقَبْرُ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي ٱلْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ يَخْطُبِ ٱلْحَسْنَاءَ لَمْ يُغْلِهَا ٱلْمَهْرُ
أَعَزُّ بَنِي ٱلدُّنْيَا وَأَعْلَى ذَوِي ٱلْعُلَى
وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ ٱلتُّرَابِ وَلَا فَخْرُ

وقال ابن الرومي يفتخر بعزة نفسه

أَنَا ذُو ٱلْقَصْدِ غَيْرَ أَنِّي مَتَى آ نَسْتُ جَوْراً رَأَيْتَ بِي غُلَوَاءَ
وَٱلطَّبِيبُ ٱللَّبِيبُ مَنْ يُتْبِعُ ٱلدَّا ءَ دَوَاءً يَشْفِيهِ لَا ٱلدَّاءَ دَاءَ
إِنَّنِي إِنْ نَفَرْتُ أَمْعَنْتُ فِي ٱلنَّفْـرِ وَمِثْلِي عَمَّنْ تَنَاءَى تَنَاءَى
لَسْتُ بِٱللُّقْطَةِ ٱلْخَسِيسَةِ فَٱعْرِفْ لِيَ قَدْرِي وَٱسْأَلْ بِهِ ٱلْفُهَمَاءَ
أَنَا عَبْدُ ٱلْإِنْصَافِ قِرْنُ ٱلتَّعَدِّي فَٱسْلُكِ ٱلْقَصْدَ بِي وَعَدِّ ٱلْعِدَاءَ
خَاشِعٌ تَارَةً وَجَبَّارٌ أُخْرَى فَتَرَانِي أَرْضاً وَطَوْراً سَمَاءَ

---

(١) عزل جمع اعزل وهو من لا سلاح معه

ومن قصيدة لعنترة العبسي

دَهتني[1] صرُوفُ ٱلدّهرِ وٱنتَشَبَ ٱلغَدْرُ
وَمَنْ ذَا ٱلّذي في ٱلنّاسِ يَصفُو لَهُ ٱلدّهرُ

وَكَمْ طَرَقَتْني نَكْبَةٌ بَعْدَ نَكْبَةٍ
فَفَرّجْتُها عَنّي وَما مَسّني ضَرُّ

وَلَوْلا سِناني وَٱلْحُسامُ وَهِمّتي
لَما ذُكِرَتْ عَبْسٌ وَلا نالَها فَخْرُ

وَها قَدْ رَحَلْتُ ٱلْيَوْمَ عَنْهُمْ وَأَمْرُنا
إلى مَنْ لَهُ في خَلْقِهِ ٱلنّهْيُ وَٱلأَمْرُ

سَيَذْكُرُني قَوْمي إذا ٱلْخَيْلُ أَقْبَلَتْ
وَفي ٱللّيْلَةِ ٱلظّلْماءِ يُفْتَقَدُ ٱلْبَدْرُ

يعيبُونَ لَوْني بِٱلسّواد جَهالَةً
وَلَوْلا سَوادُ ٱللّيْلِ ما طَلَعَ ٱلْفَجْرُ

مَحَوْتُ بِذِكْري في ٱلْوَرَى ذِكْرَ مَنْ مَضى
وَسُدْتُ فَلا زَيْدٌ يُقالُ وَلا عَمْرُو

---

(١) أتتني

ولهُ من قصيدة في يوم المصانع

وَفي يَوْمِ ٱلْمَصانِعِ قَدْ تَرَكْنا لَنا بِفِعالِنا خَبَراً مُشاعا
أَقَمْنا بِٱلذَّوابِلِ سُوقَ حَرْبٍ وَصَيَّرْنا ٱلنُّفوسَ لَها مَتاعا
حِصاني كانَ دَلَّالَ ٱلْمَنايا فَخاضَ غُبارَها وَشَرى وَباعا
وَسَيْفي كانَ في ٱلْهَيْجا طَبِيباً يُداوِي رأسَ مَنْ يَشْكُو ٱلصُّداعا(١)
وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُمْحِي مَعْ جَبانٍ لَكانَ بِهَيْبَتِي يَلْقَى ٱلسِّباعا
أَنا ٱلعَبْدُ ٱلَّذي خُبِّرْتَ عَنْهُ وَقَدْ عايَنْتَنِي فَدَعِ ٱلسَّماعا
مَلَأْتُ ٱلأَرْضَ خَوْفاً مِنْ حُسامي وَخَصْمِي لَمْ يَجِدْ فيها ٱتِّساعا
إِذا ٱلأَبْطالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي تَرَى ٱلْأَقْطارَ باعاً أَوْ ذِراعا

ومن قصيدة لصفي الدين الحلي

شَفَّها(٢) ٱلسَّيْرُ وَٱقْتِحامُ ٱلْبَوادِي وَنُزولي في كُلِّ يَوْمٍ بِوادِ
وَمَقيلي ظِلُّ ٱلْمَطِيَّةِ وَٱلتُّرْ بُ فِراشِي وَساعِداها وِسادي(٣)
فَإِذا سِرْتُ أَحْسَبُ ٱلأَرْضَ مُلْكِي
وَجَميعَ ٱلْأَقْطارِ طَوْعَ قِيادي
وَإِذا ما أَقَمْتُ فَٱلنَّاسُ أَهْلِي أَيْنَما كُنْتُ وَٱلْبِلادُ بِلادي
ما بَنَيْتُ ٱلْعَلْياءَ إِلَّا بِجِدِّي وَرُكُوبي أَخْطارَها وَٱجْتِهادي

---

(١) وجع الرأس (٢) اضعفها (٣) المقيل موضع القيلولة وهي النوم في نصف النهار . والمطية الدابة والضمير في ساعداها يعود اليها

وَبِلَفْظِي إِذا نَطَقْتُ وَفَضْلِي وَجِدالِي عَن مَنْصِبي وَجِلادي
غَيرَ أَنِّي وَإِنْ أَتَيتُ مِنَ ٱلنَّظـمِ بِلَفْظٍ يُذيبُ قَلبَ ٱلْجَمادِ
لَستُ كَٱلْبُحتُرِيِّ أَفخَرُ بِٱلشِّعْـرِ وَأَثْني عِطْفَيَّ[1] في ٱلْإِيرادِ
إِنَّما مَفْخَرِي بِنَفْسي وَقَوْمي وَقَناتي وَصارِمي وَجَوادي
مَعشَرٌ أَصبَحَتْ فَضائِلُهُمْ في ٱلْـأَرْضِ تُتْلى بِأَلْسُنِ ٱلْحُسَّادِ
أَلْبَسُوا ٱلْآمِلِينَ أَثوابَ عِزٍّ وَأَذَلُّوا أَعْناقَ أَهْلِ ٱلْعِنادِ
فَلَئِنْ فَلَّتِ ٱلْحَوادِثُ حَدِّي
بَعْدَما أَخْلَصَ ٱلزَّمانُ ٱنْتِقـادي
فَلَقَدْ نِلْتُ مِن مُنى ٱلنَّفْسِ ما رُمْـتُ وَأَدْرَكْتُ مِنْهُ فَوقَ مُرادي

وله من قصيدة

قَلِيلٌ إِلى غَيرِ ٱكْتِسابِ ٱلْعُلى نَهْضي
وَمُسْتَبْعَدٌ في غَيرِ سُبْلِ ٱلتُّقى رَكْضي
وَما لِيَ لا أَغْشى ٱلْجِبالَ بِمِثْلِها
مِنَ ٱلعَزْمِ وَٱلْأَنْضاءُ في وَعْرِها أُنْضي[2]
عَلى أَنَّ لي عَزْماً إِذا رُمْتُ مَطْلَباً
رَأَيْتُ ٱلسَّما أَدْنى إِلَيَّ مِنَ ٱلْأَرْضِ

---

(١) ثنى عطفيه اي لوى عنقه وتكبر معرضاً عن الناس (٢) الانضاء جمع النضو وهو المهزول من الابل . وانضى بعيره هزله بكثرة السير

أَبَتْ هِمَّتِي لي أَنْ أُذَلَّ لِنا كِثٍ
عُرى ٱلعَهْدِ أَوْ أَرْضى مِنَ ٱلوِرْدِ بِٱلبَرْضِ (١)
وَأُصْبِحَ في قَيْدِ ٱلهَوانِ مُكَبَّلاً
لَدى عُصْبَةٍ تُدْمِي ٱلأَنامِلَ بِٱلعَضِّ
وَلٰكِنَّنِي أَرْضى ٱلمَنُونَ وَلَمْ أَكُنْ أَغُضُّ عَلى وَقْعِ ٱلمَذَلَّةِ أَوْ أُغْضِي
أَقِي ٱلنَّفْسَ بِٱلأَمْوالِ حَتّى إِذا وَقَتْ
كُنُوزَ ٱللُّهى (٢) نَفْسِي وَقَيْتُ بِها عِرْضِي
وَلا أَخْتَشِي إِنْ مَسَّنِي وَقْعُ حادِثٍ فَتِلْكَ يَدٌ جَسَّ ٱلزَّمانُ بِها نَبْضِي
فَوا عَجَباً يَسْعى إِلَيَّ مِنَ ٱلعِدى
لِيُدْرِكَ كُلِّي مَن يُقَصِّرُ عَنْ بَعْضِي
وَيَقْصِدُنِي مَنْ لَوْ تَمَثَّلَ شَخْصُهُ
بِعَيْنِي قَذًى ما عاقَ جَفْنِي عَنِ ٱلغَمْضِ
نَصَبْتُ لَهُمْ صَدْرَ ٱلجَوادِ مُحارِباً لِأَرْفَعَ ذِكْرِي عِنْدَما طَلَبُوا خَفْضِي
إِذا ما تَقَلَّدْتَ ٱلحُسامَ لِغارَةٍ وَلَمْ تُرْضِهِ يَوْمَ ٱلوَغى فَلِمَنْ تُرْضِي
غَزاهُمْ لِساني بَعْدَ غَزْوِ يَدِي لَهُمْ
فَلا عَجَبٌ أَنْ يَسْتَمِرُّوا عَلى بُغْضِي

---

(١) البرض الماء القليل وهو خلاف الغمر (٢) العطايا

وقال ابن سناء الملك مفتخراً

سِواي يَهابُ ٱلْمَوْتَ أَوْ يَرْهَبُ ٱلرَّدى
وَغَيْرِيَ يَهْوى أَنْ يَعيشَ مُخَلَّدا
وَلٰكِنَّني لا أَرْهَبُ ٱلْمَوْتَ إِنْ سَطا
وَلا أَحْذَرُ ٱلْمَوْتَ ٱلزُّؤامَ[1] إِذا عَدا
وَلَوْ مَدَّ نَحْوي حادِثُ ٱلدَّهْرِ كَفَّهُ
لَحَدَّثَتُ نَفْسي أَنْ أَمُدَّ لَهُ يَدا
تَوَقُّدُ عَزْمي يَتْرُكُ ٱلْماءَ جَمْرَةً وَحِلْيَةُ حِلْمي تَتْرُكُ ٱلسَّيْفَ مِبْرَدا
وَفَرْطُ ٱحْتِقاري لِلأَنامِ لِأَنَّني
أَرى كُلَّ عارٍ مِنْ حِلى سُؤْدُدي سُدى
وَيَأْبى إِبائي أَنْ يَراني قاعِداً وَإِنّي أَرى كُلَّ ٱلْبَرِيَّةِ مَقْعَدا
وَأَظْمَأُ إِنْ أَبْدى لِيَ ٱلْماءُ مِنَّةً وَلَوْ كانَ لي نَهْرُ ٱلْمَجَرَّةِ[2] مَوْرِدا
وَلَوْ كانَ إِدْراكُ ٱلْهُدى بِتَذَلُّلٍ
رَأَيْتُ ٱلْهُدى أَنْ لا أَميلَ إِلى ٱلْهُدى
وَقِدْماً بِغَيْري أَصْبَحَ ٱلدَّهْرُ أَشْيَباً
وَبي وَبِفَضْلي أَصْبَحَ ٱلدَّهْرُ أَمْرَدا

(١) الكريه (٢) نجوم كثيرة لا تدرك بالبصر والعامة تسميها درب التبّانة

وَإِنَّكَ عَبْـدي يا زَمانُ وَإِنَّني
عَلى ٱلرَّغمِ مِنّي أَنْ أُرى لَكَ سَيِّدا
وَما أَنا راضٍ أَنَّني واطِئُ ٱلثَّرى
وَلي هِمَّةٌ لا تَرْتَضِي ٱلأُفْقَ مَسْنَدا
وَلَوْ عَلِمَتْ زُهْرُ ٱلنُّجُومِ مَكانَتي
لَخَرَّتْ جَميعاً نَحْوَ وَجْهِيَ سُجَّدا
أَرى ٱلْخَلْقَ دُوني إِذْ أَرانِيَ فَوْقَهُمْ
ذَكاءً وَعِلْماً وَٱعْتِـلاءً وَسُوْدُدا
وَبَذْلُ نَوالي زادَ حَتّى ٱتَّقَدْ غَدا
مِنَ ٱلْغَيْظِ مِنْهُ ساكِنُ ٱلْبَحْرِ مُزْبِدا
وَلي قَلَمٌ في أَنْمُلي إِنْ هَزَزْتُهُ فَما ضَرَّني أَنْ لا أَهُزَّ ٱلْمُهَنَّدا
إِذا صالَ فَوْقَ ٱلطِّرْسِ وَقْعُ صَريرِهِ
فَإِنَّ صَليـلَ ٱلْمَشْرَفِيِّ لَهُ صَدى

ومن قصيدة لابي الحسن التهامي

ظَنَّتْ شَيِيبَتَهُ تَبْقى وَما عَلِمَتْ أَنَّ ٱلشَّبِيبَةَ مِرْقاةٌ إِلى ٱلْهَرَمِ
ما شابَ عَزْمي وَلا حَزْمي وَلا خُلُقي
وَلا وَفائي وَلا دِيني وَلا كَرَمي

لا تَحْمَدِ ٱلدَّهرَ في ضَرَّاءَ يَصرِفُها   فَلَوْ أَرَدتَ دَوَامَ ٱلْبُؤْسِ لَمْ يَدُمِ
فَٱلدَّهرُ كَٱلطَّيفِ بُؤْساهُ وَأَنْعُمُهُ   عَنْ غيرِ قَصْدٍ فَلا تَحْمَدْ وَلا تَلُمِ
لا تَحْسَبَنْ حَسَبَ ٱلآبَاءِ مَكْرُمَةً   لِمَنْ يُقَصِّرُ عَنْ غاياتِ مَجْدِهِمِ
حُسْنُ ٱلرِّجالِ بِحُسْناهُمْ وَفَخْرُهُمُ
بِطَوْلِهِمْ [1] في ٱلْمَعالي لا بِطُولِهِمِ
ما ٱغْتابني حاسِدٌ إِلَّا شَرُفْتُ بِهِ   فَحاسِدي مُنْعِمٌ في زِيِّ مُنْتَقِمِ
فَٱللهُ يَكْلَأُ [2] حُسَّادي فَأَنْعُمُهُمْ
عِنْدي وَإِنْ وَقَعَتْ مِن غَيْرِ قَصْدِهِمِ

—>>•<<—

مصر فوق الجميع

من قصيدة لحافظ ابراهيم

وَقَفَ ٱلْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَميعاً
كَيفَ أَبني قَواعِدَ ٱلْمَجْدِ وَحْدي
وَبُناةُ ٱلأَهْرامِ في سالِفِ ٱلدهْ
رِ كَفَوْني ٱلْكَلامَ عِنْدَ ٱلتَّحَدّي [3]
أَنا تاجُ ٱلْعُلى عَلى مَفْرِقِ ٱلشَّرْ   قِ وَدُرَّاتُهُ فَرائِدُ عِقْدي
أَيُّ شَيْءٍ في ٱلْغَرْبِ قَدْ بَهَرَ ٱلنَّا   سَ جَمالًا وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدي

---

(١) بغناهم (٢) يحرس (٣) التحدّي المباراة في العمل ومنازعة الغلبة

فَـتُرابي تِبرٌ وَنَهري فُراتٌ وَسَمائِي مَصقُولَةٌ كَالفِرِنْدِ[1]
أَينَما سِرتُ جَدوَلٌ عِندَ كَرمٍ عِندَ زَهرٍ مُدَنَّرٍ عِندَ رَندِ[2]
وَرِجالي لَو أَنصَفُوهُم لَسادُوا مِن كُهولٍ مِلءَ العُيونِ وَمُردِ
أَو أَصابُوا لَهُم مَجالاً لَأَبدَوا مُعجِزاتِ الذَّكاءِ في كُلِّ قَصدِ
إِنَّهُم كَالظُّبى أَلَحَّ عَلَيـها صَدَأُ الدَّهرِ مِن ثُواءٍ[3] وَغِمدِ
فَإِذا صَيقَلُ[4] القَضاءِ جَلاها كُنَّ كَالمَوتِ ما لَهُ مِن مَردِّ
أَنا إِن قَـدَّرَ الإِلٰهُ مَماتي
لا تَرى الشَّرقَ يَدفَعُ اليَأسَ بَعدي
كَم بَغَت دَولَةٌ عَلَيَّ وَجارَت ثُمَّ زالَت وَتِلكَ عُقبى التَّعَدِّي
إِنَّني حُرَّةٌ كَسَرتُ قُيـودي
رَغمَ رُقبى العِدى وَقَطَّعتُ قِدّي[5]
وَتَماثَلتُ لِلشِّفاءِ وَقَـد دا
نَيتُ حَيني وَهَيَّـأَ القَومُ لَحدي[6]
قُل لِمَن أَنكَروا مَفاخِرَ قَومي مِثلَ ما أَنكَروا مَـآثِرَ وُلدي

---

(١) فرند السيف وشيُهُ وجوهره (٢) المدنَّر المتلألئ والرند شجر طيّب الرائحة (٣) طول اقامة (٤) الصيقل الذي يسنّ السيوف ويجلوها (٥) القدّ سير يقيَّد به الاسير (٦) تماثل من علّته قارب البرء . ودانيت حيني قربت من الموت

هَلْ رَأَيْتُمْ تِلْكَ ٱلنُّقُوشَ ٱللَّواتي أَعْجَزَتْ طَوْقَ صَنْعَةِ ٱلْمُتَحَدِّي (١)
حالَ (٢) لَوْنُ ٱلنَّهارِ مِنْ قِدَمِ ٱلْعَهْدِ وَما مَسَّ لَوْنَها طُولُ عَهْدِ
هَلْ فَهِمْتُمْ أَسرارَ ما كانَ عِنْدي مِنْ عُلُومٍ مَخْبُوءَةٍ طَيَّ بُرْدي
ذاكَ فَنُّ ٱلتَّحْنيطِ قَدْ غَلَبَ ٱلدَّهْرَ وَأَبْلى ٱلْبِلى وَأَعْجَزَ نِدّي (٣)
إِنَّ مَجْدي في ٱلْأَوَّلِيّاتِ عَرِيقٌ مَنْ لَهُ مِثْلُ أَوَّلِيّاتي وَمَجْدي
أَنا أُمُّ ٱلتَّشْريعِ قَدْ أَخَذَ ٱلرُّو مانُ عَني ٱلْأُصُولَ في كُلِّ حَدِّ
وَرَصَدْتُ ٱلنُّجُومَ مُنْذُ أَضاءَتْ في سَماءِ ٱلدُّجى فَأَحْكَمْتُ رَصْدي
وَقَديماً بَنى ٱلْأَساطيلَ قَوْمي فَفَرَقْنَ ٱلْبِحارَ يَحْمِلْنَ بَنْدي
فَسَلُوا ٱلْبَحْرَ عَنْ بَلاءِ سَفِيني وَسَلُوا ٱلْبَرَّ عَنْ مَواقِعِ جُرْدي (٤)
أَتَراني وَقَدْ طَوَيْتُ حَياتي
في مِراسٍ (٥) لَمْ أَبْلُغِ ٱلْيَوْمَ رُشْدي
أَيُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنّي بِعَيْشٍ وارِفِ ٱلظِّلِّ أَخْضَرِ ٱللَّوْنِ رَغْدِ
أَمِنَ ٱلْعَدْلِ أَنَّهُمْ يَرِدُونَ ٱلْـ ماءَ صَفْواً وَأَنْ يُكَدَّرَ وِرْدي (٦)
أَمِنَ ٱلْحَقِّ أَنَّهُمْ يُطْلِقُونَ ٱلْـ أُسْدَ مِنْهُمْ وَأَنْ تُقَيَّدَ أُسْدي

---

(١) الطوق الوسع والطاقة والصنعة عمل الصانع (٢) تغيّر (٣) الندّ النظير والمثل (٤) ابلى بلاءً حسناً اظهر بأساً حتى بلاه الناس وامتحنوه. والسفين جمع السفينة. والجرد جمع الاجرد وهو السبّاق من الخيل (٥) المراس المزاولة والمعاناة (٦) الورد النصيب من الماء ويريد به هنا المورد

نِصفَ قَرْنٍ إلّا قَلِيلًا أُعاني ما يُعاني في هُونِهِ[1] كُلُّ عَبْدِ
نَظَرَ ٱللهُ لي فَأَرْشَدَ أَبْنا ئِي فَشَدُّوا[2] إلى ٱلْعُلى أَيَّ شَدِّ
إنّما ٱلحَقُّ قُوَّةٌ مِن قُوى ٱلدَّيّـانِ أَمْضَى مِن كُلِّ أَبيَضَ هِنْدي
قَدْ وَعَدْتُ ٱلعُلى بِكُلِّ أَبِيّ
مِنْ رِجالي فَأَنجِزُوا ٱليَومَ وَعْدي
أَمْهِرُوها بِٱلرُّوحِ فَهيَ عَرُوسٌ تَشْنَأُ ٱلْمَهرَ مِن عُرُوضٍ وَنَقْدِ[3]
وَرِدُوا بِي مَناهِلَ ٱلعِزِّ حَتّى يَخْطُبَ ٱلنَّجْمُ في ٱلْمَجَرَّةِ وُدِّي
وَٱرْفَعُوا دَوْلَتِي عَلى ٱلعِلْمِ وَٱلأَخْـ
لاقِ فَٱلعِلْمُ وَحْدَهُ لَيسَ يُجْدي
إنَّ في ٱلغَرْبِ أَعْيُناً راصِداتٍ كَحَلَتْها ٱلأَطْماعُ فيكُمْ بِسُهْدِ
فَوْقَها مِجْهَرٌ[4] يُرِيها خَفايا كُمْ وَيَطْوِي شُعاعُهُ كُلَّ بُعْدِ
فَٱتَّقُوها بِجُنَّةٍ[5] مِن وِئامٍ غَيرِ رَثِّ ٱلعُرى وَسَعْيٍ وَكَدِّ
وَٱصْفَحُوا عَن هَناتٍ ما كانَ مِنكُمْ رُبَّ هافٍ هَفَى عَلى غَيرِ عَمْدِ[6]
نَحنُ نَجْتازُ مَوْقِفاً تَعْثُرُ ٱلآ راءُ فيهِ وَعَثْرَةُ ٱلرَّأيِ تُرْدي

---

(١) ذلّه (٢) اسرعوا وعدوا (٣) مهر المرأة جعل لها مهراً اي صداقاً . وشنأه ابغضه والعروض جمع العرض وهو المتاع (٤) المجهر العالي من الكلام والصوت ويريد به هذا الآلة التي تكبّر المرئيات (٥) الجنة كل ما يقي من سلاح وغيره (٦) الهناة جمع الهنة وهي الشيء اليسير . وهفا زلّ

وَتُثِيرُ ٱلْأَهْوَاءُ حَرْباً عَوَانًا[1]
مِن خِلافٍ وَٱلْخُلْفُ كَٱلسِّلِّ يُعْدِي

وَتُثِيرُ ٱلْفَوْضَى عَلَى جَانِبَيْهِ فَيُعِيدُ ٱلْجَهُولُ فِيهَا وَيُبْدِي
وَيَظُنُّ ٱلْغَوِيُّ أَنْ لَا نِظَامٌ وَيَقُولُ ٱلْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جَدِّي[2]
فَقِفُوا فِيهِ وِقْفَةَ ٱلْحَزْمِ وَٱرْمُوا جَانِبَيْهِ بِعَزْمَةِ ٱلْمُسْتَعِدِّ
إِنَّنَا عِنْدَ فَجْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ قَدْ قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهْدٍ وَوَجْدِ
غَمَرَتْنَا سُودُ ٱلْأَهَاوِيلِ[3] فِيهِ وَٱلْأَمَانِيُّ بَيْنَ جَزْرٍ وَمَدِّ
وَتَجَلَّى ضِيَاؤُهُ بَعْدَ لَأْيٍ وَهْوَ رَمْزٌ لِعَهْدِيَ ٱلْمُسْتَرَدِّ
فَٱسْتَبِينُوا قَصْدَ ٱلسَّبِيلِ وَجِدُّوا فَٱلْمَعَالِي مَخْطُوبَةٌ لِلْمُجِدِّ



الأمتان تتصافحان

من قصيدة للشاعر نفسه

لِمِصْرَ أَمْ لِرُبُوعِ ٱلشَّامِ تَنْتَسِبُ هُنَا ٱلْعُلَى وَهُنَاكَ ٱلْمَجْدُ وَٱلْحَسَبُ
رُكْنَانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا قَلْبُ ٱلْهِلَالِ عَلَيْهَا خَافِقٌ يَجِبُ[4]
خِدْرَانِ[5] لِلضَّادِ لَمْ تُهْتَكْ سُتُورُهُمَا
وَلَا تَحَوَّلَ عَنْ مَغْنَاهُمَا ٱلْأَدَبُ

(١) الحرب العوان التي قوتل فيها مرة بعد مرة (٢) عظم حظي
(٣) الاهاويل جمع الاهوال والاهوال جمع الهول وهو المخافة من امر لا تدري ما يهجم عليك منه (٤) يخفق (٥) الخدر كل ما واراك من بيت ونحوه

أُمُّ ٱللُّغاتِ غَداةَ ٱلْفَخْرِ أُمُّهما وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ ٱلْآباءِ فَٱلْعَرَبُ
أَيَرْغَبانِ عَنِ ٱلْحُسْنَى وَبَيْنَهُما في رائِعاتِ ٱلْمَعالي ذٰلِكَ ٱلنَّسَبُ
إِذا أَلَمَّتْ بِوادي ٱلنِّيلِ نازِلَةٌ
باتَتْ لَها راسِياتُ ٱلشَّامِ تَضْطَرِبُ
وَإِنْ دَعا في ثَرَى ٱلْأَهْرامِ ذُو أَلَمٍ
أَجابَهُ في ذُرَى لُبْنانَ مُنْتَحِبُ[1]
نَسِيمُ لُبْنانَ كَمْ جادَتْكَ عاطِرَةٌ مِنَ ٱلرِّياضِ وَكَمْ حَيَّاكَ مُنْسَكِبُ
في ٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ أَنْفاسٌ مُسَعَّرَةٌ
تَهْفُو[2] إِلَيْكَ وَأَكْبادٌ بِها لَهَبُ
لَوْلا طِلابُ ٱلْعُلَى لَمْ يَبْتَغُوا بَدَلًا
مِنْ طِيبِ رَيَّاكَ لٰكِنَّ ٱلْعُلَى تَعَبُ
كَمْ غادَةٍ بِرُبُوعِ ٱلشَّامِ باكِيَةٍ عَلَى أَلِيفٍ لَها يَرْمي بِهِ ٱلطَّلَبُ
يَمْضي وَلا حِيلَةٌ إِلَّا عَزِيمَتُهُ وَيَنْثَني وَحِلاهُ ٱلْمَجْدُ وَٱلذَّهَبُ
بِأَرْضِ كُولُمْبَ أَبْطالٌ غَطارِفَةٌ أُسْدٌ جِياعٌ إِذا ما وُوثِبُوا وَثَبُوا
لَمْ يَحْمِهِمْ عَلَمٌ فيها وَلا عُدَدٌ
سِوى مَضاءٍ تَحامَى وِرْدَهُ ٱلنُّوَبُ[3]

---

(١) انتحب بكى بكاء شديدًا (٢) تسرع (٣) تحامى تجنّب واصله هنا تتحامى حُذفت التاء منه جوازًا في الشعر . والورد الورود والنوَب المصائب

أَسطولُهم أَملٌ في ٱلبحرِ مرتحلٌ وجيشُهم عملٌ في ٱلبرِّ مغتربُ

لهم بكلِّ خِضَمٍّ مسربٌ نهجٌ[1]
وفي ذُرى كلِّ طودٍ مسلكٌ عجبُ

لم تبدُ بارقةٌ في أفقِ منتجعٍ[2]
إلّا وكانَ لها في ٱلشامِ مرتقبُ

ما عابهم أنّهم في ٱلأرضِ قد نثروا
فٱلشهبُ منثورةٌ مذ كانتِ ٱلشهبُ

رادوا ٱلمناهلَ في ٱلدنيا ولو وجدوا
إلى ٱلمجرّةِ ركباً صاعداً ركبوا

سعوا إلى ٱلكسبِ محموداً وما فتئت
أمُّ ٱللغاتِ بذاكَ ٱلسعيِ تكتسبُ

فأينَ كانَ ٱلشآميّونَ كانَ لها عيشٌ جديدٌ وفضلٌ ليسَ يحتجبُ

هذي يدي عن بني مصرٍ تصافحكم
فصافحوها تصافحْ بعضَها ٱلعربُ

فما ٱلكنانةُ إلّا ٱلشامُ عاجَ[3] على
ربوعِها من بنيها سادةٌ نجبُ

---

(١) الخضمّ البحر الكثير الماء والمسرب المذهب والنهج الواضح (٢) المنتجع الموضع يقصده الناس في طلب الماء والكلإ (٣) مال

وقال محمد الهراوي يفتخر بوطنه مصر.

أَبصَرَ ٱلطَّيْرَ مُطْلَقاً يَتَغَنَّى فَدَعا ٱللهَ فِي ٱلْإِسارِ ٱلْمُعَنَّى(١)
شَدَّ ما هاجَ فِي ٱلْوِثاقِ أَسِيراً طائِرٌ مُطْلَقُ ٱلْجَناحِ مُهَنَّا
غَنِّ يا طَيْرُ فِي فَضائِكَ حُرًّا
وَٱهْجُرِ ٱلرَّوْضَ إِنْ تَرَ ٱلرَّوْضَ سِجْنا
وَٱنْزِعِ ٱلطَّوْقَ وَهْوَ حَلْيٌ إِذا كُنْتَ طَلِيقاً وَبِتَّ فِي ٱلطَّوْقِ رَهْنا
إِنَّ حُرِّيَّةَ ٱلنُّفُوسِ مَتاعٌ يَعْدِلُ ٱلنَّفْسَ لا ٱلنَّفائِسَ وَزْنا

...

يا بِلادِي وَأَنْتِ قُرَّةُ عَيْنِي طِبْتِ نَفْساً عَلى ٱلزَّمانِ وَعَيْنا
سَتَفُوزِينَ رَغْمَ أَنْفِ ٱللَّيالِي عَجِلَ ٱلدَّهْرُ بِٱلْمُنى أَوْ تَأَنَّى
نَحْنُ قَوْمٌ لَنا ٱلْفَخارُ قَدِيماً كَمْ رَفَعْنا مِنَ ٱلْحَضارَةِ رُكْنا
لا نُطِيقُ ٱلْجُمُودَ وَٱلدَّهْرُ يَمْشِي
حَوْلَنا بِٱلْحَياةِ يُسْرى وَيُمْنى
فِيكِ تَفْنى ٱلشُّعُوبُ يامِصْرُ لٰكِنْ شَعْبُكِ ٱلْحَيُّ خالِدٌ لَيْسَ يَفْنى
حَفَرَ ٱلدَّهْرُ لِلْمَمالِكِ قَبْراً وَبَنى ٱللهُ لِلْكِنانَةِ حِصْنا
إِنْ يَكُنْ لِلْخُلُودِ أُمٌّ فَمِصْرٌ هِيَ أُمُّ ٱلْخُلُودِ حِسًّا وَمَعْنى

---

(١) الإسار ما يشدّ به . والمعنَّى الذي أُصيب بأذى وهمّ وحزن وهو فاعل ابصر ودعا

وقال محمود باشا سامي البارودي

وَلِي شِيمَةٌ تَأْبى الدَّنايا وَعَزْمَةٌ تَرُدُّ لُهامَ الْجَيْشِ وَهْوَ يَمُور[1]
إذا سِرْتُ فَالأَرْضُ الَّتي نَحْنُ فَوْقَها
مُرادٌ لِمُهْرِي وَالْمَعاقِلُ دُورُ
فَلاعَجَبٌ إنْ لَمْ يَطِرْ بِيَ مَنْزِلٌ فَلَيْسَ لِعِقْبانِ الْهَواء وُكُورُ
هُمامَةُ نَفْسٍ لَيْسَ يَنْفي رِكابَها رَواحٌ عَلى طُولِ الْمَدى وَبُكُورُ
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لا تَكُفَّ عِنانَها[2] عَنِ الْجِدِّ إلَّا أَنْ تَتِمَّ أُمُورُ
لَها مِنْ وَراء الْغَيْبِ أُذْنٌ سَميعَةٌ وَعَيْنٌ تَرى ما لا يَراهُ بَصِيرُ
وَفَيْتُ بِما ظَنَّ الْكِرامُ فِراسَةً[3]
بِأَمْري وَمِثْلي بِالْوَفاء جَدِيرُ
وَأَصْبَحْتُ مَحْسُودَ الْجَلالِ كَأَنَّني
عَلى كُلِّ نَفْسٍ في الزَّمانِ أَميرُ
إذا صُلْتُ كَفَّ الدَّهْرُ مِن غُلَوائِهِ
وَإنْ قُلْتُ غَصَّتْ بِالْقُلوبِ صُدُورُ
مَلَكْتُ مَقالِيدَ الْكَلامِ وَحِكْمَةً لَها كَوْكَبٌ فَخْمُ الضِّياء مُنيرُ

---

(١) اللهام الجيش العظيم ويمور يموج ويضطرب (٢) العنان اللجام
(٣) الفراسة الاستدلال بالامور الظاهرة على الامور الخفيَّة

وقال ايضاً يفتخر بقومه .

وَإِنّي ٱمرؤٌ لَوْلا ٱلعَوائِقُ أَذْعَنَتْ
لِسُلْطانِهِ ٱلْبَدْوُ ٱلمُغيرَةُ وَٱلْحَضْرُ[1]
مِنَ ٱلنَّفَرِ ٱلغُرِّ ٱلَّذينَ سُيُوفُهُمْ لَها في حَواشِي كُلِّ داجِيَةٍ فَجْرُ
إِذا ٱسْتُلَّ مِنْهُمْ سَيِّدٌ غَرْبَ سَيْفِهِ تَفَزَّعَتِ ٱلْأَفْلاكُ وَٱلْتَفَتَ ٱلدَّهْرُ
لَهُمْ عُمُدٌ مَرْفُوعَةٌ وَمَعاقِلٌ وَأَلْوِيَةٌ حُمْرٌ وَأَفْنِيَةٌ خُضْرُ
أَقامُوا زَمانًا ثُمَّ بَدَّدَ شَمْلَهُمْ
أَخو فَتَكاتٍ بِٱلْكِرامِ ٱسْمُهُ ٱلدَّهْرُ
فَلَمْ يُبْقِ مِنْهُمْ غَيْرَ آثارِ نِعْمَةٍ
تَضُوعُ بِرَيَّاها ٱلْأَحاديثُ وَٱلذِّكْرُ
وَقَدْ تَنْطِقُ ٱلْآثارُ وَهْيَ صَوامِتٌ
وَيُثْني بِرَيَّاهُ عَلى ٱلْوابِلِ ٱلزَّهْرُ

في سلانيك

من قصيدة لمعروف الرصافي

لَقَدْ سَمِعُوا مِنَ ٱلْوَطَنِ ٱلْأَنِينا فَضَجُّوا بِٱلْبُكاءِ لَهُ حَنِينا
وَناداهُمْ لِنُصْرَتِهِ فَقامُوا جَمِيعاً لِلدِّفاعِ مُسَلَّحِينا

---

(١) اغار على القوم دفع عليهم الخيل واوقع بهم

وَثارُوا مِن مَرابِضِهِمْ أُسُوداً بِصَوْتِ ٱلاِتِّحادِ مُزَمْجِرِينا[١]
فَكانُوا ٱلجَيْشَ أَلْفَ مِن جُنُودٍ مُجَنَّدَةٍ وَمِن مُتَطَوِّعِينا
تَراهُمْ فيهِ مُتَّحِدِينَ عَزْماً وَما هُمْ فيهِ مُتَّحِدِينَ دِينا
هِيَ ٱلأَوْطانُ تَجْعَلُ مِن بَنِيها إِخاءً في مَحَبَّتِها رَصِينا
وَإِنَّ ٱلمَوْتَ خَيْرٌ مِن حَياةٍ يَظَلُّ ٱلمَرْءُ فيها مُسْتَكِينا[٢]

...

مَشَوْا وَٱلوالِداتُ مُشَيِّعاتٌ خَرَجْنَ وَراءَهُمْ وَٱلوالِدُونا[٣]
يَقُلْنَ وَهُنَّ مِن فَرَحٍ بَواكٍ وَهُمْ مِن حُزْنِهِمْ مُتَبَسِّمُونا
عَلى ٱلباغِينَ مُنْتَصِرِينَ سِيرُوا وَعُودوا لِلدِّيارِ مُظَفَّرِينا
وَلا تُبْقُوا ٱلَّذِينَ قَدِ ٱسْتَبَدُّوا وَرامُوا كَيْدَنا وَتَخَوَّنُونا[٤]
فَإِنْ لَمْ تُنْقِذُوا ٱلأَوْطانَ مِنْهُمْ فَلَسْتُمْ يا بَنِينَ لَنا بَنِينا
هُمُ ٱلأَشْرارُ بِٱسْمِ ٱلدِّينِ قامُوا فَعاثُوا في ٱلمَواطِنِ مُفْسِدِينا

...

وَكَمْ قَدْ قُلْنَ مِن قَوْلٍ شَجِيٍّ لَهُمْ فَتَرَكْنَهُمْ مُتَهَيِّجِينا
وَإِذْ حانَ ٱلوِداعُ دَنَوْنَ مِنْهُمْ فَقَبَّلْنَ ٱلصَّوارِمَ وَٱلجُفُونا

---

(١) المرابض جمع المربض وهو المحل الذي يربض به الاسد على فريسته اي يبرك . وزمجر الاسد ردَّد الزئير (٢) ذليلًا (٣) شيَّعه خرج معه ليودعه
(٤) ذمّونا

وَما أَنسى ٱلَّتي بَرَزَتْ وَقالَتْ وَقَدْ لَفَتُوا لِرُؤْيَتِها ٱلعُيُونا
أَلا يا راحِلينَ لِحَرْبِ قَوْمٍ لِئَامٍ ضَيَّعُوا ٱلْوَطَنَ ٱلثَّمِينَا
خُذُوني لِلوَغى مَعَكُمْ خُذُوني مُمَرِّضَةً لِجَرْحاكُمْ حَنُونا
وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَخُذُوا رِدائِي بِهِ سُدُّوا ٱلْجُرُوحَ إِذا دَمِينا
وَظَلَّ ٱلْجَيْشُ جَيْشُ ٱللهِ يَشْفِي بِحَدِّ سُيُوفِهِ ٱلدَّاءَ ٱلدَّفِينا
فَأَرْهَقَ أَنْفُسَ ٱلطَّاغِينَ حَتَّى سَقاهُمْ مِن عَدالَتِهِ ٱلْمَنُونا
وَرَدَّ ٱلْخائِنينَ إِلى جَزاءٍ أَحَلَّهُمُ ٱلْمَقابِرَ وَٱلسُّجُونا

وقال يوسف السودا يخاطب الارزة وقد رسمتها احدى العذارى اللبنانيات على علم ابيض من الحرير

يا أَرْزَةً مَلأَ ٱلزَّمانَ جَلالُها سُدْتِ ٱلزَّمانَ عُلًى وَسادَ ذَوُوكِ
يا مَجْدَ لُبْنانَ ٱلْقَدِيمِ كَما حَمَى لُبْنانَنا رَبُّ ٱلسَّما يَحْمِيكِ
وَيَصُونُ أَرْزَتَهُ لِشَعْبٍ آمِنٍ فَٱلشَّعْبُ كُلُّ مُناهُ يَلْقَى فِيكِ
يُرْوِي أُصولَكِ إِنْ نُكِبْتِ بِدَمْعِهِ
وَإِذا ظَمِئْتِ فَبِٱلدَّمِ ٱلْمَسْفُوكِ
وَنَشَأْتِ فِي قِمَمِ ٱلْجِبالِ عَزِيزَةً فَسُهُولُها وَوُسُوطُها تُؤْذِيكِ
لا تَرْتَضِينَ سِوى ٱلْأَعالِي مَوْطِناً إِنْ أَنْزَلُوكِ مِنَ ٱلْعُلى قَتَلُوكِ
ذاكَ ٱلشَّمالُ وَأَنْتِ فِيهِ مَلِيكُهُ أَرْضٌ يُقَدِّسُها أَخَصُّ بَنِيكِ
رَسَمُوكِ فِي قِطَعِ ٱلْحَرِيرِ وَقَبْلَها بِفُؤَادِهِمْ وَفُؤَادِنا رَسَمُوكِ

وقال احمد نسيم في النهضة النسائية

أَلا حَيُّوا ٱلأَوانِسَ سافِراتٍ … زَواهِرَ كَٱلشُّمُوسِ ٱلسَّاطِعاتِ
كَرائِمَ بُتْنَ لِلأَيَّامِ ذُخراً … وَمَأْمُولَ ٱلسِّنِينَ ٱلْمُقْبِلاتِ
مَضى زَمَنٌ بَلَوْنَ ٱلْعَسْفَ فيهِ … وَكُنَّ عَلى ٱلْجَهالَةِ عاكِفاتِ
وَبِئْسَ مَعاشِرٌ ضَلُّوا فَكانُوا … يَرَوْنَ ٱلْعارَ تَثْقِيفَ ٱلْفَتاةِ
أَضاعُوهُنَّ وَٱلْتَمَسُوا عَفافاً … يُخافُ عَلَيْهِ شَرُّ ٱلطَّارِئاتِ
وَلَوْ فَقِهُوا[1] رَأَوْا في ٱلْعِلْمِ نُوراً … يُضِيءُ لَهُنَّ نَهْجَ ٱلصَّالِحاتِ
بِرَبِّكُمْ سَلُوا عَنْهُنَّ جِيلاً … تَوَلَّى بِٱلنِّساءِ ٱلْعامِلاتِ
فَلَوْ نَطَقَ ٱلزَّمانُ لَتاهَ فَخْراً … بِما تَحْتَ ٱلْجَنادِلِ مِن رُفاتِ
وَصاغَ لَهُنَّ مِن دُرَرِ ٱلْقَوافي … عُقُوداً فَوْقَهُنَّ مُنَظَّماتِ
كَرائِمَ كُنَّ في ٱلآفاقِ زُهْراً … يُنِرْنَ دُجى ٱللَّيالي ٱلْمُظْلِماتِ
بَلَغْنَ ٱلشُّمَّ مَفْخَرَةً وَمَجْداً … وَطُلْنَ ذُرى ٱلْهِضابِ ٱلشَّامِخاتِ
فَكَمْ مِن كاتِباتٍ بارِعاتٍ … وَكَمْ مِن شاعِراتٍ نابِغاتِ
وَكَمْ نَسَّقْنَ مِن خُطَبٍ تَجَلَّتْ … بِمَأْثُورِ ٱلنَّصائِحِ وَٱلْعِظاتِ
جَرَتْ فيها ٱلْفَصاحَةُ ثُمَّ فاضَتْ … فُيُوضَ ٱلنَّهْرِ بِٱلْعَذْبِ ٱلْفُراتِ
وَكَمْ رَبَّيْنَ مِن عَقْلٍ صَغِيرٍ … كَبِيرٍ بِٱلنُّهى وَٱلْمُعْجِزاتِ
وَأَيْقَظْنَ ٱلْعَزائِمَ مِن كَراها … وَدَرَّبْنَ ٱلنُّفُوسَ عَلى ٱلثَّباتِ

(١) فهموا

وَكَمْ أَوْلَدْنَ مِن هِمَمٍ كِبارٍ ... وَأَحْيَيْنَ ٱلشُّعُوبَ مِنَ ٱلْمَماتِ
فَإِنْ شِئْتُمْ رِجالًا نَبْتَنِيهِمْ ... مِنَ ٱلْأَعْلامِ وَٱلْغُرِّ ٱلْهُداةِ
فَزِيدُوا طالِباتِ ٱلْعِلْمِ عِلْماً ... لِيَبْلُغْنَ ٱلْمَراقِيَ عالِياتِ
وَإِنْ كانَ ٱلْوُجُودُ لَهُ أَساسٌ ... فَهُنَّ عَلَيْهِ خَيْرُ ٱلْبانِياتِ
غَلَوْتُمْ[1] فِي ٱلْبَنِينَ وَلَسْتُ أَدْعُو ... لِتَفْضِيلِ ٱلْبَنِينَ عَلى ٱلْبَناتِ
هُما سِرُّ ٱلْحَياةِ فَلا تُمِيتُوا ... عَلى أَيْدِيكُمُ سِرَّ ٱلْحَياةِ
وَلا تَئِدُوا[2] مَواهِبَهُنَّ ظُلْماً ... فَإِنَّ ٱلْعارَ وَأْدُ ٱلْأُمَّهاتِ

وقال حافظ ابراهيم من قصيدة وطنية

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ ٱلدُّنْيا بِأَيْدِينا ... إِلَّا بَقِيَّةَ دَمْعٍ فِي مَآقِينا
كُنَّا قِلادَةَ جِيدِ ٱلدَّهْرِ وَٱنْفَرَطَتْ ... وَفِي يَمِينِ ٱلْعُلا كُنَّا رَياحِينا
كانَتْ مَنازِلُنا فِي ٱلْعِزِّ شامِخَةً ... لا تُشْرِقُ ٱلشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغانِينا
وَكانَ أَقْصَى مُنى نَهْرِ ٱلْمَجَرَّةِ لَوْ ... مِن مائِهِ مُزِجَتْ أَقْداحُ ساقِينا
وَٱلشُّهْبُ لَوْ أَنَّها كانَتْ مُسَخَّرَةً ... لِرَجْمِ مَنْ كانَ يَبْدُو مِن أَعادِينا
فَلَمْ نَزَلْ وَصُرُوفُ ٱلدَّهْرِ تَرْمُقُنا ... شَزْراً وَتَخْدَعُنا ٱلدُّنْيا وَتُلْهِينا
حَتَّى غَدَوْنا وَلا جاهٌ وَلا نَشَبٌ ... وَلا صَدِيقٌ وَلا خِلٌّ يُواسِينا

---

(١) جاوزتم الحدّ (٢) لا تدفنوها حيّة

الباب السابع

في الشعر الوصفي والقصصي



قال احمد شوقي يمدح بونيه وفدرين الطيارَين الافرنسيين
يوم زارا مصر

يا فِرَنسا نِلتِ أَسبابَ ٱلسَّماء وَتَمَلَّكْتِ مَقالِيدَ ٱلْجَواء[1]
غَلَبَ ٱلنَّسْرُ عَلى دَوْلَتِـهِ[2] وَتَنَحَّى لَكِ عَن عَرْشِ ٱلْهَواء
وَأَتَتْكِ ٱلرِّيحُ تَمْشي أَمَـةً لَكِ يا بَلْقِيسُ مِن أَوْفى ٱلإِماء[3]
رُوِّضَتْ بَعْدَ جِماحٍ[4] وَجَرَتْ طَوْعَ سُلْطانَيْنِ عِلْمٍ وَذَكاء
لَكِ خَيْلٌ بِجَناحٍ أَشْبَهَتْ خَيْلَ جِبْرِيلَ لِنَصْرِ ٱلأَنْبِياء
صِلَةُ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ مـا لَبِثَتْ غَيْرَ صَباحٍ وَمَساء
بُسَلاءُ ٱلإِنْسِ وَٱلْجِنِّ فِدًى لِفَرِيقٍ مِن بَنِيكِ ٱلْبُسَلاء
ضاقَتِ ٱلأَرْضُ بِهِمْ فَٱتَّخَذُوا في ٱلسَّماواتِ قُبُورَ ٱلشُّهَداء

(١) اسباب السماء مراقيها او طرقها او ابوابها والمقاليد المفاتيح والجواء جمع جوّ (٢) اي اخذت منه دولته بالغلبة (٣) الأَمة الجارية المملوكة جمعها إماء وبلقيس ملكة سبا المشهورة بجمالها وهي التي جاءت الملك سليمان الحكيم لتسمع حكمته (٤) جمح الفرس جماحاً ركب رأسه لا يثنيه شيء

فِتْيَةٌ يُمْسُونَ جِيرانَ ٱلسُّهَى سُمَراءَ ٱلنَّجْمِ فِي أَوْجِ ٱلْعَلاءِ[1]
حُوَّماً فَوْقَ جِبالٍ لَمْ تَكُنْ لِلرِّياحِ ٱلْهُوجِ يَوْماً بِوِطاءِ[2]
لِسُلَيْمانٍ بِساطٌ واحِدٌ وَلَهُمْ أَلْفُ بِساطٍ فِي ٱلسَّماءِ
يَرْكَبُونَ ٱلشُّهْبَ وَٱلسُّحْبَ إِلى رِفْعَةِ ٱلذِّكْرِ وَعَلْياءِ ٱلثَّناءِ

• • •

جَلَّ شَأْنُ ٱللّهِ هادي خَلْقِهِ بِهُدَى ٱلْعِلْمِ وَنُورِ ٱلْعُلَماءِ
زَفَّ مِن آياتِهِ ٱلْكُبْرى لَنا طِلْبَةً طالَ بِها عَهْدُ ٱلرَّجاءِ
مَرْكَبٌ لَوْ سَلَفَ ٱلدَّهْرُ بِهِ كانَ إِحْدى مُعْجِزاتِ ٱلْقُدَماءِ
نِصْفُهُ طَيْرٌ وَنِصْفٌ بَشَرٌ يا لَها إِحْدى أَعاجِيبِ ٱلْقَضاءِ
يَتَراءى كَوْكَباً ذا ذَنَبٍ فَإِذا جَدَّ فَسَهْماً ذا مَضاءِ
فَإِذا جازَ ٱلثُّرَيّا لِلثَّرى جَرَّ كَٱلطّاوُوسِ ذَيْلَ ٱلْخُيَلاءِ
يَمْلَأُ ٱلآفاقَ صَوْتاً وَصَدًى
كَعَزِيفِ ٱلْجِنِّ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْعَراءِ[3]
أَرْسَلَتْهُ ٱلْأَرْضُ عَنْها خَبَراً طَنَّ فِي آذانِ سُكّانِ ٱلسَّماءِ
يا شَبابَ ٱلْغَدِ وَأَبْنايَ ٱلْفِدى لَكُمُ أَعْزِزْ وَأَكْرِمْ بِٱلْفِداءِ

---

(١) السهى كوكب خفيّ من بنات نعش الصغرى . وسمراء جمع سمير وهو الذي يحادث ليلا (٢) الهوج جمع هوجاء وهي الريح التي لا تستوي في هبوبها وتقلع البيوت . والوطاء خلاف الغطاء (٣) العراء الفضاء لا يُستتر فيه بشيء

هَلْ يَمُدُّ ٱللهُ لي ٱلْعَيْشَ عَسى أَنْ أَراكُمْ في ٱلْفَرِيقِ ٱلسُّعَداء
وَأَرى تاجَكُمُ فَوْقَ ٱلسُّهى وَأَرى عَرْشَكُمُ فَوْقَ ذُكاء
مَنْ رَآكُمْ قالَ مِصرُ ٱسْتَرْجَعَتْ عِزَّها في عَهْدِ خُوفُو وَمُناء[1]
أُمَّةٌ لِلْخُلْدِ ما تَبْني إِذا ما بَنى ٱلنَّاسُ جَميعاً لِلْعَفاء
تَعْصِمُ ٱلْأَجْسامَ مِن عادي ٱلْبِلى وَتَقِي ٱلْآثارَ مِن عادي ٱلْفَناء
لا تَقُولُوا حَطَّنا ٱلدَّهْرُ فَما هُوَ إِلَّا مِن خَيالِ ٱلشُّعَراء
فَخُذُوا ٱلْعِلْمَ عَلى أَعْلامِهِ وَٱطْلُبُوا ٱلْحِكْمَةَ عِنْدَ ٱلْحُكَماء
وَٱقْرَأُوا تارِيخَكُمْ وَٱحْتَفِظُوا بِفَصِيحٍ جاءَكُمْ مِن فُصَحاء
وَٱحْكُمُوا ٱلدُّنْيا بِسُلْطانٍ فَما خُلِقَتْ نَضْرَتُها لِلضُّعَفاء
وَٱطْلُبُوا ٱلْمَجْدَ عَلى ٱلْأَرْضِ فَإِنْ هِيَ ضاقَتْ فَٱطْلُبُوهُ في ٱلسَّماء

وقال ايضاً يناجي ابا الهول في مصر وهو تمثال رأس انسان عند الهرمين

أَبا ٱلْهُولِ طالَ عَلَيْكَ ٱلْعُصُرْ[2] وَبُلِّغْتَ في ٱلْأَرْضِ أَقْصَى ٱلْعُمُرْ
فَيا لِدَةَ[3] ٱلدَّهْرِ لا ٱلدَّهْرُ شَبَّ وَلا أَنْتَ جاوَزْتَ حَدَّ ٱلصِّغَرْ
إِلامَ رُكُوبُكَ مَتْنَ ٱلرِّمالِ لِطَيِّ ٱلْأَصِيلِ وَجَوْبِ ٱلسَّحَرْ[4]

---

(١) خوفو ومناء من الفراعنة الذين ملكوا مصر (٢) جمع عصر (٣) اللدة الترب وهو الذي وُلد معك (٤) الاصيل الوقت بعد العصر الى المغرب . وجَوب السحر قطعه واجتيازه

تُسافِرُ مُنتقِلًا في ٱلقُرُونِ ... فَأَيَّانَ تُلقي غُبارَ ٱلسَّفَرْ
أَبينَكَ عَهْدٌ وَبَينَ ٱلجِبالِ ... تَزُولانِ في ٱلمَوْعِدِ ٱلمُنتَظَرْ
أَبا ٱلهُولِ ماذا وَراءَ ٱلبَقاءِ ... إذا ما تَطاوَلَ غَيرُ ٱلضَّجَرْ
فَإِنَّ ٱلحَياةَ تَفُلُّ ٱلحَديدَ ... إذا لَبِسَتْهُ وَتُبْلي ٱلحَجَرْ
أَبا ٱلهُولِ وَيحَكَ لا يُستَقَلُّ ... مَعَ ٱلدَّهرِ شَيْءٌ وَلا يُحتَقَرْ
تَهَزَّأْتَ دَهراً بِدِيكِ ٱلصَّباحِ ... فَنَقَّرَ عَينَيكَ فِيما نَقَرْ
أَسالَ ٱلبَياضَ وَسَلَّ ٱلسَّوادَ ... وَأَوْغَلَ مِنقارَهُ في ٱلحُفَرْ
كَأَنَّ ٱلرِّمالَ عَلى جانِبَيكَ ... وَبَينَ يَدَيكَ ذُنُوبُ ٱلبَشَرْ
أَبا ٱلهُولِ أَنتَ نَدِيمُ ٱلزَّمانِ ... نَجِيُّ ٱلأَوانِ سَمِيرُ ٱلعُصُرْ
تُطِلُّ عَلى عالَمٍ يُستَهَلُّ ... وَتُوفي عَلى عالَمٍ يُحتَضَرْ(١)
فَعَينٌ إِلى مَن بَدا لِلوُجودِ ... وَأُخرى مُشَيِّعَةٌ مَن عَبَرْ
فَحَدِّثْ فَقَدْ يُهتَدى بِٱلحَديثِ ... وَخَبِّرْ فَقَدْ يُهتَدى بِٱلخَبَرْ
أَلَمْ تُبْلِ فِرعَونَ في عِزِّهِ ... إِلى ٱلشَّمسِ مُعتَزِياً وَٱلقَمَرْ
يُؤَسِّسُ في ٱلأَرضِ لِلغابِرينَ ... وَيَغرِسُ لِلآخِرينَ ٱلثَّمَرْ
وَأَبصَرْتَ إِسكَندَراً في ٱلمَلا ... قَشيبَ ٱلعُلى في ٱلشَّبابِ ٱلنَّضِرْ
تَبَلَّجَ في مِصرَ إِكليلُهُ ... فَلَمْ يَعْدُ في ٱلمُلكِ عُمرَ ٱلزَّهَرْ

---

(١) يستهل يظهر . وتوفي تشرف وتقبل . واحتضر حضره الموت

وَأَيتَ ٱلدِّيانات في نَظْمِها ... وَحِينَ وَهَى[1] سِلْكُها وَٱنْتَثَرْ
تُشادُ ٱلبُيُوتُ لَها كَٱلبُرُوجِ ... إذا أَخَذَ ٱلطَّرْفُ فيها حَسَرْ[2]
وَآنَستَ مُوسى وَتابُوتَهُ ... وَنَوْرَ[3] ٱلعَصا وَٱلوَصايا ٱلغُرَرْ
أَبا ٱلهُولِ لَوْ لَمْ تَكُنْ آيَةً ... لَكانَ وَفاؤُكَ إِحدى ٱلعِبَرْ
فَهَلْ مَنْ يُبَلِّغُ عَنّا ٱلأُصولَ ... بِأَنَّ ٱلفُرُوعَ ٱقتَدَتْ بِٱلسِّيَرْ
وَأَنّا خَطَبْنا حِسانَ ٱلعُلى ... وَسُقْنا لَها ٱلغالِيَ ٱلمُدَّخَرْ
وَأَنّا رَكِبْنا غِمارَ[4] ٱلأُمورِ ... وَأَنّا نَزَلْنا إِلى ٱلمُؤْتَمَرْ
بِكُلِّ مُبِينٍ شَديدِ ٱللِّدادِ[5] ... وَكُلِّ أَرِيبٍ بَعيدِ ٱلنَّظَرْ
نُطالِبُ بِٱلحَقِّ في أُمَّةٍ ... جَرى دَمُها دُونَهُ وَٱنْتَشَرْ
وَلَمْ تَفْتَخِرْ بِأَساطِيلِها ... وَلٰكِنْ بِدَسْتُورِها تَفْتَخِرْ
فَلَمْ يَبْقَ غَيرُكَ مَنْ لَمْ يَخَفْ ... وَلَمْ يَبْقَ غَيرُكَ مَنْ لَمْ يَطِرْ
تَحَرَّكَ أَبا ٱلهُولِ ذاكَ ٱلزَّمانُ ... تَحَرَّكَ ما فيهِ حَتّى ٱلحَجَرْ

من قصيدة لحافظ ابراهيم

« في حريق ميت غمر »

سائِلوا ٱللَّيلَ عَنهُمُ وَٱلنَّهارا ... كَيفَ باتَتْ نِساؤُهُمْ وَٱلعَذارى
كَيفَ أَمسى رَضيعُهُمْ فَقَدَ ٱلأُمَّ ... وَكَيفَ ٱصطَلى مَعَ ٱلقَوْمِ نارا

---

(١) سقط (٢) الطرف العين وحسرت العين كلّت ولم تحقق المنظور
(٣) زهر (٤) الغمار الشدائد والمكاره (٥) المخاصمة

رَبِّ إنَّ ٱلقَضاءَ أنحى عَلَيهِم[1]
فَٱكشِفِ ٱلكَرْبَ وَٱحجُبِ ٱلأَقدارا

وَمُرِ ٱلنَّارَ أنْ تَكُفَّ أذاها   وَمُرِ ٱلغَيثَ أنْ يَسيلَ ٱنهِمارا
أينَ طوفانُ صاحِبِ ٱلفُلكِ يُرْوي   هٰذِهِ ٱلنَّارَ فَهيَ تَشكو ٱلأُوارا[2]
أشمَلَتْ فَحمَةَ ٱلدَّياجي فَباتَتْ   تَملَأُ ٱلأَرضَ وَٱلسَّماءَ شِرارا
غَشِيَتهُمْ وَٱلنَّحسُ يَجرِي يَميناً   وَرَمَتهُمْ وَٱلبُؤْسُ يَجري يَسارا
فَأغارَتْ وَأوجُهُ ٱلقَومِ بِيضٌ   ثُمَّ غارَتْ وَقَدْ كَسَتهُنَّ قارا[3]
أكَلَتْ دُورَهُمْ فَلَمَّا ٱستَقَلَّتْ[4]   لَمْ تُغادِرْ صِغارَهُمْ وَٱلكِبارا
أخرَجَتهُمْ مِنَ ٱلدِّيارِ عُراةً   حَذَرَ ٱلمَوتِ يَطلُبونَ ٱلفِرارا
يَلبَسونَ ٱلظَّلامَ حَتَّى إذا ما   أقبَلَ ٱلصُّبحُ يَلبَسونَ ٱلنَّهارا
حُلَّةٌ لا تَقيهِمِ ٱلبَرْدَ وَٱلحَرَّ وَلا عَنهُمُ تَرُدُّ ٱلغُبارا
أيُّها ٱلرَّافِلونَ في حُلَلِ ٱلوَشْـيِ يَجُرُّونَ لِلذُّيولِ ٱفتِخارا
إنَّ فَوقَ ٱلعَراءِ[5] قَوماً جِياعاً   يَتَوارَوْنَ ذِلَّةً وَٱنكِسارا

فتنة الاستانة

من قصيدة للشاعر نفسه

مُشبِعَ ٱلحوتِ مِن لُحومِ ٱلبَرايا   وَمُجيعَ ٱلجُنودِ تَحتَ ٱلبُنودِ

---

(١) اقبل عليهم (٢) الفلك السفينة والاوار العطش (٣) زفتاً (٤) ذهبت
(٥) الفضاء لا يستتر فيه بشيء

كُنتُ أَبكِي بِالأَمسِ مِنكَ فَمالي
بِتُّ أَبكِي عَلَيكَ عَبدَ الحَميدِ

فَرِحَ المُسلِمونَ قَبلَ النَّصارى فِيكَ قَبلَ الدُّرُوزِ قَبلَ اليَهودِ
شَمِتُوا كُلُّهُمْ وَلَيسَ مِنَ الهِمَّةِ أَنْ يَشمُتَ الوَرى في طَريدِ
أَنتَ عَبدُ الحَميدِ وَالتّاجُ مَعقُو دٌ وَعَبدُ الحَميدِ رَهنَ القُيُودِ
خالِدٌ أَنتَ رَغمَ أَنفِ اللَّيالي في كِبارِ الرِّجالِ أَهلِ الخُلُودِ
لَكَ في الدَّهرِ وَالكَمالُ مُحالٌ صَفَحاتٌ ما بَينَ بِيضٍ وَسُودِ
حاوَلُوا طَمسَ[1] ما صَنَعتَ وَلٰكِنْ
لَوْ يُطِيقُونَ طَمسَ خَطِّ الحَديدِ[2]
ذاكَ عَبدَ الحَميدِ ذِكرُكَ عِندَ اللّٰهِ باقٍ إِنْ ضاعَ عِندَ العَبيدِ
أَكرِمُوهُ وَراقِبُوا اللّٰهَ في الشَّيخِ وَلا تُرهِقُوهُ بِالتَّهديدِ
لا تَخافُوا أَذاهُ فَالشَّيخُ هاوٍ لَيسَ فِيهِ بَقِيَّةٌ لِلصُّعُودِ
بِتُّ أَخشَى عَلَيكُمُ أَنْ يَقُولُوا إِنْ أَثَرتُمْ مِن كامِناتِ الحُقُودِ
كانَ عَبدُ الحَميدِ بِالأَمسِ فَرداً فَغَدا اليَومَ أَلفَ عَبدِ الحَميدِ
يا أَسيراً في سِنتِ هِلِينَ[3] رَحِّبْ
بِأَسيرٍ في سالُونِيكَ جَديدِ

(١) محو (٢) يريد بخط الحديد الخط الذي مدَّه الى المدينة المنوَّرة
(٣) يريد بالاسير نابوليون

قُلْ لَهُ كَيفَ زالَ مُلْكُكَ لَمْ يَعْـصِمْكَ إعدادُ عُدَّةٍ أَوْ عَدِيدِ
لَمْ تَصُنْكَ ٱلْجُنُودُ تَفْدِيكَ بِٱلْأَرْ واحِ وَٱلْمَالِ يا غَرامَ ٱلْجُنُودِ
قُلْ لَهُ كَيفَ كُنْتَ كَيفَ مَلَكْتَ ٱلْـ أَرْضَ كَيفَ ٱنفَرَدتَ بِٱلتَّمْجِيدِ
فَثَلَلْتَ ٱلعُرُوشَ[1] عَرْشاً فَعَرْشاً وَصَبَغْتَ ٱلصَّعِيدَ بَعْدَ ٱلصَّعِيدِ
كُلَّما نِلْتَ غايَةً لَمْ تَنَلْهـا هِمَّةُ ٱلدَّهْرِ قُلْتَ هَلْ مِن مَزِيدِ
قُلْ لَهُ جَلَّ مَن لَهُ ٱلْمُلْكُ لا مُلْـكَ لِغَيرِ ٱلْمُهَيْمِنِ[2] ٱلْمَعْبُودِ

• • •

كانَ عَبْدُ ٱلْحَمِيدِ فِي ٱلقصرِ أَشْقى مِنْهُ فِي ٱلْأَسْرِ وَٱلْبَلاءِ ٱلشَّدِيدِ
كانَ لا يَعْرِفُ ٱلْقَرارَ[3] بِلَيْلٍ لا وَلا يَسْتَلِذُّ طَعْمَ ٱلْهُجُودِ
حَذِراً يَرْهَبُ ٱلظَّلامَ وَيَخْشَى خَطْرَةَ ٱلرِّيحِ أَوْ بُكاءَ ٱلْوَلِيدِ
أَصَحِيحٌ بَكَيْتَ لَمَّا أَتى ٱلْوَفْـدُ وَنابَتْكَ رِعْشَةُ ٱلرِّعْدِيدِ
وَنَسِيتَ ٱلْإِباءَ وَٱلْمَجْدَ وَٱلسُّؤْ دُدَ وَٱلْعِزَّ يا كَرِيمَ ٱلْجُدُودِ
ما عَهِدْنا ٱلْمُلُوكَ تَبْكِي وَلٰكِنْ عَلَّها نَزْوَةٌ[4] ٱلْفُؤادِ ٱلْجَلِيدِ
عَلَّها دَمْعَةُ ٱلْوَداعِ لِذاكَ ٱلْـمُلْكِ أَوْ ذِكْرَةٌ لِتِلْكَ ٱلْعُهُودِ
غَسَلَ ٱلدَّمْعُ عَنْكَ حَوْبَةَ[5] ماضِيـكَ وَوَقَّاكَ شَرَّ يَوْمِ ٱلْوَعِيدِ

(١) ثل عرشه أذهب ملكه او عزّهُ (٢) من اسماء الله تعالى (٣) السكينة (٤) النزوة الحدّة والوثبة (٥) إثم

شَفَعَ ٱلدَّمعُ فِيكَ عِنْدَ ٱلْبَرايا لَيسَ ذاكَ ٱلشَّفيعُ بِٱلمَرْدُودِ
دَمْعُكَ ٱلْيَوْمَ مِثْلُ أَمْرِكَ بِٱلأَمْسِ مُطَاعٌ في سَيِّدٍ وَمَسُودِ

بنت مصر وبنت الشام

من قصيدة للشاعر نفسه في حفلة تكريم خليل مطران

جازَ بي عَرفُها فَهاجَ ٱلْغَراما وَدَعاني فَزُرْتُها إِلْماما(١)
جَنَّةٌ تَبعَثُ ٱلحَياةَ وَتَجلُو صَدأَ ٱلنَّفسِ رَوْنَقاً وَنِظاما
زُرْتُها مَوْهِناً(٢) وَفي طَيِّ نَفسِي ذِلَّةُ ٱلصَّبِّ وَٱنْكِسارُ ٱلْيَتامى
وَتَنَقَّلْتُ في خَمائِلِها ٱلْخُضْرِ يَميناً وَيُسْرَةً وَأَماما
فَإِذا رَوْضَتانِ في ذٰلِكَ ٱلرَّوْضِ تَمِيسانِ تَحتَ رِيحِ ٱلْخُزامى
جاءَتا تَخْطِرانِ(٣) وَٱلنَّجمُ ساهٍ وَعُيُونُ ٱلأَزْهارِ تَبْغي ٱلْمَناما
وَتَسَمَّعَتُ عَلَّني أُطفِئُ ٱلشَّوْقَ وَأُرْوِي مِنَ ٱلْفُؤادِ ٱلأُواما
فَإِذا لَهْجَتانِ مِن لَهَجاتِ ٱلشَّرْقِ قَدْ شاقَتا فُؤادِي فَهاما
تِلْكَ سُورِيَّةٌ تَفِيضُ بَياناً تِلْكَ مِصرِيَّةٌ تَسِيلُ ٱنْسِجاما
فِطْنَةٌ عِنْدَ رِقَّةٍ عِنْدَ ظَرْفٍ عِنْدَ رَأْيٍ تَخالُهُ إِلْهاما
لَمْ أَزَلْ أَحتَسِي(٤) ٱلْحَدِيثَ بِسَمْعِي مِثْلَما يَحْتَسِي ٱلنَّدِيمُ ٱلْمُداما

---

(١) جاز به مرَّ به والعرف الريح الطيبة وزاره إلماماً زاره زيارة غير طويلة
(٢) الموهن الوهن وهو نحوٌ من نصف الليل او بعد ساعة منه (٣) خطر اهتزَّ وتبختر (٤) احتسى المدام شربه شيئاً بعد شيء او في مهلة

مالَتا نَحوَ دَوحَةٍ تُرسلُ ٱلأَغصانَ وَٱختارَتا لَدَيها مُقاما
ثُمَّ أَلقَتْ قِناعَها بِنتُ مِصرٍ وَأَماطَتْ بِنتُ ٱلشّآمِ ٱللِّثاما
فَتَوَهَّمتُ أَنْ قَدِ ٱنفَلَقَ ٱلبَدْرُ وَقَدْ كُنتُ أُنكِرُ ٱلأَوهاما
وَرَأى ٱلزَّهرُ ما رَأَيتُ فَظَنَّ ٱلشَّمسَ رَأْدَ ٱلضُّحَى فَشَقَّ ٱلكِماما[1]
ظَنَّتا ذٰلِكَ ٱلمَكانَ خَلاءً لا رَقِيباً يُخشَى وَلا نَمَّاما
فَجَرى فِيهِ ما جَرى مِن حَدِيثٍ كانَ بَرداً على ٱلحَشَى وَسَلاما
حِينَ قالَتْ لِأُختِها بِنتُ مِصرٍ إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أَبَتْ أَنْ تُضاما[2]
صَدَقَ ٱلشَّاعِرُ ٱلَّذي قالَ فِيكُمْ كَلِماتٍ نَبَّهنَ مِنَّا ٱلنِّياما
« رَكِبُوا ٱلبَحرَ جاوَزُوا ٱلقُطبَ فاتُوا
مَوضِعَ ٱلنَّيِّرَينِ خاضُوا ٱلظَّلاما »
« يَمتَطُونَ ٱلخُطوبَ في طَلَبِ ٱلعَيشِ وَيَبرُونَ لِلنِّضالِ ٱلسِّهاما »
فَٱنبَرَتْ ظَبيَةُ ٱلشَّآمِ وَقالَتْ بَعدَ هٰذا فَقَدْ رَفَعتِ ٱلشَّآما
أَنتُمُ ٱلأَسبَقُونَ في كُلِّ مَرمًى قَدْ بَلَغتُمْ مِن كُلِّ شَيءٍ مَراما
إِنَّما ٱلشَّامُ وَٱلكِنانَةُ صِنوا نِ بِرَغمِ ٱلخُطوبِ عاشا لِزاما[3]
أُمُّكُمْ أُمُّنا وَقَدْ أَرضَعَتنا مِن هَواها وَنَحنُ نَأبَى ٱلفِطاما

---

(١) رأد الضحى وقت ارتفاع الشمس والكمام جمع كمّ وهو غطاء الزهر والغلاف الذي ينشق عن الثمر (٢) تظلم وتقهر (٣) صنوان فرعان يخرجان من اصل واحد واللزام مصدر لازمه اذا لم يفارقه

قَدْ نَزَلْنا جِوارَكُمْ فَحَمِدْنا مِنْكُمُ ٱلوُدَّ وَٱلنَّدى وَٱلذِّماما
وَحَلَلْنا في أَرْضِكُمْ فَأَصَبْنا مَنْزِلاً مُخْصِباً وَأَهْلاً كِراما
وَغَشَيْنا(١) دِيارَكُمْ حَيْثُ شِئْنا فَلَقِينا طَلاقَةً وَٱبْتِساما
وَشَرِبْنا مِن نِيلِكُمْ فَنَسِينا ماءَ لُبْنانَ سَلْسَلاً(٢) وَٱنْعِاما
وَقَبَسْنا مِن نُورِكُمْ فَكَتَبْنا وَأَجَدْنا نِثارَنا(٣) وَٱلنِّظاما
فَأَشارَتْ فَتاةُ مِصْرَ وَقالَتْ قَدْكِ(٤) لَمْ تَتْرُكِي لِمِصْرَ كَلاما
أَنْتُمُ ٱلنّاسُ قُدْرَةً وَمَضاءً وَنُهُوضاً إِلى ٱلعُلى وَٱعْتِزاما(٥)
أَطْلَعَتْ أَرْضُكُمْ عَلى كُلِّ أُفْقٍ أَنْجُماً إِثْرَ أَنْجُمٍ تَتَرامى

...

ذاكَ ما دارَ مِن حَديثٍ شَهِيٍّ يَسْتَفِزُّ(٦) ٱلنُّهى وَيُشْجِي ٱلنَّداما
قَدْ تَسَقَّطْتُهُ وَخالَفْتُ فِيهِ مَن يَرى ٱلنَّقْلَ سُبَّةً وَٱجْتِراما(٧)
فَمِنَ ٱلنَّقْلِ ما يَكُونُ حَلالاً وَمِنَ ٱلنَّقْلِ ما يَكُونُ حَراما

...

صَدَقَ ٱلغادَتانِ يا لَيْتَ قَوْمَيْنا كَما قالَتا هَوىً وَٱلتِئاما
نَحْنُ في حاجَةٍ إِلى كُلِّ ما يُنْمِي قِوانا وَيَرْبِطُ ٱلأَرْحاما
فَٱجْعَلُوا حَفْلَةَ ٱلخَلِيلِ صَفاءً بَيْنَ مِصْرٍ وَأُخْتِها وَسَلاما

(١) اتينا (٢) عذباً (٣) نثر الكاتب نثاراً اتى بالنثر في كلامه (٤) كفاكِ
(٥) الاعتزام عقد الضمير على الفعل وامضاؤه من دون تردد فيه (٦) يستخف
(٧) السبّة العار واجترم اذنب

وقال يصف روضة

وَأَرْضٍ كَسَتْهَا كِرامُ ٱلشُّهُودِ حَرائِرَ مِن نَسْجِ آذارِها
إِذا نَقَّطَتْها أَكُفُّ ٱلْغَمامِ أَرَتْكَ ٱلدَّرارِي بِأَزْهارِها
وَإِنْ طالَعَتْها ذُكاءُ ٱلصَّباحِ أَرَتْكَ ٱللُّجَيْنَ بِأَنْهارِها
وَإِنْ دَبَّ فِيها نَسِيمُ ٱلْأَصِيلِ أَتاكَ ٱلنَّسِيمُ بِأَخْبارِها

وقال يصف الحرب الكبرى

أَلْعِلْمُ يُذْكِي نارَها وَتُثِيرُها مَدَنِيَّةٌ خَرْقاءُ لا تَتَرَفَّقُ
وَلَقَدْ حَسِبْتُ ٱلْعِلْمَ فِينا نِعْمَةً تَأْسُو ٱلضَّعِيفَ وَرَحْمَةً تَتَدَفَّقُ
فَإِذا بِنِعْمَتِهِ بَلاءٌ مُرْهِقٌ وَإِذا بِرَحْمَتِهِ قَضاءٌ مُطْبِقُ[1]
عَجِزَ ٱلرُّماةُ عَنِ ٱلرُّماةِ فَأَرْسَلُوا كِسَفاً[2] يَمُوجُ بِها دُخانٌ يَخْنُقُ
تَتَعَوَّذُ ٱلْآفاقُ مِنْهُ وَتَنْثَنِي عَنْهُ ٱلرِّياحُ وَيَتَّقِيهِ ٱلْفَيْلَقُ
وَتَنابَلُوا بِٱلْكِيمِياءِ فَأَسْرَفُوا وَتَساجَلُوا بِٱلْكَهْرَباءِ فَأَغْرَقُوا
وَتَنازَلُوا فِي ٱلْجَوِّ حِينَ بَدا لَهُمْ أَنَّ ٱلْبَسِيطَةَ عَنْ مَداهُمْ أَضْيَقُ
نَفِسُوا[3] عَلَى ٱلْحِيتانِ واسِعَ مُلْكِها فَتَفَنَّنُوا فِي سَلْبِهِ وَتَأَنَّقُوا
مَلَكُوا مَسابِحَها[4] عَلَيْها بَعْدَما غَلَبُوا ٱلنُّسُورَ عَلَى ٱلْجِواءِ وَحَلَّقُوا
إِنْ كانَ عَهْدُ ٱلْعِلْمِ هٰذا شَأْنُهُ فِينا فَعَهْدُ ٱلْجاهِلِيَّةِ أَرْفَقُ

(١) ارهقه حمله على ما لا يطيق والمطبق الذي يغشى صاحبه ويعمّه
(٢) الكسف جمع الكسفة وهي القطعة (٣) نفس عليه الشيء لم يرَهُ اهلاً له
(٤) الامكنة التي تسبح فيها

زلازل ايطاليا

« من قصيدة للشاعر نفسه »

نَبِّئَاني إن كُنتُما تَعلَمانِ ما دَهى ٱلكَوْنَ أَيُّها ٱلفَرقَدانِ
غَضِبَ ٱللهُ أم تَمَرَّدَتِ ٱلأَرْ ضُ فأَنحَتْ على بَني ٱلإنسانِ
رَبِّ أينَ ٱلمَفَرُّ وَٱلبَحرُ وٱلبَـرُّ على ٱلكَيدِ لِلوَرى عامِلانِ
ما لِمَسِّينَ عُوجِلَتْ في صِباها وَدَعاها مِنَ ٱلرَّدى داعِيانِ
خُسِفَتْ ثُمَّ أُغرِقَتْ ثُمَّ بادَتْ قُضِيَ ٱلأَمرُ كُلُّهُ في ثَوانِ
بَغَتِ ٱلأَرضُ وَٱلجِبالُ عَلَيها وَطَغى ٱلبَحرُ أَيَّما طُغيانِ
تِلكَ تَغلي حِقداً عَلَيها فَتَنشَـقُّ ٱنشِقاقاً مِن كَثرَةِ ٱلغَلَيانِ
فَتُجيبُ ٱلجِبالُ رَجماً وَقَذفاً بِشَواظٍ مِن مارِجٍ وَدُخانِ (١)
وَتَسوقُ ٱلبِحارُ رَدًّا عَلَيها جَيشَ مَوجٍ نائِي ٱلجَناحَينِ داني
فَهُنا ٱلمَوتُ أَسوَدُ ٱللَّونِ جَونٌ وَهُنا ٱلمَوتُ أَحمَرُ ٱللَّونِ قاني (٢)
جَنَّدَ ٱلماءَ وَٱلثَّرى لِهَلاكِ ٱلـخَلقِ ثُمَّ ٱستَعانَ بِٱلنِّيرانِ
وَدَعا ٱلسُّحبَ عاتِياً فَأَمَدَّتـهُ بِجَيشٍ مِنَ ٱلصَّواعِقِ ثانِ (٣)

---

(١) رجمه وقذفه بالحجارة رماه بها . والشواظ دخان النار وحرُّها او لهب لا دخان فيه . والمارج من النار لهبها المختلط بسوادها او النار التي لا دخان لها (٢) الجون الاسود والقاني الذي اشتدت حمرته (٣) العاتي القاسي القلب وأمدَّه اعانه

فَٱسْتَحالَ ٱلنَّجاءُ[1] وَٱسْتَحْكَمَ ٱلْيأْ
سُ وَخارَتْ عَزائِمُ ٱلشُّجْعانِ
وَشَفى ٱلْمَوْتُ غُلَّهُ مِنْ نُفوسٍ لا تُباليهِ في مَجالِ ٱلطِّعانِ
أَيْنَ (دِجْيو) وَأَيْنَ ما كانَ فيها مِن مَغانٍ مأْهُولَةٍ وَغَواني
عُوجِلَتْ مِثْلَ أُخْتِها وَدَهاها ما دَهاها مِن ذٰلِكَ ٱلثَّوَرانِ
رُبَّ طِفْلٍ قَدْ ساخَ[2] في باطِنِ ٱلأَرْ
ضِ يُنادي أُمّي أَبي أَدْرِكاني
وَفَتاةٍ هَيْفاءَ تُشْوى عَلى ٱلْجَمْـرِ تُعاني مِن حَرِّهِ ما تُعاني
وَأَبٍ ذاهِلٍ[3] إِلى ٱلنّارِ يَمْشي مُسْتَميتاً تَمْتَدُّ مِنْهُ ٱلْيَدانِ
باحِثاً عَن بَناتِهِ وَبَنيهِ مُسْرِعَ ٱلْخَطْوِ مُسْتَطيرَ ٱلْجَنانِ
تَأْكُلُ ٱلنّارُ مِنْهُ لا هُوَ ناجٍ مِن لَظاها وَلا ٱللَّظى عَنْهُ واني
غَصَّتِ ٱلأَرْضُ أُتْخِمَ ٱلْبَحْرُ مِمّا طَوَياهُ مِنْ هٰذِهِ ٱلأَبْدانِ
وَشَكا ٱلْحوتُ لِلنُّسورِ شَكاةً رَدَّدَتْها ٱلنُّسورُ لِلْحيتانِ
أَسْرَفا في ٱلْجُسومِ بَقْراً وَنَهْشاً ثُمَّ باتا مِن كِظَّةٍ[4] يَشْكُوانِ
لا رَعَى ٱللهُ ساكِنَ ٱلْقِمَمِ ٱلشُّمِّ وَلا حاطَ ساكِنَ ٱلْقيعانِ[5]

(١) النجاة (٢) دخل في الارض وغاب (٣) الذاهل الغائب عن رشده
(٤) كظّه الطعام ملأه حتى لا يطيق النفس (٥) جمع القاع وهو الارض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام

قَدْ أَغارا عَلى أَكُفٍّ بَراها بارِئُ ٱلكائِناتِ لِلإِتْقانِ
كَيفَ لَمْ يَرْحَما أَنامِلَها ٱلغُرَّ وَلَمْ يَرْفُقا بِتِلْكَ ٱلبَنانِ
لَهْفَ نَفْسي وَأَلْفَ لَهْفٍ عَلَيْها
مِن أَكُفٍّ كانَتْ صَناعَ ٱلزَّمانِ[1]

مُولَعاتٍ بِصَيْدِ كُلِّ جَميلٍ ناصِباتٍ حَبائِلَ ٱلأَلوانِ
حافِراتٍ فِي ٱلصَّخرِ أَوْ ناقِشاتٍ شائِداتٍ رَوائِعَ ٱلبُنْيانِ
مُنْطِقاتٍ لِسانَ كُلِّ جَمادٍ مُفْحِماتٍ سَواجِعَ ٱلأَفْنانِ
مُلْهَماتٍ مِن دِقَّةِ ٱلصُّنْعِ ما لا يُلْهِمُ ٱلشِّعْرُ مِن رَقيقِ ٱلمَعاني
مِن تَماثيلَ كَٱلنُّجومِ ٱلدَّراري يَهْرَمُ ٱلدَّهرُ وَهْيَ في عُنْفُوانِ

...

إيهِ مَسّينُ آنِسي ٱليَوْمَ بُمْبا يَ فَقَدْ أَوْحَشَتْ بِذاكَ ٱلمَكانِ
آنِسي ٱلدُّرَّةَ ٱلَّتي كانَتِ ٱلحِلْيَةَ في تاجِ دَوْلَةِ ٱلرُّومانِ
غالَها قَبْلَكِ ٱلزَّمانُ ٱغْتِيالًا وَهْيَ تَلْهُو في غِبْطَةٍ وَأَمانِ
جاءَها ٱلأَمْرُ وَٱلسَّراةُ عُكُوفٌ في ٱلمَلاهي عَلى غِناءِ ٱلقِيانِ[2]
فَٱنطَوَوْا كَٱنطِواءِ أَهْلِكِ بِٱلأَمْسِ وَزالَتْ بَشاشَةُ ٱلعُمْرانِ
فَسَلامٌ عَلَيْكِ يَوْمَ تَوَلَّيْتِ[3] بِما فيكِ مِن مَغانٍ حِسانِ

(١) صناع اليدين حاذق في الصنعة (٢) السراة جمع السري وهو صاحب المروءة في شرف والعكوف جمع العاكف وهو المواظب على شيء (٣) ذهبت وأعرضت

وَسَلامٌ عَلَيْكِ يَوْمَ تَعُودِينَ كَمَا كُنْتِ جَنَّةَ ٱلطَّلْيانِ
وَسَلامٌ عَلى ٱلأُلى أَكَلَ ٱلذِّئْبُ وَنَاشَتْ[1] جَوارِحُ ٱلْعِقْبانِ
وَسَلامٌ عَلى ٱمْرِئٍ جادَ بِٱلدَّمْعِ وَثَنَّى بِٱلأَصْفَرِ ٱلرَّنَّانِ
ذاكَ حَقُّ ٱلإِنْسانِ عِنْدَ بَني ٱلإِنْسانِ لَمْ أَدْعُكُمْ إِلى إِحْسانِ
هٰهُنا مَصْرَعُ ٱلصِّناعَةِ وَٱلتَّصْويرِ وَٱلْحِذْقِ وَٱلْحِجى وَٱلأَغاني

غادة اليابان

« من قصيدة للشاعر نفسه »

لا تَلُمْ كَفِّي إِذا ٱلسَّيْفُ نَبا ... صَحَّ مِنِّي ٱلْعَزْمُ وَٱلدَّهْرُ أَبى
رُبَّ ساعٍ مُبْصِرٍ في سَعْيِهِ ... أَخْطَأَ ٱلتَّوْفِيقَ في ما طَلَبا
مَرْحَباً بِٱلْخَطْبِ يَبْلُوني إِذا ... كانَتِ ٱلْعَلْياءُ فيهِ ٱلسَّبَبا
عَقَّني ٱلدَّهْرُ وَلَوْلا أَنَّني ... أُوثِرُ ٱلْحُسْنى عَقَقْتُ ٱلأَدَبا
إِيهِ يا دُنْيا ٱعْبِسي أَوْ فَٱبْسِمي ... لا أَرى بَرْقَكِ إِلَّا خُلَّبا
أَنا لَوْلا أَنَّ لي مِنْ أُمَّتي ... خاذِلًا ما بِتُّ أَشْكُو ٱلنُّوَبا
أُمَّةٌ قَدْ فَتَّ في ساعِدِها[2] ... بُغْضُها ٱلأَهْلَ وَحُبُّ ٱلْغُرَبا
تَعْشَقُ ٱلأَلْقابَ في غَيْرِ ٱلْعُلى ... وَتُفَدِّي بِٱلنُّفُوسِ ٱلرُّتَبا
وَهْيَ وَٱلأَحْداثُ تَسْتَهْدِفُها[3] ... تَعْشَقُ ٱللَّهْوَ وَتَهْوى ٱلطَّرَبا

---

(١) ناش تناول (٢) فتّ في ساعده أضعفه (٣) الاحداث المصائب وقد اراد الشاعر باستهدفه اتخذه هدفاً اي غرضا ولم يجئ هذا الحرف بهذا المعنى

لا تُبالي لَعِبَ ٱلقَوْمُ بِهـا أمْ بِها صَرْفُ ٱلزَّمانِ لَعِبا
لَيْتَهـا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً ذاتَ شَجْوٍ وَحَدِيثاً عَجَبا
كُنْتُ أهوى في زَماني غادَةً وَهَبَ ٱللهُ لَهـا ما وَهَبا
حَمَلَتْ لي ذاتَ يَوْمٍ نَبَأً لا رَعاكَ ٱللهُ يا ذاكَ ٱلنَّبا
وَأتَتْ تَخطِرُ وَٱللَّيْلُ فَتَى وَهِلالُ ٱلأُفْقِ فِي ٱلأُفْقِ حَبا[1]
ثُمَّ قالَتْ لي بِثَغْرٍ باسِمٍ نَظَمَ ٱلدُّرَّ بِهِ وَٱلحَبَبـا
نَبَّؤُوني بِرَحِيلٍ عاجِـلٍ لا أرى لي بَعْـدَهُ مُنْقَلَبا
وَدَعاني مَوْطِني أنْ أغْتَدِي[2] عَلَّني أقْضِي لَهُ مـا وَجَبا
قُلْتُ وَٱلآلامُ تَفْرِي مُهْجَتِي وَيْكِ ماتَصْنَعُ فِي ٱلحَرْبِ ٱلظِّبا
ما عَهِدْناها لِظَبْيٍ مَسْرَحاً يَبْتَغِي مَلْهًى بِهِ أوْ مَلْعَبا
فَسَلِيني إنَّني مارَسْتُهـا وَرَكِبْتُ ٱلهَوْلَ فِيها مَرْكَبا
وَتَقَحَّمْتُ ٱلرَّدى في غـارَةٍ أسْدَلَ ٱلنَّقْعُ عَلَيْهـا هَيْدَبا[3]
قَطَّبَتْ ما بَيْنَ عَيْنَيْها لَنا فَرَأيْتُ ٱلمَوْتَ فيها قَطَّبـا
جـالَ عِزْرائِيلُ في أنْحائِهـا
تَحْتَ ذاكَ ٱلنَّقْعِ يَمْشِي ٱلهَيْدَبَى[4]
فَدَعِيها لِلَّذي يَعْرِفُهـا وَٱلْزَمِي يا ظَبْيَةَ ٱلبانِ ٱلخِبا

---

(١) جرى (٢) اذهب عدوةً (٣) الهيدب السحاب المتدلي (٤) الهيدبى جنس من مشي الخيل فيه جِدٌّ

فَأَجابَتْني بِصَوْتٍ راعَني وَأَرَتْني ٱلظَّبيَ لَيْثاً أَغْلَبا[1]
إنَّ قَوْمي ٱسْتَعْذَبُوا وِرْدَ ٱلرَّدى كَيْفَ تَدْعُونِيَ أَنْ لا أَشْرَبا
أَنا يابانِيَّةٌ لا أَنْثَني عَن مُرادي أَوْ أَذُوقَ ٱلْعَطَبا
أَنا إنْ لَمْ أُحْسِنِ ٱلرَّمْيَ وَلَمْ تَسْتَطِعْ كَفَّايَ تَقْلِيبَ ٱلظُّبى
أَخْدِمُ ٱلْجَرْحى وَأَقْضي حَقَّهُمْ وَأُوَسِّي في ٱلْوَغى مَن نُكِبا
هٰكَذا ٱلْمِيكادُ قَدْ عَلَّمَنا أَنْ نَرى ٱلْأَوْطانَ أُمّاً وَأَبا
مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ أَنْهَضَ ٱلشَّرْقَ فَهَزَّ ٱلْمَغْرِبا
وَإذا مارَسْتَهُ أَلْفَيْتَهُ حُوَّلاً في كُلِّ أَمْرٍ قُلَّبا[2]
كانَ وَٱلتَّاجَ صَغِيرَيْنِ مَعاً وَجَلالُ ٱلْمُلْكِ في مَهْدِ ٱلصِّبا
فَغَدا هٰذا سَماءً لِلْعُلى وَغَدا ذٰلِكَ فيها كَوْكَبا
بَعَثَ ٱلْأُمَّةَ مِن مَرْقَدِها وَدَعاها لِلْعُلى أَنْ تَدْأَبا[3]
فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْغي شَأْوَهُ وَقَضَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَأْرَبا

مقتل بزرجمهر

« من قصيدة لخليل مطران »

سَجَدُوا لِكِسْرى إذْ بَدا إجْلالا كَسُجُودِهِمْ لِلشَّمْسِ إذْ تَتَلالا

---

(١) الأَغلب الاسد (٢) الحُوَّل القدير على التصرُّف او الشديد الاحتيال والقُلَّب المحتال البصير بتقليب الامور (٣) تجدّ وتتعب

يا أُمَّةَ ٱلفُرْسِ ٱلأُسُودِ على ٱلعِدى
ماذا أَحالَكِ في ٱلسَّلامِ سِخَالا[١]
كُنْتُمْ كِباراً في ٱلحُرُوبِ أَشِدَّةً وَٱليَوْمَ بِتُّمْ صاغِرِينَ ضِئالا[٢]
عُبَّادَ كِسْرى مانِحِيهِ نُفُوسَكُمْ وَرِقابَكُمْ وَٱلعِرْضَ وَٱلأَموالا
تَسْتَقْبِلُونَ نِعالَهُ بِوُجوهِكُمْ وَتُعَفِّرُونَ أَذِلَّةً أَوْكالا[٣]
أَلتِّبْرُ كِسْرى وَحْدَهُ في فارِسٍ وَيَعُدُّ أُمَّـةَ فارِسٍ أَرْذالا
إِنْ يُؤْتِهِمْ فَضْلاً يَمُنُّ وَإِنْ يَرُمْ ثَأْراً يُبِدْهُمْ بِٱلعَدُوِّ قِتـالا
وَإِذا قَضى يَوْماً قَضاءً عادِلاً ضَرَبَ ٱلأَنامُ بِعَدْلِهِ ٱلأَمْثالا

. . .

يا يَوْمَ قَتْلِ بُزُرْجُمُهْرَ وَقَدْ أَتَوْا فيـهِ يُلَبُّونَ ٱلنِّداءَ عِجالا
مُتَأَلِّبِينَ[٤] لِيَشْهَدُوا مَوْتَ ٱلذي أَحيا ٱلبِلادَ عَدالَةً وَنَوالا
يُبْدُونَ بِشْراً وَٱلنُّفوسُ كَظِيمَةٌ يُجْفِلْنَ بَيْنَ ضُلوعِهِمْ إِجْفالا[٥]
تَجْلُو أَسِرَّتَهُمْ[٦] بُرُوقُ مَسَرَّةٍ وَقُلُوبُهُمْ تُدْمي بِهِنَّ نِصالا
وَإِذا سَمِعْتَ صِياحَهُمْ وَدَوِيَّهُمْ لَمْ تَدْرِهِ فَرَحاً وَلا إِعْوالا
وَيَلُوحُ كِسْرى مُشْرِفاً مِنْ قَصْرِهِ شَمْساً يُضِيءُ مَهـابَةً وَجَلالا

---

(١) السخال جمع السخله وهي ولد الشاة ذكراً وانثى (٢) جمع ضئيل وهو الضعيف (٣) عُفِر في التراب مُرِّغ واوكال جمع وَكَل وهو العاجز الذي يتكل على غيره (٤) متجمعين (٥) الكظيمة الساكتة والمكروبة . واجفل هرب مسرعاً (٦) الأَسرَّة جمع السرّ وهو الخط في الجبهة

يَزْهُو بِهِ ٱلْعَرْشُ ٱلرَّفِيعُ كَأَنَّهُ   بِسَنَى ٱلْجَواهِرِ مُشْعَلٌ إِشْعالا
وَكَأَنَّ دُرَّةَ سَيْفِهِ عَيْنٌ تَرى   كَمْ تَحْتَ قائِمِ[1] سَيْفِهِ آجالا

...

ما كانَ كِسْرى إِذْ طَغى في قَومِهِ   إِلَّا لِما خَلَقُوا لَهُ[2] فَعَّالا
هُمْ حَكَّمُوهُ فَٱسْتَبَدَّ تَحَكُّماً   وَهُمُ أَرادُوا أَنْ يَصُولَ فَصالا
وَٱلْجَهْلُ داءٌ قَدْ تَقادَمَ عَهْدُهُ   في ٱلعالَمِينَ وَلا يَزالُ عُضالا
لَوْلا ٱلْجَهالَةُ لَمْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ   إِلَّا خَلائِقَ إِخْوَةً أَمْثالا
لٰكِنَّ خَفْضَ ٱلْأَكْثَرِينَ جَناحَهُمْ.[3]   رَفَعَ ٱلْمُلُوكَ وَسَوَّدَ ٱلْأَبْطالا
وَإِذا رَأَيْتَ ٱلْمَوْجَ يَسْفُلُ بَعْضُهُ   أَلْفَيْتَ سائِرَهُ طَغى وَتَعالى
نَقْصٌ لِبُنْيانِ ٱلطَّبِيعَةِ لازِمٌ   لا يَرْتَجي مَعَهُ ٱلْحَكِيمُ كَمالا

...

وَإِذِ ٱسْتَوى كِسْرى وَأَجْلَسَ دُونَهُ   قُوَّادَهُ ٱلْنُبَلاءَ وَٱلْأَقْيالا[4]
صَعِدَتْ إِلَيْهِ مِنَ ٱلْجَماعَةِ صَيْحَةٌ   كادَتْ تُزَلْزِلُ قَصْرَهُ زِلْزالا
وَإِذا ٱلْوَزِيرُ بُزُرْجُمِهْرُ يَسُوقُهُ   جَلَّادُهُ مُتَهادِياً مُخْتالا

---

(١) قائم السيف مقبضه (٢) اي كانوا اهلاً له (٣) خفض جناحه تواضع وتذلّل (٤) الاقيال جمع القيل وهو الرئيس دون الملك الأعلى

وَتَرَوَّحُ حَوْلَهُما ٱلْجُمُوعُ وَتَغْتَدي   كَٱلْمَوْجِ وَهْوَ مُدافَعٌ يَتَتالى[1]
سَخِطَ ٱلْمَلِيكُ عَلَيْهِ إِثْرَ نَصِيحَةٍ   فَٱقْتَصَّ مِنْهُ غَوايَةً وَضَلالا
أَبُزُرْجُمِهْرُ حَكِيمُ فارِسَ وَٱلْوَرى   يَطَأُ ٱلسُّجُونَ وَيَحْمِلُ ٱلْأَغْلالا
كِسْرى أَتُبْقي كُلَّ فَدْمٍ غاشِمٍ[2]
حَيًّا وَتُرْدي ٱلْعادِلَ ٱلْمِفْضالا
وَتَدُقُّ في مَرْأى ٱلرَّعِيَّةِ عُنْقَهُ
لِيَمُوتَ مَوْتَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُذالا[3]
أَيْنَ ٱلتَّفَرُّدُ[4] مِن مَشُورَةِ صادِقٍ   وَٱلْحُكْمُ أَعْدَلُ ما يَكُونُ جِدالا
إِنْ تَسْتَطِعْ فَٱشْرَبْ مَعَ ٱلْخَمْرِ ٱلدِّما
وَٱجْعَلْ جَماجِمَ عابِدِيكَ نِعالا
وَٱذْبَحْ وَدَمِّرْ وَٱسْتَبِحْ أَعْراضَهُمْ   وَٱمْلَأْ بِلادَهُمْ أَسًى وَنَكالا[5]
لَوْ كانَ في تِلْكَ ٱلنِّعاجِ مُقاوِمٌ   لَكَ لَمْ تَجِئْ ما جِئْتَهُ ٱسْتِفْحالا[6]

وقال محمود باشا سامي البارودي
يصف روضةً غزيرة المياه في ناحية كندى

دَعاني إِلى غَيِّ ٱلصِّبا بَعْدَ ما مَضى
مَكانٌ كَفِرْدَوْسِ ٱلْجِنانِ أَنِيقُ

---

(١) يتتابع (٢) الفدم الغليظ الأحمق الجاني . والغاشم الظالم (٣) مهاناً (٤) تفرَّد برأيه انفرد واستبدَّ (٥) النكال ان تنزل بغيرك نازلةً تجعله عبرةً لسواه (٦) استفحل الامر تفاقم وتعاظم

فَسِيحُ مَجَالِ ٱلْعَيْنِ أَمَّا غَدِيرُهُ فَطَامٍ[1] وَأَمَّا غُصْنُهُ فَرَشِيقُ
سَمَتْ صُعُداً أَفْنَانُهُ فَكَأَنَّمَا لَمَا عِنْدَ إِحْدَى ٱلنَّيِّرَاتِ عَشِيقُ
يَمُدُّ شُعَاعُ ٱلشَّمْسِ مِنْ حَجَرَاتِهَا[2]
سَلَاسِلَ مِنْ نُورٍ لَهُنَّ بَرِيقُ
وَيَشْدُو بِهَا ٱلْقُمْرِيُّ حَتَّى كَأَنَّهُ أَخُو صَبْوَةٍ[3] أَوْ دَبَّ فِيهِ رَحِيقُ
تَمُرُّ طُيُورُ ٱلْمَاءِ فِيهَا عَصَائِباً[4] كَرَكْبٍ عِجَالٍ ضَمَّهُنَّ طَرِيقُ
إِذَا أَبْصَرَتْ زُرْقَ ٱلْمَوَارِدِ رَفْرَفَتْ
عَلَيْهَا فَطَافٍ[5] فَوْقَهَا وَغَرِيقُ
غَدَوْنَا لَهُ وَٱلْفَجْرُ يَنْصَاحُ[6] ضَوْؤُهُ
فَيَنْمُو وَأَقْطَارُ ٱلظَّلَامِ تَضِيقُ
وَلِلطَّيْرِ فِي مَهْدِ ٱلْأَرَاكَةِ رَنَّةٌ
وَلِلطَّلِّ فِي ثَغْرِ ٱلْأَقَاحَةِ رِيقُ[7]
مَلَاعِبُ زَانَتْهَا ٱلرِّفَاقُ وَلَمْ يَكُنْ لِيَحْسُنَ لَهْوٌ لَمْ يَزِنْهُ رَفِيقُ
فَلِلّٰهِ قَلْبٌ بِٱلْفِرَاقِ مُرَوَّعٌ
حَزِينٌ وَجَفْنٌ بِٱلدُّمُوعِ شَرِيقُ[8]

---

(١) ممتلئ (٢) جمع الحجرة وهي الناحية (٣) الصبوة جهلة الفتوة
(٤) جمع عصابة وهي الجماعة (٥) طفا فوق الماء علا (٦) ينشق (٧) الطل المطر الضعيف او الخفيف ويريد بالاقاحة الاقحوانة ولم ترد بهــذا المعنى
(٨) روّعه افزعه وشرق الجفن بالدمع غصّ فهو شريق

ومن قصيدة لمعروف الرصافي

قَرَأْتُ وَما غَيْرُ ٱلطَّبِيعَةِ مِن سِفْرِ
صَحائِفَ تَحْوي كُلَّ فَنٍّ مِنَ ٱلشِّعْرِ
أَرى غُرَرَ ٱلْأَشعارِ تَبْدُو نَضِيدَةً
عَلى صَفَحاتِ ٱلْكَوْنِ سَطْراً عَلى سَطْرِ
وَما حادِثاتُ ٱلدَّهْرِ إِلَّا قَصائِدٌ يَفُوهُ بِها لِلسَّامِعِينَ فَمُ ٱلدَّهْرِ
وَما ٱلْمَرْءُ إِلَّا بَيْتُ شِعْرٍ عَرُوضُهُ مَصائِبُ لٰكِنْ ضَرْبُهُ حُفْرَةُ ٱلْقَبْرِ
تُنَظِّمُنا ٱلْأَيَّامُ شِعْراً وَإِنَّما تَرُدُّ ٱلْمَنايا ما نَظَمْنَ إِلى ٱلنَّثْرِ
فَمِنَّا طَوِيلٌ مُسْهَبُ بَحْرُ عُمْرِهِ وَمِنَّا قَصِيرُ ٱلْبَحْرِ مُخْتَصَرُ ٱلْعُمْرِ

...

وَرُبَّ نِيامٍ في ٱلْمَقابِرِ زُرْتُهُمْ بِمُنْهَلِّ دَمْعٍ لا يُنَهْنَهُ بِٱلزَّجْرِ
فَما سالَ فَيْضُ ٱلدَّمْعِ حَتَّى قَرَنْتُهُ
إِلى زَفَراتٍ قَدْ تَصاعَدْنَ مِن صَدْري
أَسُكَّانَ بَطْنِ ٱلْأَرْضِ هَلَّا ذَكَرْتُمُ
عُهُوداً مَضَتْ مِنكُمْ وَأَنْتُمْ عَلى ٱلظَّهْرِ
رَضِيتُمْ بِأَكْفانِ ٱلْبِلى حُلَلًا لَكُمْ
وَكُنْتُمْ أُولي ٱلدِّيباجِ وَٱلْحُلَلِ ٱلْحُمْرِ

وَقَدْ كُنْتُمُ تُؤْذِي ٱلْحَشايا جُنُوبُكُمْ
فَكَيْفَ رَقَدْتُمْ وَٱلْجُنُوبُ عَلى ٱلْعَفْرِ [١]

أَلا يا قُبُوراً زُرْتُها غَيْرَ عارِفٍ
بِها ساكِنَ ٱلصَّحْراءِ مِن ساكِنِ ٱلْقَصْرِ

لَقَدْ حارَ فِكْرِي في ذَوِيكِ وَإِنَّهُ
لَيَحْتارُ في مَثْوى ذَوِيكِ أُولُو ٱلْفِكْرِ

فَقُلْتُ وَلِلْأَجْداثِ كَفِّي مُشِيرَةٌ
أَلا إِنَّ هٰذا ٱلشِّعْرَ مِن أَفْجَعِ ٱلشِّعْرِ

...

وَلَيْلٍ غَدا فِي ٱلْجَناحَيْنِ بِتُّهُ [٢] أُسامِرُ في ظَلْمائِهِ واقِعَ ٱلنَّسْرِ [٣]
وَأُقْلِعُ مِن سُفْنِ ٱلْخَيالِ مَراسِياً فَتَجْرِي مِنَ ٱلظَّلْماءِ في لُجَجٍ خُضْرِ
أَرى ٱلْقُبَّةَ ٱلزَّرْقاءَ فَوْقِي كَأَنَّها رِواقٌ مِنَ ٱلدِّيباجِ رُصِّعَ بِٱلدُّرِّ

وَلَوْلا خُرُوقٌ في ٱلدُّجى مِن نُجُومِهِ
قَبَضْتُ عَلى ٱلظَّلْماءِ بِٱلْأَنْمُلِ ٱلْعَشْرِ

خَلِيلَيَّ ما أَبْهى وَأَبْهَجَ في ٱلرُّؤى
نُجُوماً بِأَجْوازِ ٱلدُّجى [٤] لَمْ تَزَلْ تَسْرِي

---

(١) ظاهر التراب (٢) الغدافي الذي لونه لون الغداف وهو الغراب الكبير
(٣) النسر الواقع نجم كأنه كاسر جناحيه من خلفه (٤) اجواز الدجى اوساطها

إذا ما نُجومُ ٱلغَرْبِ لَيْلًا تَغَوَّرَتْ[١]
بَدَتْ أَنْجُمٌ في ٱلشَّرْقِ أُخرى عَلى ٱلإِثْرِ
فَيا لَكَ مِن لَيْلٍ قَرَأْتُ بِوَجْهِهِ نَظيمَ ٱلبَها في نَثْرِ أَنْجُمِهِ ٱلزُّهْرِ[٢]
وَقُلْتُ وَطَرْفي شاخِصٌ لِنُجُومِهِ
أَلا إِنَّ هٰذا ٱلشِّعْرَ مِن أَحسَنِ ٱلشِّعْرِ

• • •

وَيَوْمٍ بِهِ ٱسْتَيْقَظْتُ مِن هَجْعَةِ ٱلْكَرى
وَقَدْ قَدَّ دِرْعَ ٱللَّيْلِ صَمْصامَةُ ٱلْفَجْرِ
فَأَطْرَبَني وَٱلدِّيكُ مُشْجٍ صِياحُهُ
تَرَنُّمُ عُصْفُورٍ يُزَقْزِقُ في وَكْرِ
وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ ٱلنَّهارِ كَأَنَّها
مَليكٌ مِنَ ٱلْأَضْواءِ في عَسْكَرٍ مَجْرِ[٣]
بَدَتْ مِن وَراءِ ٱلْأُفْقِ تَرْفُلُ[٤] لِلْعُلى
رُوَيْداً رُوَيْداً في غَلائِلِها[٥] ٱلْحُمْرِ
غَدَتْ تُرْسِلُ ٱلْأَنْوارَ حَتّى كَأَنَّها
تُسيلُ عَلى وَجْهِ ٱلثَّرى ذائِبَ ٱلتِّبْرِ

---

(١) تغوّر اتى الغور وهو القعر من كل شيء (٢) النظيم المنظوم وهو المجموع في سلك (٣) الجيش المَجْر العظيم لثقله وضخمه (٤) تتبختر (٥) الغلائل جمع غلالة وهو شعار يلبس تحت الثوب

إلى أنْ جلَتْ في نُورِها رَوْنَقَ الضُّحَى
صَقيلًا وَفي بَحْرِ الْفَضاءِ غَدَتْ تَجْري

وَأهْدَتْ حَياةً في الشُّعاعِ جَديدَةً
إلى حَيَوانِ الأَرْضِ وَالنَّبْتِ وَالزَّهْرِ

فَقُلْتُ مُشيراً نَحْوَها بِحَفاوَةٍ
ألا إنَّ هٰذا الشِّعْرَ مِن أبْدَعِ الشِّعْرِ

...

وَمائِدَةٍ نَسْجُ الدِّمَقْسِ [1] غِطاؤُها
بِمَجْلِسِ شُبّانٍ هُمُ أَنْجُمُ الْعَصْرِ

رَقى مِن أعالِيها الْفُنْغرافُ مِنْبَراً
مُحاطاً بِأَصْحابٍ غَطارِفَةٍ [2] غُرِّ

فَراحَ بِإذْنِ الْعِلْمِ يُنْطِقُ مِقْوَلًا
عَرَفْنا بِهِ أنَّ الْبَيانَ مِنَ السِّحْرِ

فَطَوْراً خَطيباً يُحْزِنُ الْقَلْبَ وَعْظُهُ
وَطَوْراً يَسُرُّ السَّمْعَ بِالْعَزْفِ وَالزَّمْرِ

يَفُوهُ فَصيحاً بِاللُّغى [3] وَهوَ أبْكَمٌ
وَيُسْمِعُ ألْحانَ الْغِنى وَهوَ ذُو وَقْرِ

أمِينٌ أبى التَّدْليسَ في الْقَوْلِ حاكِياً
فَتَسْمَعُهُ يَرْوِي الْحَديثَ كَما يَجْري

---

(١) الحرير الابيض والكتان (٢) جمع غطريف وهو السيد الشريف
(٣) جمع لغة

تَراهُ إذا لَقَّنْتَهُ ٱلقَوْلَ حافِظاً تَمُرُّ ٱللَّيالي وَهْوَ مِنْهُ عَلى ذِكْرِ
فَيالَكَ مِن صُنْعٍ بِهِ كُلُّ عاقِلٍ
أَقَرَّ لِآدِيسُونَ[1] بِٱلْفَضْلِ وَٱلْفَخْرِ
فَقُلْتُ وَقَدْ تَمَّتْ شَقاشِقُ هَدْرِهِ[2]
أَلا إِنَّ هٰذا ٱلشِّعْرَ مِن أَعْجَبِ ٱلشِّعْرِ

. . .

في القطار

« من قصيدة لمعروف الرصافي »

تَذَكَّرْتُ في أَوْطانِيَ ٱلأَهْلَ وَٱلصَّحْبا
فَأَرْسَلْتُ دَمْعاً فاضَ وابِلُهُ سَكْبا
وَبِتُّ طَرِيدَ ٱلنَّوْمِ أَخْتَلِسُ ٱلكَرى
بِشاخِصِ طَرْفٍ في ٱلدُّجى يَرْقُبُ ٱلشُّهْبا
كَئِيبٌ كَأَنَّ ٱلدَّهْرَ لَمْ يَلْقَ غَيْرَهُ
عَدُوًّا فَآلى لَنْ يُهادِنَهُ حَرْبا[3]
يُقِلُّ كُرُوبًا بَعْضُها فَوْقَ بَعْضِها إِذا ما رَمى كَرْبًا رَأَى تَحْتَهُ كَرْبا
وَإِنّي إِذا ما ٱلدَّهْرُ جَرَّ جَرِيرَةً لَتَأْنَفُ نَفْسي أَنْ أُكَلِّمَهُ عَتْبا

(١) مخترع الفونغراف (٢) الشقاشق جمع شقشقة وهي شيء يخرجه البعير من فيه اذا هاج . وهدر البعير صوّت في غير شقشقة (٣) آلى اقسم . وهادنه صالحه . وحرباً هنا بمعنى المحارب وهو حال من فاعل يهادنه

وَقَدْ عَلِمَ ٱلْقَوْمُ ٱلْكِرامُ بِأَنَّني غُلَامٌ عَلى حُبِّ ٱلْمَكارِمِ قَدْ شَبَّا
وَأَنِّي أَخو عَزْمٍ إذا ما ٱنْتَضَيْتُهُ
نَبا كُلُّ عَضْبٍ عَنْهُ أَوْ أَنْكَرَ ٱلضَّرْبا
وَأَنِّي أَعافُ ٱلْماءَ في صَفْوِهِ ٱلْقَذى[1]
وَإِنْ كانَ في أَحْواضِهِ بارِداً عَذْبا
وَلٰكِنَّ لي في مَوْقِفِ ٱلشَّوْقِ عَبْرَةً
تُساقِطُ مِن أَجْفانِيَ ٱللُّؤْلُؤَ ٱلرَّطْبا

...

وَقاطِرَةٍ تَرْمي ٱلْفَضا بِدُخانِها
وَتَمْلأُ صَدْرَ ٱلأَرْضِ في سَيْرِها رُعْبا
لَها مِنْخَرٌ يُبْدي ٱلشّواظَ[2] تَنَفُّساً
وَجَوْفٌ بِهِ صارَ ٱلْبُخارُ لَها قَلْبا
تَمَشَّتْ بِنا لَيْلاً تَجُرُّ وَراءَها
قِطاراً كَصَفِّ ٱلدَّوْحِ تَسْحَبُهُ سَحْبا
فَطَوْراً كَعَصْفِ ٱلرِّيحِ تَجْري شَديدَةً
وَطَوْراً رُخاءً كَٱلنَّسيمِ إذا هَبّا

---

(١) اعاف اكره . القذى مبتدأ موخر وفي صفوه خبر عنه والجملة حال من الماء (٢) الشواظ دخان النار

تَساوى لَدَيها ٱلسَّهلُ وَٱلصَّعبُ في ٱلسُّرى
فَما ٱستَسهَلَت سَهلًا وَلا ٱستَصعَبَت صَعبا
تَدُكُّ مُتونَ ٱلحَزنِ[١] دَكًّا وَإِنَّها
لَتَنهَبُ سَهلَ ٱلأَرضِ في سَيرِها نَهبا
يَمُرُّ بِها ٱلعالي فَتَعلو تَسَلُّقاً وَيَعتَرِضُ ٱلوادي فَتَجتازُهُ وَثبا
وَتَختَرِقُ ٱلطَّودَ ٱلأَشَمَّ إِذا ٱنبَرى وَقَد وَجَدَت مِن تَحتِ قُنَّتِهِ نَقبا
يَرِنُّ بِجَوفِ ٱلطَّودِ صَوتُ دَوِيِّها إِذا وَلَجَت في جَوفِهِ ٱلنَّفَقَ ٱلرَّحبا
لَها صَيحَةٌ عِندَ ٱلوُلوجِ كَأَنَّها تَقولُ بِها يا طَودُ خَلِّ لِيَ ٱلدَّربا
وَتَمضي مُضِيَّ ٱلسَّهمِ فيهِ كَأَنَّما تَرى أُفعُواناً هائِجاً دَخَلَ ٱلثُّقبا
تُغالِبُ فِعلَ ٱلجَذبِ وَهيَ ثَقيلَةٌ فَتَغلِبُ بِٱلدَّفعِ ٱلَّذي عِندَها ٱلجَذبا
طَوَت بِٱلمَسيرِ ٱلأَرضَ طَيّاً كَأَنَّها
تُسابِقُ قُرصَ ٱلشَّمسِ أَن[٢] يُدرِكَ ٱلغَربا
وَما إِن شَكَت أَيناً[٣] وَلا سَئِمَت سُرى
وَلا ٱستَهجَنَت بُعداً وَلا ٱستَحسَنَت قُربا
عَشِيَّةَ سارَت مِن فَروقَ تُقِلُّنا
وَتَقذِفُ مِن فيها بِوَجهِ ٱلدُّجى شُهبا
هُوَ ٱلعِلمُ يَعلو بِٱلحَياةِ سَعادَةً وَيَجعَلُها كَٱلعِلمِ مَحمودَةَ ٱلعُقبى

---

(١) الحزن ضد السهل (٢) قرص الشمس عينها (٣) إعياء

فَكُلُّ بِلادٍ جادَها ٱلعِلْمُ أَمْرَعَتْ[١]
رُباها وَصارَتْ تُنْبِتُ ٱلعِزَّ لا ٱلعُشْبا

العين

« من قصيدة لجرجي نخله سعد انشدها في حفلة اغاثة البائس »

هِيَ ٱلعَيْنُ أَبدَعَ ما في ٱلبَشَرْ ... وَأَبدَعُ ما في ٱلعُيُونِ ٱلنَّظَرْ
تَبارَكَ مُنْشِئُها كَمْ حَوَتْ ... عَجائبَ تاهَتْ بِهِنَّ ٱلفِكَرْ
فَما ٱخترَعَ ٱلمَرْءُ لَمْ تَتَّسِعْ ... مَدارِكُهُ لِٱختِراعِ ٱلبَصَرْ
وَأَعْيَتْ عَلى ٱلشِّعْرِ أَوصافُها ... فَعَزَّ عَلَيْهِ لِواءُ ٱلظَّفَرْ

. . .

أَجِبْ قَلبي داعِياً قَدْ دَعا ... فَأَنتَ ٱلكَفيلُ بِتِلْكَ ٱلصُّوَرْ
أَطَلْتَ ٱلسُّكُوتَ وَأَنتَ ٱلذي ... رَضِعْتَ ٱلفَصاحَةَ مُنْذُ ٱلصِّغَرْ
أَعِرْها ٱلتِفاتَكَ وَٱرْسُمْ لَنا ... بِتَصويرِها ٱلأَثَرَ ٱلمُبْتَكَرْ
هِيَ ٱلعَيْنُ مِرْآةُ ما في ٱلنُّفُوسِ ... تُكَشِّفُ مِن أَمرِها ما ٱستَتَرْ
تُصِيبُ ٱلعَدُوَّ فَما يَختَفي ... وَلَيسَ يَقِيهِ لَبُوسُ ٱلحَذَرْ
وَأَغرَبُ شَيْءٍ بِها أَنَّها ... صَموتٌ وَتُحسِنُ نَقْلَ ٱلخَبَرْ

. . .

وَفيها لِأَهلِ ٱلهَوى مُصْحَفٌ ... يُعَلِّمُهُمْ كَيفَ تُتْلى ٱلسُّوَرْ[٢]

---

(١) اخصبت (٢) المصحف القرآن والسور جمع السورة وهي القطعة المستقلة من القرآن

وَكَمْ فِي ٱلْهَوى مِن جَرِيحٍ بِها تَطِيبُ لَهُ فَتكاتُ ٱلْحَوَرْ[1]
إِذا ماتَ يَحْيا بِأَنْظارِها فَواعَجَباهُ لِمَيْتٍ نُشِرْ
وَكَمْ ساهِدٍ نامَ عَنْهُ ٱلْحَبِيبُ فَباتَ يُراقِبُ عَيْنَ ٱلْقَمَرْ
يَحِنُّ إِلى كُلِّ عَيْنٍ أَطَلَّتْ وَيَرْنُو إِلى كُلِّ لَمْحٍ ظَهَرْ
هِيَ ٱلْعَيْنُ فِتْنَةُ[2] أَهْلِ ٱلْهَوى وَنابِغَةُ ٱلسِّحْرِ بَيْنَ ٱلْبَشَرْ
وَكَمْ قارَنُوها بِحَدِّ ٱلْحُسامِ وَكَمْ بِٱلسِّهامِ وَكَمْ بِٱلشَّرَرْ
وَكَمْ شَبَّهُوا ٱللَّحْظَ سِلْكاً خَفِيّاً وَكَمْ شَبَّهُوا ٱلدَّمْعَ تِلْكَ ٱلدُّرَرْ
وَقالُوا ٱلْمَنُونُ وَقالُوا ٱلْمُنى وَزادُوا فَقالُوا ٱلْقَضا وَٱلْقَدَرْ

• • •

ثَقِيلُ ٱلْخُطى حَذِرٌ مالَهُ مِنَ ٱلْعَيْنِ وَيْحَكَ إِلَّا ٱلْأَثَرْ
سَوادٌ هُوَ ٱلْكَوْنُ فِي وَجْهِهِ فَلا فَرْقَ بَيْنَ ٱلدُّجى وَٱلسَّحَرْ
تَمَكَّنَ مِنْهُ يَقِينُ ٱلسَّوادِ فَلَوْ شَهِدَ ٱلنُّورَ حِلْماً كَفَرْ
يَخالُ ٱلطَّرِيقَ ٱلْمُعَبَّدَ وَعْراً فَلَوْ مَرَّ وَهْماً عَلَيْهِ عَثَرْ
قَعِيدَةُ بَيْتٍ أَقامَ ٱلْخُمُولُ سِياجاً عَلى عَقْلِهِ فَٱنْحَصَرْ
وَأَدْوَمُ أَحْوالِهِ أَنَّهُ يَمَلُّ ٱلثَّواءَ وَيَشْكُو ٱلْحَضَرْ
يَعِيشُ وَلَيْسَ لَهُ مَطْمَحٌ وَيَقْضِي ٱللَّيالِي كَقَضْمِ ٱلْحَجَرْ

---

(١) الحور اشتداد بياض بياض العين وسواد سوادها واستدارة حدقتها ورقّة جفونها (٢) محنة

وَما عَيْشُهُ غَيْرُ مَوْتٍ لَهُ   فَلَوْ قُبِضَتْ رُوحُهُ ما شَعَرْ
أَقيمُوا لِتَعْليمِهِ مَعْهَداً   لَقَدْ أَدْرَكَ ٱلْغَرْبُ هذا ٱلْوَطَرْ
مَتى نَبْنِهِ نَبْنِ فَخْراً لَنا   إِذا ما ٱلْغَريبُ عَلَيْنا ٱفْتَخَرْ

تحية الربيع

« من قصيدة لطانيوس عبده »

يا زَمانَ ٱلرَّبيعِ إِنَّكَ أَبْهى   زَمَنٍ وَٱلْفُصُولُ تَحْتَ لِوائِكْ
عَطَّرَتْكَ ٱلأَزْهارُ وَٱنْكَسَفَتْ شَمْـ   ـسُ ٱلْبَرايا أَمامَ شَمْسِ بَهائِكْ
حَيْثُ حَجَّبْتَ جَوَّها بِرَقيقٍ   مِن غُيُومٍ تَفَرَّقَتْ في سَمائِكْ
دَغْدِغِ[1] ٱلزَّهْرَ يا نَسيمُ وَرِفْقاً   بِوُرُودٍ تَفُوحُ في أَرْجائِكْ
ما تَراها تَميلُ سُكْراً وَتَهْتَـ   ـزُّ مِنَ ٱلشَّوْقِ ثُمَّ تَخْتالُ تِيها

• • •

بَرْقَعَتْ شَمْسَكَ ٱلْغَمامَةُ كَيْ لا   يَلْسَعَ ٱلزَّهْرَ حَرُّها فَيُضاما
وَتَمَشَّتْ إِلى ٱلأَزاهِرِ تَحْسُو   قَطَراتِ ٱلنَّدى وَتَرْعى ٱلْخُزامى
أَنْعَشَتْها بَعْدَ ٱلذُّبُولِ فَحَنَّتْ   لِنَسيمٍ قَدْ ذابَ فيها غَراما
وَخَلا ٱلْعاشِقانِ ذا يَتَهادى   باسِماً تائِهاً وَذا يَتَرامى
يَرِيانِ ٱلْحَياةَ ساعَةَ لَهْوٍ   تَصْطَفيهِ فيها كَما يَصْطَفيها

• • •

---

(١) الدعدعة تسميها العامة بالزركزة

هُوَذا ٱلرَوضُ وَٱلرَّبيعُ يُناجيهِ وَيُلقي دُرُوسَهُ فَتَعلَّمْ
لا يَرُعكَ ٱلأَنِينُ فَهوَ مُناجا ةُ نَسيمٍ مُتَيّمٍ يَتظلَّمْ
وَحَفيفُ ٱلأَوْراقِ يَفهمُ مَعنا هُ وَيُفشي أَسرارَهُ إِنْ تَكَتَّمْ
وَسُقُوطُ ٱلنَّدى بُكاءُ سُرُورٍ وَنُواحُ ٱلحَمامِ شَكوى مُتَيَّمْ
زَهرَةٌ أُنبِتَتْ بِرَوضِ رَجاءٍ فَٱجْنِها إِنْ قَدِرْتَ أَنْ تَجْنِيها

...

يا زَمانَ ٱلرَّبيعِ أَنتَ جَمالُ ٱلـدَّهرِ فِيما وَأَنتَ كُلُّ ٱلوُجُودِ
أَنتَ مَن أَنصَفَ ٱلنَّبِيُّونَ لَمّا جَعَلُوهُ في ٱلخُلْدِ دارَ ٱلخُلُودِ
أَنتَ لَمّا تَبَسَّمَ ٱلدَّهرُ كانَتْ بِكَ بَسَماتُ ثَغرِهِ ٱلمَنْضُودِ
قُبلَةٌ أَنتَ وَهيَ قُبلَتُكَ ٱلأُو لى ٱلَّتي تَيَّمَتْ فُؤادَ ٱلعَميدِ[1]
قُبلَةٌ لَيسَ يُدرِكُ ٱلسِّرَّ فيها غَيرُ مَن نالَ حَظَّهُ مِنْ فِيها

...

يا رَبيعَ ٱلحَياةِ حَيِّ بَني ٱلحُبِّ وَأَنشِدْ أَبياتَكَ ٱلخالِداتِ
قُلْ لَهُمْ إِنَّما ٱلحَياةُ رَبيعٌ قُلْ لَهُمْ إِنَّني رَبيعُ ٱلحَياةِ
إِنَّ يَوماً تُوَدِّعُونِيَ فيهِ هوَ يَومٌ مَهما يَطُلْ سَوفَ يَاتي
فَٱغنَمُوا فُرصَتي فَإِنِّيَ فانٍ وَٱستَفيدُوا ما عِشتُمُ مِن عِظاتي
ما مَضى فاتَ وَٱلمُؤَمَّلُ غَيبٌ وَلَكَ ٱلسّاعَةُ ٱلَّتي أَنتَ فيها

---

(١) الذي هدَّه الهوى

هذا الجبل

« لوديع عقل صاحب جريدة الوطن »

ماذا نَعَيْتَ إِليَّ مِن أَحوالِهِ يا أَيُّهـا ٱلْباكِي على ٱستِقْلالِهِ
إِنَّ ٱلَّذي أَجرى على لُبنانَ مِن فِردَوْسِهِ ٱلأَعلى أَخصَّ جَمالِهِ
أَعطاهُ ما تَهِنُ[1] ٱلدَّواهِي دُونَهُ وَحَبـاهُ ما لا مَطْمَعٌ بِزَوالِهِ
نِعَمٌ رَواسِخُ في رَواسِيهِ فَلا تَنْهارُ[2] إِلَّا بِٱنْهِيارِ جِبالِهِ
فَٱنظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ شَقَّ قَمِيصَهُ ٱلـْـلَوْزُ مُنْفَجِراً على سِرْبالِهِ
وَٱنْزِلْ عَلَيْهِ خالِعاً ثَوْبَ ٱلضَّنى «ما بَيْنَ ضالِ ٱلْمُنْحَنى وَضَلالِهِ[3]»
وَٱخلَعْ نِعالَكَ قَبْلَ دَوْسِ تُرابِهِ فَتُرابُ لُبْنـانٍ رُفاتُ رِجالِهِ
وَتَلَمَّسِ ٱلبَركاتِ مِن غاباتِهِ ٱلـْـمُتَرامِياتِ على ثَرى أَجبالِهِ

. . .

رُوحي فِدى ٱلجَبَلِ ٱلَّذي لا أَرتَضي
أَنْ يَدْفِنُوا عَظْمِي بِغَـيْرِ ظِلالِهِ
لِأَظَلَّ يَلْمُسُني بَليلُ نَسِيمِهِ وَأَبِيتَ يُؤْنِسُني خَرِيرُ زُلالِهِ
وَطَنٌ قَنِعْتُ بِهِ وَلَوْ عَبِثَ ٱلرَّدى بِأُسُودِهِ وَقَضَى على أَشبالِهِ
أَحبَبْـتُهُ وَدِيارُهُ مَأْنُوسَةٌ وَأُحِبُّـهُ في وَحْشَةٍ مِن آلِهِ
وَإِذا عَفَتْ مِنْهُ ٱلدِّيارُ فَلا أَرى مَغْنًى أَحَبَّ إِلَيَّ مِن أَطلالِهِ

---

(١) تضعف (٢) تسقط وتنهدم (٣) الضنى المرض والهزال . والضـال اسم شجر والمنحنى منعطف الوادي

أَوْ خَيَّرُونِي فِي ٱلْجِنانِ لَأَنْكَرَتْ نَفْسِي عَلَيَّ رِضايَ بِٱسْتِبْدالِهِ
لا كَوْثَرُ ٱلْفِرْدَوْسِ أَطْيَبُ مَنْهَلًا مِن وِرْدِهِ وَأَعَزُّ مِن شَلَّالِهِ[1]
أَفَـا تَرَى أَنْفاسَهُ قُدْسِيَّةً تَلْوِي بِعُمْرِ ٱلشَّيْخِ عَنْ آجالِهِ[2]
فَإِذا سَرَتْ مِن شَرْقِهِ نَفَحاتُها عَبِقَ ٱلشَّذا بِجَنُوبِهِ وَشِمالِهِ
وَإِذا بَكَتْ أَسْحارُهُ نَضَحَتْ[3] لَنا أَغْصـانُهُ دُرَراً عَلى آصالِهِ
قَسَماً بِهِ لَوْلا ٱتِّقاءُ مَسِيحِهِ لَأَبَيْتُ أَنْ أَجْثُو لِغَيْرِ جَلالِهِ
فَأَجَزْتُ ما ٱعْتَقَدَ ٱلْمَجُوسُ عَقِيدَةً وَعَبَدْتُ مَطْلَعَ شَمْسِهِ وَهِلالِهِ

. . .

أَمَّا ٱلْقَطِينُ[4] فَلا تَسَلْ عَنْهُ سِوى رَيْبِ ٱلزَّمانِ يُجِبْكَ عَنْ أَحْوالِهِ
فَٱلْعادِياتُ تَصَرَّفَتْ بِشُؤُونِهِ وَمَضَتْ بِبَهْجَةِ عَيْشِهِ وَبِمالِهِ
مَن لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَواصِيهِ يَدَ ٱلتُّـرْكِيِّ جَرَّتْهُ ٱلنَّـوى بِقَذالِهِ
ثُمَّ ٱنْجَلَتْ تِلْكَ ٱلْخُطُوبُ فَلَمْ يَكُنْ ماضِيـهِ أَدْعى لِلْأَسى مِن حالِهِ
قَدْ أَوْحَشُوهُ مِن بَقِيَّةِ أَهْلِهِ أَمَّا ٱلْأُولى فِيهِ فَغَيْرُ عِيالِهِ

. . .

(١) الشلّال موضع عالٍ في مجاري الانهر ينحدر منه الماء باندفاع شديد
(٢) لوى به أماله والآجال جمع أجل وهو منتهى الحياة (٣) رشّت (٤) اهل الدار

مَن مُبلِغٌ بارِيسَ أَنَّ حَبِيبَها مُتَرَبِّصٌ أَبَداً عَلى آمالِهِ
يُزجِي ٱلرَّجاءَ مُغَلَّفاً بِنَسِيمِهِ حِرْصاً عَلَيهِ مِن أَذى عُذّالِهِ
وَلَقَدْ يُغالِطُها بِمَظْهَرِ نافِرٍ وَلَقَدْ يُعاتِبُها عِتابَ ٱلْوالِهِ
رُدِّي إِلى يَدِهِ زِمامَ أُمورِهِ بارِيسُ تِلكَ حَقيقَةُ ٱستِقْلالِهِ

الشرق

« من قصيدة لنجيب الحداد »

يا بَني ٱلشَّرقِ أَينَ ذاكَ ٱلضِّياءُ أَينَ تِلكَ ٱلنُّفوسُ وَٱلْآلاءُ
أَينَ ذاكَ ٱلْمَقامُ تَحْسُدُهُ ٱلشَّمْـسُ بَهاءً وَأَينَ ذاكَ ٱلْعَلاءُ
أَينَ مَن طاوَلوا ٱلنُّجومَ فَوَدَّتْ شَرَفاً أَنَّها لَهُمْ حَصْباءُ
أَينَ أَرضٌ قَد خَصَّها ٱللهُ بِٱلْوَحْـيِ وَجاءَتْ مِن قَومِها ٱلْأَنبِياءُ
قَدْ عَهِدْنا بِٱلشَّرقِ مَطْلَعَ أَنوا رٍ فَما بالُهُ عَراهُ ٱلْمَساءُ
أَيُّ شَيْءٍ جَرى عَلى ٱلْكَونِ حَتّى ٱنقَلَبَتْ عَن نِظامِها ٱلْأَشياءُ
فَرَأَينا غَرْبَ ٱلْبِلادِ مُنِيراً وَغَدَوْنا وَشَرْقُنا ٱلظَّلْماءُ
لَسْتُ أَعني بِٱلنُّورِ شَمْسَ سَماءٍ بَلْ شُموساً ما أَطْلَعَتْها سَماءُ
أَبْرَزَتْها أَيدي ٱلرِّجالِ بِآفا قٍ ذُكاءٍ تَغارُ مِنْهُ ذُكاءُ(١)
هِيَ شَمْسُ ٱلْعُلى تُمَثِّلُها ٱلشَّمْـسُ كَما مَثَّلَ ٱلنُّجومَ ٱلْماءُ
كُتِبَتْ أَحرُفُ ٱلْمُساواةِ فِيها فَتَلَتْها حُرِّيَّةٌ وَإِخاءُ

(١) ذكاء اسم للشمس غير منصرف

كَلِمٌ كُلُّها مَحَبَّةُ أَوطا نٍ وَرَأْسُ ٱلإِيمانِ ذاكَ ٱلوَلاءُ
عَظَّمَتْهُ مَمالِكُ ٱلأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتْ مِنْهُ في ٱلعُلى ما تَشاءُ
فَأَراقَتْ دِماءَها وَبَنَتْهُ بِجُسُومٍ لَها وَنِعْمَ ٱلبِناءُ
وَٱطَّرَحْناهُ نَحْنُ في ٱلشَّرْقِ حَتَّى صَدَّ عَنَّا وَطالَ مِنْهُ ٱلجَفاءُ
لا لَعَمْري بَلْ طالَ مِنَّا جَفاءٌ عَنْهُ وَٱسْتَحْكَمَتْ بِنا ٱلأَهْواءُ
مَنْ تَخَلَّى عَن حُبِّهِ لَمْ يَكُنْ لِلْـحُبِّ ذَنْبٌ فَٱلحُبُّ مِنْهُ بَراءُ
لَيسَ حُبُّ ٱلأَوطانِ في لُبْسِ خَزٍّ
وَٱخْتِيالٍ تَغارُ مِنْهُ ٱلنِّساءُ
وَٱقْتِداءٍ بِأَهْلِهِ كَيْفَ جاءُوا في ٱلَّذي لا يُفيدُ فيهِ ٱقْتِداءُ
وَٱنْصِرافٍ عَن كُلِّ عِلْمٍ وَتَفْريـقِ قُلوبٍ بِها يَقُومُ ٱلنَّماءُ
وَٱنْشِغالٍ عَنِ ٱلبِلادِ بِأَهوا ءِ نُفُوسٍ قَدْ صَدَّ عَنْها ٱلحَياءُ
وَٱتِّخاذِ ٱلمَناصِبِ ٱلغُرِّ أَسْبا بَ عَداءٍ يُرْمى بِها ٱلأَبْرِياءُ
إِنَّ حُبَّ ٱلأَوطانِ عَدْلٌ وَحِلْمٌ وَثَبـاتٌ وَعِزَّةٌ وَوَفاءُ
وَٱصْطِبارٌ عَلى ٱلزَّمانِ وَتَأْلِيـفُ قُلوبٍ وَغَـيْرَةٌ وَإِباءُ
وَجِهادٌ في كُلِّ فَضْلٍ وَحُرِّيَّـةُ قَوْلٍ وَأَنْفُسٌ شَمَّاءُ
وَقُلوبٌ لا تَنْثَني في ٱلَّذي تَبْـغِي وَلَوْ حالَ فيهِ نارٌ وَماءُ
وَأَكُفٌّ تَعاقَدَتْ تَكْتُبُ ٱلمَجْـدَ لَوَ ٱنَّ ٱلحُرُوفَ فيهِ دِماءُ
ذاكَ حُبُّ ٱلأَوطانِ يا أَيُّها ٱلنَّا سُ وَهٰذي صِفاتُهُ ٱلغَرَّاءُ

كَمْ نُنادي يا قَوْمَنا ثُمَّ لا نَسْـمَعُ غَيْرَ ٱلصَّدى وَكَمْ ذا ٱلنِّداءُ
أَوَلَسْنا ٱلْقَوْمَ ٱلأُولى مَلَكُوا ٱلْمُدْ نَ وَدانَتْ لَدَيْهِمِ ٱلْغَبْراءُ
وَٱلأُولى سَطَّرُوا ٱلْمَعارِفَ وَٱسْتَجْـلَوْا خَفايا ٱلْوَرى فَزالَ ٱلْخَفاءُ
لَيسَ نَيْلُ ٱلْعُلى بِصَعْبٍ إِذا ثا رَتْ إِلَيْـهِ حَمِيَّةٌ قَعْساءُ
نَحْنُ أَبْناؤُها وَمَن نَصَرَ ٱلآ باءَ تُنْصَرْ بِفَضْلِهِ ٱلأَبْنـاءُ
كُلُّنا واحِدٌ لَنـا وَطَنٌ فَرْ دٌ وَإِنْ عُدِّدَتْ بِنـا ٱلأَسْماءُ
إِنَّما نَحْنُ هَيْكَلٌ وَٱخْتِلافُ ٱلْ إِسْمِ وَهْمٌ فَكُلُّنـا أَعْضاءُ
وَسَبِيلُ ٱلْعُلى قَرِيبٌ هُوَ ٱلأُلْـفَةُ فِيهـا ٱلْمُنى وَفِيها ٱلرَّجاءُ
وَعَلى ٱللهِ نُجْحُنا في خِتـامٍ إِنْ ثَبَتْنـا وَصَحَّ مِنّا ٱبْتِداءُ

وله من قصيدة في وصف القمر

إِذا مُلِئَتْ مِنَ ٱلْبَدْرِ ٱلْعُيُونُ ... وَهاجَتْ مِنْهُ أَوْ سَكَنَتْ جُفُونُ
رَأَيْتَ بَدائِعَ ٱلأَفْلاكِ تُجْلى ... بِما يَجْلُو بِهِ ٱلْهَمَّ ٱلْحَزِينُ
فَكَمْ بَسَمَتْ لِمَرْآهُ ثُغُورٌ ... وَكَمْ سالَتْ لِمَرْآهُ شُؤُونُ[1]
وَكَمْ ذَكَرَ ٱلْمُحِبُّ بِهِ حَبِيباً ... وَكَمْ نَسِيَ ٱلْخَدِينَ[2] بِهِ خَدِينُ
وَكَمْ نَظَرَ ٱلْمَشُوقُ[3] بِهِ جَمالاً ... وَأَبْصَرَ وَجْهَ دِرْهَمِهِ ٱلضَّنِينُ
وَكَمْ شَكَتِ ٱلْعُيُونُ إِلَيْهِ وَجْداً ... إِلى أَنْ أَصْبَحَتْ شَكْرى[4] ٱلْعُيُونُ

(١) جمع شأن وهو مجرى الدمع الى العين (٢) الصاحب والصديق (٣) المشرق الذي يحمله شيء على الشوق (٤) العين الشكرى الملأى من الدمع

تُحَدِّقُ فيهِ لَمْ تُطْرَفْ[1] بِجَفْنٍ كَأَنَّ ٱلْعَيْنَ لَيْسَ لَهَا جُفُونُ
وَتَصْفَرُّ ٱلنُّجُومُ إِذَا تَجَلَّى كَمَا يَصْفَرُّ مِن حَسَدٍ جَبِينُ
يَسِيرُ فَتَخْتَفِي مِن جَانِبَيْهِ نَوَافِرَ وَهْوَ مُجْتَازٌ رَزِينٌ.
كَمَا طَلَعَ ٱلْمَلِيكُ عَلَيْهِ تَاجٌ فَأَطْرَقَتِ ٱلْوُجُوهُ لَهُ تَدِينُ
كَأَنَّ كَوَاكِبَ ٱلْأَفْلَاكِ دُرٌّ تَجَلَّى بَيْنَهَا حَجَرٌ ثَمِينُ
وَقَالَكَ ٱللهُ كَمْ تُفْنِي قُرُونًا وَلَا تُفْنِي مُحَيَّاكَ ٱلْقُرُونُ
وَكَمْ تُحْيِي ٱلظَّلَامَ وَأَنْتَ مَيْتٌ وَكَمْ تَعْلُو ٱلنُّجُومَ وَأَنْتَ دُونُ
حَوَيْتَ عَجَائِبًا فَدَعَاكَ قَوْمٌ إِلَهًا حُبُّهُ فِي ٱلنَّاسِ دِينُ
كَأَنَّكَ فِي هِلَالِكَ نَصْلُ سَيْفٍ
أَجَادَتْ صَقْلَ صَفْحَتِهِ ٱلْقُيُونُ[2]
تَرَى فِيكَ ٱلْبَدَاءَةَ كَيْفَ كَانَتْ
قَدِيمًا وَٱلْفَنَاءَ مَتَى يَكُونُ
وَهَلْ يَبْقَى ٱلْوُجُودُ بِلَا فَنَاءٍ وَهَلْ تَعْفُو عَنِ ٱلشُّهُبِ ٱلْمَنُونُ
كَوَائِنُ لَيْسَ يَدْرِي ٱلسِّرَّ مِنْهَا سِوَى مَنْ أَمْرُهُ كَافٌ وَنُونُ



(١) لم تطبق (٢) جمع القَيْن وهو الحدّاد

الباب الثامن

في الشكوى



قال البحتري يصف سوء حاله في نصيبين

عَدَتْني في نَصيبينَ ٱلعَوادي فَقَلْبي أَبْلَهٌ فيها بَليدُ (١)
أَرى ٱلحِرْمانَ أَبْعَدُهُ قَريبٌ بِها وَٱلنُّجْحَ أَقْرَبُهُ بَعيدُ
تَقاذَفُ بي بِلادٌ عَنْ بِلادٍ كَأَنّي بَيْنَها خَبَرٌ شَرُودُ (٢)
وَخَلَّفَني ٱلزَّمانُ عَلى أُناسٍ وُجُوهُهُمُ وَأَيْديهِمْ حَديدُ
لَهُمْ حُلَلٌ حَسُنَّ فَهُنَّ بيضٌ وَأَخْلاقٌ سَمُجْنَ فَهُنَّ سُودُ

وكتب سبط بن التعاويذي الى الامام الناصر لدين الله بعد ذهاب بصره يتظلم اليه من عياله ويسأله ان يستأنف له الرسم الذي كان يتناوله من ديوان العزيز

خَليفَةَ ٱللهِ أَنْتَ بِالدِّينِ وَٱلدُّنْيا وَأَمْرِ ٱلإِسْلامِ مُضْطَلِعُ (٣)
أَنْتَ لِما سَنَّهُ ٱلأَيِمَّةُ أَعْلا مُ ٱلهُدى مُقْتَفٍ وَمُتَّبِعُ

---

(١) عدتني شغلتني وصرفتني والعوادي العوائق والشواغل . والابله الاحمق الذي لا تمييز له (٢) اصل تقاذف تتقاذف بمعنى تترامى . والشرود السائر في البلاد (٣) اضطلع بالحمل نهض به وقوي عليه

قَدْ عُدِمَ ٱلْعُدْمُ فِي زمانِكَ وَٱلْـجَوْرُ مَعاً وَٱلْخِلافُ وَٱلْبِدَعُ[١]
فَٱلنَّاسُ فِي ٱلشَّرْعِ وَٱلسِّياسَةِ وَٱلْـ إِحْسانِ وَٱلْعَدْلِ كُلُّهُمْ شَرَعُ[٢]
أَرْضِيَ قَدْ أَجْدَبَتْ وَلَيْسَ لِمَنْ أَجْدَبَ يَوْماً سِواكَ مُنْتَجَعُ
وَلِي عِيالٌ لا دَرَّ دَرُّهُمُ قَدْ أَكَلُونِي دَهْرِي وَما شَبِعُوا
لَوْ وَسَمُونِي وَسْمَ ٱلْعَبِيدِ وَبا عُونِي بِسُوقِ ٱلْأَعْرابِ ماقَنِعُوا
إِذا رَأَوْنِي ذا ثَرْوَةٍ جَلَسُوا حَوْلِي وَمالُوا إِلَيَّ وَٱجْتَمَعُوا
وَطالَما قَطَّعُوا حِبالِيَ إِعْراضاً إِذا لَمْ يَكُنْ مَعِي قِطَعُ
فَمِنْهُمُ ٱلطِّفْلُ وَٱلْمُراهِقُ وَٱلْـرَضِيعُ يَحْبُو وَٱلْكَهْلُ وَٱلْيَفَعُ[٣]
لَهُمْ حُلُوقٌ تُفْضِي إِلى مِعَدٍ تَحْمِلُ فِي ٱلْأَكْلِ فَوْقَ ما تَسَعُ
مِنْ كُلِّ رَحْبِ ٱلْمِعاءِ أَجْوَفَ نا رِيِّ ٱلْحَشا لا يَمَسُّهُ ٱلشِّبَعُ
لا يُحْسِنُ ٱلْمَضْغَ فَهْوَ يَطْرَحُ فِي فِيهِ بِلا كُلْفَةٍ وَيَبْتَلِعُ
وَلِي حَدِيثٌ يُلْهِي وَيُعْجِبُ مَنْ يُوسِعُ لِي خُلْقَهُ فَيَسْتَمِعُ
نَقَلْتُ رَسْمِي جَهْلاً إِلى وِلْدَةٍ لَسْتُ بِهِمْ ما حَيِيتُ أَنْتَفِعُ[٤]
وَقُلْتُ هٰذا بَعْدِي يَكُونُ لَكُمْ فَما أَطاعُوا أَمْرِي وَلا سَمِعُوا

---

(١) العدم الفقر . والبدع جمع البدعة وهي زيادة في الدين او نقصان منه (٢) سواء (٣) المراهق الصبي قارب البلوغ . ويحبو يمشي على يديه وبطنه واليفع اليافع وهو الذي بلغ حد الرجال (٤) الرسم المرتب السلطاني . وولدة جمع ولد

وَٱخْتَلَسُوهُ مِنِّي فَمَا تَرَكُوا عَيْنِي عَلَيْهِ وَلا يَدِي تَقَعُ
فَبِئْسَ وَٱللّٰهِ مَا صَنَعْتُ فَأَضْرَرْتُ بِنَفْسِي وَبِئْسَ مَا صَنَعُوا
فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَمْراً يَزُولُ بِهِ ٱلْخِصَامُ مِنْ بَيْنِنَا وَيَرْتَفِعُ
فَٱسْتَأْنِفُوا لِي رَسْماً أَعُودُ عَلَى ضِيقِ مَعَاشِي بِهِ فَيَتَّسِعُ
وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنِّي أَتَيْتُ بِهَا خَدِيعَةً فَٱلْكَرِيمُ يَنْخَدِعُ

وقال عمارة اليمني يتشكى من قوم لئام

فَلا تُلْزِمَنَّ ٱلنَّاسَ غَيْرَ طِبَاعِهِمْ فَتَتْعَبَ مِنْ طُولِ ٱلْعِتَابِ وَيَتْعَبُوا
فَإِنَّكَ إِنْ كَشَّفْتَهُمْ رُبَّمَا ٱنْجَلَى رَمَادُهُمُ عَنْ جَمْرَةٍ تَتَلَهَّبُ
فَتَارِكْهُمُ مَا تَارَكُوكَ فَإِنَّهُمْ
إِلَى ٱلشَّرِّ مُذْ كَانُوا مِنَ ٱلْخَيْرِ أَقْرَبُ
وَلا تَغْتَرِرْ مِنْهُمْ بِحُسْنِ بَشَاشَةٍ فَأَكْثَرُ إِيمَاضِ ٱلْبَوَارِقِ خُلَّبُ
وَأَصْغِ إِلَى مَا قُلْتُهُ تَنْتَفِعْ بِهِ وَلا تَطْرَحْ نُصْحِي فَإِنِّي مُجَرِّبُ
فَمَا تُنْكِرُ ٱلْأَيَّامُ مَعْرِفَتِي بِهَا وَلا أَنَّنِي أَدْرَى بِهِنَّ وَأَدْرَبُ
عَلِيمٌ بِمَا يُرْضِي ٱلْمُرُوءَةَ وَٱلتُّقَى خَبِيرٌ بِمَا آتِي وَمَا أَتَجَنَّبُ
وَعَاشَرْتُ أَقْوَاماً يَزِيدُونَ كَثْرَةً
عَلَى ٱلرَّمْلِ أَوْ عَدِّ ٱلْحَصَى حِينَ يُحْسَبُ
فَمَا رَاقَنِي فِي رَوْضِهِمْ قَطُّ مَرْتَعٌ وَلا شَاقَنِي فِي وِرْدِهِمْ قَطُّ مَشْرَبُ
تَرَانِي وَإِيَّاهُمْ فَرِيقَيْنِ كُلُّنَا بِمَا عِنْدَنَا مِنْ عِزَّةِ ٱلنَّفْسِ مُعْجَبُ

فَعِنْدَهُمُ دُنْيــا وَعِنْدِي فَضِيلَةٌ
وَلا شَكَّ أَنَّ ٱلْفَضْلَ أَعْلى وَأَغْلَبُ
على أَنَّ ماعِنْدِي يَدُومُ بَقاؤُهُ عَلَيَّ وَيَفْنى ٱلْمَالُ عَنْهُمْ وَيَذْهَبُ
أُناسٌ مَضى صَدْرٌ مِنَ ٱلْعُمْرِ عِنْدَهُمْ أُصَعِّدُ ظَنِّي فِيهِمِ وَأُصَوِّبُ
كَأَنَّ ٱلْقَوافي حِينَ تُدْعى لِشُكْرِهِمْ
عَلى ٱلْجَمْرِ تَمْشِي أَوْ عَلى ٱلشَّوْكِ تُسْحَبُ
ومازالَ هذا ٱلأَمْرُ دَأْبِي وَدَأْبَهُمْ أُغالِبُ لَوْمِي فيهِمِ وَهْوَ أَغْلَبُ
إلى أَنْ أَدالَتْني ٱللَّيالي وَأَعْتَبَتْ وَماخِلْتُها بَعْدَ ٱلإِساءَةِ تُعْتِبِ (١)

للحق والوطن

« من قصيدة لحافظ ابراهيم »

مالي أَرى ٱلأَكْمامَ لا تُفْتَحُ وَٱلرَّوْضَ لا يَزْكُو وَلا يَنْفَحُ (٢)
وَٱلطَّيْرَ لا تَلْهُو بِتَدْوِيمِهــا (٣) في مُلْكِها ٱلْواسِعِ أَوْ تَصْدَحُ
وَٱلنِّيلَ لا تَرْقُصُ أَمواجُــهُ فَرْحى وَلا يَجْري بِها ٱلأَبْطَحُ (٤)
وَٱلشَّمْسَ لا تُشْرِقُ وُضَّاءَةً تَجْلُو هُمُومَ ٱلصَّدْرِ أَوْ تَنْزَحُ
وَٱلْبَدْرَ لا يَبْدُو عَلى ثَغْرِهِ مِن بَسَماتِ ٱلْيُمْنِ ما يَشْرَحُ

---

(١) ادالتني الليالي منهم نصرتني عليهم . واعتبت ارضت وازالت عتبها
(٢) يزكو ينمو وينفح يفوح (٣) دوّم الطائر حلّق في الهواء (٤) الابطح سيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى

وَٱلنَّجمَ لا يَزْهَرُ فِي أُفْقِهِ كَأَنَّهُ فِي غَمْرَةٍ يَسْبَحُ
أَلَمْ يَجِئْها نَبأٌ جاءَنا بِأَنَّ مِصْراً حُرَّةٌ تَمْرَحُ

...

أَصبَحتُ لا أَدرِي عَلى خِبْرَةٍ أَجِدَّتِ ٱلأَيّامُ أَمْ تَمْزَحُ
أَمَوْقِفٌ لِلجِدِّ نَجْتازُهُ أَمْ ذاكَ لِلّاهِي بِنا مَسْرَحُ
أَلَمْحُ لِاسْتِقْلالِنا لَمْعَةً فِي حالَةِ ٱلشَّكِّ فَأَسْتَرْوِحُ(١)
وَتَطْمِسُ ٱلظُّلْمَةُ آثارَها فَأَنْثَنِي أُنْكِرُ ما أَلْمَحُ
قَدْحارَتِ ٱلأَفْكارُ فِي أَمْرِهِمْ إِنْ لَمَّحُوا بِٱلقَصْدِ أَوْ صَرَّحُوا
فَقائِلٌ لا تَعْجَلُوا إِنَّكُمْ مَكانَكُمْ بِٱلأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
وَقائِلٌ أَوْسِعْ بِها خُطْوَةً وَراءَها ٱلغايَةُ وَٱلمَطْمَحُ
وَقائِلٌ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ هٰذا هُوَ ٱسْتِقْلالُكُمْ فَٱفْرَحُوا
إِنْ تَسْأَلُوا ٱلعَقْلَ يَقُلْ عاهِدُوا وَٱسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرْبَحُوا
وَأَسِّسُوا داراً لِنُوّابِكُمْ لِلرَّأْيِ فِيها وَٱلحِجَى أَفْسِحُوا
وَلْتَذْكُرِ ٱلأُمَّةُ مِيثاقَها أَلا تَرَى عِزَّتَها تُجْرَحُ
وَلْتَنْتَخِبْ صَفْوَةَ أَبْنائِها فَمِنْهُمُ ٱلمُخْلِصُ وَٱلمُصْلِحُ
أَوْ تَسْأَلُوا ٱلقَلْبَ يَقُلْ حاذِرُوا وَصابِرُوا أَعْداءَكُمْ تُفْلِحُوا
حَتّامَ وَٱلصَّبْرُ لَهُ غايَةٌ لِغَيْرِنا مِن بِئْرِنا نَمْتَحُ(٢)

(١) استريح (٢) نستخرج الماء

حَتَّامَ يُمْضِي أَمْرَنا غَيْرُنا وذاكَ بِالْأَحْرارِ لا يَمْلُحُ
أَساءَ بَعْضُ النَّاسِ في بَعْضِهِمْ ظَنًّا وَقَدْ أَمْسَوْا وَقَدْ أَصْبَحُوا
فَانْتَهَزَتْ أَعْداؤُنا نُهْزَةً فِينا وَما كانَتْ لَهُمْ تَسْنَحُ
فَالرَّأْيُ كُلُّ الرَّأْيِ أَنْ تُجْمِعُوا فَإِنَّما إِجْماعُكُمْ أَرْجَحُ
وَكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ في صَدْعِكُمْ فَإِنَّهُ في صَخْرَةٍ يَنْطَحُ
أَخْشَى إِذا اسْتَكْثَرْتُمُ بَيْنَكُمْ مِن قادَةِ الْآراءِ أَنْ تُفْضَحُوا
فَلْتَقْصِدُوا ما اسْطَعْتُمُ فِيهِمِ فَإِنَّما في الْقِلَّةِ الْمَنْجَحُ

شكوى الزمان

من قصيدة للشاعر نفسه
يشكو بها زمانه ويندب اوطانه

سَعَيْتُ إِلى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلُ الدِّما
وَعُدْتُ وَما أَعْقِبْتُ إِلَّا التَّنَدُّما[1]
لَحَى اللهُ عَهْدَ الْقاسِطِينَ[2] الَّذي بِهِ
تَهَدَّمَ مِن بُنْيانِنا ما تَهَدَّما
إِذا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعادَةَ بَيْنَهُمْ
فَلا تَكُ مِصْرِيًّا وَلا تَكُ مُسْلِما
سَلامٌ عَلى الدُّنْيا سَلامُ مُوَدِّعٍ رَأَى في ظَلامِ الْقَبْرِ أُنْساً وَمَغْنَما

(١) انتعل الدما اي لبسها نعلًا . واعقب اورث (٢) الظالمين

فَهُبّي رِياحَ ٱلْمَوْتِ نُكْباً[1] وَأَطْفِئي
سِراجَ حَياتي قَبْلَ أَنْ يَتَحَطَّما
فَمَا عَصَمَتْني مِن زَماني فَضائِلي
وَلكِن رَأَيْتُ ٱلْمَوْتَ لِلْحُرِّ أَعْصَما
فَيا قَلْبُ لا تَجْزَعْ إِذا عَضَّكَ ٱلْأَسى
فَإِنَّكَ بَعْدَ ٱلْيَوْمِ لَن تَتَأَلَّما
وَيا عَيْنُ قَدْ آنَ ٱلْجُمُودُ لِمَدْمَعي
فَلا سَيْلَ دَمْعٍ تَسْكُبِينَ وَلا دَما
وَيا يَدُ ما كَلَّفْتُكِ ٱلْبَسْطَ مَرَّةً
لِذي مِنَّةٍ[2] أَوْلى ٱلْجَميلَ وَأَنْعَما
فَلِلّهِ ما أَحْلاكِ في أَنْمُلِ ٱلْبِلى
وَإِنْ كُنْتِ أَحْلى في ٱلطُّرُوسِ وَأَكْرَما
وَيا قَدَمي ما سِرْتِ بي لِمَذَلَّةٍ
وَلَمْ تَرْتَقي إِلّا إِلى ٱلْعِزِّ سُلَّما
فَلا تُبْطِئي سَيْراً إِلى ٱلْمَوْتِ وَٱعْلَمي
بِأَنَّ كَريمَ ٱلْقَوْمِ مَن ماتَ مُكْرَما
وَيا نَفْسُ كَمْ جَشَّمْتُكِ ٱلصَّبْرَ وَٱلرِّضى
وَجَشَّمْتِني أَنْ أَلْبَسَ ٱلثَّوْبَ مُعْلَما[3]
فَما ٱسْطَعْتِ أَنْ تَسْتَمْرِئي مُرَّ طَعْمِهِ
وَما ٱسْطَعْتُ بَيْنَ ٱلْقَوْمِ أَنْ أَتَقَدَّما

---

(١) النكب جمع النكباء وهي الريح الواقعة بين ريحين (٢) مَنَّ عليه مِنَّةً عدَّ ما فعله من الصنائع (٣) اعلم الثوب جعل له علماً اي رسماً من طراز او غيره

فَهٰذا فِراقٌ بَيْنَنـا فَتَجمَّلي فَإِنَّ ٱلرَّدى أَحلى مَذاقاً وَمَطْعَما
وَيا صدرُ كَمْ حَلَّتْ بِذاتِكَ ضِيقَةٌ وَكَمْ جالَ في أَنحائِكَ ٱلْهَمُّ وَٱرْتَمى
فَهَلّا تَرى في ضِيقَةِ ٱلْقَبْرِ فُسْحَةً
تُنَفِّسُ عَنكَ ٱلْكَرْبَ إِنْ بِتَّ مُبْرَما[1]
وَيا قَبْرُ لا تَبْخُلْ بِرَدِّ تَحِيَّةٍ عَلى صاحِبٍ أَوْفى عَلَيْنا وَسَلَّما
وَهَيْهاتَ يَأْتي ٱلْحَيُّ لِلمَيْتِ زائِراً فَإِنّي رَأَيْتُ ٱلْوُدَّ في ٱلْحَيِّ أَسْقَما

وقال ايضاً يوم الاحتفال برأس السنة

يِ فيكَ حِينَ بَدا سَناكَ وَأَشْرَقا أَمَلٌ سَأَلْتُ ٱللهَ أَنْ يَتَحَقَّقا
أَشْرِقْ عَلَيْنا بِالسُّعُودِ وَلا تَكُنْ كَأَخِيكَ مَشْؤُومَ ٱلْمَنازِلِ أَخْرَقا
قَدْ كانَ جَرَّاحَ ٱلنُّفُوسِ فَداوِها مِمّا بِها وَكُنِ ٱلطَّبِيبَ مُوَفَّقا
هَلَّلْتُ حِينَ لَمَحْتُ نُورَ جَبِينِـهِ وَرَجَوْتُ فِيهِ ٱلْخَيرَ حِينَ تَأَلَّقا[2]
وَهَزَزْتُـهُ بِقَصِيدَةٍ لَوْ أَنَّهـا
تُلِيَتْ عَلى ٱلصَّخْرِ ٱلْأَصَمِّ لَأَغْدَقا[3]
فَنَأى بِجانِبِـهِ وَخَصَّ بِنَحْسِهِ
مِصْراً وَأَسْرَفَ في ٱلنُّحُوسِ وَأَغْرَقا
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ ما يُخَبِّئُهُ لَنا لَسَأَلْتُ رَبِّي ضارِعاً أَنْ يُمْحَقا

---

(١) الكرب الحزن . وابرمه اضجره فهو مُبرَم (٢) تلألأ
(٣) كثر قطره

حَصَدَتْ مَناجِلُهُ غِراسَ رَجائِنا وَلَوَ أنَّها أَبقَتْ عَلَيْهِ لَأَوْرَقا
فَتَقَيَّدَتْ فيهِ ٱلصِّحافَةُ عَنْوَةً[1] وَمَشى ٱلْهَوى بَينَ ٱلرَّعِيَّةِ مُطْلَقا
كانَتْ تُؤَسِّينا عَلى آلامِنا صُحُفٌ إذا نَزِلَ ٱلْبَلاءُ وَأَطْبَقا
فَإذا دَعَوْتُ ٱلدَّمعَ فَٱسْتَعْصَى بَكَتْ
عَنّا أَسًى حَتّى تَغَصَّ وَتَشْرَقا
كانَتْ لَنا يَوْمَ ٱلشَّدائِدِ أَسْهُماً تَرْمِي بِها وَسَوابِقاً يَوْمَ ٱللِّقا[2]
كانَتْ صِماماً[3] لِلنُّفوسِ إذا غَلَتْ
فِيها ٱلْهُمُومُ وَأَوْشَكَتْ أَنْ تَزْهَقا
كَمْ نَفَّسَتْ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ واجِدٍ لَوْلا ٱلصِّمامُ مِنَ ٱلأَسى لَتَمَزَّقا
مالي أَنُوحُ عَلى ٱلصِّحافَةِ جازِعاً ماذا أَلَمَّ بِها وَماذا أَحدَقا
قَصُّوا حَواشِيَها وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَمِنُوا صَواعِقَها فَكانَتْ أَصْعَقا[4]
وَأَتَوْا بِحاذِقِهِمْ يَكِيدُ لَهُمْ بِها يَثْنِي عَزائِمَها فَكانَتْ أَحْذَقا

...

أَهلاً بِنابِتَةِ ٱلْبِلادِ وَمَرْحَباً جَدَّدْتُمُ ٱلْعَهْدَ ٱلَّذي قَدْ أَخْلَقا
لا تَيْأَسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ فَلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوى ثُمَّ ٱرْتَقى
مَدَّتْ لَهُ ٱلْآمالُ مِنْ أَفلاكِها خَيْطَ ٱلرَّجاءِ إلى ٱلْعُلى فَتَسَلَّقا

---

(١) قسراً وقهراً (٢) السوادق الخيول السابقة واللقا الحرب (٣) الصمام سداد القارورة وهو ما يُسد به فمها (٤) اي اشد صوتاً

فَتَجَشَّمُوا لِلْمَجْدِ كُلَّ عَظِيمَةٍ إِنِّي رَأَيْتُ ٱلْمَجْدَ صَعْبَ ٱلْمُرْتَقَى
عَارٌ عَلَى ٱبْنِ ٱلنِّيلِ سَبَّاقِ ٱلْوَرَى مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُهُ أَنْ يُسْبَقَا
أَوَ كُلَّمَا قَالُوا تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ لَعِبَ ٱلشِّقَاقُ بِجَمْعِنَا فَتَفَرَّقَا
فَتَعَلَّمُوا فَٱلْعِلْمُ مِفْتَاحُ ٱلْعُلَى لَمْ يُبْقِ بَابًا لِلسَّعَادَةِ مُغْلَقَا
ثُمَّ ٱسْتَمِدُّوا مِنْهُ كُلَّ قِوَاكُمُ إِنَّ ٱلْقَوِيَّ بِكُلِّ أَرْضٍ يُتَّقَى
وَٱبْنُوا حَوَالَيْ حَوْضِكُمْ مِنْ يَقْظَةٍ سُوراً وَخُطُّوا مِنْ حِذَارٍ خَنْدَقَا
وَزِنُوا ٱلْكَلَامَ وَسَدِّدُوهُ فَإِنَّهُمْ خَبَأُوا لَكُمْ فِي كُلِّ حَرْفٍ مَزْلَقَا
وَٱمْشُوا عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّ طَرِيقَكُمْ وَعْرٌ أَطَافَ بِهِ ٱلْهَلَاكُ وَحَلَّقَا
وَتَفَيَّأُوا ظِلَّ ٱلْأَرِيكَةِ وَٱقْصِدُوا مَلِكاً بِأُمَّتِهِ أَبَرَّ وَأَرْفَقَا
لَا زَالَ تَاجُ ٱلْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ تَحْتَ ٱلْهِلَالِ يَزِينُ ذَاكَ ٱلْمَفْرِقَا (١)

آلامنا وآمالنا

من قصيدة للشاعر نفسه يخاطب بها

حسين باشا كامل

لَقَدْ نَصَلَ ٱلدُّجَى فَمَتَى تَنَامُ أَهَمٌّ ذَادَ نَوْمَكَ أَمْ هُيَامُ (٢)
وَأَنْتَ تُقَلِّبُ ٱلْكَفَّيْنِ آنًا وَآوِنَةً يُقَلِّبُكَ ٱلسَّقَامُ
تَحَدَّرَتِ ٱلْمَدَامِعُ مِنْكَ حَتَّى تَعَلَّمَ مِنْ مَحَاجِرِكَ ٱلْغَمَامُ (٣)

---

(١) المفرق وسط الرأس (٢) نصل اقبل . وذاد منع (٣) المحاجر جمع المحجر وهو ما حول العين

هلاكُ ٱلفردِ مَنْشأُهُ توانٍ ... وَموتُ ٱلشَّعبِ مَنْشأهُ ٱنقِسام
وإنَّا قَدْ وَنَيْنا وَٱنْقَسَمْنا ... فَلا سَعْيٌ هُناكَ وَلا وِئامُ
فَسَاءَ مُقامُنا في أَرْضِ مِصْرٍ ... وَطابَ لِغَيرِنا فِيها ٱلمُقامُ
فَلا عَجَبٌ إِذا مُلِكَتْ عَلَيْنا ... مَذاهِبُنا وَأَكْثَرُنا نِيامُ
حُسَيْنُ حُسَيْنُ أَنْتَ لَها فَنَبِّهْ ... رِجالًا عَن طِلابِ ٱلحَقِّ ناموا
وَكُنْ بِأَبِيكَ لِٱبْنِ أَخِيكَ عَوْنًا ... فَأَنتَ بِكَفِّهِ نِعْمَ ٱلحُسامُ
أَفِضْ في قاعَةِ ٱلشُّورى وِئاماً ... فَقَدْ أَوْدى بِنا وَبِها ٱلخِصامُ
وَعَلِّمْهُمْ مُصادَمَةَ ٱلأَعادي ... فَمِثْلُكَ لا يُرَوِّعُهُ ٱلصِّدامُ
فَفي حِزْبِ ٱليَمينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ ... وَإِنْ قَلُّوا فَإِنَّهُمُ كِرامُ
وَفي حِزْبِ ٱلشِّمالِ لَدَيْكَ أُسْدٌ ... كُماةٌ لا يَطِيبُ لَها ٱنْهِزامُ
فَلا تَثِقُوا بِوَعْدِ ٱلقَوْمِ يَوْماً ... فَإِنَّ سَحابَ ساسَتِهِمْ جَهامُ(١)
وَخافُوهُمْ إِذا لانُوا فَإِنِّي ... أَرى ٱلسُّوّاسَ لَيْسَ لَهُمْ ذِمامُ
أَبا ٱلفَلّاحِ إِنَّ ٱلأَمْرَ فَوْضى ... وَجَهْلُ ٱلشَّعْبِ وَٱلفَوْضى لِزامُ
فَأَسْعِدْنا بِنَشْرِ ٱلعِلْمِ وَٱعْلَمْ ... بِأَنَّ ٱلنَّقْصَ يَعْقُبُهُ ٱلتَّمامُ
وَإِنْ لَمْ يُدْرِكِ ٱلدُّسْتُورُ مِصْراً ... فَما لِحَياتِها أَبَداً قِوامُ(٢)
حَمَوْنا وِرْدَ ماءِ ٱلنِّيلِ عَذْباً ... وَقالُوا إِنَّهُ مَوْتٌ زُؤامُ
وَما ٱلمَوْتُ ٱلزُّؤامُ إِذا عَقَلْنا ... سِوى ٱلشَّرِكاتِ حَلَّ لَها ٱلحَرامُ

---

(١) سحاب جهام لا ماء فيه (٢) عماد ونظام

وقال مصطفى لطفي المنفلوطي من قصيدة

سَقاها وَحَيَّا تُرْبَها وابِلُ ٱلْقَطْرِ
وَإِنْ أَصْبَحَتْ قَفْراءَ في مَهْمَهٍ قَفْرِ (١)

طَواها ٱلْبِلى طَيَّ ٱلشَّحيحِ رِداءَهُ
وَلَيْسَ لِما يَطْوِي ٱلْجَدِيدانِ (٢) مِن نَشْرِ

يَكادُ يَضِلُّ ٱلنَّجْمُ في عَرَصاتِها
وَيَزْوَرُّ عَن ظَلْمائِها ٱلْبَدْرُ مِن ذُعْرِ (٣)

وَقَفْتُ بِها في وَحْشَةِ ٱللَّيْلِ وَقْفَةً
أَثارَ شَجاها كامِنَ ٱلْوَجْدِ في صَدْرِي

ذَكَرْتُ بِها ٱلْعَهْدَ ٱلْقَدِيمَ ٱلَّذي مَضَى وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ بالٍ مِنَ ٱلذِّكْرِ

وَعَيْشاً حَسِبْناهُ مِنَ ٱلْحُسْنِ رَوْضَةً
كَساها ٱلْحَيا مِنْهُ أَفانِينَ مِنْ زَهْرِ (٤)

فَأَنْشَأْتُ (٥) أَبْكِي وَٱلْأَسى يَتْبَعُ ٱلْأَسى
إِلى أَنْ رَأَيْتُ ٱلصَّخْرَ يَبْكِي إِلى ٱلصَّخْرِ

وَما حِيلَةُ ٱلْمَحْزُونِ إِلَّا لَواعِجٌ تَفِيضُ بِها ٱلْأَحْشاءُ أَوْ عَبْرَةٌ تَجْرِي

• • •

(١) المهمه الصحراء الواسعة والقفر الخالي من السكان (٢) الجديدان الليل والنهار (٣) عرصاتها ساحاتها ويزورُّ ينحرف ويعدل (٤) الحيا المطر وافانين جمع افنون وهو النوع من الشيء (٥) جعلت وابتدأت

لَعَمْرُكَ ما راحَتْ بِلُبِّي صَبابَةٌ وَلا نازَعَتني مُهْجَتي سَوْرَةُ الْخَمْرِ [١]
وَلا هاجَني وَجْدٌ وَلا رَسْمُ مَنْزِلٍ عَفاء [٢] وَلَكِنْ هكَذا سُنَّةُ الشِّعْرِ
وَمَن كانَ ذا نَفْسٍ كَنَفْسِي قَرِيحَةٍ مِنَ الْهَمِّ لا يُعْنَى بِوَصْلٍ وَلا هَجْرِ
كَأَنِّي وَلَمْ أَسْلَخْ ثَلاثِينَ حِجَّةً [٣]
وَلَمْ يَجْرِ يَوْماً خاطِرُ الشَّيْبِ في شَعْرِي
أَخُو مِئَةٍ يَمْشِي الْهُوَيْنا كَأَنَّهُ
إِذا ما مَشَى في السَّهْلِ في جَبَلٍ وَعْرِ
إِذا شابَ قَلْبُ الْمَرْءِ شابَ رَجاؤُهُ
وَشابَ هَواهُ وَهْوَ في ضَحْوَةِ الْعُمْرِ
حَيِيتُ بِآمالي فَلَمَّا كَذَبْنَني قَنِعْتُ فَلَمْ أَحْفِلْ [٤] بِقُلٍّ وَلا كُثْرِ
وَأَصْبَحْتُ لا أَرْجُو سِوى الْجَرْعَةِ الَّتي
أَذُوقُ إِذا ما ذُقْتُها راحَةَ الْقَبْرِ
وَلَيْسَتْ حَياةُ الْمَرْءِ إِلَّا أَمانِياً إِذا هِيَ ضاعَتْ فَالْحَياةُ عَلى الْإِثْرِ
جَزى اللهُ عَنِّي الْيَأْسَ خَيْراً فَإِنَّهُ كَفانِيَ ما أَلْقى مِنَ الْأَمَلِ الْمُرِّ
وَراضَ جِماحِي [٥] لِلزَّمانِ وَحُكْمِهِ بِما شاءَ مِنْ عَدْلٍ وَما شاءَ مِنْ جَوْرِ

---

(١) سورة الخمرة حدتها (٢) عفت الريح المنزل عفاء محته . والعفاء بمعنى المحو وهو في الاصل مصدر (٣) سلخ السنة امضاها وصار في آخرها والحجة السنة (٤) لم أبالِ (٥) راض المهر ذلله وجمح الفرس جماحاً ركب رأسه لا يثنيه شيء.

فما أنا إنْ ساء ٱلزّمانُ بساخطٍ ولا أنا إنْ سرّ ٱلزّمانُ بمُغْترِّ

سوء المنقلب

« من قصيدة لمعروف الرصافي »

بغدادُ حسبُكِ رقدةٌ وسُباتُ أوَما تمضُّكِ هذهِ ٱلنَّكباتُ[(١)]
ولعبتْ بكِ ٱلأحداثُ حتّى أصبحتْ
أدواءُ خطبِكِ ما لهنّ أساةُ
قلبَ ٱلزّمانُ إليكِ ظهرَ مِجنّهِ أفكانَ عِندَكِ لِلزّمانِ تِراتُ[(٢)]
ومنَ ٱلعجائبِ أنْ يمسّكِ ضرُّهُ مِن حيثُ ينفعُ لوْ رعتْكِ رُعاةُ
إذْ مِن ديالَةَ وٱلفراتِ ودِجلَةٍ أمستْ تحلُّ بأهلِكِ ٱلكُرُباتُ
إنَّ ٱلحياةَ لفي ثلاثةِ أنهُرٍ
تجري وأرضُكِ حولَهنّ مواتُ[(٣)]
قدْ ضلَّ أهلُكِ رشدَهمْ وهل ٱهتدى
قومٌ أجاهِلُهمْ همُ ٱلسَّرَواتُ[(٤)]
قومٌ أضاعوا مجدَهمْ وتفرّقوا فتراهُمُ جمعاً وهمْ أشتاتُ

---

(١) السبات النوم . ومضّه آلمه واحزنه (٢) المجنّ الترس . وقلَب له ظهر المجنّ تغيّر عليه . والترات جمع الترة وهي الثأر (٣) الارض الموات التي لم تزرع ولم تعمر (٤) جمع السري وهو السيد الشريف

لَقَدِ أَسْتَهانُوا ٱلْعَيْشَ حَتَّى أَهْمَلُوا   سَعْياً مَغَبَّةُ تَرْكِهِ ٱلْإِعْناتُ[١]
ياصابِرِينَ عَلى ٱلأُمورِ تَسُوقُهُمْ   خَسْفاً[٢] عَلى حِينَ ٱلرِّجالُ أُباةُ
لا تُهْمِلُوا ٱلضَّرَرَ ٱلْيَسِيرَ فَإِنَّهِ   إنْ دامَ ضاقَتْ دُونَهُ ٱلْفَلَواتُ
فَٱلنَّارُ تَلْهَبُ مِنْ سُقُوطِ شَرارَةٍ   وَٱلْماءُ تَجْمَعُ سَيْلَهُ ٱلْقَطَراتُ
لا تَسْتَنِيمُوا لِلزَّمانِ تَوَكُّلا   فَٱلدَّهْرُ نَزَّاءٌ لَهُ وَثَباتُ[٣]
لَمْ تَلْقَ عِنْدَكُمْ ٱلْحَياةُ كَرامَةً   في حالَةٍ فَكَأَنَّكُمْ أَمْواتُ
شَقِيَتْ بِكُمْ لَمَّا شَقِيتُمْ أَرْضُكُمْ   فَلَها بِكُمْ وَلَكُمْ بِها غَمَراتُ[٤]
وَجَهِلْتُمُ ٱلنَّهْجَ ٱلسَّوِيَّ إِلى ٱلْعُلَى   فَتَرادَفَتْ[٥] مِنْكُمْ بِها ٱلْعَثَراتُ
بِٱلْعِلْمِ تَنْتَظِمُ ٱلْبِلادُ فَإِنَّهُ   لِرُقِيِّ كُلِّ مَدِينَةٍ مِرْقاةُ
إِنَّ ٱلْبِلادَ إِذا تَخاذَلَ أَهْلُها   كانَتْ مَنافِعُها هِيَ ٱلْآفاتُ

• • •

مَنْ مُبْلِغُ ٱلْمَنْصُورَ عَنْ بَغْدادِهِ   خَبَراً تَفِيضُ لِمِثْلِهِ ٱلْعَبَراتُ
أَمْسَتْ تُنادِيهِ وَتَنْدُبُ أَرْبُعاً   طَمَسَتْ رُسُومَ جَمالِها ٱلْهَبَواتُ[٦]
وَتَقُولُ يا لِأَبِي ٱلْخَلائِفِ لَوْ تَرى   أَرْكانَ مَجْدِي وَهْيَ مُنْهَدِماتُ
أَيْنَ ٱلْبُرُوجُ بَنَيْتَهُنَّ مَشِيدَةً   أَيْنَ ٱلْقُصُورُ عَلَتْ بِها ٱلشُّرُفاتُ

---

(١) المغبة العاقبة واعنته اعناتاً اوقعه في امر يشق عليه تحمله (٢) ساقه خسفاً حمّله ما لا يطاق من الذل (٣) استنام الى الشيء اطمأنّ . والنزّاء الوثّاب (٤) الغمرات الشدائد والمكاره (٥) تتابعت (٦) طمست محت والهبوات الغبرات

أَيْنَ ٱلْجِنانُ بِحَيْثُ تَجْرِي تَحْتَها ٱلْـ أَنْهارُ يانِعَةً بِها ٱلثَّمَراتُ
قَدْ ضَيَّعَتْ بَغْدادُ سابِقَ عِزِّها
وَغَدَتْ تَجِيشُ بِصَدْرِها ٱلْحَسَراتُ

الصديق المضاع

« من قصيدة للشاعر نفسه »

عَلامَ حُرِمْنا مُنْذُ حِينٍ تَلاقِيا أَفِي سَفَرٍ قَدْ كُنْتَ أَمْ كُنْتَ لاهِيا
عَهِدْتُكَ لا تَلْهُو عَنِ ٱلْخِلِّ ساعَةً فَكَيْفَ عَلَيْنا قَدْ أَطَلْتَ ٱلتَّجافِيا
وَمالِي أَراكَ ٱلْيَوْمَ وَحْدَكَ جالِساً بَعِيداً عَنِ ٱلْخُلَّانِ تَأْبَى ٱلتَّدانِيا
وَما بالُ عَيْنَيْكَ ٱللَّتَيْنِ أَراهُما تُدِيرانِ لَحْظاً يَحْمِلُ ٱلْحُزْنَ وانِيا
وَأَيُّ جَوًى قَدْ عُدْتَ أَصْفَرَ فاقِعاً بِهِ بَعْدَ أَنْ قَدْ كُنْتَ أَحْمَرَ قانِيا[1]
تَكَلَّمْ فَما هٰذا ٱلْوُجُومُ[2] فَإِنَّنِي عَهِدْتُكَ غِرِّيداً بِشِعْرِكَ شادِيا
وَلا تَبْتَئِسْ بِٱلدَّهْرِ إِنَّ خُطُوبَهُ سَحابَةُ صَيْفٍ لا تَدُومُ ثَوانِيا
فَقالَ وَلَمْ يَمْلِكْ بَوادِرَ أَدْمُعٍ تَناثَرْنَ حَتَّى خِلْتُهُنَّ لَآلِيا
لَقَدْ هِجْتَنِي يا أَحْمَدُ ٱلْيَوْمَ بِٱلْأَسى
وَذَكَّرْتَنِي ما كُنْتُ بِٱلْأَمْسِ ناسِيا
أَتَعْجَبُ مِن حُزْنِي وَتَعْلَمُ أَنَّنِي قَرِيعُ تَبارِيحٍ[3] تُشِيبُ ٱلنَّواصِيا

(١) فقع لونه اشتدت صفرته وقنا اشتدت حمرته (٢) السكوت من كثرة الغم (٣) التباريح كلف المعيشة ومشقاتها والقريع المقارع اي المضارب او الغالب

لَقَدْ عِشْتُ فِي ٱلدُّنْيَا أَسِيفاً وَلَيْتَنِي تَرَحَّلْتُ عَنْهَا لا عَلَيَّ وَلا لِيَا
وَقَدْ كُنْتُ أَشْكُو ٱلْكَاشِحِينَ[1] مِنَ ٱلْعِدى
فَأَصْبَحْتُ مِنْ جَوْرِ ٱلْأَخِلَّاءِ شَاكِيَا
وَمَا رُحْتُ أَسْتَشْفِي ٱلْقُلُوبَ مُدَاوِياً
مِنَ ٱلْحِقْدِ إِلَّا عُدْتُ عَنْهَا كَمَا هِيَا
وَدَارَيْتُ حَتَّى قِيلَ لِي مُتَمَلِّقٌ وَمَا كَانَ مِن دَاءِ ٱلتَّمَلُّقِ دَائِيَا
وَحَتَّى دَعَانِي ٱلْحَزْمُ أَنْ خَلِّ عَنْهُمُ فَإِنَّ صَرِيحَ ٱلرَّأْيِ أَنْ لَا تُدَارِيَا
وَرُبَّ أَخٍ أَوْقَرْتُ قَلْبِي بِحُبِّهِ فَكُنْتُ عَلَى قَلْبِي بِحُبِّيهِ جَانِيَا
أَرَادَ ٱنْقِيَادِي لِلْهَوَانِ وَمَا دَرَى بِأَنِّيَ حُرُّ ٱلنَّفْسِ صَعْبٌ قِيَادِيَا
إِذَا مَا سَمَانِي جَاذِبٌ بِٱلذُّلِّ غَيْرَهَا أَبَيْتُ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ سَمَائِيَا
أَلَا فَٱبْكِ لِي يَا أَحْمَدُ ٱلْيَوْمَ رَحْمَةً وَدَعْنِي وَشَأْنِي وَٱلْأَسَى وَغُرُوبِيَا
فَإِنَّ أَحَقَّ ٱلنَّاسِ بِٱلرَّحْمَةِ ٱمْرُؤٌ أَضَاعَ وِدَاداً عِنْدَ مَنْ لَيْسَ وَافِيَا

...

فَلَمَّا بَكَى أَمْسَكْتُ فَضْلَ رِدَائِهِ وَكَفْكَفْتُ دَمْعاً فَوْقَ خَدَّيْهِ جَارِيَا
وَقُلْتُ لَهُ هَوِّنْ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا
تَنُوبُ دَوَاهِي ٱلدَّهْرِ مَنْ كَانَ دَاهِيَا[2]

(١) المضمرين العداوة (٢) لدهي ذو الدهاء

وَما ضَرَّ أَنْ أَصفَيْتَ وُدَّكَ مَعْشَراً
مِنَ ٱلنَّاسِ لَمْ يَجْنُوا لَكَ ٱلْوُدَّ صافِياً
كَفى مَفخَراً أَنْ قَدْ وَفَيتَ وَلَمْ يَفُوا
فَكُنْتَ ٱلفَتى ٱلْأَعْلى وَكانُوا ٱلْأَدانِيا
لَعَلَّ ٱلَّذي أَشْجاكَ يُعقِبُ راحَةً فَقَدْ يَشْكُرُ ٱلإِنسانُ ما كانَ شاكِيا

وللشاعر نفسه من قصيدة يشكو فيها
الحروب ومضرمي نيرانها

قَضَتِ ٱلْمَطامِعُ أَنْ نُطِيلَ جِدالا وَأَبَيْنَ إِلَّا باطِلًا وَمُحالا
في كُلِّ يَوْمٍ لِلْمَطامِعِ ثَوْرَةٌ
بِٱسْمِ ٱلسِّياسَةِ تَسْتَجِيشُ[1] قِتالا
ماضَرَّ مَنْ ساسُوا ٱلْبِلادَ لَوَ ٱنَّهُمْ كانُوا على طَلَبِ ٱلْوِفاقِ عِيالا
أَمِنَ ٱلسِّياسَةِ أَنْ يُقَتِّلَ بَعْضُنا بَعضاً لِيُدْرِكَ غَيْرُنا ٱلآمالا
لا دَرَّ دَرُّ أُولي ٱلسِّياسَةِ إِنَّهُمْ قَتَلُوا ٱلرِّجالَ وَيَتَّمُوا ٱلْأَطْفالا
غَرَسُوا ٱلْمَطامِعَ وَٱغْتَدَوا يَسْقُونَها بِدَمٍ هُرِيقَ عَلى ٱلثَّرى سَيَّالا
نَثَرُوا ٱلدِّماءَ عَلى ٱلبِطاحِ شَقائِقاً وَتَرَدَّمُوا ٱلرَّوْضَةَ ٱلْمِحْلالا[2]
تَفْنى ٱلْجُيُوشُ وَلا ضَغائِنَ بَيْنَها سَبَقَتْ وَلا تِرَةً وَلا أَذْحالا[3]

---

(١) تثير وتهيج (٢) الروضة المحلال التي تحل الناس فيها كثيراً
(٣) الترة والدحل بمعنى الثأر وهو مفرد اذحال

قالُوا كَرِهتَ ٱلحَرْبَ قُلتُ لِأَنّها
دارَتْ لِتَغْتَصِبَ ٱلحُقُوقَ ٱلآلا
وَأَجلتُ فِكرِي فِي ٱلحُرُوبِ فَلَمْ أَجِدْ
أَبداً لَهُنْ سِوى ٱلخُمُورِ مِثالا
طاشَتْ مَنافِعُها ٱلصِغارُ عَنِ ٱلوَرَى
وَرَسَتْ مَآثِمُها ٱلكِبارُ جِبالا
ما أَجشَعَ ٱلحَرْبَ ٱلضَّرُوسَ فَإِنَّها
تَحْسُو ٱلنُّفُوسَ(١) وَتَأْكُلُ ٱلأَموالا
كَمْ سَحَّ مِنْ رَهَجِ ٱلحُرُوبِ عَلى ٱلثَّرى
وَبْلُ ٱلدِّماءِ فَزادَها إِمحالا(٢)
لَولا ٱلحُرُوبُ وَمُحرِقاتُ صَواعِقٍ
مِنْها لَأَبْقَتِ ٱلأَرْضُ إِبْقالا
أَبَني ٱلسِّياسَةِ إِنْ سَلَكْتُمْ بِٱلوَرَى
طُرُقَ ٱلرَّشادِ فَلِمُوا ٱلجُهّالا
إِنْ جَرَّتِ ٱلحَرْبُ ٱلكَماةَ لِأُمَّةٍ نالَتْ أَحرَى أَنْ يَجُرَّ كَمالا
أَوَ كانَ طَمعَ ٱلمُثرِي ثَرْوَةً أَكلُ ٱلضَّعِيفِ تَحَيُّفاً وَٱغتِيالا(٣)

---

(١) تشربها شيئاً بعد شيء (٢) الرمح السحاب بلا ماء (٣) التحيّف الجور والظلم . واغتاله اهلكه وقتله على غرة وغفلة

وقال احمد رامي يبث الطير شكواه

يا طائراً يبكي على فَنَنٍ هيمانَ[1] من غصنٍ إلى غصنِ
تبكي على إلفٍ فُجعتَ بهِ وأنوحُ من حزني على سكني[2]
فاسجعْ ففي مبكاك أغنيةٌ كحنين مغتربٍ إلى وطنِ
واصدحْ فصوتُك في الفؤادِ صدًى
للغابرِ المدفونِ من زمني
لك أنَّةٌ في الليلِ خافتةٌ[3] تسري إلى قلبي بلا أذنِ
تندى على كبدٍ معطَّشةٍ كالزهرِ يشربُ ريِّقَ المزنِ[4]
هبني جناحك كي أطيرَ بهِ وأحطَّ فوقَ شواهقِ القُنَنِ[5]
وأطلَّ فوقَ الكونِ مبتهجاً بجمالِهِ المتناثرِ الحسنِ
النهرُ رقراقٌ جوانبُهُ ميّاسةٌ بغصونها اللُّدُنِ[6]
والزهرُ مفترٌّ مباسمُهُ مبتلَّةٌ بالعارضِ الهتِنِ[7]
والبدرُ وضّاحٌ غلائلُهُ تنسابُ في سهلٍ وفي حزنِ
لشقيتُ من عيشٍ أكابدُهُ في غمرةِ الأمصارِ والمدنِ

---

(١) الفنن الغصن والهيمان الهائم (٢) من ارتاح اليه (٣) خفت صوته خفضه ولم يرفعه (٤) تندى تبتل وريق الشيء اوله والمزن جمع مزنة وهي المطرة او القطعة من السحاب (٥) القنن الجبال الصغيرة (٦) اللدُن جمع لَدْن بمعنى لين حرك عينه للضرورة (٧) العارض السحاب الذي يعترض في السحاب . ولا يقال العارض الهتن بل الهاتن وهو المنصب او الضعيف الدائم

لا مَغْرِبٌ أَرْنو لِمَنْظَرِهِ ... وَٱلْأُفْقُ يَطْوي ٱلشَّمْسَ في كَفَنِ
أَوْمَشْرِقٌ وٱلشَّمْسُ قَدْ نَهَضَتْ ... عَنْ عَيْنِها ثِقْلاً مِنَ ٱلْوَسَنِ
أَوْ طائِرٌ يَشْدُو فَيُطْرِبُني ... إِلّا نَعيبَ ٱلْبُومِ في ٱلدِّمَنِ
فَٱنْقَعْ بِشَدْوِكَ غُلَّتي وَأَعِنْ ... قَلْبي عَلى ٱلْآلامِ وَٱلشَّجَنِ
وَأَطِلْ غِناءَكَ إِنَّ مَظْلَمَةً ... أَنْ لا تُسامِرَني وَتُطْرِبَني

وقال عبدالله النجار اللبناني يشكو من حمى شديدة اصابته

خَلِيلَيَّ أَجْرَعْ كُؤُوسَ ٱلدَّاءِ ... مُتْرَعاتٍ بِنَمْرَةِ ٱلْبُرَداءِ(١)
فَلَقَدْ أَوْهَتِ ٱلْحَوادِثُ عَزْمي ... وَدَعَتْنِي خائِبَ ٱلْمُنى بِرَجائي
لَمْ يَزِدْ في ٱلْفِراشِ غَيْرَ خَيالٍ ... عَرَقَتْهُ نَواهِشُ ٱلْأَدْواءِ(٢)
كُلَّما هَمَّ بِٱلنُّهوضِ ٱعْتَراهُ ... نافِضٌ يَتْرُكُ ٱلْقُوى في ٱرْتِخاءِ
قَرِّبا لي كَأْسَ ٱلشِّفاءِ دِهاقاً(٣) ... أَوْ أَثيرا عَلَيَّ كَأْسَ ٱلْفَناءِ
قَدْ أَبى ٱلصَّبْرُ أَنْ يُجاوِرَ جِسْماً ... حَلَّ فيهِ ضَيْفاً ثَقيلَ ٱلدَّاءِ
ظِلْتَ(٤) يا داءُ في ٱلْجَوانِحِ حَتّى ... بِتُّ أَرْجو يَأْساً أُحاوِلُ ٱلْإِغْضاءِ
كامِناً في ٱلضُّلوعِ تَرْقُبُ مِنّا ... غَفْلَةً لِلْوُثوبِ كَٱلرُّقَباءِ
يَوْمَ نَلْهو بِساعَةٍ مِنْ صَفاءِ ... وَضَنينٌ زَمانُنا بِٱلشِّفاءِ

---

(١) اترع الاناء ملأه . والبرداء الحمى بالقرّة (٢) عرق العظم اخذ ما عليه من اللحم والنواهش من الافاعي اللواسع (٣) ممتلئة (٤) اي ظللت

وَرِيحُ داءٍ يَهُبُّ فِي ٱلْ ـنَسيمِ مِنهُ لَفَحاتٌ تَسُلُّ خَيطَ ٱلْبَقاءِ
فَأُعاني من حَرِّها سَكَراتٍ كِدْتُ أَقْضِي بِها مِنَ ٱلْبُرَحاءِ
لَيسَ أَشقَى مِنَ ٱلْمَرِيضِ شَقِيٌّ فَٱلشَّقا فِي مَكامِنِ ٱلْأَحْشاءِ

الباب التاسع

في العتاب والاستعطاف

كتب ابو فراس الى سيف الدولة يعرفه خروج الدُّمُستُق
الى الشام في جموع الروم ويحثه على الاستعداد
ويسأله تقديم فدائه

يا واقِفَينِ مَعي عَلى ٱلدّارِ ٱطْلُبا غَيرِي لَها إِنْ كُنْتُما تَقِفانِ
أَبكِي ٱلْأَحِبَّةَ بِٱلشَّآمِ وَبَينَنا قُلَلُ ٱلدُّرُوبِ وَشاطِئا جِيحانِ (١)
فَضَلَتْ لَدَيَّ مَدامِعٌ فَبَكَيْتُ لِلْـ ـباكِي بِها وَوَلِهْتُ (٢) لِلْوَلْهانِ
مالي جَزِعتُ مِنَ ٱلْخُطُوبِ وَإِنَّما أَخَذَ ٱلْمُهَيْمِنُ بَعضَ ما أَعطاني
وَلَقَدْ سُرِرْتُ كَما غُمِمْتُ عَشائِرِي زَمَناً وَهَنَّأَنِي ٱلَّذِي عَزّانِي
وَأَنا ٱلَّذِي مَلَأَ ٱلْبَسِيطَةَ كُلَّها نارِي وَطَنَّبَ فِي ٱلسَّماءِ دُخانِي
إِنْ لَمْ تَكُنْ طالَتْ سِنِيَّ فَإِنَّ لِي رَأْيَ ٱلْكُهُولِ وَنَجْدَةَ ٱلشُّبّانِ
وَلَرُبَّما ساءَ ٱلْأَعادِي مَوْقِفِي وَٱلدَّهْرُ يَبْرُزُ لِي مَعَ ٱلْأَقْرانِ

(١) قلل جمع قلة وهي اعلى كل شيء من جبل وغيره (٢) حزنت

يَمْضِي ٱلزَّمانُ وَما عَمَدتُ لِصاحِبٍ ... إِلَّا ظَفِرْتُ بِصاحِبٍ خَوَّانِ

يادَهرُ خُنتَ مَعَ ٱلأَصادِقِ خِلَّتي(١) ... وَغَدَرْتَ بي في جُمْلَةِ ٱلإِخْوانِ

لٰكِنَّ سَيْفَ ٱلدَّوْلَةِ ٱلقَرْمَ(٢) ٱلَّذي ... لَمْ أَنْسَهُ وَأَراهُ لا يَنْساني

أَيُضِيعُني مَنْ لَمْ يَزَلْ لِيَ حافِظاً ... كَرَماً وَيَخْفِضُني ٱلَّذي أَعْلاني

إِنِّي أَغارُ عَلى مَكانيَ أَنْ أَرى ... فِيهِ رِجالًا لا تَسُدُّ مَكاني

هٰذي ٱلجُيُوشُ تَجِيشُ نَحْوَ بِلادِكُمْ ... مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ ضَيْغَمٍ سِرْحانِ(٣)

لَيْسُوا يَنُونَ فَلا تَنُوا وَتَيَقَّظُوا ... لا يَنْهَضُ ٱلواني لِغَيْرِ ٱلواني

أَصْبَحْتُ مُمْتَنِعَ ٱلحِراكِ وَرُبَّما ... أَصْبَحْتُ مُمْتَنِعاً عَلى ٱلأَقْرانِ

وَلَطالَما حَطَّمْتُ صَدْرَ مُثَقَّفٍ(٤) ... وَلَرُبَّما أَرْعَفْتُ أَنْفَ سِناني

ما زِلْتُ أَكْلَأُ كُلَّ ثَغْرٍ مُوحِشٍ ... أَبَداً بِمُقْلَةِ ساهِرٍ يَقْظانِ

شَلَّالِ كُلِّ عَظِيمَةٍ ذَوَّادِها ... ضَرَّابِ هاماتِ ٱلعِدى طَعَّانِ(٥)

إِنْ يَمْنَعِ ٱلأَعْداءُ حَدَّ صَوارِمي ... لا يَمْنَعِ ٱلأَعْداءُ حَدَّ لِساني



(١) اخائي (٢) السيد او العظيم (٣) الاروع من يعجبك بحسنه وجهارة منظره وشجاعته والسرحان الاسد (٤) الرمح المثقف المقوَّم بالثقاف وهو آلة من خشب تسوَّى بها الرماح (٥) شلَّال فعَّال للمبالغة من شلَّه اذا طرده. والذوَّاد الدفَّاع والحامي الحقيقة

وقال المتنبي يعاتب سيف الدولة على ما كان يلقيه اعداؤه بحضرته ولا ينكر عليهم

وَاحَرَّ قَلْباهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَبِمُ[1] وَمَنْ بِجِسْمِي وَحالي عِنْدَهُ سَقَمُ
ما لي أُكَتِّمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدي
وَتَدَّعِي حُبَّ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْأُمَمُ
إِنْ كانَ يَجْمَعُنا حُبٌّ لِغُرَّتِهِ فَلَيْتَ أَنَّا بِقَدْرِ ٱلْحُبِّ نَقْتَسِمُ
قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ ٱلْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَٱلسُّيُوفُ دَمُ
فَكانَ أَحْسَنَ خَلْقِ ٱللهِ كُلِّهِمِ
وَكانَ أَحْسَنَ ما في ٱلْأَحْسَنِ ٱلشِّيَمُ
قَدْ نابَ عَنْكَ شَدِيدُ ٱلْخَوْفِ وَٱصْطَنَعَتْ
لَكَ ٱلْمَهابَةُ ما لا تَصْنَعُ ٱلْبُهَمُ[2]
أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئاً لَيْسَ يَلْزَمُها أَنْ لا يُوارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلا عَلَمُ
أَكُلَّما رُمْتَ جَيْشاً فَٱنْثَنى هَرَباً تَصَرَّفَتْ بِكَ في آثارِهِ ٱلْهِمَمُ
أَما تَرى ظَفَراً حُلْواً سِوى ظَفَرٍ
تَصافَحَتْ فِيهِ بِيضُ ٱلْهِنْدِ وَٱللِّمَمُ[3]
يا أَعْدَلَ ٱلنَّاسِ إِلَّا في مُعامَلَتي
فِيكَ ٱلْخِصامُ وَأَنْتَ ٱلْخَصْمُ وَٱلْحَكَمُ

---

(١) بارد (٢) الجيوش (٣) اللمم جمع اللمة وهي الشعر المجاور شحمة لاذن

أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنكَ صادِقَةً
أَنْ تَحسَبَ الشَّحمَ فِيمَنْ شَحمُهُ وَرَمُ

وما انْتِفاعُ أَخِي الدُّنيا بِناظِرِه
إذا اسْتَوَتْ عِندَهُ الأَنوارُ وَالظُّلَمُ

سَيَعلَمُ الجَمعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجلِسُنا
بِأَنَّني خَيرُ مَنْ تَسعَى بِهِ قَدَمُ

أَنا الَّذي نَظَرَ الأَعمَى إِلى أَدَبي
وَأَسمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بِهِ صَمَمُ

إذا رَأَيتَ نُيُوبَ اللَّيثِ بارِزَةً
فَلا تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيثَ يَبتَسِمُ

وَمُرْهَفٍ[1] سِرْتُ بَينَ الجَحفَلَينِ بِهِ
حَتَّى ضَرَبتُ وَمَوجُ المَوتِ يَلتَطِمُ

الخَيلُ وَاللَّيلُ وَالبَيداءُ تَعرِفُني
وَالسَّيفُ وَالرُّمحُ وَالقِرطاسُ وَالقَلَمُ

يا مَنْ يَعِزُّ عَلَينا أَنْ نُفارِقَهُمْ
وِجدانُنا كُلَّ شَيءٍ بَعدَكُمْ عَدَمُ

ما كانَ أَخلَقَنا مِنكُمْ بِتَكرِمَةٍ
لَوْ أَنَّ أَمرَكُمُ مِنْ أَمرِنا أَمَمُ[2]

إِنْ كانَ سَرَّكُمُ ما قالَ حاسِدُنا
فَما لِجُرحٍ إِذا أَرضاكُمُ أَلَمُ

وَبَينَنا لَوْ رَعَيتُمْ ذاكَ مَعرِفَةٌ
إِنَّ المَعارِفَ في أَهلِ النُّهَى ذِمَمُ

كَمْ تَطلُبُونَ لَنا عَيباً فَيُعجِزُكُمْ
وَيَكرَهُ اللهُ ما تَأْتُونَ وَالكَرَمُ

ما أَبعَدَ العَيبَ وَالنُّقصانَ مِنْ شَرَفي
أَنا الثُّرَيَّا وَذانِ الشَّيبُ وَالهَرَمُ

---

(١) المرهف السيف الرقيق الحد (٢) قريب

إذا ترحّلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالرّاحلون هم
شرّ البلاد مكانٌ لا صديق به
وشرّ ما يكسب الإنسان ما يصم[1]
بأيّ لفظ تقول الشّعر زِعنِفةٌ[2] تجوز عندك لا عربٌ ولا عجم
هذا عتابك إلّا أنّه مِقةٌ قد ضمّن الدّرّ إلّا أنّه كلِم

وقال البحتري يمدح عدون بن مخلد ويعتذر اليه

كلّما قلت أيبس المحل أرضي وليتني غمامةٌ منه تهمي
فله في مدائحي حكمه الأو في ولي في نواله الغمر حكمي
أينما قام منشدٌ لاح نجمٌ متلالٍ منها على إثر نجم
وجهول رمى لديه مكاني
قلت أقصر ما كلّ رامٍ بمصمٍ[3]
وإذا ما العريض والى أذاتي كان خرطومه خليقاً بوسمي[4]
بأبي أنت عاتباً وقليلٌ لك منّي أبي فداءٌ وأمي
لمتني أن رميت في غير مرمى وعزيزٌ عليّ تضييع سهمي
فعلام التّثريب واللّوم إذ علمك فيما أقوله مثل علمي

---

(١) يعيب (٢) جماعة من الاوباش (٣) اصمى الصيد رماه فقتله مكانه وهو يراه (٤) العرّيض الذي يتعرض للناس بالشر . والخرطوم الانف

وقال ايضاً يعاتب الفتح بن خاقان

مِنّيَ وَصلٌ وَمِنكَ هَجرُ   وَفِيَّ ذُلٌّ وَفِيكَ كِبْرُ
وَما سَواءٌ إِذا ٱلتَقَيا   سَهلٌ عَلى خِلَّةٍ وَوَعْرُ
إِنّي وَإِن لَمْ أَبُحْ بِوَجدي   أُسِرُّ فيكَ ٱلَّذي أُسِرُّ
يا ظالِماً لي بِغَيرِ جُرمٍ   إِلَيكَ مِنْ ظُلمِكَ ٱلمَفَرُّ
قَدْ كُنتُ حُرًّا وَأَنتَ عَبدٌ   فَصِرْتُ عَبداً وَأَنتَ حُرُّ
بَرَّحَ بي حُبُّكَ ٱلمُعَنّى   وَغَرَّني مِنكَ ما يَغُرُّ
أَنتَ نَعيمي وَأَنتَ بُؤسي   وَقَدْ يَسُوءُ ٱلَّذي يَسُرُّ
تَذْكُرُ كَمْ لَيلَةٍ لَهَوْنا   في ظِلِّها وَٱلزَّمانُ نَضْرُ
غابَ دُجاها وَأَيُّ لَيلٍ   يَدجو عَلَينا وَأَنتَ بَدْرُ
لَعَلَّهُ أَن يَعودَ عَيشٌ   كَما مَضى أَوْ يُدِيلَ دَهْرُ
إِنّي وَإِن كُنتُ ذا وَفاءٍ   لا يَتَخطَّى إِلَيَّ غَدْرُ
لَذاكِرٌ مِنكَ فَضلَ نُعمى   وَسَتْرُ نُعمى ٱلكَريمِ كُفْرُ

وقال الارجاني يمدح معين الدولة ويعاتبه

أَنا وَٱلرَّجاءُ وَأَنتَ وَٱلكَرَمُ   وَلَكَ ٱلفَعالُ كَما لِيَ ٱلكَلِمُ
خُتِمَ ٱلإِجادَةُ في ٱلمَدائِحِ بي   وَبِكَ ٱلأَجاوِدُ في ٱلنَّدى خُتِموا
حَجَّتْكَ آمالُ ٱلعِبادِ لِأَنْ   عَلِمَتْ بِأَنَّ فِناءَكَ ٱلحَرَمُ

مِدَحٌ عَلى آثارِها مِنَحٌ غُرٌّ تَدُومُ كَأَنَّها دِيَمُ
راجِيكَ يَسْأَمُ مِنْ تَتابُعِها وَلَدَيْكَ لا ضَجَرٌ وَلا سَأَمُ
تَفْدِيكَ نَفْسِي وَهْيَ طائِعَةٌ وَنُفُوسُ أَقْوامٍ وَإِنْ رَغِمُوا
يُخْفِي صَنائِعَهُ لِيُكْرِمَها مِثْلَ ٱلْوُجُوهِ تَصُونُها ٱللُّثُمُ
يا أَعْدَلَ ٱلنَّاسِ ٱلَّذِينَ بِهِمْ
عِنْدَ ٱلْحَوادِثِ تُكْشَفُ ٱلْغُمَمُ(١)
عِنْدِي فَدَتْكَ ٱلنَّفْسُ حادِثَةٌ أَلْخَصْمُ فِيها أَنْتَ وَٱلْحَكَمُ
مالِي أُباعُ كَذا مُجازَفَةً(٢) وَلِكُلِّ قَوْمٍ فِي ٱلْعُلى قِيَمُ
أَفَبَعْدَ تَسْيِيرِي لَكُمْ مِدَحاً حُدِيَتْ بِهِنَّ ٱلْأَيْنُقُ ٱلرُّسُمُ(٣)
مَصْقُولَةً مِثْلَ ٱلرِّياضِ غَدَتْ يَبْكِي ٱلْغَمامُ لَها فَتَبْتَسِمُ
نَرْضَى بِأَنْ تَغْدُو لَها طَرِباً وَفُؤادُ ناظِمِها لَكُمْ وَجِمُ(٤)
وَتَمِيلُ عَنْ مِثْلِي إِلى نَفَرٍ لا يُذْكَرُونَ إِهانَةً لَهُمُ
فَسَلِ ٱلْفَضائِلَ إِنْ سَأَلْتَ بِنا تُخْبِرْكَ كَمْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ
دَعْ أَنْفُسَ ٱلْأَوْغادِ ساخِطَةً ما حَمْدُ كُلِّ ٱلنَّاسِ يُغْتَنَمُ
لا يَتْبَعَنَّ ٱلْمَرْءُ ذا رِيَبٍ عُرِفَتْ فَكَمْ مِنْ تابِعٍ يَصِمُ(٥)

---

(١) الكُرَب (٢) جارفه في المبيع عامله بالحدس والتخمين (٣) الاينق جمع الناقة والرسم جمع الرسوم وهي من النياق التي توثر اخفافها في الارض من شدة الوطء (٤) عبوس (٥) الأصح يوصم على ما يقتضيه المعنى

فِي ٱلْوُدِّ أَوْلَى بِٱتِّهَامِكَ مَنْ فِي ٱلدِّينِ أَصْبَحَ وَهْوَ مُتَّهَمْ
وَأَحَقُّ مَنْ عُنِيَ ٱلْمُلُوكُ بِهِ مَنْ سَارَ فِي مَن قَالَ ذِكْرُهُمُ
وَأَنَا ٱلَّذِي لَمْ يَسْخُ بِي أَحَدٌ إِلَّا غَدَا وَنَدِيمُهُ ٱلنَّدَمُ
وَإِذَا ٱهْتَزَزْتُ لِمَدْحِ ذِي كَرَمٍ فَأَنَا لِسَانٌ وَٱلزَّمَانُ فَمُ

وقال ايضاً يعاتب مسعود الخُجَنْدي ويعتذر اليه من وشاية

لَمْ يَصْدُقِ ٱلْوَاشُونَ فِيمَا بَلَّغُوا كَلَّا وَلَمْ يَتَغَيَّرِ ٱلْمَعْهُودُ
أَفَمِثْلُ وُدِّي لِلْكِرَامِ وَإِنْ جَنَتْ نُوَبُ ٱلزَّمَانِ تُذَمُّ مِنْهُ عُهُودُ
أَمْ مِثْلُ خُبْرِكَ لِلرِّجَالِ يَجُوزُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ كَاشِحٌ[1] وَوَدُودُ
لَا تَحْسَبِ ٱلْمُتَصَادِقِينَ أَصَادِقاً مَا كُلُّ مَصْقُولِ ٱلْحَدِيدِ حَدِيدُ
وَٱعْلَقْ بِمَنْ أَوْلَاكَ خَالِصَ وُدِّهِ يَوْماً فَمَا أُمُّ ٱلصَّفَاءِ وَلُودُ
أَأُسَامُ عُذْرَ جَرِيمَةٍ لَمْ آتِهَا إِنَّ ٱلشَّقِيَّ بِمَا جَنَى لَسَعِيدُ
أَحْبَابَنَا كَثُرَ ٱلْعِتَابُ فَأَقْصِرُوا حَتَّى نَعُودَ إِلَى ٱلرِّضَا وَتَعُودُوا
لَا تَهْجُرُوا إِنِّي عَلَى مَا نَابَنِي فِي ٱلدَّهْرِ إِلَّا هَجْرَكُمْ لَجَلِيدُ
وَصِلُوا فَقَدْ جُبِلَتْ عَلَى حُبِّيكُمُ نَفْسِي وَتَبْدِيلُ ٱلطِّبَاعِ شَدِيدُ
إِنْ كَانَ مَا زَعَمَ ٱلْوُشَاةُ فَلَا يَزَلْ حَظِّي لَدَيْكُمْ هَجْرَةٌ وَصُدُودُ
مِنْ بَعْدِ صُحْبَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً أَنْسَاكُمُ إِنِّي إِذاً لَكَنُودُ
وَلَنَا بِكُمْ عَهْدٌ يَرِقُّ لِذِكْرِهِ قَلْبُ ٱلْفَتَى وَلَوْ أَنَّهُ جُلْمُودُ

---

(١) مضمر للعداوة

كُنْ كَيفَ شِئْتَ فَبِي وَإِنْ لَمْ تُدْنِنِي   ما عِشْتُ حُبٌّ لا يَزالُ يَزِيدُ

وكتب الطغرائي الى نظام الملك يعتذر اليه
من عثرة اوجبت انقطاعه عنه

وَأَبلَجَ أَمَّا وَجهُهُ حِينَ يُجتَلى   فَشَمسٌ وَأَمَّا كَفُّـهُ فَغَمامُ
جَرَى طائِري مِنهُ سَنِيحاً وَعَلَّني   بِدَرِّ أَيادٍ ما لَهُنَّ فِطـامُ(١)
وَأَنزَلَني مِنـهُ بِأَلطَفِ مَنزِلٍ   كَما مُزِجَتْ بِابْنِ الغَمامِ مُدامُ
شَرَدْتُ عَلَيهِ غَيرَ جاحِدِ نِعمَةٍ   أُكَلَّفُ خَسفاً بَعـدَهُ وَأُسامُ
وَقَدْ يُسلَبُ الرَّأيَ الفَتى وَهوَ حازِمٌ
وَيَنبُو غِرارُ السَّيفِ وَهوَ حُسامُ
فَقَدْ وَجَدَ الواشُونَ سُوقاً وَنَفَّقُوا   بَضائِعَ زُورٍ ما لَهُنَّ دَوامُ
وَأَصبَحَ شَملُ الأُنسِ وَهوَ مُبَدَّدٌ   لَدَيهِ وَحَبلُ القُربِ وَهوَ رِمامُ(٢)
يُقَرِّبُ دُونِي مَنْ شَهِدتُ وَغِبْتُمُوا   وَيُوصِلُ قَبلِي مَنْ سَهِرْتُ وَنامُوا
تَزاوَرَ(٣) حَتّى ما يُرَجّى انعِطافُهُ   وَأَعرَضَ حَتّى ما يُرَدُّ سَلامُ
فَلا عَطفَ إِلّا سَخطَةٌ وَتَنَكُّرٌ   وَلا رَدَّ إِلّا ضَجرَةٌ وَسَآمُ
فَإِنْ يَكُ رَأْيٌ زَلَّ أَوْ قَدَرٌ جَرى   بِبازِلَةٍ فِيها عَلَيَّ مَلامُ
فَوَاللهِ ما قارَفْتُ فِيكَ خِيانَةً   أُعابُ بِها فِي مَحفِلٍ وَأُذامُ

(١) السنيح السانح وهو الذي يأتي من جانب اليمين والعرب تتيمن به كما تتشاءم بالبارح الذي يأتي من جانب اليسار . وعلى ضده تباعا والدر اللبن
(٢) بالي (٣) انحرف

وَلا قَرَّ لي بعدَ ٱلتَّفرُّقِ مَضْجَعٌ   وَلاطابَ لي بَعْدَ ٱلرَّحيلِ مُقامُ
حَياءً فَإِنَّ ٱلصَّفْحَ خَيْرُ مَغَبَّةٍ   وَمَعْذِرَةً إِنَّ ٱلكِرامَ كِرامُ
أَتَبْعُدُ حَتَّى لَيْسَ فِي ٱلعَفْوِ مَطْمَعٌ   وَتُعْرِضُ حَتَّى ما تَكادُ تُرامُ
وَتَنْسى حُقُوقي عِنْدَ أَوَّلِ زَلَّةٍ   وَأَنْتَ لِأَهْلِ ٱلْمَكْرُماتِ إِمامُ
أَلَمْ أَلْقَ فِيكَ ٱلأَسْرَ وَهْوَ مُبَرِّحٌ   وَأَلْتَذُّ طَعْمَ ٱلْمَوْتِ وَهْوَ زُؤامُ
أَخُوضُ سَوادَ ٱللَّيْلِ وَهْوَ جَحافِلٌ
وَأَرْعى نُجُومَ ٱللَّيْلِ وَهْيَ سِهام
هُوَ ٱلذَّنْبُ بَيْنَ ٱلسَّيْفِ وَٱلْعَفْوِ فَٱحْتَكِمْ
بِما شِئْتَ لَمْ يَعْلَقْ بِفِعْلِكَ ذامٌ(١)
وَلا تَبْلُني بِٱلْبُعْدِ مِنْكَ فَإِنَّما   حَياتِيَ إِلَّا فِي ذَراكَ حِمامُ
إِذا ماجَزَيْتَ ٱلسُّوءَ بِٱلسُّوءِ لَمْ يَكُنْ
لِفَضْلِكَ بَيْنَ ٱلأَكْرَمِينَ [illegible]
أَعِدْ نَظَراً في حالَتي تَلْقَ [illegible]   [illegible]
فَمِثْلُكَ لَمْ تَغْلِبْ عَوائِدُ سُخْطِهِ   رِضاهُ [illegible] عَلَيْهِ [illegible]
أَتَرْضى لِفَضْلي أَنْ [illegible] ذِمامُهُ   [illegible] لَدَيْهِ ذِمامُ
وَتَحْجُبُني حَتَّى [illegible]   [illegible]
فَإِنْ نِمْتَ عَنِّي وَٱطَّرَحْتَ وَسائِلي   فَلِي [illegible] عَيْنٌ لا تَكادُ تَنامُ

---

(١) عيب

وقال ابن الرومي يستبطئ محمد بن ابي سلالة في مكاتبته اياه ويستعطفه

أَبا حَسَنٍ يا إِلْفَ نَفْسي وَأُنْسَها وَيا سَنَدي في النَّائِباتِ وَيا رُكْني
أَتَبْخَلُ بِالْقِرْطاسِ وَالْخَطِّ عَنْ أَخٍ وَكَفَّاكَ أَنْدى بِالْعَطايا مِنَ الْمُزْنِ (١)
أَلَكَ الْخَيرُ كَمْ مِن لَوْعَةٍ قَدْ جَنَيْتَها عَلَيَّ وَما تَدْري هُنالِكَ ما تَجْني
جَفَوْتَ فَجافَيْتَ الْجُفُونَ عَنِ الْكَرى وَعَرَّضْتَ رَأْيي لِلزِّرايَةِ وَالطَّعْنِ
أَرَقَّى إِلَيْكَ الْكاشِحُونَ نَميمَةً طَوَيْتَ لَها كَشْحَيْكَ مِنّي عَلى ضِغْنِ (٢)
عَهِدْتُكَ لا تَعْتَدُّ بِالْعَيْنِ شاهِداً عَلَيَّ فَلِمْ أَصْبَحْتَ تَعْتَدُّ بِالْأُذْنِ
أَجِرْني مِن حُزْني لِرَفْضِكَ حُرْمَتي فَحُزْني لِشَحْطِ الدّارِ (٣) ناهِيكَ مِن حُزْنِ
كَأَنّي وَقَدْ فارَقْتُ داراً وَبَلْدَةً تَحُلُّها أُخْرِجْتُ مِنْ جَنَّتَيْ عَدْنِ

. . .

(١) السحاب (٢) رقى اليه رفع والكشح ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف . يقال طوى كشحه على كذا اضمره وستره (٣) بعدها

وقال ايضاً يستعطف القاسم على رجل من اعوانه

إِذا ما كُنتَ ذا سُخطٍ كَبيرٍ فَلا تَسخَطْ عَلى رَجُلٍ صَغيرِ
قَبيحٌ أَنْ تُعاقِبَ مُستَكيناً [1] وَلَيسَ عَلَيكَ غَيرُكَ مِنْ مُجيرِ
أُعيذُكَ مِنْ إِخافَةِ مُستَجيرٍ وَأَنتَ مَكانُ أَمنِ ٱلمُستَجيرِ
وَمِنْ إِحلالِ قارِعَةٍ بِنَفسٍ رَجَتكَ لَدى مُخاذَلَةِ ٱلنَّصيرِ [2]
أَسيرُكَ فَاْقرِهِ وَٱعدُدْهُ ضَيفاً فَما ضَيفٌ بِأَضعَفَ مِنْ أَسيرِ
أَتَتكَ بِهِ جَريمَتُهُ ذَليلاً غَضيضَ ٱلجَفنِ ذا نَظَرٍ حَسيرِ
كَفاهُ بِأَنْ يَراكَ وَأَنْ يَرانا وَنَحنُ لَدَيكَ في ٱلعَيشِ ٱلغَريرِ [3]
وَمَنْ تَسخَطْ عَلَيهِ فَذو ٱغتِرابٍ وَإِنْ لَمْ يُمسِ في بَلَدٍ شَطيرِ [4]

وقال البحتري يمدح امير المؤمنين المتوكل على الله
ويعاتبه ويستعطفه

لِمْ لا تَرِقُّ لِذُلِّ عَبدِكْ وَخُضوعِهِ فَتَفي بِوَعدِكْ
إِنّي لَأَسأَلُكَ ٱلقَليلَ وَأَتَّقي مِنْ سوءِ رَدِّكْ
لا لُمتُ نَفسِي في هَوا كَ وَلا ٱنحَرَفتُ لِطولِ صَدِّكْ
وَلَئِنْ أَسأتُ كَما تُسِي ءُ لَما وَدِدتُكَ حَقَّ وُدِّكْ
قُلْ لِلخَليفَةِ جَعفَرٍ أَعيا ٱلرِّجالَ مَكانُ نِدِّكْ [5]

---

(١) ذليلا (٢) القارعة الداهية والنكبة المهلكة . وخاذله ترك نصرته وعونه (٣) الواسع الطيب (٤) بعيد (٥) نظيرك

أيُّ ٱمرئٍ يَسْمُو سُمُوَّكَ أَوْ يَجِيءُ بِمِثْلِ مَجْدِكْ

وَعَلَيْكَ مِنْ سِيما ٱلنَّبِيِّ مَخَايِلٌ شَهِدَتْ بِرُشْدِكْ

تَبْدُو عَلَيْكَ إِذا ٱشْتَمَلْتَ بِبُرْدِهِ مِنْ فَوْقِ بُرْدِكْ

أَعْزَزْتَ أُمَّةَ أَحْمَدٍ بِٱلْفاضِلِينَ وُلاةِ عَهْدِكْ

فَهُمُ جَمِيعاً يَحْمَدُو نَ وَيَشْكُرُونَ جَمِيلَ رِفْدِكْ (١)

فَٱسْلَمْ لَهُمْ وَلِسُؤْدُدٍ أَصْبَحْتَ فِيهِ نَسِيجَ وَحْدِكْ (٢)

ومن قصيدة لاسمعيل بن احمد الشاشي في الصاحب

مُسْتَوْقِفِي بَيْنَ ذُلِّ ٱلصَّدِّ وَٱلْمَلَلِ لا حَظَّ لي مِنْكَ إِلَّا لَذَّةُ ٱلْأَمَلِ

لا تَرْحَلَنَّ فَما أَبْقَيْتَ مِنْ جَلَدِي ما أَسْتَطِيعُ بِهِ تَوْدِيعَ مُرْتَحِلِ

وَلا مِنَ ٱلْغُمْضِ مَا أَقْرِي ٱلْخَيالَ بِهِ

وَلا مِنَ ٱلدَّمْعِ ما أَبْكِي عَلَى طَلَلِ

قَدْ زِدْتَ يا لَيْلَةَ ٱلتَّوْدِيعِ فِي حَزَنِي وَلَمْ تَزِدْ يا صَباحَ ٱلْوَصْلِ فِي جَذَلِي

وَأَنْتَ يا جَسَداً لَجَّ ٱلْقَضَاءُ بِهِ حَتَّى بَرَتْهُ يَدُ ٱلْأَوْجاعِ وَٱلْعِلَلِ

كَيْفَ ٱحْتَمَلْتَ ٱلضَّنَى (٣) فِي ٱلظَّاعِنِينَ ضُحىً

وَكُنْتَ لِلشَّوْقِ فِيهِمْ غَيْرَ مُحْتَمِلِ

لِلّٰهِ جِسْمِي فَما أَبْقَى حَشَاشَتَهُ

عَلَى ٱلْحَوادِثِ وَٱلْأَسْقامِ وَٱلْوَجَلِ

---

(١) عطائك (٢) اي منفرداً به (٣) الضنى المرض والهزال وسوء الحال

يَغدُو سِقَامِي عَلَى مِثْلِ ٱلْخِيالِ ضَنًى ... وَيَقْرَعُ ٱلْخَطْبُ مِنِّي صَفْحَةَ ٱلْجَبَلِ
أَنَا ٱلْمُقِيمُ وَأَشْعَارِي عَلَى سَفَرٍ ... كَادَتْ تُؤَلِّفُ أَعْلَاماً عَلَى السُّبُلِ
سَارَتْ شَوَارِدُ أَوْصَافِ ٱلْوَزِيرِ بِهَا
سَيْرَ ٱلْجَنُوبِ بِصَوْبِ ٱلْعَارِضِ[1] ٱلْهَطِلِ
مَا بَعْدَهُ لِشُذُورِ ٱلْقَوْلِ مُدَّخَرٌ ... فِي مُقْلَةِ ٱلرِّئْمِ[2] أَعْلَى بُغْيَةِ ٱلْكَحَلِ
وَمَا بِهِ حَاجَةٌ فِي ٱلْمَدْحِ تَنْظِمُهُ ... أَلشَّمْسُ تَكْبُرُ عَنْ حَلْيٍ وَعَنْ حُلَلِ
أَوْلَى ٱلْمُلُوكِ بِتَدْبِيرِ ٱلْمَمَالِكِ مَنْ ... يُغْنِي وَيُقْنِي وَلَمْ يُورَثْ وَلَمْ يَسَلِ
وَمَنْ يَبِيتُ مِنَ ٱلْأَيَّامِ فِي خَجَلٍ ... إِنْ لَمْ يَبِتْ وَٱللَّيَالِي مِنْهُ فِي وَجَلِ

ولابي محمد عبدالله بن احمد الخازن من قصيدة
في الاستعطاف والاعتذار عند تغيّر
الوزير الصاحب عليه

أَيَا مَنْ عَفْوُهُ دَانِي ٱلسَّحَابِ ... صَدُوقُ ٱلْبَرْقِ ثَقَّابُ ٱلشِّهَابِ
مَدِيدُ ٱلظِّلِّ مَعْقُودُ ٱلْأَوَاخِي[3] ... عَلَى ٱلْجَانِينَ مَضْرُوبُ ٱلْقِبَابِ
فَكَيْفَ حُجِبْتُ عَنْكَ وَأَنْتَ شَمْسٌ
تَجِلُّ عَنِ ٱلتَّسَتُّرِ بِٱلْحِجَابِ
أَيُرْتَجُ[4] بَابُ عَفْوِكَ دُونَ ذَنْبِي ... وَعَفْوُكَ لَمْ يُصَنْ بِرِتَاجِ بَابِ

(١) السحاب المعترض في الافق (٢) الظبي الخالص البياض (٣) جمع آخيّة وهي الطنب (٤) أيغلق

وَإِعراضُ ٱلوزيرِ أَشَدُّ مَساً عَلى ٱلأَحرارِ مِن ضَربِ ٱلرِّقابِ
ثَنى غَربي[1] وَفَلَّ شَبا[2] شَبابي وَصَبَّ عَلَيَّ أَسواطَ ٱلعَذاب
وَلَم تُبقِ ٱللَّيالي فِيَّ بُقيا لِعَتبٍ مِنكَ فَضلاً عَن عِقابي
حَصَلتُ وَكُنتُ ضَيفَكَ في ٱلثُّريّا
وَصِرتُ وَلَستُ ضَيفَكَ في ٱلتُّراب
وَلَو رُعتَ ٱلحُسامَ ٱلعَضبَ سُخطاً
لَذابَ ذُبابُهُ[3] بَينَ ٱلقِرابِ
أُعيذُكَ أَن تُصيخَ إِلى عَدُوِّي وَسَمعُكَ عَن قَبيحِ ٱلقَولِ نابِ[4]
عَلى أَنّي أَتوبُ إِلَيكَ مِمّا كَرِهتَ فَرِقَّ لي وَٱقبَل مَتابي
سَأَلثِمُ مِن تُراكَ ٱلرَّوضَ غَضّاً وَمِن يُمناكَ مُنهَلَّ ٱلسَّحابِ
أُصِبتُ بِخاطِرٍ فَأَتى بِشِعرٍ عَليلٍ مَسَّهُ أَلَمُ ٱلمُصابِ
وَما لي غَيرُ مَدحٍ أَو ثَناءٍ مُشيدٍ[5] أَم دُعاءٍ مُستَجابِ



---

(١) ثنى غربه لوى نشاطه (٢) جمع شاة وهي الحد من كل شيء
(٣) حده (٤) من نأى عن الشيء اذا نفر ولم يقبله (٥) من اشاد بذكره اذا رفعه بالثناء عليه واعلنه

الباب العاشر

في الشوق والفراق

قال بهاء الدين زهير

تَرى هَل عَلِمتُمْ ما لَقيتُ مِنَ ٱلبُعْدِ   لَقَدْ جَلَّ ما أُخفيهِ عَنكُمْ وَما أُبدِي
فِراقٌ وَوَجدٌ وٱشتِياقٌ وَلَوعَةٌ   تَعدَّدَتِ ٱلبَلْوَى عَلى واحِدٍ فَرْدِ
رَعى ٱللهُ أَيّاماً تَقَضَّتْ بِقُرْبِكُمْ   كَأَنِّي بِها قَدْ كُنتُ في جَنَّةِ ٱلخُلْدِ
حَبُونِي ٱمْرءًا قَدْ كُنتُ بِٱلبَينِ جاهِلًا   أَما كانَ فيكُمْ مَنْ هَدانِي إِلى ٱلرُّشْدِ
وَكُنتُ لَكُمْ عَبْداً وَلِلعَبْدِ حُرْمَةٌ   فَما بالُكُمْ ضَيَّعتُمُ حُرْمَةَ ٱلعَبْدِ
وَما بالُ كُتْبي لا يُرَدُّ جَوابُها   فَهَلْ أُكْرِمَتْ أَنْ لا تُقابَلَ بِٱلرَّدِّ
فَأَيْنَ حَلاواتُ ٱلرَّسائِلِ بَيْنَنا   وَأَيْنَ أَماراتُ ٱلمَحَبَّةِ وَٱلوُدِّ
وَما لِيَ ذَنْبٌ يَستَحِقُّ عُقُوبَةً   وَيا لَيْتَها كانَتْ بِشَيءٍ سِوى ٱلصَّدِّ
وَيا لَيتَ عِنْدِي كُلَّ يَوْمٍ رَسُولَكُمْ   فَأُسكِنَهُ عَيْنِي وَأُفرِشَهُ خَدِّي
وَإِنِّي لَأَرْعاكُمْ عَلى كُلِّ حالَةٍ   وَحَقِّكُمُ أَنتُمْ أَعَزُّ ٱلوَرى عِنْدِي
عَلَيكُمْ سَلامُ ٱللهِ وَٱلبُعْدُ بَيْنَنا   وَبِٱلرَّغْمِ مِنِّي أَنْ أُسَلِّمَ مِنْ بُعْدِ

واصفي الدين الحلي من قصيدة كتب بها الى محمود بن يحيى .

أَخِلَّايَ بِٱلْفَيْحَاء إِنْ طَالَ بُعْدُكُمْ
فَأَنْتُمْ إِلى قَلْبِي كَسُحْرِيَ[1] مِنْ نَحْرِي
وَإِنْ يَخْلُ مِنْ تَكْرَارِ ذِكْرِي حَدِيثُكُمْ
فَلَمْ يَخْلُ يَوْماً مِنْ مَدِيحِكُمْ شِعْرِي
أُطَالِبُ نَفْسِي بِٱلتَّصَبُّرِ عَنْكُمُ وَأَوَّلُ ما أَفْقَدتُ بَعْدَكُمُ صَبْرِي
وَرُبَّ نَسِيمٍ مَرَّ لِي مِنْ دِيارِكُمْ فَفَاحَ لَنا مِنْ طِيبِهِ طَيِّبُ ٱلنَّشْرِ
وَأَذْكَرَنِي عَهْدًا وَمَا كُنْتُ نَاسِياً وَلٰكِنَّهُ تَجْدِيدُ ذِكْرٍ عَلى ذِكْرِ
فَيا أَيُّهَا ٱلشَّيْخُ ٱلَّذِي عِقْدُ حُبِّهِ
تَنَزَّلَ مِنِّي مَنْزِلَ ٱلرُّوحِ مِنْ صَدْرِي
تُجاذِبُنِي ٱلْأَشْواقُ نَحْوَ دِيارِكُمْ
وَأَحْذَرُ مِنْ كَيْدِ ٱلْعَدُوِّ ٱلَّذِي يَدْرِي
مَخَافَةَ مَذَاقِ ٱللِّسَانِ يُسِرُّ لِي
ضُرُوبَ ٱلرَّدَى بَيْنَ ٱلْبَشَاشَةِ وَٱلْبِشْرِ
وَيَنْثُرُ لِي حَبَّ ٱلْوَفاء تَمَلُّقاً وَيَنْصِبُ لِي مِنْ تَحْتِهِ شَرَكَ ٱلْغَدْرِ
وَما أَنَا مَنْ يُلْقِي إِلى ٱلْحَتْفِ نَفْسَهُ
وَيَجْهَدُ فِي ٱسْتِخْلاصِها مِنْهُ بِٱلْقَسْرِ

(١) السحر القلب والرئة

وَلٰكِنَّ لي في مارِدِينَ مَعاشِرًا
شَدَدتُ بِهِمْ لَمَّا حَلَلْتُ بِها أزري[١]
مُلُوكٌ إذا أَلْقَى ٱلزَّمانُ حِبالَهُ جَعَلْتُهُمُ في كُلِّ نائِبَةٍ ذُخري
وَما أَحْدَثَتْ أَيدي ٱلزَّمانِ إساءَةً وَوافَيْتُهُمْ إلّا ٱنْتَقَمْتُ مِنَ الدَّهرِ
إذا جِئْتُهُمْ مُسْتَصْرِخاً حَقَنُوا دَمي
وَإنْ جِئْتُهُمْ مُسْتَجْدِياً[٢] وَفَّرُوا وَفْرِي[٣]
وَرَوَّوْا بِماءِ ٱلجُودِ غَرْسَ أَبيهِمِ فَأَيْنَعَ في أَغْصانِهِ ثَمَرُ ٱلشُّكْرِ
وَقَلَّدَني ٱلسُّلْطانُ مِنْهُ بِأَنْعُمٍ أَخَفُّ بِها نَهْضي وَإنْ أَثْقَلَتْ ظَهْري
هُوَ ٱلصّالِحُ ٱلمَلْكُ ٱلَّذي صَلُحَتْ بِهِ
أُمورُ ٱلوَرَى وَٱسْتَبْدَلَ ٱلعُسْرَ بِٱلْيُسْرِ
حَطَطْتُ رِحالي في رَبِيعِ رُبُوعِهِ وَلَوْلاهُ لَمْ أَثْنِ ٱلأَعِنَّةَ عَنْ مِصْري
وَبُدِّلْتُ مِنْ دُهْمِ ٱللَّيالي وَغُبْرِها لَدَيْهِ بِأَيّامٍ مُحَجَّلَةٍ غُرِّ
وَنَحْنُ نُوَفّي ٱلعَيْشَ بِٱللَّهْوِ حَقَّهُ
وَنَسْرِقُ ساعاتِ ٱلسُّرُورِ مِنَ ٱلعُمْرِ
وَقَدْ عَمَّنا فَصْلُ ٱلرَّبِيعِ بِفَضْلِهِ فَبادَرَنا بِٱلوَرْدِ في أَوَّلِ ٱلقَطْرِ
فَيا أَيُّها ٱلمَوْلَى ٱلَّذي وَصْفُ فَضْلِهِ يَجِلُّ عَنِ ٱلتَّعْدادِ وَٱلحَدِّ وَٱلحَصْرِ
أُبِثُّكَ بِٱلأَشْعارِ فَرْطَ تَشَوُّقي وَلا أَتَعاطَى حَصْرَ وَصْفِكَ بِٱلشِّعْرِ

---

(١) ظهري (٢) مستعطياً (٣) غناى

وقال محمود باشا سامي البارودي
يتشوق الى وطنه

قَدْ كانَ أَبقَى ٱلْهَوَى مِنْ مُهْجَتِي رَمَقاً
حَتَّى جَرَى ٱلْبَيْنُ فَٱسْتَوْلَى عَلَى ٱلباقِي
حُزْنٌ بَرَانِي وَأَشْوَاقٌ رَعَتْ كَبِدِي
يا وَيْحَ نَفْسِيَ مِنْ حُزْنٍ وَأَشْوَاقِ
أُكَلِّفُ ٱلنَّفْسَ صَبْرًا وَهْيَ جازِعَةٌ وَٱلصَّبْرُ في ٱلْحُبِّ أَعْيا كُلَّ مُشْتَاقِ
أَبِيتُ أَرْعَى نُجُومَ ٱللَّيْلِ مُرْتَفِقاً[1]
في قُنَّةٍ عَزَّ مَرْقاهَا عَلَى ٱلرَّاقِي
يا رَوْضَةَ ٱلنِّيلِ لا مَسَّتْكِ بائِقَةٌ وَلا عَدَتْكِ سَماءٌ ذاتُ إِغْدَاقِ[2]
وَلا بَرِحَتْ مِنَ ٱلْأَوْرَاقِ في حُلَلٍ مِنْ سُنْدُسٍ عَبْقَرِيِّ ٱلْوَشْيِ بَرَّاقِ
يا حَبَّذَا نَسَمٌ مِنْ جَوِّها عَبِقٌ يَسْرِي عَلَى جَدْوَلٍ بِٱلْماءِ دَفَّاقِ
وَكَيْفَ أَنْسَى دِيارًا قَدْ تَرَكْتُ بِها أَهْلًا كِراماً لَهُمْ وُدِّي وَإِشْفاقِي
إِذَا تَذَكَّرْتُ أَيَّاماً بِها سَلَفَتْ تَحَدَّرَتْ بِغُرُوبِ ٱلدَّمْعِ آماقِي[3]

---

(١) ارتفق طلب رفيقاً او اتكأ على مرفق يده وهو موصل الدراع في العضد (٢) البائقة الداهية . وعداه تركه وجاوزه . واغدق المطر كثر قطره (٣) الغروب جمع غرب وهو مسيل الدمع . وآماق جمع موق وهو طرف العين مما يلي الانف

فَيا بَرِيدَ ٱلصَّبا بَلِّغْ ذَوِي رَحِمِي   أَنِّي مُقِيمٌ عَلى عَهْدِي وَمِيثاقِي

وقال احمد نسيم يشكو ألم الفراق

قالُوا ٱلرَّحِيلُ فَهَلْ بَلَغْتَ مَراما   وَدَنا ٱلْفِراقُ فَهَلْ شَفَيْتَ أُواما
قِفْ وَقْفَةً فِي ٱلْحَيِّ يُقْرِئْكَ ٱلْهَوى   قَبْلَ ٱلْوَداعِ تَحِيَّةً وَسَلاما[1]
بِٱللهِ لا تَنْسَ ٱلرُّبُوعَ وَأَهْلَها   وَٱذْكُرْ هُناكَ مَحَبَّةً وَغَراما
يَقْفُو[2] ٱلْمَشُوقُ إِذا تَباعَدَتِ ٱلنَّوى   وَيَكادُ مِنْ لَهَفٍ يَذُوبُ هُياما
حَتَّى إِذا ذَكَرَ ٱلَّذِينَ تَرَحَّلُوا   قَعَدَ ٱلْهَوى بَيْنَ ٱلضُّلُوعِ وَقاما
ما زالَ يَحْسِبُ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَهُمْ   دَهْرًا يَمُرُّ وَكُلَّ يَوْمٍ عاما
يَشْتاقُ عَهْدَ ٱلظَّاعِنِينَ وَقَوْلُهُمْ   يا لَيْتَ عَهْدَ ٱلْقُرْبِ طالَ وَداما
أَوَكُلَّما بَثَّ ٱلْهَوى أَحْكامَهُ   رَفَضَ ٱلْفُؤادُ ٱلنَّقْضَ وَٱلْإِبْراما
عَوِّدْ جُفُونَكَ أَنْ تَنامَ فَرُبَّما   إِنْ نِمْتَ زارَكَ طَيْفُهُمْ إِلْماما
لا تَمْنَعُونِي فِي ٱلْمَنازِلِ وَقْفَةً   تَشْفِي عُضالًا فِي ٱلْفُؤادِ عُقاما[3]
حَتَّامَ يا قَلْبِي تُرَوِّعُكَ ٱلنَّوى   وَإِلامَ يَفْجَعُكَ ٱلْفِراقُ إِلاما
دارَتْ عَلَيْكَ يَدُ ٱلنَّوى بِكُؤُوسِها   فَسَقَتْكَ صَرْفَ ٱلْبَيْنِ جاماً جاما[4]
أَلَمٌ بِلا داءٍ يَهِيجُ لَواعِجاً   وَجَوًى بِلا نارٍ يُثِيرُ ضِراما

---

(١) اقرأه السلام بلغه اياه (٢) يذهب في اثر التي (٣) الداء العضال الشديد المعي. والعقام الذي لا يبرأ (٤) الجام اناء من فضة او زجاج

وداع دمشق

من قصيدة لحليم دموس

سَلامٌ عَلَيْكِ رُبوعَ ٱلشَّآمِ   وَجادَ رِياضَكِ صَوْبُ ٱلْمَطَرْ
هَجَرْنا سَماءَكِ لا عَنْ قِلىً   وَلٰكِنْ خُضوعاً لِحُكْمِ ٱلْقَدَرْ
تَمُرُّ ٱللَّيالي مُرُورَ ٱلْخَيالِ   وَتَمْضِي ٱلْجُسُومُ وَتَبْقَى ٱلصُّوَرْ
تَبَدَّدَ شَمْلُ ٱلْأَحِبَّةِ فِيكِ   كَعِقْدٍ تَنَظَّمَ ثُمَّ ٱنْتَثَرْ
بَناتِ ٱلْخَيالِ أَعِيدي إِلَيَّ   زَمانَ دِمَشْقٍ وَعَهْداً عَبَرْ
أَعِيدي إِلَيَّ حَدِيثَ ٱلرِّفاقِ   وَرُدِّي عَلَيَّ لَيالي ٱلسَّمَرْ
وَجَدْتُ فِراقَ ٱلْأَحِبَّةِ صَعْباً   وَعِنْدَ ٱلْمُحِبِّينَ كُلُّ ٱلْخَبَرْ
مَكانَكَ يا بَدْرُ في جِلَّقٍ[1]   تَأَمَّلْ جَمالاً هُناكَ سَحَرْ
تَكَحَّلَ طَرْفي بِهِ حِقْبَةً   وَلَمْ يَبْقَ لي مِنْهُ غَيْرُ ٱلذِّكَرْ

...

وَداعاً دِمَشْقُ إِلى أَنْ أَراكِ   فَيا ما أُحَيْلى وَيا ما أَمَرّ
غَذَوْتُ صِغارِي بِحُبِّ بَنِيكِ   وَأَصْدَقُ حُبِّ ٱلْفَتى في ٱلصِّغَرْ
لَقَدْ خَلَعَ ٱلْحُسْنُ جِلْبابَهُ[2]   عَلَيْكِ فَأَنْتِ نَعِيمُ ٱلْبَشَرْ
فَمِنْ لُطْفِ أَهْلِيكِ لُطْفُ ٱلنَّسِيمِ   وَمِنْ عَرْفِهِمْ نَفَحاتُ ٱلزَّهَرْ
وَإِنّي لَأَذْكُرُ زَهْرَ رُباكِ   وَزُهْرَ سَماكِ وَضَوْءَ ٱلْقَمَرْ

---

(١) دمشق (٢) قميصه

وَلَسْتُ بِناسٍ جَلالَ ٱلْعَشِيِّ وَلَسْتُ بِناسٍ جَمالَ ٱلسَّحَرْ
وَلَوْلا ٱرْتِيادِيَ أَرْضَ ٱلْجُدُودِ لَعَــزَّ عَلَيَّ ٱلسُّرَى وَٱلسَّفَرْ (١)
فَلُبْنانُ مِثْلُــكِ مَهْبِطُ شِعْرِي وَمُوحَى ٱلْبَيانِ وَمَجْلَى ٱلْفِكَرْ
ذَكَرْتُ رَبِيعَكِ فِي ٱلْغُوطَتَيْنِ (٢) وَنَهْرَكِ يَنْسَابُ بَيْنَ ٱلشَّجَرْ
وَأَنْتِ كَحَسْناءَ تاهَتْ جَمالًا وَماسَتْ دَلالًا بِأَسْنَى ٱلْحِبَرْ (٣)
وَما كُلُّ رَوْضٍ كَتِلْكَ ٱلْجِنانِ وَلا كُلُّ شِعْرٍ هوَ ٱلْمُبْتَكَرْ
فَكَمْ مِنْ مَبانٍ وَما مِنْ مَعانٍ وَكَمْ مِنْ جِنانٍ وَما مِنْ ثَمَرْ

• • •

دِمَشْقُ أُحِبُّكِ حُبَّ ٱلشَّبابِ فَفِيكِ جَمالُ ٱلْخُلودِ ٱزْدَهَرْ
فَكَمْ مِنْ قُصُورٍ خَوالِي عُصُورٍ وَكَمْ مِنْ رُسُومٍ وَكَمْ مِنْ أَثَرْ
وَكَمْ مِنْ رُمُوسِ مُلوكٍ عِظامٍ وَكَمْ مِنْ عِظامٍ بِتِلْكَ ٱلْحُفَرْ
هُنالِكَ ساحٌ (٤) لِأَهْلِ ٱلنُّهَى هُنالِكَ مَزارٌ هُنــالِكَ مَقَرْ
هُنا بَيْتُ مَجْدٍ سَما وَٱنْطَوَى هُنا ظِلُّ مُلْكٍ تَبَدَّى (٥) وَمَرْ
هُنالِكَ صَرْحٌ رَفِيــعٌ هَوى هُنالِــكَ فَنٌّ عَفا وَٱنْدَثَرْ
وَآثارُ عِلْــمٍ طَوَاها ٱلْبِلَى وَآثارُ عِزٍّ مَحَتْها ٱلْغِــيَرْ (٦)

---

(١) ارتاد المحل طلبه والسرى السير عامة الليل (٢) الغوطة موضع بالشام كثير الماء والشجر يعد من الجنان (٣) جمع حبرة وهي ضرب من برود اليمن (٤) جمع ساحة (٥) تبدى الرجل اقام بالبادية ولا يأتي بمعنى ظهر
(٦) غير الدهر احداثه المغيرة

وَمَسْجِدُكَ ٱلأَمَوِيُّ ٱلرَّحِيبُ ... تُشِعُّ جَوانِبُهُ (١) بِٱلسُّوَرْ
وَقَيْسُونُ ضافي جَلالِ ٱلْحَدِيثِ ... جَدِيدُ ٱلْبِناءِ قَدِيمُ ٱلسِّيَرْ
وتلكَ ٱلْمآذِنُ شُمٌّ طِوالٌ ... تَرُدُّ ٱلْبَصِيرَ كَلِيلَ ٱلْبَصَرْ
بَدائِعُ تَطْوِي ٱلزَّمانَ وَتَبْدُو ... خَوالِدَ مَمْلُوءَةً بِٱلْعِبَرْ

...

دِمَشْقُ مَقامُكِ في ٱلشَّرْقِ عالٍ ... وَعَنْكِ نِقابُ ٱلْجُمُودِ ٱنْحَسَرْ
فَهٰذا نَسِيمُ ٱلْحَياةِ سَرَى ... وَهٰذا ضِياءُ ٱلْحَياةِ ٱنْتَشَرْ
وَأَنْتِ مَنارَةُ نَشْءٍ جَدِيدٍ ... يَحِنُّ لِمَطْلَعِ فَجْرٍ أَغَرّْ
أَرَى في صُفُوفِكِ شِبْهَ ٱلْخِلافِ ... وَإِنَّ ٱلْخِلافَ لإِحْدَى ٱلْكِبَرْ
وَإِنَّ ٱلْخِلافَ كَطَامِي ٱلسُّيُولِ ... وَإِنَّ ٱلْخِلافَ كَبَعْضِ ٱلشَّرَرْ
يَكُونُ صَغِيراً فَيَغْدُو كَبِيراً ... وَيُنْئِي ٱلسَّلامَ وَيُدْنِي ٱلْخَطَرْ
فَزِيدِي ٱتِّحاداً تَزِيدِي ٱشْتِداداً ... وَيَظْفِرْ بَنُوكِ بِأَقْصَى ٱلْوَطَرْ
وَصُونِي بِرَبِّكِ أُمَّ اللُّغاتِ ... فَأُمُّ ٱللُّغاتِ ضَمانُ ٱلظَّفَرْ



---

(١) تنشر شعاعها

الباب الحادي عشر

في اللغة



— مقتطف من نجعة الرائد وشرعة الوارد —

« للمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي »



﴿ في الخَلق ﴾

يُقالُ : صاغَ ٱللهُ فُلاناً صِيغَةً حَسَنَةً. وَخلَقَهُ خلقاً سَوِيًّا . وَأَفرَغَهُ في قالَبِ ٱلكَمالِ . وَخلَقَهُ فِي أَحسَنِ تَقوِيمٍ . وَكَوَّنَهُ مِنْ أَجمَلِ ٱلنَّاسِ صُورَةً وَأَكمَلِهِم خِلقَةً . وَآنَقِهِمْ شَكْلًا . وَأَلطَفِهِمْ نَشأَةً . وَأَعدَلِهِمْ تَكْوِيناً . وَأَكْرَمِهِمْ طِينَةً . وَأَسلَمِهِمْ فِطْرَةً . وَأَشَدِّهِم بِنيَةً . وَأَقوَاهُم جِبلَّةً

وَتَقُولُ: طُبِعَ فُلَانٌ على ٱلكَرَمِ . وَجُبِلَ عَلَى ٱلأَرْيَحِيَّةِ . وَطُوِيَ على ٱلشَّرِّ . وَبُنِيَ عَلَى ٱلحِرْصِ

﴿ في حُسن المنظر وقبحهِ ﴾

يُقالُ : فُلَانٌ جَمِيلُ ٱلخَلقِ . وَضِيءُ ٱلطَّلعَةِ . صَبِيحُ ٱلوَجهِ . أَغَرُّ ٱلطَّلعَةِ وَضَّاحُ ٱلمُحَيَّا . حَسَنُ ٱلمَلَامِحِ . مُفرِطُ ٱلجَمالِ . سَوِيُّ ٱلخَلقِ . أَهيَفُ ٱلقَدِّ . مُعتَدِلُ ٱلأَعضَاء . حَسَنُ ٱلتَّقطِيعِ

وَقَدْ وُسِمَ بِمِيسَمِ ٱلحُسنِ . وَتَرَقرَقَ فِي وَجهِهِ مَاءُ ٱلجَمالِ . وَلَاحَتْ عَلَيهِ دِيبَاجَةُ ٱلحُسنِ

وَإِنَّهُ ذُو حُسْنٍ بَارِعٍ . وَجَمَالٍ رَائِعٍ . وَرَوْنَقٍ مُعْجِبٍ . وَبَهَاءٍ مُونِقٍ .
وَيُقَالُ فِي ضِدِّ ذٰلِكَ : هُوَ دَمِيمُ ٱلْخِلْقَةِ . كَرِيهُ ٱلطَّلْعَةِ . سَيِّئُ ٱلْمَنْظَرِ
قَبِيحُ ٱلْمَلَامِحِ . وَإِنَّهُ لَتَنْبُو عَنْ مَنْظَرِهِ ٱلْأَحْدَاقُ . وَتُغَضُّ عَنْ مَرْآتِهِ
ٱلْجُفُونُ وَتَقْذَى بِهِ ٱلنَّوَاظِرُ

﴿ في الاطوار والاسنان ﴾

تَقُولُ : قَدْ كَانَ ذٰلِكَ فِي صِبَاهُ . وَفِي صَدْرِ أَيَّامِهِ . وَأَوَّلِ نَشْأَتِهِ .
وَحَدَاثَةِ سِنِّهِ .

وَتَقُولُ : تَرَعْرَعَ ٱلصَّبِيُّ . وَنَاهَزَ ٱلْإِدْرَاكَ . وَجَاوَزَ حَدَّ ٱلصِّغَرِ . وَبَلَغَ
سِنَّ ٱلرُّشْدِ . وَقَدْ بَلَغَ أَشُدَّهُ

وَتَقُولُ : فُلَانٌ فِي شَرْخِ شَبِيبَتِهِ . وَمُقْتَبَلِ ٱلشَّبَابِ وَعُنْفُوَانِهِ وَرَيْعَانِهِ
وَنَضَارَتِهِ . وَهُوَ فِي رَبِيعِ ٱلْعُمْرِ وَمَرَحِ ٱلشَّبَابِ

وَإِنَّهُ لَيَخْتَالُ فِي بُرْدِ ٱلشَّبَابِ . وَيَخْطِرُ فِي مَطَارِفِ ٱلشَّبَابِ . وَيَمِيسُ
فِي رِدَاءِ ٱلشَّبَابِ . وَقَدْ تَرَقْرَقَ فِي عِطْفَيْهِ مَاءُ ٱلشَّبَابِ

وَتَقُولُ : قَدْ كَبِرَ ٱلرَّجُلُ وَأَسَنَّ . وَعَلَتْهُ كَبْرَةٌ . وَمَسَّهُ ٱلْكِبَرُ . وَطَعَنَ
فِي ٱلسِّنِّ

وَتَقُولُ : قَدْ عُمِّرَ ٱلرَّجُلُ . وَمَدَّ ٱللهُ فِي ٱلْعُمْرِ . وَفَسَحَ ٱللهُ فِي مُدَّتِهِ .
وَأَنْسَأَ فِي أَجَلِهِ

وَتَقُولُ : قَدْ تَقَضَّى شَبَابُ ٱلرَّجُلِ وَأَدْبَرَ . وَأَخْلَقَتْ جِدَّتُهُ . وَذَوَى
عُودُهُ . وَٱعْوَجَّتْ قَنَاتُهُ وَتَقَوَّسَتْ . وَٱنْحَنَى صُلْبُهُ . وَنَضَبَ مَعِينُ شَبَابِهِ .
وَرَثَّ بُرْدُ شَبَابِهِ . وَقَدْ بَرَى ٱلدَّهْرُ عَظْمَهُ . وَأَلَانَ عَرِيكَتَهُ . وَقَدْ تَنَاهَتْ

بِهِ ٱلسِّن . وَطَوَى مَرَاحِلَ ٱلشَّبَابِ . وَبَلَغَ سَاحِلَ ٱلْحَيَاةِ

وَقَدْ قَيَّدَهُ ٱلْهَرَمُ . وَخَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ . وَقَدْ عَلَاهُ ٱلْمَشِيبُ وَوَخَطَهُ . وَقَدْ شَابَتْ لِمَّتُهُ . وَقَدْ تَلَفَّعَ بِٱلْمَشِيبِ . وَٱشْتَعَلَ رَأْسُهُ شَيْبًا . وَنَوَّرَ غُصْنُ شَبَابِهِ وَأَقْمَرَ لَيْلُ شَبَابِهِ

﴿ في الحواسّ وافعالها وما يتعلق بها ﴾

تَقُولُ: هٰذَا أَمْرٌ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْحَوَاسُّ . وَلَا تَتَنَاوَلُهُ ٱلْمَشَاعِرُ . وَلَا تَتَعَلَّقُ بِهِ ٱلْمَدَارِكُ . وَلَا يَنَالُهُ ٱلْحِسُّ . وَلَا يَقَعُ تَحْتَ ٱلْحِسِّ . وَلَا تَطَّلِعُ عَلَيْهِ ٱلْحَوَاسُّ . وَلَا يَتَمَثَّلُ لِعَالَمِ ٱلْحِسِّ . وَلَا يَبْرُزُ لِمَشْهَدِ ٱلْحَوَاسِّ . وَقَدْ غَابَ عَنْ مَشْهَدِ ٱلْحِسِّ . وَغَابَ عَنْ مَرْمَى ٱلْمَدَارِكِ

وَتَقُولُ: فُلَانٌ شَدِيدُ ٱلْحِسِّ . لَطِيفُ ٱلْحَوَاسِّ . صَادِقُ ٱلشُّعُورِ . دَقِيقُ ٱلْإِدْرَاكِ

وَتَقُولُ: ضَعُفَ حِسُّهُ . وَتَعَطَّلَتْ حَاسَّتُهُ . وَمَاتَ وَهُوَ صَحِيحُ ٱلْحَوَاسِّ

﴿ في البصر ﴾

تَقُولُ: وَقَعَ عَلَى ٱلشَّيْءِ بَصَرِي . وَأَخَذَتْهُ عَيْنِي . وَقَدْ رَأَيْتُهُ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ . وَشَهِدْتُهُ شُهُودَ عِيَانٍ . وَهُوَ بِمَرْأًى مِنِّي وَمَنْظَرٍ

وَتَقُولُ: سَرَّحْتُ فِيهِ نَظَرِي . وَأَجَلْتُ فِيهِ نَظَرِي . وَأَدَرْتُ فِيهِ نَظَرِي وَقَلَّبْتُ فِيهِ طَرْفِي . وَصَوَّبْتُ فِيهِ طَرْفِي وَصَعَّدْتُهُ . وَحَقَّقْتُ ٱلنَّظَرَ إِلَيْهِ . وَحَدَّقْتُ إِلَيْهِ بِبَصَرِي . وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِمَجَامِعِ عَيْنِي . وَدَقَّقْتُ فِيهِ ٱلنَّظَرَ . وَأَطَلْتُ فِيهِ ٱلنَّظَرَ وَأَنْعَمْتُهُ فِيهِ . وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظَرًا مَلِيًّا . وَتَعَهَّدْتُهُ بِنَظَرِي

وَتَقُولُ: نَكَسَ ٱلرَّجُلُ بَصَرَهُ وَأَطْرَقَهُ وَغَضَّهُ وَأَغْضَاهُ وَكَسَرَهُ وَخَفَضَهُ

وَقَدْ أَغْضَى عَنِ ٱلشَّيْءِ وَغَضَّ طَرْفَهُ عَنْهُ . وَحَوَّلَ بَصَرَهُ وَصَرَفَهُ وَقَصَرَهُ وَكَفَّهُ وَرَدَّهُ . وَأَعْرَضَ عَنْهُ بِطَرْفِهِ . وَمَالَ عَنْهُ بِنَظَرِهِ

وَتَقُولُ: رَجُلٌ حَادُّ ٱلْبَصَرِ . وَحَدِيدُ ٱلطَّرْفِ . وَنَافِذُ ٱلْبَصَرِ . وَهُوَ أَبْصَرُ مِنْ نَسْرٍ وَعُقَابٍ وَغُرَابٍ

وَتَقُولُ : رَجُلٌ كَلِيلُ ٱلْبَصَرِ . وَقَدْ كَلَّ بَصَرُهُ وَأَعْيَا

﴿ في السمع ﴾

تَقُولُ : قَرَعَ ٱلْخَبَرُ سَمْعِي . وَمَرَّ بِسَمْعِي . وَوَقَعَ فِي سَمَاعِي وَبَلَغَ مَسَامِعِي

وَتَقُولُ : سَمِعْتُ لَهُ وَإِلَيْهِ . وَأَصْغَيْتُ لَهُ . وَأَرْعَيْتُهُ سَمْعِي . وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بِسَمْعِي . وَرَفَعْتُ لَهُ حِجَابَ سَمْعِي

وَتَقُولُ: تَسَمَّعَ فُلَانٌ إِلَى حَدِيثِ ٱلْقَوْمِ : وَإِنَّهُ لَيَسْتَرِقُ ٱلسَّمْعَ

وَتَقُولُ: رَجُلٌ حَدِيدُ ٱلسَّمْعِ وَحَادُّهُ . وَهُوَ أَسْمَعُ مِنْ فَرَسٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ خُلْدٍ

وَتَقُولُ : ثَقُلَ سَمْعُهُ . وَفِي سَمْعِهِ وَأُذُنِهِ ثِقَلٌ . وَفِي أُذُنِهِ وَقْرٌ . وَقَدْ وَقِرَتْ أُذُنُهُ وَٱشْتَدَّ صَمَمُهُ

﴿ في الذوق ﴾

تَقُولُ: طَعَامٌ خَبِيثُ ٱلطَّعْمِ وَكَرِيهُهُ وَرَدِيئُهُ . وَإِنَّهُ لَيَنْبُو عَنْهُ ٱلذَّوْقُ. وَتَنْقَبِضُ مِنْهُ ٱلنَّفْسُ . وَلَا يُسِيغُهُ ٱلْحَلْقُ . وَلَا يَسْتَمْرِئُهُ ٱلْجَوْفُ

وَتَقُولُ: طَعَامٌ شَهِيُّ ٱلطَّعْمِ وَلَذِيذُ ٱلْمَطْعَمِ . وَهُوَ أَحْلَى مِنَ ٱلشَّهْدِ. وَأَحْلَى مِنَ ٱلضَّرَبِ

وتقولُ: طَعامٌ أَمَرُّ مِنَ ٱلصَّابِ وَٱلْحَنْظَلِ وَٱلْعَلْقَمِ. وَكَانُ نَقِيعِ ٱلْحَنْظَلِ

في الشم

تَقُولُ: تَنَشَّقْتُ ٱلشَّيْءَ. وَإِنَّهُ لَحَادُّ ٱلرَّائِحَةِ. ذَكِيُّ ٱلعَرْفِ. مِسْكِيُّ ٱلأَرَجِ. عَنْبَرِيُّ ٱلنَّفَسِ. مَبْهَرِيُّ ٱلنَّسِيمِ. طَيِّبُ ٱلنَّكْهَةِ

وَتَقُولُ: أَرَجُ ٱلطِّيبِ وَنَشْرُهُ وَشَذَاهُ وَرَيَّاهُ وَنَفْحَتُهُ وَأَرِيجُهُ

في اللمس

تَقُولُ: شَيْءٌ هَشُّ ٱلمَكْسِرِ. لَدْنُ ٱلمَعْطِفِ لَيِّنُ ٱلمَسِّ. وَفِيهِ لِينٌ وَلُدُونَةٌ وَنُعُومَةٌ وَهَشَاشَةٌ

وَتَقُولُ: عُودٌ خَوَّارٌ. وَغُصْنٌ رَطْبٌ وَرَطِيبٌ وَأَمْلَدُ وَأُمْلُودٌ. وَبَنَانٌ رَخْصٌ. وَوِسَادٌ وَطِيءٌ وَوَثِيرٌ وَدَمِسٌ

وَتَقُولُ: شَيْءٌ صُلْبٌ وَصَلِيبٌ وَمَتِينٌ وَجَاسٍ. وَفِيهِ صَلَابَةٌ وَقَسَاوَةٌ وَشِدَّةٌ وَمَتَانَةٌ

وَيُقَالُ: شَيْءٌ أَمْلَسُ. صَقِيلٌ. وَهْوَ صَقِيلُ ٱلمَتْنِ. سَهْلُ ٱلمَلْمَسِ. وَفِيهِ مَلَاسَةٌ وَنُعُومَةٌ. وَهْوَ أَنْعَمُ مِنَ ٱلدِّيبَاجِ. وَأَصْقَلُ مِنْ صَفْحَةِ ٱلمِرْآةِ. وَهْوَ أَخْشَنُ مِنَ ٱلمِبْرَدِ

وَتَقُولُ: شَيْءٌ أَحَرُّ مِنَ ٱلجَمْرِ وَٱلوَطِيسِ وَٱلرَّمْضَاءِ. وَأَحَرُّ مِنْ فُؤَادِ ٱلثَّاكِلِ. وَهْوَ أَبْرَدُ مِنَ ٱلصَّقِيعِ

وَيُقَالُ: يَوْمٌ قَرٌّ وَقَارِسٌ. وَقَدْ قَرَسَ ٱلبَرْدُ. وَٱقْشَعَرَّ ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱلبَرْدِ وَأَخَذَتْهُ رِعْدَةُ ٱلبَرْدِ وَبَاتَ يُرْعَدُ مِنَ ٱلبَرْدِ وَيَرْتَعِدُ وَيَرْتَعِشُ وَيَرْتَجِفُ وَيَنْتَفِضُ. وَقَرَسَ ٱلبَرْدُ أَصَابِعَهُ إِذَا أَيْبَسَهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ

وَتَقُولُ : فَتَرَ ٱلْحَرُّ وَسَكَنَ وَٱنْكَسَرَ . وَقَدْ سَكَنَتْ فَوْرَتُهُ وَٱنْكَسَرَتْ حِدَّتُهُ وَفَتَرَ أُوَارُهُ

وَتَقُولُ : شَيْءٌ رَطْبٌ وَنَدٍ . وَأَصْبَحَ ٱلرَّوْضُ خَضِلًا بِٱلنَّدَى وَمُكَلَّلًا بِٱلْحَبَابِ . وَقَدْ سَالَ عَلَيْهِ رُضَابُ ٱلنَّدَى

وَيُقَالُ : رَشَحَ ٱلرَّجُلُ إِذَا عَرِقَ . وَتَحَلَّبَ ٱلْعَرَقُ مِنْ جِلْدِهِ . وَإِنَّهُ لَيَنْضَحُ بِٱلْعَرَقِ وَيَتَحَلَّبُ عَرَقًا وَيَتَصَبَّبُ عَرَقًا

وَتَقُولُ : جَفَّ ٱلشَّيْءُ . وَذَهَبَتْ رُطُوبَتُهُ . وَبِهِ جَفَافٌ وَيُبْسٌ وَيُبُوسَةٌ . وَقَدْ نَشَّ ٱلْغَدِيرُ . وَنَضَبَ ٱلْمَاءُ وَغَارَ وَغَاضَ . وَقَدْ غَاضَ ٱلدَّمْعُ . وَرَفَتِ ٱلْعَبْرَةُ

وَتَقُولُ : ذَوَى ٱلْعُودُ وَذَبَلَ . وَأَذْوَاهُ ٱلْحَرُّ وَٱلْعَطَشُ وَأَذْبَلَهُ

في كرم الاخلاق ولؤمها

تَقُولُ : فُلَانٌ نَبِيلُ ٱلنَّفْسِ . حُرُّ ٱلْخِلَالِ . مَحْمُودُ ٱلشَّمَائِلِ . أَرْيَحِيُّ ٱلطِّبَاعِ . شَرِيفُ ٱلْمَسَاعِي . أَغَرُّ ٱلْمَكَارِمِ

وَإِنَّهُ لَمِمَّنْ تُتَوَسَّمُ فِيهِ مَخَايِلُ ٱلْكَرَمِ . وَيُقْرَأُ فِي أَسِرَّتِهِ عُنْوَانُ ٱلْكَرَمِ . وَيَقْطُرُ مِنْ شَمَائِلِهِ مَاءُ ٱلْكَرَمِ . وَيَفُوحُ مِنْ خَلَائِقِهِ عَرْفُ ٱلْكَرَمِ

وَيُقَالُ : خَلَقَهُ ٱللهُ مِنْ طِينَةِ ٱلْكَرَمِ . وَصَاغَهُ مِنْ مَعْدِنِ ٱلْمُرُوءَةِ . وَأَنْبَتَهُ مِنْ أَرُومَةِ ٱلْحُرِّيَّةِ . وَجَمَعَ فِيهِ خِلَالَ ٱلْفُتُوَّةِ . وَهُوَ رَبِيبُ ٱلْكَرَمِ وَخُلَاصَةُ ٱلْحَسَبِ . وَإِنِّي لَمْ أَرَ أَكْرَمَ مِنْهُ أَخْلَاقًا . وَلَا أَنْبَلَ فِطْرَةً . وَلَا أَطْيَبَ عُنْصُرًا . وَلَا أَخْلَصَ جَوْهَرًا . كَأَنَّ أَخْلَاقَهُ سُبِكَتْ مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلْمُصَفَّى

وَتَقُولُ فِي ضِدِّ ذٰلِكَ : هُوَ خَسِيسُ ٱلنَّفْسِ . صَغِيرُ ٱلْهِمَّةِ . سَافِلُ ٱلطَّبْعِ . لَئِيمُ ٱلْحَسَبِ . رَضِيعُ ٱللُّؤْمِ . وَقَدْ تَبَرَّأَتْ مِنْهُ ٱلْمُرُوءَةُ . وَسُدَّتْ عَلَيْهِ طُرُقُ

ٱلـكَرَمِ . وَإِنَّمَا فَعَلَ ذٰلِكَ بِلُؤْمِهِ وَخِسَّتِهِ وَسَفالَتِهِ وَنَذَالَتِهِ وَوَغادَتِهِ . وَقَدْ غُذِيَ ٱللُّؤْمَ فِي ٱللَّبَنِ . وَدَبَّ فِي ٱللُّؤْمِ وَشَبَّ

في الجود والبخل

تَقُولُ : فُلانٌ أَرْيَحِيٌّ جَوَادٌ مِعْطَاءٌ . طَلْقُ ٱلْيَدَيْنِ . سَمْحُ ٱلـكَفَّيْنِ . نَدِيُّ ٱلرَّاحَةِ . رَحْبُ ٱلصَّدْرِ . رَحْبُ ٱلباعِ . بَسِيطُ ٱلكَفِّ . رَحْبُ ٱلذِّراعِ . كَثِيرُ ٱلعُرْفِ . كَثِيرُ ٱلنَّوالِ . جَزْلُ ٱلعَطَاءِ . كَثِيرُ ٱلأَيادِي . غَزِيرُ ٱلفَواضِلِ جَزِيلُ ٱلعَوارِفِ . كَثِيرُ ٱلتَّبَرُّعِ . جَمُّ ٱلمَبَرَّاتِ . جَزِيلُ ٱلصِّلاتِ . سَنِيُّ ٱلمَواهِبِ . فَيَّاضُ ٱللُّهَى . كَرِيمُ ٱلمَهَزَّةِ

وَتَقُولُ : إِنَّهُ لَيَرْتاحُ لِلنَّدَى . وَيَخِفُّ لِلْمَعْرُوفِ . وَيَهْتَزُّ لِلعَطَاءِ . وَقَدْ أَخَذَتْهُ أَرْيَحِيَّةُ ٱلكَرَمِ . وَمَلَكَتْهُ هِزَّةُ ٱلأَرْيَحِيَّةِ . وَما رَأَيْتُ أَسْخَى مِنْهُ يَداً . وَلا أَنْدَى بَناناً . وَلا أَطْوَلَ يَداً بِمَعْرُوفٍ . وَلا أَبْسَطَ كَفّاً بِنائِلٍ

وَتَقُولُ : فُلانٌ وادِي ٱلنَّدَى وَنُجْعَةُ ٱلمَكارِمِ . وَبَحْرُ ٱلنَّوالِ . وَغَيْثُ ٱلمَعْرُوفِ . وَقَدْ بَسَطَ عِنانَ ٱلمَكارِمِ

وَإِنَّهُ لَمِنْ قَوْمٍ سَنُّوا لِلنَّاسِ ٱلـكَرَمَ وَفَجَّرُوا يَنابِيعَ ٱلنَّدَى . وَإِلَيْهِمْ تَنْتَهِي ٱلسَّماحَةُ . وَبِهِمْ يُقْتَدَى فِي ٱلبَذْلِ

وَيُقالُ فِي ضِدِّ ذٰلِكَ : إِنَّـهُ لَئِيمُ ٱلمَهَزَّةِ . جامِدُ ٱلـكَفِّ . ضَيِّقُ ٱلصَّدْرِ . لا يُثْمِرُ شَجَرُهُ . وَلا تَنْدَى صَفاتُهُ . وَلا يَهْتَزُّ لِمَعْرُوفٍ . وَلا يَنْقَعُ غُلَّةَ ظَمْآنٍ

في الشجاعة والجُبن

يُقالُ : فُلانٌ ثَبْتُ ٱلْجَنانِ . جَرِيءُ ٱلصَّدْرِ . رابِطُ ٱلْجَأْشِ قَوِيُّهُ . صادِقُ

ٱلبَأسِ . وَهُوَ مِنْ ذَوِي ٱلبَسالَةِ وَٱلشِدَّةِ وَٱلبَأسِ وَٱلإِقدامِ وَٱلحَماسَةِ وَٱلجُرأَةِ وَٱلصَّرامَةِ وَٱلنَّجدَةِ

وَهُوَ مِغوارٌ فَتَّاكٌ. وَهُوَ ٱبْنُ كَرِيهَةٍ وَخَوَّاضُ غَمَراتٍ. وَهُوَ لَيثُ عَرِينَةٍ وَهُوَ مِنْ أُسودِ ٱلشَّرَى . وَبَنُو فُلانٍ أُسودُ ٱلوَقائِعِ وَحُماةُ ٱلحَقائِقِ وَسُقاةُ ٱلحُتُوفِ وَأُباةُ ٱلذُّلِّ

وَتَقُولُ فِي خِلافِ ذٰلِكَ: هُوَ فَشِلٌ هَيَّابٌ رِعْدِيدٌ خَوَّارٌ، وَإِنَّهُ لَمَنْخُوبُ ٱلقَلبِ. مَخْلُوعُ ٱلفُؤَادِ واهِي ٱلجَأشِ

وَتَقُولُ : قَدْ وَرَدَ عَلَيهِ مِنَ ٱلهَولِ ما خَلَعَ قَلبَهُ . وَهَزَمَ فُؤَادَهُ . وَزَلزَلَ أَقدامَهُ . وَكَسَرَ بَأسَهُ . وَفَلَّ غَرْبَهُ . وَثَلَمَ حَدَّهُ . وَفَتَّ فِي ساعِدِهِ . وَأَوهَنَ ساعِدَهُ

وَتَقُولُ : قَدْ جَرَّأْتُـهُ . وَشَحَذتُ عَزْمَهُ . وَأَرْهَفتُ بَأْسَهُ . وَقَوَّيتُ جَأْشَهُ .

في الأَنفة والاستكانة

تَقُولُ : فُلانٌ أَنُوفٌ حَمِيٌّ . شَرِيفُ ٱلطَّبعِ . عالي ٱلهِمَّةِ . أَشَمُّ ٱلأَنفِ أَبِيُّ ٱلضَّيمِ . لا يَعنُو لِقَهرٍ . وَلا يَطمَئِنُّ إِلى عَضاضَةٍ . وَلا يَصبِرُ عَلى خَسفٍ . وَلا يُقِيمُ عَلى مَذَلَّةٍ . وَلا يَلِينُ جَنبُهُ لِحادِثٍ . وَلا يُرِي مِنْ نَفسِهِ ٱلِٱستِكانَةَ وَلا يَلبَسُ مَلابِسَ ٱلهَوانِ . وَهُوَ مِنْ قَومٍ أُباةٍ شُمِّ ٱلأُنُوفِ . شُمِّ ٱلمَعاطِسِ

وَتَقُولُ : أَخَذَتهُ لِذٰلِكَ ٱلأَمرِ حَمِيَّةٌ وَأَنَفَةٌ وَإِباءٌ وَنَخوَةٌ . وَقَدْ ثارَتْ بِهِ ٱلحَمِيَّةُ وَعَصَفَتْ فِي رَأسِهِ ٱلنَخوَةُ . وَمَلَكَتهُ عِزَّةُ ٱلنَّفسِ . وَإِنَّهُ لَيَربَأُ بِنَفسِهِ عَنْ مَواطِنِ ٱلذُّلِّ . وَيَتَجافَى بِها عَنْ مَطارِحِ ٱلهَوانِ . وَيَنزِعُ بِهـا

عَنْ مَواقِفِ ٱلضَّراعَةِ . وَيَصُونُها عَنْ مَعَرَّةِ ٱلِامْتِهانِ . وَهُوَ يَتَرَفَّعُ عَنْ هٰذَا ٱلأَمْرِ وَيَتَنَزَّهُ

وَتَقُولُ فِي خِلافِ ذٰلِكَ : هُوَ مِنْ أَهْلِ ٱلْمَهانَةِ وَٱلذِّلَّةِ وَٱلضَّراعَةِ وَٱلصَّغارِ وَٱلضَّعَةِ وَٱلْهَوانِ وَٱلِابْتِذالِ . وَمِمَّنْ يُسَامُ ٱلذُّلَّ وَيَرْضَى بِٱلْخَسْفِ . وَيَقِرُّ عَلى ٱلضَّيْمِ . وَيُغْضِي عَلى ٱلْقَذَى . وَمِمَّنْ لا يُبالِي بِٱلصَّغارِ . وَلا تُؤْلِمُهُ ٱلْغَضَاضَةُ وَلا يَمُضُّهُ ٱلْهَوانُ . وَلا يَنْبِضُ فِيهِ لِلْحَمِيَّةِ عِرْقٌ . وَلا تَأْخُذُهُ أَنَفَةٌ وَلا عِزَّةُ نَفْسٍ

وَإِنَّهُ دَنِيءُ ٱلطَّبْعِ صَغِيرُ ٱلْهِمَّةِ مَهِينُ ٱلنَّفْسِ ضارِعُ ٱلْخَدِّ . وَقَدْ ذَلَّ وَصَغُرَ وَتَصَاغَرَ وَتَحَاقَرَ وَتَضَاءَلَ وَضَرَعَ وَٱسْتَكانَ . وَٱسْتَسْلَمَ لِلِامْتِهانِ وَٱسْتَنامَ لِلضَّعَةِ . وَتَطَأْمَنَ لِلصَّغارِ . وَأَلِفَ مَضَاجِعَ ٱلذِّلَّةِ . وَضُرِبَتْ عَلَيْهِ ٱلذِّلَّةُ . وَحُمِلَ عَلى ٱلْخَسْفِ

في الكِبْر والتواضع

يُقالُ: زُهِيَ ٱلرَّجُلُ . وَزَهاهُ ٱلْكِبْرُ . وَذَهَبَ بِهِ ٱلتِّيهُ . وَذَهَبَ بِنَفْسِهِ مَذْهَبَ ٱلْكِبْرِ وَٱلْخُيَلاءِ . وَأَقْبَلَ يَخْتالُ تِيهاً وَيَخْطِرُ عُجْباً وَيَمِيسُ ٱخْتِيالاً وَيَتَبَخْتَرُ زَهْواً وَيَجُرُّ أَذْيالَهُ كِبْراً . وَيَسْحَبُ أَذْيالَ ٱلْعُجْبِ . وَقَدِ ٱلْتَحَفَ بِجِلْبابِ ٱلْكِبْرِ

وَتَقُولُ مِنْ بابِ ٱلْكِنايَةِ: صَعَّرَ ٱلرَّجُلُ خَدَّهُ . وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ . وَرَفَعَ رَأْسَهُ كِبْراً . وَثَنَى عِطْفَهُ

وَتَقُولُ : قَدْ تَعَدَّى ٱلرَّجُلُ حَدَّهُ وَجاوَزَ قَدْرَهُ وَعَدا طَوْرَهُ وَٱسْتَطَالَ عُجْباً وَتَرَفَّعَ كِبْراً . وَهُوَ أَزْهَى مِنْ دِيكٍ

وَتَقُولُ في خِلافِ ذٰلِكَ : هُوَ مُتَطَأْمِنُ ٱلْجانِبِ خافِضُ ٱلْجَناحِ . مُتَجافٍ عَنْ مَقاعِدِ ٱلْكِبْرِ . ناءٍ عَنْ مَذاهِبِ ٱلْعُجْبِ . لا يَثْني أَعْطافَهُ ٱلزَّهْوُ . وَلا يَتَهادَى بَيْنَ أَذْيالِ ٱلتِّيهِ

وَتَقُولُ : قَدْ أَقْلَعَ ٱلرَّجُلُ عَنْ كِبْرِهِ وَٱنْخَفَضَ جَناحُ عُجْبِهِ وَأَلْقَى رِداءَ ٱلْكِبْرِ عَنْ مَنْكِبَيْهِ

في سهولة الخُلُق وتوعره

يُقالُ : فُلانٌ سَهْلُ ٱلْأَخْلاقِ . سَلِسُ ٱلطِّباعِ . لَيِّنُ ٱلْعَرِيكَةِ . دَمِثُ ٱلطَّبْعِ . لَيِّنُ ٱلْجانِبِ . رَضِيُّ ٱلْأَخْلاقِ . سَهْلُ ٱلْجانِبِ . سَلِسُ ٱلْقِيادِ

وَإِنَّهُ لَيَأْخُذُ ٱلْأُمورَ بِٱلْمُلايَنَةِ وَٱلْمُياسَرَةِ وَٱلْمُسامَحَةِ . وَإِنَّ أَخْلاقَهُ أَسْلَسُ مِنَ ٱلْماءِ وَأَلْيَنُ مِنْ أَعْطافِ ٱلنَّسِيمِ

وَتَقُولُ في ضِدِّهِ : هُوَ شَرِسٌ عَسِرٌ . سَيِّئُ ٱلْخُلُقِ . ضَيِّقُ ٱلْخُلُقِ . صَعْبُ ٱلْأَخْلاقِ فَظُّ ٱلْأَخْلاقِ . جافي ٱلطَّبْعِ . خَشِنُ ٱلْمِراسِ . صَعْبُ ٱلْعَرِيكَةِ رَيِّضُ ٱلْخُلُقِ . صَعْبُ ٱلْمَقادَةِ . شَدِيدُ ٱلشَّكِيمَةِ . شَدِيدُ ٱلتَّصَلُّبِ . وَهُوَ في مُنْتَهَى ٱلشَّراسَةِ وَٱلشَّكاسَةِ وَٱلْفَظاظَةِ وَٱلْجَفاءِ وَٱلْخُشُونَةِ وَٱلْغِلاظَةِ

وَإِنَّهُ لَيَتَشَدَّدُ في ٱلْأُمورِ وَيَتَصَلَّبُ وَيَتَصَعَّبُ وَيَتَعَقَّدُ وَيَتَعَنَّتُ وَيَتَعَسَّرُ وَيَتَوَعَّرُ .

في الحلم والسفه

يُقالُ : فُلانٌ حَلِيمُ ٱلطَّبْعِ . واسِعُ ٱلْخُلُقِ . رَحْبُ ٱلصَّدْرِ . واسِعُ ٱلْأَناةِ . بَعِيدُ ٱلْأَناةِ . راجِحُ ٱلْحِلْمِ . خافِضُ ٱلْجَناحِ

وَمَعَهُ حِلْمٌ وَوَقارٌ وَسَكِينَةٌ وَرَجاحَةٌ وَرَزانَةٌ وَرَصانَةٌ وَرِفْقٌ وَدَعَةٌ

وَحَصَافَةٌ وَتُؤَدَةٌ وَأَناةٌ

وَتَقُولُ : هُوَ بَعِيدُ غَوْرِ ٱلْحِلْمِ . طَوِيلُ حَبْلِ ٱلْأَنَاةِ . واسِعُ فُسْحَةِ ٱلصَّبْرِ

وَإِنَّـهُ لا يَسْتَفِزُّهُ نَزَقٌ . وَلا يَسْتَخِفُّهُ غَضَبٌ . وَهُـوَ ٱلطَّوْدُ لا تُقَلْقِلُهُ ٱلْعَواصِفُ . وَٱلْبَحْرُ لا تُكَدِّرُهُ ٱلدِّلاءُ

وَتَقُولُ : قَدْ تَغَمَّدَ جَهْلَ فُلانٍ بِحِلْمِهِ . وَتَلَقَّى هَفْوَتَهُ بِطُولِ أَناتِهِ . وَٱحْتَمَلَ جِنايَتَهُ بِسَعَةِ صَدْرِهِ . وَبَسَطَ عَلى إِساءَتِهِ جَناحَ عَفْوِهِ

وَيُقالُ في خِلافِ ذٰلِكَ : إِنَّهُ لَنَزِقُ ٱلطَّبْعِ . قَصِيرُ ٱلْأَناةِ . وَإِنَّ فِيهِ لَسَفَهاً وَنَزَقاً . وَقَدْ خَفَّ حِلْمُهُ وَطاشَ

وَتَقُولُ : هَمَدَ ٱلرَّجُلُ بَعْدَ نَزَقِهِ وَتَحَلَّمَ . وَهَجَعَتْ فَوْرَتُهُ

في الطلاقة والعُبوس

يُقالُ : فُلانٌ طَلِيقُ ٱلْوَجْهِ . طَلْقُ ٱلْمُحَيَّا . بَشُوشُ ٱلطَّلْعَةِ . وَضَّاحُ ٱلْمُحَيَّا باسِمُ ٱلثَّغْرِ . أَنِيسُ ٱلطَّلْعَةِ

وَإِنَّهُ طَيِّبُ ٱلنَّفْسِ . فَكِهُ ٱلْأَخْلاقِ . يَتَأَلَّقُ في جَبِينِهِ ضَوْءُ ٱلْبِشْرِ . وَيَتَرَقْرَقُ في وَجْهِهِ ماءُ ٱلْبِشْرِ . وَيَطْفَحُ وَجْهُهُ بِشْراً

وَتَقُولُ : دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَبَشَّ بي وَهَشَّ بي وَٱنْبَسَطَ إِلَيَّ . وَلَقِيَنِي لِقـاءً جَمِيلًا . وَتَلَقَّانِي بِوَجْهٍ مُنْطَلِقٍ وَمُحَيًّا مُنْبَسِطٍ وَصَدْرٍ رَحْبٍ . وَأَقْبَلَ عَلَيَّ بِبِشْرِهِ وَطَلاقَتِهِ وَهَشاشَتِهِ وَفَكاهَتِهِ وَنَشاطِهِ وَهِزَّتِهِ وَأَرْيَحِيَّتِهِ

وَتَقُولُ : قَدْ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ . وَتَبَلَّجَ جَبِينُهُ . وَأَسْفَرَتْ غُرَّتُهُ . وَأَشْرَقَتْ أَسِرَّتُهُ . وَلَمَعَتْ أَسارِيرُهُ

وَتَقُولُ في ضِدِّهِ : فُلانٌ عَبُوسٌ قَطُوبٌ كَرِيهُ ٱلْوَجْهِ جَهْمُ ٱلْمُحَيَّا

وَتَقُولُ : وَرَدَ عَلَيْهِ خَبَرُ كَذا فَٱنْقَبَضَ وَٱشْمَأَزَّ وَتَكَرَّهَ وَقَطَّبَ وَجْهَهُ . وَقَدْ تَقَلَّصَ بِشْرُهُ . وَغاضَتْ بَشاشَتُهُ . وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فَتَجَهَّمَني . وَطَوَى بِساطَ أُنْسِهِ . وَلَمْ يُعِرْني ٱبْتِسامَةً

في الظَرْف والسماحة

يُقالُ : فُلانٌ ذَكِيُّ ٱلْفُؤَادِ . رَقِيقُ ٱلشَّمائِلِ . لَطِيفُ ٱلرُّوحِ . خَفِيفُ ٱلظِّلِّ . حُلْوُ ٱلْمُعاشَرَةِ . ظَرِيفُ ٱلْمُحاضَرَةِ . عَذْبُ ٱلْأَخْلاقِ . وإِنَّهُ لَيَتَوَقَّدُ ذَكاءً . وَيَكادُ يَذُوبُ ظَرْفاً . وَيَكادُ يَسِيلُ ٱلظَّرْفُ مِنْ أَعْطافِهِ وَيُعْصَرُ مِنْ شَمائِلِهِ . وَيَكادُ يُمازِجُ ٱلْأَرْواحَ لِرِقَّتِهِ . وَتَشْرَبُهُ ٱلنُّفُوسُ لِعُذُوبَةِ مَذاقِهِ

وَتَقُولُ في ضِدِّهِ : هُوَ ثَقِيلُ ٱلرُّوحِ . ثَقِيلُ ٱلوَطْأَةِ كَثِيفُ ٱلظِّلِّ غَلِيظُ ٱلطَّبْعِ . وَإِنَّهُ لَحُمَّى ٱلرُّوحِ وَأَذَى ٱلقَلْبِ وَقَذَى ٱلعَيْنِ . وَهُوَ بَغِيضُ ٱلهَيْئَةِ مَمْقُوتُ ٱلطَّلْعَةِ . وَهُوَ أَثْقَلُ ما يَكُونُ إِذا تَلَطَّفَ وَأَبْغَضُ ما يَكُونُ إِذا تَحَبَّبَ

في الذكاء والبلادة

تَقُولُ : فُلانٌ لَوْذَعِيٌّ . أَلْمَعِيٌّ . أَرْوَعُ . حادُّ ٱلذِّهْنِ وَمُتَوَقِّدُهُ وَصافِيهِ ذَكِيُّ ٱلقَلْبِ . حَدِيدُ ٱلْفُؤَادِ وَٱلْفَهْمِ . سَرِيعُ ٱلفِطْنَةِ وَٱلْإِدْراكِ . يَقِظُ ٱلْفُؤَادِ . مُتَلَهِّبُ ٱلذَّكاءِ

وَتَقُولُ : إِنَّهُ لَآيَةٌ مِنْ آياتِ ٱللهِ في ذَكاءِ ٱلفَهْمِ وَصَفاءِ ٱلنَّفْسِ وَلَطافَةِ ٱلحِسِّ . وَإِنّي لَمْ أَرَ أَسْرَعَ مِنْهُ تَناوُلًا

وَتَقُولُ : فَهِمْتُ هٰذا مِنْ عُنْوانِ كَلامِهِ . وَتَبَيَّنْتُهُ مِنْ فَحْوَى كَلامِهِ . وَأَدْرَكْتُهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ

وَتَقُولُ فِي ضِدِّهِ : هُوَ عَيِيٌّ أَبْلَهُ مُغَفَّلٌ . ضَعِيفُ ٱلْإِدْرَاكِ . بَطِيءُ ٱلْحِسِّ . سَقِيمُ ٱلْفَهْمِ . بَلِيدُ ٱلْفِكْرِ . غَلِيظُ ٱلذِّهْنِ . خامِدُ ٱلْفِطْنَةِ . مُظْلِمُ ٱلْبَصِيرَةِ . أَعْمَى ٱلْبَصِيرَةِ . وَفِيهِ بَلادَةٌ وَغَباوَةٌ

وَإِنَّـهُ لَسَيِّئُ ٱلسَّمْعِ . لا يَتَنَبَّهُ لِلَّحْنِ وَلا يَفْطَنُ لِمَغْزًى . وَلا يَكادُ يَعِي قَوْلًا . وَإِنَّهُ لَتَسْتَعْجِمُ عَلَيْهِ ٱلْمَدارِكُ ٱلظَّاهِرَةُ

في الكَيْس والحمق وذكر الجنون والخرَف

يُقالُ : فُلانٌ أَرِيبٌ لَبِيبٌ كَيِّسٌ نَبِيلٌ حَصِيفٌ . وَهُوَ مِنْ ذَوِي ٱلْأَحْلامِ وَأُولِي ٱلْأَبْصارِ . وَمِنْ ذَوِي ٱلْعُقُولِ ٱلثَّاقِبَةِ وَٱلْأَذْهانِ ٱلصَّافِيَةِ . وَهُوَ يَرْجِعُ إِلى عَقْلٍ أَصِيلٍ وَلُبٍّ رَصِينٍ وَقَلْبٍ واعٍ وَقَلْبٍ عَقُولٍ

وَهُوَ مِنْ أَكْمَلِ ٱلرِّجالِ عَقْلًا وَأَسَدِّهِمْ رَأْيًا . وَهُوَ مِنْ أَكْياسِ قَوْمِهِ وَدُهاتِهِمْ . وَإِنِّي لَمْ أَرَ أَغْزَرَ مِنْهُ عَقْـلًا وَلا أَنْفَذَ بَصِيرَةً وَلا أَوْسَعَ مَعْقُولًا وَلا أَبْعَدَ مَدارِكَ

وَيُقالُ فِي ضِدِّ ذٰلِكَ . هُوَ أَحْمَقُ أَخْرَقُ . سَخِيفُ ٱلْعَقْلِ ضَعِيفُ ٱلتَّمْيِيزِ وَفِيهِ حُمْقٌ وَحَماقَةٌ وَخُرْقٌ وَرَقاعَةٌ وَسَخافَةٌ

وَيُقالُ فِيما فَوْقَ ذٰلِكَ : قَدِ ٱخْتَلَطَ عَقْلُ ٱلرَّجُلِ وَٱخْتَلَّ . وَبِهِ ٱخْتِلاطٌ وَجِنَّةٌ وَخَبْلٌ وَخَبالٌ وَدَخَلٌ

وَتَقولُ : عَراهُ شَيْءٌ مِنْ جُنُونٍ . وَقَدِ ٱعْتَرَتْهُ ٱلْوَساوِسُ . وَقَـدْ أَطْبَقَ عَلَيْهِ ٱلْجُنُونُ . وَثارَ ثائِرُ جُنُونِهِ : وَهَبَّتْ عَواصِفُ جُنُونِهِ

وَتَقولُ . قَدْ أَخْرَفَهُ ٱلْهَرَمُ . وَرَأَيْتُهُ وَقَـدْ طَفِئَتْ شُعْلَةُ ذِهْنِهِ وَفَلَّتْ شَباةُ عَقْلِهِ .

الباب الثاني عشر

في المقالات



آداب الدارس بعد المدارس

خطاب للشيخ ابراهيم اليازجي القاه في اثناء الاحتفال بتوزيع الجوائز على طلبة المدرسة البطريركية في بيروت



أيها السادة :

قد دُعيت للكلام بين ايديكم بما يتنزل منزلة خطاب أصرف به مسامعكم الى غير ما يتلى عليكم من هذه الاسماء المتتابعة والاعلام المتناسقة استدعاء لجمام الخواطر ودفعاً لما ينشأ عن مثل ذلك من ثقل الملل وان كان ولا ريب مما ترتاح اليه نفس كل وطني يرى سباق فتياننا الاذكياء ومباراتهم الى نيل قصب السبق في مضمار الفلاح - غير ان ضيق الوقت واشتراط الايجاز في القول يمنعانني من تخيُّر غرض ذي بال أفيض فيه في هذا الموقف الحافل ولا سيما ونحن في معمعان الفصل وتوقُّد وطيسه مع اعترافي بقلة البضاعة وقصر الباع . ولذلك رأيت ان اوجه كلامي الى الحلقات الاولى من طلبة هذه المدرسة الماثلين في هذا المقام مقام الوداع ليكون بمنزلة درس اخير أُلقيه عليهم في هذه السنة تثبت في محفوظهم آثاره ولا يذهب من نفوسهم تذكاره . والله المسؤول ان يتولاني واياهم بهدايته وتسديده

فانكم ايها التلامذة النجباء بل الاخوان الاحباء قد قضيتم هُهنا الشهور بل الاعوام حتى بلغتم الحدَّ الذي فيه عرفتم من انفسكم معنى تحمُّلكم

مشاقّ الدرس والسهر وحمل طبائعكم على الجهد والنصَب وفطم انفسكم عن ملاهي الحداثــة واعطاء قياد اهوائكم لمن يسوسها دونكم ومهاجرة المنازل التي ألفتموها والاهــل الذين نشأتم بينهم والاخوان الذين جمعتكم واياهم دار المولد وألّفت بينكم وبينهم عشرة الصباء . وما فيكم من يجهل ما في انشاء هذه المدرسة من مهمات التكاليف بين تشييد بنائهــا واعداد مُحلاتها وتوفير الرجال فيها على سياستكم وتهذيبكم والقيام عليكم في دروسكم وغذائكم ومنامكم وسائر احوالكم وما يتجشّم اولياؤكم من النفقات الطائلة والاهتمامات المتواصلة وان ذلك بأجمعه وقف على مصلحتكم وسعي في شؤون آتيكم وتبليغكم الطور الذي تكونون فيه اهــلًا لأَن تقبضوا على أزمة عصركم وتحلوا المحلات الاولى من مجتمعكم وتكون لكم القدم السابقة في نشر المدنية وتعزيز شأن الوطنية والسعي فيما يعود نفعه عليكم وعلى البلاد

فاذا خرجتم من هذه المدرسة وفي ايديكم الاجازات المؤذنة باستكمالكم دروسها فأول مـــا اوصيكم به المثابرة على درس ما تلقيتموه فيها وتعهّد الذاكرة به مخافة ان يسرع اليه النسيان فان آفة العلم كما قيل إهماله . فاجعلوه حديث النفس في خلواتكم وتذاكروه في مجالسكم وروضوا باسراره خواطركم حتى تستحكم ملكته في اذهانكم وترسخ مسائله في مخيَّلاتكم وتمثل صوره في بداهتكم ولا تقنعوا منه بالقدر الذي يُلقَنتموه في حلقات الدرس ولكن استزيدوا ما وصلت اليه ايديكم منه وخذوا انفسكم بادمان البحث والاستقراء لادراك كُنه المسائل والاحاطة باطرافها واستظهار نادّها وغريبها فان المدرسة لا تضمن لأَحد ممن تلقّى علومها ان يخرج منها عالمًا ولا ذلك في غاية شيء من المدارس ولا في طوقه وانما العالم يصير عالمًا في بيته وفي مقام شغله وهو استاذ نفسه على الحقيقة يبلغها الكمال بادمان الجهد وتكرار المطالعة والاشتغال . واست انكر على آحاد منكم بلغوا في التحصيل مبلغاً

عزيزاً وأحصوا من الاصول والقياس حظاً جليلاً. غير اني لااطرئ احداً منهم بانه قد استولى على شيء من غايات العلم ولا تقرّب من حدود الكمال فيه ولكني أبشر الذين بلغوا هذه المنزلة وانتهوا الى آخر درجة من سلّم الدروس بانهم قد صاروا اهلاً لأن يضعوا قدمهم في اول درجة من سلم العلم . ورجائي بما عهدت من ذكاء افئدتهم وثبات عزائمهم انهم سيحصون عن قليل في سواد اهل العلم القائمين برفع مناره والتطريس على آثاره اذا لم تهبّ عليهم ريح الكسل التي تطفئ نور الذكاء وتنسف حصون الثبات ألا وهو الآفة التي أحذركم شرها واسأل لكم العافية منها واذا جاوزتموها لم اخش على عزائمكم ان تكسع بوهن ولا على جهدكم ان ينال بضياع

ولست ازيدكم بياناً ان العالم لا ينفع بعلمه إلا اذا كان راسخ القدم فيه مستبطناً لاسراره ودخائله محيطاً بما تشعّب من فروعه ومسائله ، وذلك مما لا ينال إلا بطول المزاولة وتكرار المراجعة وتفريغ الذهن لما يتوخى حفظه واخلاء الذرع لاحصائه . ولذلك فاني انصح للمستزيد منكم ان لا يتعرض لما لا يعنيه من العلم ولا يتجاوز ما درسه الى غيره قبل ان يستوفي حظه منه ويرسخ في ملكته . وان وجد من نفسه قدرة على التوسع وميلاً الى المزيد فليكن فيما يجانس مأخذه وينضم في سلكه بحيث لا يكون انتقال الذهن بعيداً ولا تتعارض فيه صور العلوم بما يضعف ملكتها فيه وتضيق الحافظة عن احصائه . على ان المرء مفطور على التطالّ مولع بالاطّلاع على ما لم يعلم ولكل علم فائدة تتوفر بها مادة العقل ويتسع مذهب الفكر ويبعد مرمى البصيرة فلا يمتنع على من شاء منكم ان يزين علمه بما يضم اليه من سائر العلوم ويشحذ ذهنه بما يصل اليه اطلاعه من المدارك ولكن ليكن ذلك بحيث لا يصرفه عما هو فنه الحدير بالتوسع فيه وليقتصر فيه على حد المشاركة دون التبحر وقصد الاحاطة لئلا يقصر باعه عن تناول كل واحد من العلوم التي يتوخاها فيخرج متخلفاً في الجميع . وان سمعتم ان فلاناً المنعوت بعلامة

العلماء وفيلسوف العصر قد احاط بمتغرق العلوم واصبح في كل منها اماماً فانما هو تزيين المحال وتلقين الغرور . وهؤلاء مشاهير علماء المتقدمين والمتأخرين لا تكادون تجدون واحداً منهم ممن يشار اليه بالسبق والتبريز الا وهوقداشتهر بجنس من العلوم ولم يكن له في سائر العلوم الأُخر الا مشاركات

واذا ضمكم مجلس ادب وتشمرتم للبحث فيه فلا تتفرغوا للنقدوالتخطئة والتنبيه على هفوات اهل العلم ارادة ان تكاشفوا الناس بمبلغ علمكم وتوهموهم انكم ارفع ممن تخطئونه مقاماً واوسع علماً فان ذلك يبعث النفار منكم في النفوس والاشمئزاز في الصدور وتُلحظون بعين الكراهة من رصفائكم وأغاطكم وتنصبون انفسكم أعراضاً للقارضين وأهدافاً للطاعنين وتغرون الالسنة بالغض من مزيتكم واحسانكم فيكون ذلك سبباً في حط مقامكم ونصب العداوة لكم والوقوف لكم بالمرصاد فيما تتوخونه من المقاصد وتتجهون اليه من الرغائب . وأُحذركم كل التحذير من الطعن على من اشتهر بفضل او مزية واعترف له سواد الناس ولاسيما اهل العلم بالتقدم فانكم ان فعلتم جعلتم انفسكم غرضاً لكل من تشيع له فأكثرتم اعداءكم ومناصبيكم في حين انتم على حدثان امركم احوج الناس الى الاستكثار من الصحابة والاصدقاء والمشايعين في احوال الدنيا والدافعين الى التقدم في مراتب الشهرة والفضل . ولا تحسُبنَّ الناس سواء في معرفة الصواب فان ذوي العلم فيهم نفر معدود والمنصفون من اولئك قليل وفيهم من لا يهمه ان يعرف موضع الحق فلا يتفرغ للبحث في دعواكم وانما يحكمْ بمجرد ما تقرر في علمه او سبق الى وهمه من أفضلية الاشهر فلا تحصلون منها على طائل . واذا كان ذلك حال العلماء وهو الواقع في كثير من الامر فما الظن بغيرهم ممن لا اداة له للحكم ولا موقع عنده للفصل

واذا جالستم اهل العلم ولا سيا ذوي التبريز منهم فليكن مقعدكم منهم مقعد المستفيد واياكم والاعتراض عليهم ولو غلطوا فان في علمهم ما يخرجهم

مما أخذتم عليهم ولا تأمنون ان يرموكم فيما لاتخرجون منه . واذا اعترض عليكم عارف واظهر لكم خطأ بدر منكم فلا تسرعوا الى الاحتجاج والمكابرة أنفة واستكباراً فان ذلك يزري بعلمكم ويرميكم بالجهل ووهن التمييز ثم يكون سبباً في حرمانكم فوائد جمة . واذا دُفعتم الى جدل فتحاموا الصلَف والتحقير واخذ الخصم بالعنف والاستعلاء لاقناعه بالحق فان ذلك مما يضيع الحق ويخفي وجه الصواب ويعود عليكم بالتهمة لان الصلف من سلاح العاجز . واياكم ومساجلة من هو دونكم علماً والاشتغال بمغالطته وجداله ولكن ينبغي ان ترشدوه الى الصواب ارشاد المفيد . فان أبى وكابر فاقلعوا عنه اقلاعاً جميلاً لئلا يشين علمكم ويستدرجكم الى مايستزل اقدامكم فتؤتون من الطريق الذي احذتموه عليه وترجعون عنه بصفقة المغبون

وأحذركم الدعوى فانها آفة الفضل ومحل النكير ولو كانت حقا وقد اعتادت النفوس ان تنفر منها وتبخس صاحبها من حقه حتى لو كانت له عشرة وادّعى عشرة اجتهدوا ان يجعلوا له تسعة فما الظن بمن كان له عشرة وادّعى خمسين . واياكم والتمويه في العمليات والخلط فيما لا تعلمون حذار ان يقوم لكم في المرصاد من يزيف علمكم ويردّ بضاعتكم عليكم فتقعون في النقصان من حيث تطلبون المزيد . ولا تحسبن ان العالم لا يسمى عالماً حتى يحسن الجواب عن كل شيء ولو في العلم الذي تجرد له وقضى عليه ايامه فان العلم لا ينتهي الى حد يقف عنده بل قد تقرر انه من اعظم فضائل العلم ان يبصِر ربه بقصوره ويطلعه على جهله . ومن اغتر بنفسه وظن انه وسع كل شيء علماً فقد دلّ على قلة بضاعته وضعف مداركه . فلا يخجلن العارف منكم اذا سئل عن شيء فلم يحضره ان يقول لا أدري فان قول القائل لا ادري خير من ان يقال له اخطأت . بل قد عُدّ ذلك من جملة مناقب ذي العلم وادلة كماله فيه ، حتى ان السيوطي عقد باباً في كتاب المزهر فيمن سئل من العلماء عن شيء فقال لا ادري ، فذكر عدة من مشاهيرهم وكبرائهم كالاصمعي

وابن دريد والاخفش وابي حاتم وغيرهم من اهل هذه الطبقة . قال : قال ابو عبدالله الزعفراني كنت يوماً بحضرة ابي العباس ثعلب فسُئل عن شيء فقال لا ادري . فقال له بعض من حضر أتقول لا ادري واليك تضرب اكباد الابل واليك الرحلة من كل بلد . فقال لو كان لأُمك بعدد ما لا ادري تمر لاستغنت . قال وسئل الشعبي عن مسئلة فقال لا ادري فقيل له فبأي شيء تأخذ رزق السُّلطان فقال لأقول فيما لا ادري لا ادري . انتهى بمعناه . . . .

ويقرب من ذلك ماحكاه بعض علماء العصر من الفرنسيس قال ان احدى خواتين الاشراف تصدت يوماً لأحد مشاهير العلماء في مجلس حافل فقالت له أمطر يكون بعد الهلال أم صحو . فقال لا ادري . قالت اذن فما علة اتصال الغيث في هذا العام . قال هذا مما لا نعلمه . قالت أتظن ان سكان المشتري يكونون على خلقتنا . قال ايتها السيدة اني لا اعلم شيئاً من ذلك . فقالت ياعجباً فلمَ يتبحر المرء في العلم اذن . فقال حتى يقول احياناً اني لا اعلم شيئاً .

واذا انتدب احدكم للتأليف في علم من العلوم فليتوخَّ الفائدة والنفع دون الشهرة ومكاشفة الناس بما أوتيه من فضل علم او سعة اطلاع لئلا ينصرف همه الى التشاغل بما لا تدعو اليه الفائدة المقصودة من تأليفه ويحشو كلامه بما يفوت طور الدارس من غامض المسائل وغريبها فبينا هو يريد اثبات براعته وطول باعه اذ يطرح المستفيد في لجج لايدرك لها ساحلًا ويصبح كتابه ضرباً من المعاياة . وهذا مما سقط فيه كثير من اكابر العلماء وجلّتهم فأضاعوا فضل علمهم في سبيل امثال هذه السفاسف ورغب الناس عن تآليفهم الى غيرها فطرحت في زوايا المهملات

وسواء ألفتم او حاضرتم فاياكم والتسرع في اثبات الاحكام العلمية خصوصاً مَن رزق ثقة الناس منكم واطمئنانهم الى الاخذ عنه لئلّا يفشوَ الوهم وتفسد الحقائق العلمية . ولا تثبتوا حكماً قبل الوقوف على صحته ومعرفتكم من انفسكم القدرة على ايضَاحه متى سئلتم عنه لئلا تُضطروا

ان تقولوا هكذا نقلنا فتكون منزلتكم منزلة الناسخ الذي ينقل صور الحروف ولا يعلم ما وراءها . واعلموا انكم متى أبحتم لانفسكم نقل ما لا تعلمون ورطكم ذلك في شعاب حرجة وأوردكم موارد وبيلة لما تعلمون من كثرة المتهافتين على التأليف بقصد الشهرة او الكسب فهموا ما ينقلونه أم لم يفهموا . فاذا لم تعتصموا بالبحث في كل مسئلة تتلقونها عن غيركم لم تأمنوا الوقوع فيما يعسر عليكم المخرج منه وكنتم سبباً فى نشر الاوهام وذريعة في افساد العلم ولا سيما ونحن في عصر قلَّ نقّاده فيفشو الغلط من غير نكير وتتلقاه الناس من وجه الثقة فيعمّ الفساد

وكلكم يعلم بما صارت اليه حالة العلم في هذه الاقطار وما نحن فيه من مئات من السنين من التخلُّف والوقوف حالة كون غيرنا من الامم التي رقيت بعدنا في معارج المدنية لم تزل عاكفة على ادمان البحث والتحقيق دائبة في سبيل الكشف والاستنباط الى ان بلغُوا من البسطة في العلم والتبحر في مداركه واستقصاء غاياته ما هو معلوم وزادوا عليه وفرَّعوا منه ما لا يقف عند حد ولا يحيط به احصاء . وكل ذلك مما خلت كتبنا ومدارسنا عنه فضلًا عن ذهاب ما كان في خزائننا من بقايا علوم السلف إلا ما لا غناء به مما لايتعدى آداب اللسان . فنحن اليوم في أمسّ الحاجة الى استرجاع تلك الذخائر ونقل هذه المستحدثات الى لساننا العربي لنلحق باولئك القوم ونستأنف خطواتنا في السبيل الذي تقدمونا فيه . فاذا عمدتم الى شيء من التأليف فليكن فيما دعت اليه الحاجة مما ذكر تذرعاً الى بث مثل هذه العلوم في البلاد لما تعلمون من اننا قد انتهينا الى عصر لا يُجترأ فيه من الحقائق بقواعد النحو والبيان ولا يستغنى من الاختراع بابتكار معاني الغَزل والمديح . وكلكم آخذ بطرف صالح من ألسنة اولئك القوم وعندكم من اصول العلوم الطبيعية والرياضية وغيرها ما يمكّنكم من نقل كثير من الفوائد المحتجَبة وراء ظلال العجمة تردُّونها في قالب عربي وتنشرونها في البلاد فتتوفر بذلك علوم الوطن وتتزين

مكاتب اللغة بما تريدونها من مثل هذه التصانيف المرسومة فيها اسماؤكم بما يضمن لكم الثناء والذكر الباقي على الاحقاب

وليس من غرضي فيما ذكر ان اصرفكم عن الاشتغال بآداب العربية والتوفر على اتقان علومها وإحكام الجري على اسلوبها ولا سيما مع بعثة اللغة في هذا العصر واقبال المتأدبين واهل العلم من كل أوب على اقتباس فنونها واحراز أعلاقها علماً بما لها من المزية التي انفردت بها عن سائر اللغات فضلاً عن ان اتقان اللغة عند كل امة مقدم على جميع العلوم اذ هي القالب الذي تُسبك فيه المعاني والمرآة التي تمثّل فيها صور الخواطر . فما كان ذلك القالب اجمل تكوينا وتلك المرآة اصفى ماء جاءت المعاني ابدع والخواطر اظهر وانصع . ولذلك كان اشتغالكم بها وإحكامكم لعبارتها واسلوبها والتعمّق في معرفة مفرداتها وأحكام مجازها واشتقاقها من أعون الذرائع لكم على بلوغ الغرض من التأليف فيها ونقل العلوم المذكورة اليها لانكم بذلك تستطيعون ان تصوّروا المعاني بصورها وتلبسوها اثوابها الخليقة بها وتستنبطوا لها الالفاظ التي لم يسبق لها وضع في هذه اللغة مما حدث بعد عهد اربابها . وانما الذي ينبغي ان تجتنبوه فيها الإيغال في تقصي مذاهب النحاة واستقراء ما قيل في كل مسئلة مما لا فائدة فيه للعقل ولا زيادة تبصرة في الاستعمال اذ وجه الاستعمال على جميع الاقوال واحد والمجمع عليه من الوجوه الفصيحة منصوص عليه في اماكنه مما عرفتموه . ويتصل بذلك التنقيب عن الانواع والجناسات البديعية وتوخيها في صوغ الكلام من النظم والنثر فان ذلك هادم لاركان البلاغة مشوه لمحاسن وجوه الفصاحة لما يقتضيه على الغالب من التكلف والخروج بالكلام عن وجهه الا ما جاء منه اتفاقاً او على غير كلفة فانه يعد من المحسِّنات وحسنه يكون بقدر قربه من النظم الطبيعي . إلا ان هذا قلما يعتد به في نظر البليغ اذ العبرة باصول المعاني التي يُبنى عليها الكلام لا بالتحسينات اللاحقة الواردة مورد الزينة على ما نبّهت على ذلك كل علماء البديع . ولهذا كانت المحسِّنات

المعنوية اعلى من المحسنات اللفظية لرجوعها الى المعنى الذي هو المقصود من الكلام فضلًا عن ان اللفظية كثيرًا مايكون المعنى فيها مستعبدًا للفظ لاقامة الجناس او الفاصلة وانما يطلبها على الغالب من لا غناء عنده في المعاني فيموه على الاسماع بهذه السفاسف التي لا تثبت على النقد ولا محصول منها في الفهم

ولقد رأيت من الناس من التزم السجع والجناس حتى في التقريرات العلمية وكتب التاريخ ونحوها مما قُيد الكاتب فيه باغراض وحقائق لا متسع له عنها ولا محل فيها للزخرفة والخيال وبهذا تعلمون قدر ما اولع الناس بهذا المذهب السمج . ولا حاجة بعد هذا الى ذكر مابلغُوا اليه من ذلك في الخطب والشعر مما استغرقوا فيه المذاهب ولم يتركوا غاية الا اتوها حتى صار السامع اذا تُلي عليه كلام كثير من اولئك ظنه ضرباً من تصريف الكلم او باباً من ابواب الاشتقاق واصبحت المعاني الشعرية كأنما مسخت فاستحالت جناسات وانواعاً وصار من تناول منها شيئاً تاه على امرئ القيس وابن ابي سلمى ولم يعد المتنبي ومن في طبقته شيئاً . ومهما يكن من مذاهب الشعراء فاني لا ارى لاحد منكم ان يتعلق قول الشعر ويضيع اوقاته في معاناته لان احدكم احوج الى علم يستزيده وليس في احدكم فضلة لان يُخرج من قريحته ما يأخذه الناس عنه . واذا لم يكن في الشعر ما يستفاد من حكمة او ادب اويعجب من ابتكار معنى او ابتداه نكتة وكان قصارى مايدور عليه الوزن والتقفية فما اقلها جدوى تُسهر عليها النواظر وتكد فيها الخواطر ثم لا يكون وراءها الا اصوات يمكن ان يؤدى مثلها بنقر الدُّف ووقع مطارق القصّارين . واذا كان فيكم الشاعر المطبوع يجيش في خاطره الشعر فلا يستطيع ضبطه فليصرفه في الاغراض الادبية او التاريخيــة او وصف شيء من الاحوال والمشاهد الطبيعية او ضبط شيء من قواعد العلوم دون التشبيب والمدح وما شا كل ذلك مما يذهب الزمان سدًى ولا يتناول منه فائدة

واعلموا ان المرء مفتون ببنات افكاره فسواء كتبتم شعرًا او نثرًا

فلا تعجلوا الى نشر ما كتبتم ولا تكونوا من انفسكم على ثقة وان استحسنتم ما صدر من قرائحكم لاول وهلة ولكن ينبغي ان تكونوا لخواطركم متهمين وتراجعوا ما كتبتم مراجعة الناقد المتعنت وان اصبتم في كلامكم ما ينبغي اطّراحه فلا تبتئسوا من ضياع جهدكم فيه ولا تحرصوا على كثرة ابيات القصيدة وعلى توفر الجمل وتعدّد السطور فانه لم تُعب قصيدة قط بقلة ابياتها ولا مقالة بقصر لفظها ولكنها تعاب بغلطة واحدة او لفظ ركيك او معنى في غير محله فتسقط لذلك برمتها . ولا بأس عليكم ان تضعوا كلامكم بين يدي من تثقون بعلمه لينبهكم الى ما فيه من العيوب فان نقد واحد من الاصدقاء ومناصحته في الستر خير من تنديد جماعات من الاعداء والحساد على رؤوس الاشهاد . وكلكم يذكر شأن الشاعر الكبير زهير بن ابي سُلمى وما كان يفعله من عرض قصائده على اصحابه الشعراء والتوفر على تنقيحها حتى يأتي على القصيدة منها حول كامل . ولذلك أُلقبت قصائده بالحوليات ولم يكن يستحيي من ذلك ولا أُتي من جهته قط فضلًا عن انه كان معدودًا في جملة فضائله يؤثر عنه الى هذا اليوم

وفي الختام اوصيكم بالمحافظة على ولاء هذه المدرسة التي هي موضع نشأتكم ومجمع اشُدّكم وفيها غُذيت احلامكم ومنها نبضت لكم مناهل الدراية والرشد ومن اشعتها اقتبست بصائركم ماتسيرون في ضوئه سحابة العمر . وعلى الجملة فهي التي اتت لكم ما رزقكم الله من نعمة العقل واكملت فيكم فضل النطق ووصلت ايديكم باسباب النجاح ونهجت في وجوهكم سبيل الفلاح وارسلتكم رجالاً يتدرجون في مراقي الفضل والعرفان ويحلون محلهم من اندية العمران . واعلموا انها لن تزال عصمة لكم تأوون منها الى ركن عزيز كما آوتكم من قبل في حرز حريز . فكونوا عند ما يفرضه عليكم الوفاء من تذكر نعمائها وما تتقاضاكم الذمة من الاقامة على صدق ولائها ولا تغفلوا عن عرفان ما لغبطة مؤسسها العلامة المفضال من الايادي البيضاء

واجمال الثناء على تشييده لكم هذا المقام الذي فيه تعلمتم صوغ الكلام وتحبير الثناء وتعهُّده لكم بالعناية وجميل الرعاية في حالتي المشهد والمغيب وإفاءة ظل فضله عليكم واحسانه اليكم ليبلغكم من الفوز اوفى نصيب لا زال كوكباً للشرق ترسل اشعة هديه في الاقطار وتسير بفضل نوره متحيرات الابصار

وهذا اليوم موعد تفرُّقكم الذى به ينحلّ عقدهذا النظام وينوب اجتماع كلّ منكم بذويه عن اجتماعكم في هذا المقام . فكونوا على القرب والبعد اخوان صدق تجمعهم نسبة الادب ووحدة الطلب وتضمُّهم رابطة الوطنية حتى تكونوا كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً في احياء آثار العلم والتفنن وتوثيق اسباب الحضارة والتمدن

الدفين الصغير

« بقلم مصطفى لطفي المنفلوطي »

الآن نفضت يدي من تراب قبرك يابُني وعدت الى منزلي كما يعودالقائد المنكسر من ساحة الحرب لا أملك الا دمعة لا استطيع ارسالها وزفرة لا أستطيع تصميدها

ذلك لان الله الذي كتب لي في لوح مقاديره هذا الشقاء في امرك فرزقني بك قبل أن اسأله اياك ثم استلبك مني قبل ان استعفيه منك قد اراد ان يتمم قضاءه فيَّ وأن يجرعني الكأس حتى ثمالتها فأحرمني من دمعة ارسلها او زفرة اصعّدها حتى لا اجد في هذه ولا تلك ما اتفرج به مما انا فيه . فله الحمد راضياً وغاضباً وله الثناء منعماً وسالباً وله مني ما يشاء من الرضى بقضائه والصبر على بلائه

رأيتك يا بُني في فراشك عليلًا فجزعت ثم خفت عليك الموت ففزعت .

وكأنما كان يخيَّل اليَّ ان الموت والحياة شأن من شؤون الناس وعمل من الاعمال التي تملكها ايديهم فاستشرت الطبيب في امرك فكتب لي الدواء ووعدني بالشفاء . فجلست بجانبك اصبُّ في فمك ذلك السائل الاصفر قطرة قطرة والقدر ينتزع من بين جنبيك الحياة قطعة قطعة حتى نظرت فاذا انت بين يديَّ جثة باردة لا حراك بها واذا قارورة الدواء لاتزال في يدي فعلمت اني قد ثكلتك وان الامر امر القضاء لا امر الدواء

سأنام يا بني بعد قليل على فراش مثل فراشك وسيعالج مني المقدار ما عالج منك واحسب أن آخر ما سيبقى في ذاكرتي في تلك الساعة من شؤون هذه الحياة واطوارها وخطوبها واحداثها هو الندم العظيم الذي اكابده اليوم على تلك الجرع المريرة التي كنت اجرّعك اياها بيدي وانت تجود بنفسك فيربدُّ وجهك وتختلج اعضاؤك وتدمع عيناك وما لك يد فتستطيع ان تمدَّها اليَّ فتدفعني عنك ولا لسان فتستطيع ان تشكو اليَّ مرارة ما تذوق . . . قد كان خيراً لي ولك يا بني ان أكل الى الله امرك في شفائك ومرضك وحياتك وموتك وان لا يكون آخر عهدك في يوم وداعك لهذه الدنيا تلك الآلام التي كنت اجشّمك اياها . فلقد اصبحت اعتقد انني كنت عوناً للقضاء عليك وان كأس المنية التي كان يحملها لك القدر في يده لم تكن امرّ مذاقاً في فمك من قارورة الدواء التي كنت احملها لك في يدي

ما اسمج وجه الحياة من بعدك يا بني وما اقبح صورة هذه الكائنات في نظري وما اشد ظلمة البيت الذي انا ساكنه بعد فراقك اياه . فلقد كنت تطلع في ارجائه شمساً مشرقة تضيء لي كل شيء فيه . اما اليوم فلا ترى عيني مما حولي اكثر مما ترى عينك الآن في ظلمات قبرك

بكى الباكون والباكيات عليك ما شاؤوا وتفجعوا ما تفجعوا حتى اذا استنفدوا ماء شؤونهم وضعفت قواهم عن احتمال اكثر مما احتملوا لجأوا الى مضاجعهم فسكنوا اليها ولم يبقَ ساهراً في ظلمة هذا الليل وسكونه غير

عينين قريحتين عين ابيك الثاكل المسكين وعين اخرى انت تعلمها . . .

لقد طال عليَّ الليل حتى مللته ولكنني لا أسأل الله ان ينفرج لي سواده عن بياض النهار لان الفجيعة التي فُجعتها بك يابني لم تبقِ بين جنبي بقية اقوى بها على رؤية اثر من آثار حياتك . فليت الليل باقٍ حتى لا ارى وجه النهار وليت النهار يأتي فقد مللت هذا الظلام

دفنتك اليوم يا بني ودفنت اخاك من قبلك ودفنت من قبلكما اخويكما فانا في كل يوم استقبل زائرًا جديدًا وأودّع ضيفاً راحلًا . فيا لله لقلب قد لاقى فوق ما تلاقي القلوب واحتمل فوق ما تحتمل من فوادح الخطوب

لقد افتلذ كل منكم يا بني من كبدي فلذة فأصبحت هذه الكبد الحرقاء مِزقاً مبعثرة في زوايا القبور ولم يبق لي منها الا ذِماء قليل لا احسبه باقياً على الدهر ولا احسب الدهر تاركه حتى يذهب به كما ذهب باخواته من قبل

لماذا ذهبتم يا بَنيَّ بعد ما جئتم ولماذا تجيئون إن كنتم تعلمون انكم لا تقيمون . لولا مجيئكم ما اسفت على خلوّ يدي منكم لانني ما عودت نفسي ان تمتد عيني الى ما ليس في يدي . ولو انكم بقيتم بعد ما جئتم ما تجرعت هذه الكأس المريرة في سبيلكم

لقد كنت ارضى من الدهر في امركم ان ينفرج لي عن طريقي ويتركني وشأني وان يزويَ وجهه عني فلا اراه ولا يراني ولا يحسن اليَّ ولا يسيء ولا يتقدم ليَّ بخير ولا شرّ ولا يتراءى لي مبتسماً ولا مقطِباً ولا ضاحكاً ولا باكياً لوانه رضيَ مني بذلك . ولكنه كان اذكى قلباً وانفذ بصرًا من ان يفوته العلم بانني ما كنت ابكي على النعمة لو لم تكن في يدي وما كنت اجد مرارة فقدانها لو لم اذق حلاوة وجدانها . وكان لا بد له ان يجريَ فيَّ سنة الشقاء الذي أخذ على نفسه امام الله ان يجريها بين عباده . فلما عجز عن ان يدخل اليَّ من باب الطمع دخل اليَّ من باب الأمل . فهو يمنحني المنحة فاغتبط بها برهةً من الدهر حتى اذا علم ان بذرة الامال التي غرسها في نفسي قد نمت

وازهرت واني قد استعذبت طعم النعمة التي آتاني كرٌ عليّ فانتزعها من يدي أنعمَ ما اكون بها كما تُنتزع الكأس الباردة من يد الظامئ الهيمان ليعظم وقع السهم في كبدي ويفدح سلب النعمة من يدي ولولا ذلك ما نال مني منالاً ولا وجد اليّ سبيلا

يا بَنيّ ان قدّر الله لكم ان تتلاقوا في روضة من رياض الجنة او على شاطئ غدير من غدرانها او تحت ظلال قصر من قصورها فاذكروني مثل ما اذكركم وقفوا بين يدي ربكم صفّاً واحداً كما يقف بين يديه المصلّون ومدوا اليه اكفكم الصغيرة كما عدها السائلون وقولوا له : اللهم انك تعلم ان هذا الرجل المسكين يحبّنا وكنا نحبه وقد فرّقت بيننا وبينه . فهو لا يزال يلاقي من بعدنا من شقاء الحياة وبأسائها ما لا طاقة له باحتماله . ولا تزال نجد بين جوانحنا من الوجد به والحنين اليه ما ينغص علينا هناء هذه النعمة التي ننعم بها في جنانك بين سمعك وبصرك . وانت ارحم بنا وبه من ان تعذّبنا عذاباً كثيراً . فإمّا أن تأخذنا اليه وإمّا أن تأتي به الينا . لا بل لا تطلبوا منه الا أن يأتي بي اليكم فان الحياة التي كرهتها نفسي لا ارضاها لكم . فعسى ان يستجيب الله من دعائكم ما لم يستجب من دعائي فيرفع هذا الستار المسبل بيني وبينكم فنلتقي كما كنا

افسدك قومك

« له ايضاً »

أيها المجرم الفاتك الذي يسلب الخزائن نفائسها والاجسام ارواحها لست احمل عليك من العتب فوق ما يحتمله ذنبك ولا انظر اليك بالعين التي نظر اليك بها القاضي الذي قسا في حكمه عليك لاني اعتقد ان لك شركاء في جريمتك فلا بد لي من ان انصفك وان كنت لا استطيع ان انفعك

شريكك في الجريمة ابوك لانه لم يتعهدك بالتربية في صغرك ولم يحُل بينك وبين مخالطة المجرمين بل كثيراً ما كان يبخبخ[1] لك اذا رآك هجمت على تربك وضربته ويصفق لك اذا رأى انك تمكنت من اختلاس درهم من جيب اخيك او اختطاف لقمة من يده . فهو الذي غرس الجريمة في نفسك وتعهدها بالسقيا حتى اينعت ونمت واثمرت لك هذا الحبل الذي انت معلق به اليوم . وها هوذا الآن يذرف عليك العبرات ويصعِّد الزفرات ولو عرف انها جريمته وانها غرس يمينه لضحك مسروراً بغفلة الشرائع عنه وسجد لله شكراً على انه لم يكن حبلك في عنقه وجامعتك[2] في يده

شريكك في الجريمة هذا المجتمع الانساني الفاسد الذي اغراك بها ومهد لك السبيل اليها . فقد كان يسميك شجاعاً اذا قتلت وذكياً فطناً اذا سرقت وعالما اذا احتلت وعاقلاً اذا خدعت . وكان يهابك هيبته للفاتحين ويجلك اجلاله للفاضلين . وكثيراً ما كنت تحب ان ترى وجهك في مرآة هذا المجتمع فتراه وجهاً ابيض ناصعاً فتتمنى لو دام لك هــذا الحال . ولو انه كان يؤثر نصحك ويصدقك الحديث عن نفسك لمثَّل لك جريمتك في نظرك بصورتها الشوهاء . وهنالك ربما وددت بجدع الانف لو طواك بطن الارض عنها وحالت المنية بينك وبينها

شريكك في الجريمة حكومتك لانها تعلم ان الجريمة هي الحلقة الاخيرة من سلسلة كثيرة الحلقات . وكانت تراك تمسك بها حلقةً حلقةً وتعلم ما سينتهي اليه امرك فلا تضرب على يدك ولا تعترض دون سبيلك . ولو انها فعلت لما اجترمت ولا وصلت الى ما اليه وصلت . .

كانت حكومتك تستطيع ان تعلمك وتهذب نفسك وان تقفل بين يديك ابواب الحانات وان تحول بينك وبين مخالطة الاشرار بابعادهم عنك وتشريدهم

---

(١) بخبخ له قال بخ بخ (٢) الجامعة طوق من حديد يجعل في العنق او اليد

في مجاهل الارض ومخارمها[1] وان تُعديك[2] على قتيلك قبل ان يبلغ حقدك عليه مبلغه من نفسك وان تحسن تأديبك في الصغيرة قبل ان تصل الى الكبيرة ولكنها اغفلت امرك فنامت عنك نوماً طويلاً حتى اذا فعلت فعلتك استيقظت على صوت صراخ المقتول وشمرت عن ساعدها لتمثل منظراً من مناظر الشجاعة الكاذبة فاستصرخت جندها واستنصرت اسلحتها واعدت جذوعها وجلادها وكان كل ما فعلت انها اعدمتك حياتك

هؤلاء شركاؤك في الجريمة واقسم لو كنت قاضياً لاعطيتك من العقوبة على قدر سهمك في الجريمة وجعلت تلك الجذوع قسمة بينك وبين شركائك ولكنني لا استطيع ان انفعك

فيا ايها القتيل المظلوم رحمة الله عليك

قتيلة الجوع

« له ايضاً »

قرأت في بعض الصحف منذ ايام ان رجال الشرطة عثروا بجثة امرأة في جبل المقطم فظنوها قتيلة او منتحرة حتى حضر الطبيب ففحص امرها وقرّر انها ماتت جوعاً

تلك اول مرة سمعت فيها بمثل هذه الميتة الشنعاء في مصر وهذا اول يوم سجلت فيه يد الدهر في جريدة مصائبنا ورزايانا هذا الشقاء الجديد

لم تمت هذه المرأة المسكينة في مفازة منقطعة او بيداء مجهل فتنزع في امرها الى قضاء الله وقدره كما نفعل في جميع حوادث الكون التي لا حول لنا فيها ولا حيلة بل ماتت بين سمع الناس وبصرهم وفي ملتقى غاديهم برائحهم ولا بد من انها مرت قبل موتها بكثير من المنازل تطرقها فلم تسمع مجيباً

(١) المجاهل جمع المجهل وهو المفازة لا اعلام لها والمخارم جمع المخرم وهو منقطع الاكمة (٢) تعينك

ووقفت في طريق كثير من الناس تسألهم المعونة على امرها فلم تجد من يمد اليها يده بلقمة واحدة تسد بها جوعتها . فما اقصى قلب الانسان وما ابعد الرحمة من فؤاده وما اقدره على الوقوف موقف الثبات والصبر امام مشاهد البؤس ومواقف الشقاء

لِمَ ذهبت هذه البائسة المسكينة الى جبل المقطم في ساعتها الاخيرة لعلها ظنت ان الصخر ألين قلباً من الانسان فذهبت اليه تبثه شكواها او ان الوحش اقرب منه رحمة فجاءته تستمنحه فضلة طعامه . واحسب لو ان الصخر فهم شكواها لأشكاها[1] ولو ان الوحش ألم بسريرة نفسها لرثى لها وحنا عليها لاني لا اعرف مخلوقاً على وجه الارض يستطيع ان يملك نفسه ودموعه امام مشهد الجوع وعذابه غير الانسان

ألم يلتق بها احد في طريقها فيرى صفرة وجهها وترقرق مدامعها وذبول جسمها فيعلم انها جائعة فيرحمها

ألم يكن لها جار يسمع انينها في جوف الليل ويرى غدوها ورواحها حائرة ملتاعة في طلب القوت فيكفيها امره

أأقفرت البلاد من الخبز والقوت فلا يوجد بين افراد الامة جميعها من اصحاب قصورها الى سكان اكواخها رجل واحد يملك رغيفاً واحداً زائداً عن حاجته فيتصدق به عليها

اللهم لا هذا ولا ذاك فالمال والحمد لله كثيراً والخبز اكثر منه ومواضع الخلات والحاجات بادية مكشوفة يراها الراؤون ويسمع صداها السامعون ولكن الامة التي الفت ألّا تبذل معروفها الا في مواقف المفاخرة والمكاثر والتي لا تفهم معنى الاحسان الا انه الغل الثقيل الذي يوضع في رقاب الفقراء لاستعبادهم واسترقاقهم لا يمكن ان ينشأ فيها محسن مخلص يحمل بين جنبيه قلباً رحيماً

---

(١) شكا اليه فأشكاه اي ارضاه وقبل شكواه

لقد كان الاحسان في مصر كثيراً في عصر الاكتتابات والحفلات وفي العهد التي كانت تسجل فيه حسنات المحسنين على صفحات الصحف تسجيلاً يشهده ثلاثة عشرمليوناً من الشهود . اما اليوم وقداصبح كل امرئ موكولاً الى نفسه ومسئولاً أمام ربه وضميره ان يتفقد جيرته واصدقاءه وذوي رحمه ويتلمس مواضع خلاتهم وحاجاتهم ليسدها فهاهم الفقراء يموتون جوعاً بين تلال الرمال وفوق شعاف الجبال من حيث لا راحم ولا معين

لقد كان في استطاعة تلك المرأة المسكينة ان تسرق رغيفاً تتبلغ به او درهماً تبتاع به رغيفاً فلم تفعل . وكان في استطاعتها ان تعرض عرضها في تلك السوق التي يعرض فيها اعراضهن الفتيات الساقطات فلم تفعل لانها امرأة شريفة تفضل ان تموت بحسرتها على ان تعيش بعارها . فما اعظم جريمة الامة التي لا يموت فيها جوعاً غير شرفائها واعفائها . . .

الغني والفقير

« له ايضاً »

مررت ليلة امس برجل بائس فرأيته واضعاً يده على بطنه كانما يشكو ألما فرثيت لحاله وسألته ما باله فشكا اليّ الجوع ففثأته[1] عنه ثم تركته وذهبت الى زيارة صديق لي من ارباب الثراء والنعمة فأدهشني اني رأيته واضعاً يده على بطنه وانه يشكو من الالم ما يشكو ذلك البائس الفقير فسألته عما به فشكا اليّ البطنة فقلت يا للعجب . لو اعطى الغني الفقير ما فضل عن حاجته من الطعام ما شكا واحد منهما سقما ولا ألمًا . لقد كان جديراً به ان يتناول من الطعام ما يشبع جوعته ويطفئ غلته . ولكنه كان محباً لنفسه مغالياً بها فضم الى مائدته ما اختلسه من صحفة الفقير فعاقبه الله على قسوته بالبطنة حتى لا يهنئ للظالم ظلمه ولا يطيب له عيشه . وهكذا يصدق المثل القائل :

(١) يقال فثأت فلاناً عن فلان اذا سكنت غيظه عليه

بطنة الغني انتقام لجوع الفقير

ماضنت السماء بمائها ولاشحت الارض بنباتها ولكن ماحسدالقوي الضعيف عليهما فزواهما[1] عنه واحتجنهما[2] دونه فاصبح فقيرًا معدماً شاكياً متظلماً غرماوءه المياسير الاغنياء لا الارض والسماء

ما اظلم الاقوياء من بني الانسان وما اقسى قلوبهم . ينام احدهم ملء جفنيه على فراشه الوثير ولا يقلقه في مضجعه أنه يسمع انين جاره وهو يرعد بردًا ويجلس امام مائدة حافلة بصنوف الطعام قديده وشوائه حلوه ومره ولا ينغص عليه شهوته علمه ان بين اقربائه وذوي رحمه من تثب احشاوءه شوقاً الى فتات المائدة ويسيل لعابه تلهفاً على فضلاتها . بل ان بينهم من لا تخالط الرحمة قلبه ولا يعقد الحياء لسانه فيظل يسرد على مسمع الفقير احاديث نعمته ورفاهيته . وربما استعان به على عد ما تشتمل عليه خزائنه من الذهب وصناديقه من الجوهر وغرفه من الفراش والرياش ليكسر قلبه وينغص عيشه ويبغض اليه حياته . وكأنه في كل كلمة من كلماته وحركة من حركاته يقول له : انا سعيد لانني غني وانت شقي لانك فقير

احسب لولا ان الاقوياء في حاجة الى الضعفاء يستخدمونهم في مرافقهم وحاجهم كما يستخدمون ادوات منازلهم ويسخرونهم في مطالبهم كما يسخرون مراكبهم ولولا انهم يوءثرون الابقاء عليهم ليمتعوا انفسهم بمشاهدة عبوديتهم لهم وسجودهم بين ايديهم لامتصوا دماءهم كما اختلسوا ارزاقهم وحرموهم الحياة كما حرموهم لذة العيش فيها

لا استطيع ان اتصور ان الانسان انسان حتى اراه محسناً لانني لا اعتمد فضلًا صحيحاً بين الانسان والحيوان الا الاحسان . واني ارى الناس ثلاثة : رجل يحسن الى غيره ليتخذ احسانه اليه سبيلًا الى الاحسان الى نفسه وهو

---

(١) زوى عنه الشيء منعه اياه (٢) احتجن الشيء اذا جذبه بالمحجن الى نفسه ، والمحجن الصولجان . والمراد انه استأثر به

المستبد الجبّار الذي لا يفهم من الاحسان إلا انه يستعبد الانسان . ورجل يحسن الى نفسه ولا يحسن الى غيره وهو الشره المتكالب الذي لو علم ان الدم السائل يستحيل الى ذهب جامد لذبح في سبيله الناس جميعاً . ورجل لا يحسن الى نفسه ولا الى غيره وهو البخيل الاحمق الذي يجيع بطنه ليشبع صندوقه . اما الرابع الذي يحسن الى غيره ويحسن الى نفسه فلا اعلم له مكاناً ولا اجد اليه سبيلاً . وأحسب انه هو ذلك الذي كان يفتش عنه الفيلسوف اليوناني ديوجنس حينما سُئل ما يصنع بمصباحه وكان يدور به في بياض النهار فقال : أفتش عن انسان

الانسانية العامة

« له ايضاً »

الجامعة الانسانية هي الجامعة الكلية العامة التي يلجأ الى كنفها هذا المجتمع الانساني كلما أزمته ازمة او نزلت به نازلة . وهي المطلع الذي تشرق منه شمس الرحمة الالهية على هذا الكون فتنير ظلماءَهُ وتكشف غماءَهُ . وهي الحكم العدل الذي يفصل في قضايا المجتمعات البشرية حين تنفصم عروتها ويدب دبيب العداوة والبغضاء بين احيائها . وهي السلطان المطلق الذي يجلس في كرسي عظمته وجلاله فتخر له جميع الجباه سجّداً وتبتدر يديه لثماً وتقبيلاً

ما من جامعة من الجوامع القومية او الجنسية او الدينية او الاهلية إلا وهي تعتمد على الجامعة الانسانية في سيرها وتستظل بظلها وتهتدي بهديها . فالمجاهد الوطني يقول اني ادافع عن وطني وأحمي حوزته وأقوم على ثغوره وعوراته مقام الذائد المناضل لاني اعتقد انني إن أغفلت ذلك وأغفله في وطنه كل مضطلع بمثل ما انا مضطلع به في وطني تساقطت الحواجز القائمة في وجه المطامع البشرية فجرى سيلها مندفعاً لا يقوم له شيء حتى يأتي على كل شيء . والفاتح الديني يقول اني اعتقد ان الانسانية لا تزال معذبة يأكل قويها

ضعيفها ويغتال كبيرها صغيرها ويستضعف حاكمها محكومها حتى تدين بالدين الذي أدين به . فانا ان حاربت البلاد وقاتلت العباد فانما اريد ان اخوض هذا البحر الاحمر من الدماء لأصل الى سفينة الانسانية المشرفة على الغرق فاستخلصها من يد الموت الذي يساورها

هكذا يقول دعاة الدين ودعاة الوطن ودعاة كل جامعة وهكذا يجب ان يقولوا . فان لم يفعلوا وأبوا إلا ان يغفلوا الجامعة الانسانية في دعائهم الى جوامعهم التي يدعون اليها فليعلموا ان الانسانية ملاك كل شيء فاذا ذهبت ذهب بذهابها كل شيء

ليس لساكن وطن من الاوطان او صاحب دين من الاديان ان يقول لغيره ممن يسكن وطناً غير وطنه او يدين بدين غير دينه انا غيرك فيجب ان اكون عدوك لان الانسانية وحدة لاتتكثر فيها ولا غيرية ولان هذه الفروق التي بين الناس في آرائهم ومذاهبهم ومواطن اقامتهم وألوان اجسادهم واطوالهم واعراضهم انما هي اعتبارات واصطلاحات اومصادفات واتفاقات تعرض لجوهر الانسانية بعد تكونه واستتمام خلقه وتختلف عليه اختلاف الاعراض على الاجسام . ففي كل بلد وفي كل يوم يستعجم العربي ويستعرب الاعجمي ويسلم المسيحي ويتهود الوثني ويلحد المؤمن ويؤمن الجاحد ويستشرق المغربي ويستغرب المشرقي . ولو اشاء ان اقول لقلت انه لا يوجد فوق رقعة الارض من لا يزال يمسك حتى اليوم بطرف سلسلة ينتهي طرفها الآخر بوطن غير وطنه ودين غير دينه وأمة غير امته

اذا جاز لكل اقليم ان يتنكر لغيره جاز لكل بلد ان يتنكر لكل بلد بل جاز لكل بيت ان ينظر تلك النظرة الشزراء الى البيت الذي يجاوره بل جاز للاب ان يقول لولده وللولد ان يقول لأبيه اليك عني لا تمدّ عينيك الى شيء مما في يدي ولا تطمع ان اوثرك على نفسي بشيء مما اختصصتها به لانني غيرك فيجب ان اكون عدوك . وهنالك تنحل كل عقدة وتنفصم كل عروة

ويجعل كل انسان لأخيه بين اضلاعه من لواعج البغض والشحناء مـا يرنّق عيشه ويطيل سهده ويقلق مضجعه ويحبّب اليه صورة الموت ويبغض اليـه وجه الحياة . وهنالك يصبح الانسان اشبه شيء بذلك الانسان في وحشته وانفراده يقلّب وجهه في صفحات السماء ويفتش بيديه في طبقات الارض فلا يجد له في الوحشة موْنساً ولا على الهموم معيناً

الجامعة الانسانية اقرب الجوامع الى قلب الانسان وأعلقها بفوأاده والصقها بنفسه لانه يبكي لمصاب من لا يعرف وان كان ذلك المصـاب تاريخاً من التواريخ او خيالاً من الخيالات ولانه لا يرى غريقاً يتخبط في الماء او حريقاً يتقلّب في النـار حتى تحدثه نفسه بالمخاطرة في سبيله فيقف موقف الحزين المتلهف ان كان ضعيفاً ويندفع اندفاع الشجاع المستقتل ان كان قوياً ويسمع وهو بالمشرق حديث النكبات بالمغرب فيخفق قلبه وتطير نفسه لانه يعلم ان اولئك المنكوبين اخوان في الانسانية وان لم يكن بينه وبينهم صلة في ما دون ذلك . ولولا ان ستارًا من الجهل والعصبية يسبله كل يوم علاة الوطنية والدين او تجّارهما على قلوب الضعفاء والبسطاء لما عاش منكوب في هذه الحياة بلا راحم ولا ضعيف بلا معين

لا بأس بالوطنية ولا بأس بالحمية الدينية ولا بأس بالعصبية لهما والذياد عنهما ولكن يجب ان يكون ذلك في سبيل الانسانية وتحت ظلالها اي ان تكون جميع دوائر المجتمعات باقية في اماكنها دائرة حول نفسها بحيث لا تخرج واحدة منها عن دائرة الانسانية العامة التي تضمها جميعاً وتشتمل عليها . والوطنية لا تزال عملاً من الاعمال الشريفة المقدسة حتى تخرج عن حـدود الانسانية فاذا هي خيالات باطلة واوهام كاذبة . والدين لا يزال غريزة من الغرائز المؤثرة في صلاح النفوس وهداها حتى يتمرد على الانسانية ويعتزلها فاذا هو شعبة من شعب الجنون . .

فان كان لا بدّ للانسان من ان يحارب اخاه او يقاتله فليحاربه مدافعاً لا

طاعناً وليقاتله موّدناً لا منتقماً وليقف امامه في كل ذلك موقف المحقّ المنصف والشفيق الرحيم فيدفنه قتيلاً ويعالجه جريحاً ويكرمه اسيراً ويخلفه على اهله وولده بافضل ما يخلف الرجل الكريم اخاه الشقيق او صديقه الحميم على ذريته من بعده . وليكن شأنه معه شأن تلك الفئة المتحاربة التي وصفها الشاعر في قوله :

اذا احتربت يوماً ففاضت دماؤها   تذكّرتِ القربى ففاضت دموعها

النبوغ

« له أيضاً »

من العجز ان يزدري المرء بنفسه فلا يقيم لها وزناً . وان ينظر الى من هو فوقه من الناس نظر الحيوان الاعجم الى الحيوان الناطق . وعندى ان من يخطئ في تقدير قيمته مستعلياً خير ممن يخطئ في تقديرها متدلياً . فان الرجل اذا صغرت نفسه في عين نفسه يأبى لها من احواله واطواره الا ما يشاكل منزلتها عنده . فتراه صغيراً في علمه صغيراً في ادبه صغيراً في مروءته وهمته صغيراً في ميوله واهوائه صغيراً في جميع شؤونه واعماله . فان عظمت نفسه عظم في جانبها كل ما كان صغيراً في جانب النفس الصغيرة

كثيراً ما يخطئ الناس في التفريق بين التواضع وصغر النفس وبين الكبر وعلو الهمة . فيحسبون المتذلل المتملق الدنيء متواضعاً ويسمون الرجل اذا ترفع بنفسه عن الدنايا وعرف حقيقة منزلته مع المجتمع الانساني متكبراً . وما التواضع الا الادب ولا الكبر الا سوء الادب . فالرجل الذي يلقاك متبسماً متهللاً ويقبل عليك بوجه ويصغي اليك اذا حدثته ويزورك مهنئاً ومعزياً ليس صغير النفس كما يظنون بل هو عظيمها - لانه وجد التواضع اليق بعظمة نفسه فتواضع والادب ارفع لشأنه فتأدب

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة   ولكنّ كبراً ان يقال به كبر

فان بلغ الذل بالرجل ذي الفضل ان ينكس رأسه للكبراء ويترامى على ايديهم واقدامهم لثماً وتقبيلا ويتبذل بمخالطة السوقة والغوغاء بلاضرورة ولا سبب ويكثر من شتم نفسه وتحقيرها ورميها بالجهل والغباوة ويجلس بمدارج الطرق جلسة البائس المتسول ويمشي مشية الخائف المبلس فاعلم انه صغير النفس ساقط الهمة لا متواضع ولا متأدب

ان علو الهمة اذا لم يخالطه كبر يزري به ويدعو صاحبه الى التنطع وسوء العشرة كان احسن ذريعة يتذرع بها الانسان الى النبوغ في هذه الحياة . وليس في الناس من هو احوج الى علو الهمة من طالب العلم لان حاجة الامة الى نبوغه اكثر من حاجتها الى نبوغ سواه من الصانعين والمحترفين . وهل الصانعون والمحترفون الا حسنة من حسناته واثر من آثاره بل هو البحر الزاخر الذي تستقي منه الجداول والغدران

يا طالب العلم كن عالي الهمة ولا يكن نازلها في تاريخ عظماء الرجال نظراً يبعث في قلبك الرهبة والهيبة فتتضاءل وتتصاغر كما يفعل الجبان المستطار حينما يسمع قصة من قصص الحروب او خرافة من خرافات الجن . وحذار ان يعدي اليأس عليك قوتك وشجاعتك فتستسلم استسلام العاجز الضعيف وتقول من لي بسلم اصعد به الى السما حتى اصل الى قبة الافلاك واجالس فيها عظماء الرجال

يا طالب العلم انت لا تحتاج في نبوغك الا الى ... انهم ... من قبلك الى خلق غير خلقك وجو غير جوك وسماء وارض غير سمائك وارضك وعقل واداة غير عقلك واداتك وانما انت في حاجة الى نفس عالية كنفوسهم وهمة عالية كهممهم واملٍ اوسع من رقعة الارض وارحب من صدر الحليم . ولا يثبطك ما يهمس به حاسدوك في خلواتهم من وصفك بالسماجة . فنعم الخلق هي ان كانت السبيل الى ... . وامض على وجهك ودعهم في غيهم يعمهون .

جناحان عظيمان يطير بهما المتعلم الى سماء المجد والشرف . علو الهمة والفهم في العلم . اما علو الهمة فقد عرفته . واما الفهم في العلم فاليك الكلمة الآتية

العلم علمان : علم محفوظ وعلم مفهوم . اما العلم المحفوظ فيستوي صاحبه فيه مع الكتاب المرقوم . ولا فرق بين ان تسمع من الحافظ كلمة او تقرأ في الكتاب صفحة . فان اشكل عليك شيء مما تسمع فانظر ان نطق الكتاب بشرح مشكلاته نطق الحافظ بتفسير كلماته

الحافظ يحفظ ما يسمع لانه قوي الذاكرة وقوة الذاكرة قدر مشترك بين الذكي والغبي والنابه والابله . لان الحافظة ملكة مستقلة بنفسها عن بقية الملكات . ذلك هو السر العظيم في كثرة المتعلمين وقلة العاملين . لان من فهم معلوماً من المعلومات حقَّ الفهم أُشربته روحه وخالط لحمه ودمه ووصل من قلبه الى سويدائه وكان احدى غرائزه فلا يرى له بدًّا من العمل به رضيَ ام ابى

لو كان العلم المحفوظ علماً وهو على ما تشاهد وتعلم من سوء الاثر وقلة الجدوى ما ورد مدح العلم في كتاب ولا سنَّة ولا قدَّسه كاتب او ترنم به شاعر . فاذا سمعت ذكر العلم فاعلم انه العلم المفهوم لا المحفوظ . واذا اردت ان تلقِّب بالعالم فلا تلقب به من يحفظ بل من يفهم ما يحفظ . وآية فهم المعلوم تأثر العالم به وظهوره في حركاته وسكناته وترقرقه في شمائله ترقرق الصهباء في وجه شاربها . ولا تثق بالحافظ فيما ينقل اليك فربما مرَّ بالمعلوم محرَّفاً فاخذه على علَّاتهِ لانه لم يبصره فينقله . واقبح ما عرفنا من اطواره انهُ يجمع في حافظتهِ بين النقيض ونقيضهِ والغثّ والسمين والجيد والزائف . فكأنَّ ذاكرتهُ حانوت عطَّار اختلطت فيها الادوية الشافية بالعقاقير السامة

وجملة الامر ان الحافظ البحت لا رأي له في مبحث فيسألَ عن مذهب ولا اثر لمعلوماتهِ في نفسهِ فيقتدى بهِ ولا ذوق في الفهم فيُعتمد على شرحهِ وتأويله .

اما العلم المفهوم فهو الواسطة التي اذا جمع المتعلم بينها وبين علو الهمة طار الى المجد بجناحين وكان له سبيل مختصر الى منزلة العظماء ودرجة النابغين . والعلم سلسلة طويلة ومسائله حلقات يصنع كل نابغة من نوابغ العلماء منها حلقة . ولن يبلغ المتعلّم درجة النبوغ الا اذا وضع في العلم الذي يدارسه مسألة او كشف حقيقة او اصلح هفوة او اخترع طريقة وان يسلس له ذلك الا اذا كان علمه مفهوماً لا محفوظاً . ولا يكون مفهوماً الا اذا اخلص المتعلم اليه وتعبد له ولم ينظر اليه نظر التاجر لسلعته والمحترف الى حرفته . فالتاجر يجمع من السلع ما ينفق سوقه لا ما يغلو جوهره . والمحترف لا يهمه من حرفته الا لقمة الخبز وجرعة الماء احسن ام اساء

لا يزور العلم قلباً مشغولاً بترقب الوظيفة وحساب المرتب وسوق الآمال وراء الاموال كما لا يزور قلباً مقسماً بين تصفيف الطرة وصقل الغرة وحسن القوام وجمال الهندام

الجرائد

« للشيخ سعيد الخوري الشرتوني »

ليس في الذرائع اللسانية ولا في الوسائل الكتابية شيء كالجرائد في احياء اللغة واصلاح العبارة واطلاق الفصيح من سجن الاغفال كما انهُ ليس اقدر منها على افساد الذوق واستعمال المستهجن . ألا وان الجريدة خطيب اللغة الذي يتصل صوته الى اطراف العامر ويتلقّى معظم الناس كلامهُ بالتسليم فان كان اربابها ممن كاشفهم العلم الواسع والبحث الدقيق باسرار اللغة واعانتهم الفطرة الزكية على التصرف في المعاني ووجوه الكلام وكانوا ممن يدعون اللفظ فيجيب مطيعاً انشأوا للادب والكتابة دولةً عزيزة السلطان ممتدّة الاكناف تنشر لواءها في كل صقع من الارض عما تبثُّ بين الناس من الفوائد وتجلو عليهم من الدقائق وتجيز كتابهم بالتنويه والذكر الحسن

ولكن اذا كان كتابها واهين عن الاضطلاع بها قاصرين عن اعطائها حقها من حسن البيان وتهذيب الكلام وموافقة الاحوال جنت على الادب والكتابة جناية كبيرة وأرحت من تشويش عبارتها وهجنة لغتها على محيا البلاغة سجوفا وعلى وجه الفصاحة سدولا بحيث لا يمرّ طويل من الدهر حتى تزايل القلم اركان محاسنه وتسقط دعائم بلاغته وتصبح كأن لم يسبق لها عهد

على ان جرائدنا والحمد لله مع تفاوتها في اغراض الكتابة واختلافها في مراتب العبارة قد ايقظت الفصاحة من رقدتها واقامت البلاغة من ضجعتها بما نبهت الناس الى العناية بأمر الانشاء واوجبت عليهم ان يأخذوا له حفلته ويقدروه قدره . ومن اعاد النظر الى حالة القلم منذ ثلاثين سنة وقابلها بحالتها في يومنا هذا عرف ما احدثت الجرائد ورأى ماجرّت من الفوائد وتبين ما فعلت هذه المنشورات في خلال عهد قصير لم تكن البلاد في اوله مطيقة اجتناء فوائده ولا خليقة بان تذوق شهد عوائدها كما هي ال اليوم ولم يك ذلك الا عن قلة عدد المدارس وخدمة العلم . واين حالها تلك مما نراه من حالها اليوم وقد تعددت المدارس وكثر سواد الطلاب وراجت سوق الاقلام حتى اوشك ان يكون في كل بيت منهم طالب وللبلاغة عاشق وبالجرائد متيم يتشوقون الى تسرح النظر في رياضها النواضر ويرقبون ظهورها رقبة هلال العيد ليتنسموا نسيم البلاغة من أزهار سطورها ويبردوا لاعج الشوق باستطلاع انبائها وتتبع اخبارها ويغرسوا في النفوس غرسا من فوائدها ويبسطوا شرك الفالة على مواردها

وقرّاء الجرائد في بلادنا في زيادة سنة بعد سنة كالشجرة الآخذة في النماء بزيادة من ينشأ فيها من المتأدبين خصوصا وقد عرفتهم الايام واثبتت لذويهم الاختبار ان مطالعة الجرائد من انفع الامور لهم اذ تثقفهم على تصحيح الكتابات وتمرّنهم مناهج الانشاء واساليب التعريب فضلا عما تصرفهم عن اضاعة اعزّ اوقاتهم فيما لا يجنون منه فائدة ولا يحلون منه بطائل . وهذا من

الدواعي الموجبة على الجرائد نزاهة العبارة عمايوسوس في الصدور كما يحسن بها ان توقظ الناس من الرقاد في دجى عادات لهم ضائرة ومألوفات شائنة بحيث تكون حامية الادب وسيف التهذيب فانها تُعرض على كل عين وتذهب الى كل اين فيتناولها الغبيّ والذكي وتدخل حانوت التاجر ودير الراهب وعرفة الشاب وحجلة العذراء . ولا يخفى ان الجرائد يتكرّر صدورها على ممرّ الايام فتؤثر في المطالع ما لا يؤثره سواها من المطالعات فيترتب على هذا وجوب النظر فيما تؤثره بحيث يكون حميد العاقبة جميل المغبّة وهي الخطة المتّبعة عند اصحاب جرائدنا وكتابها الادباء وفقهم الله الى ما به حياة الآداب وتهذيب الاخلاق

هذا ومن المعلوم ان الجرائد هي المبقية لآثارنا والمترجمة عن علومنا والمنبئة باخلاقنا والدالة على حضارتنا والمشيرة الى كل صفاتنا فهي بمنزلة تاريخ لجميع احوالنا ولهذا كانت حديرة بالمقام الاعلى من الاعتبار لان ما لا قدر له اليوم في اعيننا سيكون له شأن كبير عند اعقابنا يتعرّفون منه احوالنا ويستطلعون شؤوننا واحرانا بذلك المجلات العلمية فانما هي الباقية في مستقبل الايام

ثم ان هذه المجلات اذا التفت اليها من حيث ما تتضمن من الفصول المهذّبة والتقارير المدققة في كل علم من العلوم مما لا يتأتى لكثير من اهل الصناعة اكتشافه ولا يتسنى لذوي العلم ان يتوصلوا اليه بل مما عساه لم يخطر لاكثرهم توجيه الفكر اليه كانت خليقةً بان تفضّل على كثير من المؤلفات

ولا شك انه لم يزل في بعض العلوم دقائق لم تهتك الاقلام حجابها ولطائف لم تستشفها البصائر وعلى مسألة واحدة لا يؤلف كتاب ولكن يُنشأ خطاب واليتم في اعتقاد علمائنا ان ايضاح دقيقة واحدة من علم او كشف غامضة واحدة من فنّ اجدى واشرف من تأليف كتاب في العلوم التي او جمع ما اُ... فيها ونُضّد بعضه فوق بعض لحاة عن شمرعه صرح شامخ

وقد كان نشر التقارير العلمية والمقالات الادبية والتاريخية قبل نشأة الجرائد امراً معدوماً على عزارة نفعه وعزّة فائدته ومذ ظهرت دعت كتّاب

البلاد واصحاب الذوق والعلم من كل اوب الى مشاركتها في بث الفوائد بنشر ما يزحزح الستائر وينير البصائر من المقالات والتقارير

ويتحصل مما ألممت به في الكلام على الجرائد انها بمكان من الاعتبار من حيث اللغة والانشاء كما انهـا ذات مرتبة سنية من حيث تاريخ وتقرير الحوادث وانها من اكبر الادلة على التوغل في الحضارة والبسطة في المعارف كما انها احسن قلادة تحلّى بها جيد هذا الزمان

الاعتماد على النفس

« من مقالة للخوري بطرس البستاني »

وانما رجل الدنيـا وواحدها   من لا يعوّل في الدنيا على رجل

من قلّب صفحات التاريخ بعين نقّادة وبصيرة وقّادة ذهبت في فكره الحيرة كلّ مذهب ، تجاه المخترعات الغريبة التي أنتجتها الاذهان وأبرزتها الفطن من مكامنها عصراً بعد عصر ، ولا سيما اذا تفرّس في بعض الاكتشافات التي أدمن مزاولتها جمٌّ غفير من العلماء المحققين ، حتى افنوا الاعمار في استخراج الدفائن من صدر الطبيعة وإبراز المخبّآت من فؤاد الكون . فراضوا الصعوبات وذللوا المعضلات وذهبوا بالعلوم والفنون الى آخر ما تبلغه المدارك البشرية وتتطاول اليه الفكَر الطمّاحة

ومن الاختراعات ما استنزفت معالجتهُ قروناً في قرون كان يبني في خلالها الخلَف على أسّ السلف ، وربما تصرمت الحقب وكرت السنون ، والباحثون في حيّز واحد ، لم يرم احدهم حجراً على ذلك الأس ، وهم مع ذلك دائبون في السير الى غايتهم المرقوبة ، حتى اذا ظفروا بها ودّعوا الدنيا بقلوب ملؤها العزاء والاستبشار . و إلا ألقوا مهمّتهم على عواتق من يعقبهم من العلماء ، على رجاء أنهم يحلّون الأنشوطة التي لم يفسح لهم في حلها . وعلى هذا النحو لايفتأ رجال العلم والعمل يضربون على التعاقب في بيداء التنقيب والاستقراء والتبحّر

والاستقصاء ، الى ان يُفتح لاحدهم باب النجح فيلِجه الى مقصده المنشود بعين قريرة وثغر بسّام ، حتى كأني به قد نفض عنه غبار الاتعاب الجاهدة وذهل عما لقيه في عمله الشرس القادة من المشقات الناهكة . ولابدع أن يكون عند هذا المبلغ من الابتهاج والاستبشار بنجاح مسعاه فلقد خدم به الانسانية خدمة جليلة وفاز بأمنيّته يعذب معها العذاب في معترك الجهاد

وغيرُ خافٍ أن المصاعب كلما تجسّمت وتألبت في وجه الساعي أمالته الى الفشل والاحجام ، وهدمت جانباً من حصون نشاطه وثباته وأقعدته عن الاقدام . فاذا كان صبورًا على المكافحة والمجاهدة ، جليدًا لدى مفاجأة المحن قويًا على مقاساة الصدمات ومعاناة الخيبات ، أمن عواقب اليأس والضعف والملالة ووطن النفس على تهجّم الملكات واقتحام الاخطار والاهوال ، بحيث لا تكلُّ عزيمته ولا يني جهده مهما اعتوَره من المشاكل والخطوب ، ومهما بذل من النفقات وقتل من الايام في جنب مطلبه . وبدون ذلك لا تُستقاد الرغائب ولا تدرك المقاصد ، لان الاعمال اذا كان مأخذها على جانب من الصعوبة استدعت من العناية والجرأة والحكمة والادمان على حسب دقتها وغموضها وشدة مراسها . وأيّ عمل لا يخلو طريقه من المزالق والمداحض ، وأية غاية بعيدة الشقّة يُنتهى اليها بدون عناء ، وأيُّ منهل يتسابق اليه الورّاد ولا يكون النصيب الاوفر منه لأجرإهم اندفاعاً واصلبهم جلدًا وأمضاهم عزماً وأبعدهم نظرًا . . .

ولا ريب ان إعراضنا عن مجاراة الامم النبيهة واللّحاق بهـا في مدارج العمران انما ناشيء عن كلال في مضائنا ووهن في عزمنا ، لا عن خمود في حميتنا وقصور في مداركنا ، اذ فينا والحمد لله من خيار رجال النخوة والنبل والذكاء من تنبه بهم المحافل ويشار اليهم بالبنان . واذا بحثنا عن العلة التي وأدت فينا الفتور والتردُّد والتراخي والتواكل امام المساعي المهمة ، لا نتمالك عن ان نرد ذلك الى الاعتماد على سوانا في جميع مراحل الحياة ، بحيث ننخرط في العقد

الثاني او الثالث من العمر ، ونحن مُعوّلون على من يدير امورنا ويتولى زمام مقادتنا ، حتى اذا تداعت جدران البناء الذي نأوي اليه في النائبات ، وسقط العماد الذي نستند اليه في الحادثات ، هبطنا معه واصبحنا ولا ملاذ لنا ولا مرجع ، فنقنط كل القنوط ونرتبك ايّ ارتباك

فلو كنا ونحن في عهد الصغر نتدرب في ادارة بعض شؤوننا على قدر ما تتحمله الحال ، ثم نتدرج في هذه السبيل بعد الانتقال الى ربع التحصيل ، بحيث لا نرجع الى أساتذنا الا في المشكلات التي لم نوفَّق الكشف معمَّاها بعد افراغ الجهود ، لما كنا نقف ، وقد برحنا المعهد العلمي واستوفينا حظنا من المعارف ، موقف الحائر ازاء المستغلقات التي نصادفها في اثناء مطالعاتنا ، وما كنا نكبل بقيود السآمة والقنوط ونتبرَّم من الانكباب على الاستفادة والاستزادة ، الى ان تتهوَّر وتنهار صروح آمالنا ونُضعضَع أطواد عزائمنا . ولا عجب في ذلك فان الطالب اذا لم يتعود شحذ الذهن بالتروي والتبحر ، بل عول في تفهم المسائل العويصة على شرح استاذه ، انقضى وقت الدراسة والعقل مقيد لا ينطلق ابدًا في فجاج التفكر والتدبر

ومن الحقائق الراهنة ان الرجل ابن التربية ، يجري في شيخوخته على ما تلقّنه في المهد واقتبسه في طور الرشد . فاذا نشأ على الجبن وضعف العزيمة والصريمة حتى تركاً في جميع مهماته على غيره ، نزل الى ميدان الجهاد والعمل وهو كليل الهمة سقيم الرأي عاجز عن ادارة اموره وتدبير شؤونه ، هيَّاب للمساعي المكتنفة بالصعوبات ، حتى يسير بطء ومهارة وقصور مع اترابه الذين حنكتهم التجارب وعلمتهم الايام فاذا عرضت له عقبة في طريقه انقلب على قدم الفشل خاسرًا خاسئًا ، على حين ان اقرانه الشجعان لاتلوي اعنتهم الحال والرامي ولايجال عزى جلدهم الضرب في التمادي ، بل يزيد دون بأسًا واقدامًا كلما تراكمت المصاعب وعزت المطالب . واعظم العدد في ذلك لتنشئتهم على الاقدام وثبات الجنان ، والتعويل على النفس في كل حادثة معضلة ومسألة مشكلة

على أننا لا ننكر أن استشارة الحكماء قبل مباشرة الاعمال واطلاق النظر في مجاريها من ادعى الاسباب الى النجاح وادعمها على تجنب العاثر وتلافي المخاطر . لان المرء اذا استقلّ برأيه كثرت معاطبه وتمادى شططه وبرهن عن ادعاء في النفس ، والادّعاء نهاية الخرق والحماقة ، يفضي بصاحبه الى مهاوي الخطل ومصارع الزلل . ولأن يضرب المرء عن العمل صفحاً أولى من ان يُقدم عليه بدون مصباح يستضيء به في دياجر الشبهات وحنادس المعميات . أما اذا استشار واستهدى فلا يبقى عليه الا إجراء ما قرّت عليه آراء الالباء بدون ريبة ووجل ، خوفاً من ان تفوته فرصة الانتفاع فيندم أيّ ندم

ومن المحال أن تتوغل أمة في مذاهب الحضارة وتثبت قدمها على قمة المدنية ما لم يتوفر ابناؤها على التذرع بما يضمن لها العمران . وانما يستقيم ذلك بأن يعتمد كلٌّ على نفسه في مسعاه حتى كأنما عهد اليه وحده ان يشيد في وطنه معالم العز والسعد ، او كأنما الفلاح لا يتألق بدره في سمائه ما لم يتأنق هو في عمله ويحكم مهنته ويمهر في صناعته . وبهذا الاعتبار تفلح الامم وتنهض الممالك وتتوافر لها موارد الثروة واسباب الرغد . ولكن اذا وقع بين افراد الامة التواكل والتخاذل ، حتى لم يقم بتلك النهضة العمرانية الا نفر قليل من ذوي الحزم والمضاء ، فان البلاد ترجع القهقرى وتكون هدفاً للبلاء والشقاء وتصبح طعمة سائغة لأرباب القوة والطمع ، على حد ما هو جارٍ في كل قطر تفشّت فيه جراثيم العجز حتى أمسى صاغراً وضيعاً لا يتجرأ على ان يلتفت الى تلك اليد القوية القابضة على زمامه الا بعين المهانة والصغارة

تنازع البقاء

« له ايضاً »

ليس في هذا العالم رقدةٌ للأَهواء ولا شكيمة للمطامع ، وانما الدنيا ميدان كفاح تتجاول الناس في باحاته للاستئثار بما يروقهم من مباهج هذا المعمور ومحاسنه الخلّابة . فهم في عراك مستمرّ وجهاد متواصل حتى لا ترى فترة بين الحملة والحملة ، ولا هدنة بين الصدمة والصدمة ، وحتى تسمع من البشرية الأَنة تلو الأَنة والشكوى اثر الشكوى من حمَلة لواء تلك الحرب الضروس التي تقصف رعودها في اطراف البسيطة جمعاء

معركة هائلة تشترك في نوائبها المعمورة من اقصاها الى اقصاها ، وتتأوه من كوارثها الانسانية رازحةً تحت فوادح اوقارها ، لا تفتأ تجرّ على ابناء آدم جيشاً من المحن ، يدفعهم الى مهاوي الشقاء ويُهبط عليهم من الضيم صواعق قتّالة . يضرب في بوقها ارباب الطمع وطلّاب المجد ، ويثير غبارها عشّاق العز ورُوّام السؤدد ، فيسطون على اخوانهم ويصولون ويستطيلون ، وهم بين متخلّق بأخلاق الادباء ومتّسم بسيماء العلماء ، وبين مجاهر بالتضامّ والتآلف ومتزهّد في التنابذ والتضاغن ، وبين لابس لباس الحملان مع انه أَروغ من الثعلب وأَفتك من السرحان ، الى ان يسحقوا تلك الفئة الضئيلة وينسفوا مباني راحتها ويقذفوا بها بين مخالب الفاقة والبؤس ، حيث تعاني من الغصص أَشدها وتُجرَّع من المكاره امرَّها

أَجل ان في هذا الكون قوَّتين تطحن احداهما الاخرى بيد اقسى من الحديد . قوة تلجأ تارة الى الحيلة وطوراً الى العُنف ، حتى تلتهم من الضعيفة ما تُشبع به نهمَها . فلا تعبأ بظلمة تجترحها ، ولا تكترث لجريمة تقترفها وانما يلذ لها ان تحلّق في جو الوجاهة والنباهة ، وتستأثر بكنوز الارض وتسحب اذيال الفخر وتتربع في دست السيادة قابضة على أَعنة العاجز تحتكم فيه

على هواها ، وتسخّره في تنفيذ اغراضها وادراك اوطارها . وأي شر افظع من أن يستقلّ القويّ بمنافع القاصر ويتلاعب بحقوقه ويعبث بعرق جبينه ويستخدمه في مصالحه ، ويكلّفه اصعب المشاقّ طمعاً في انماء الثروة واحراز الرفعة ونيل الشهرة . بل أية جناية اقبح من ان يسدّ منافذ الارتزاق في وجهه ، ويضع الحواجز في سبيل تقدمه ، ويحتكر المتاجر لاستنزاف دراهمه ، ويؤلف الشركات للاستبداد بريع أراضيه ، حتى اذا فرغت يداه من النقود استسلم بحكم الاضطرار الى ان يخنع ويستكين لذوي اليسر ، وربما كان انزه منهم طبعاً واشرف روحاً واسمى فكراً وأرقّ شعوراً . بل أيّ جُناح اجسم من إثقال منكبه الضئيل تحت الضرائب الباهظة والرباء الفاحش . وأيّ جرم اعظم من تعريضه للمهالك والمرائر حتى يشيدوا على عضلاته القوية وسواعده المفتولة من المجد صرحاً باذخاً ومن الثروة جبلاً شامخاً

مشهدٌ مؤلم يدمي العيون ويذيب الصدور ، يمثله كل يوم على ملعب القسوة والجور اصحاب القوة والدهاء حتى ترى البحر يبتلع النهر ، والذئب يفترس الحمَل ، والاسد يدقّ هامة الثور ، والصقر ينقض على العصفور . وربما تعاركت القوى المتكافئة وتدافعت الامواج المتعادلة . بل ربما تصاولت الوحوش الشرسة والاسود الضارية حتى تهالكت وتفانت وأصبحت عبرًا لاناس يعقلون

ولا جرَم ان الدنيا بما اودعها المبدع الجواد من الكنوز والخيرات تكفي كل امرئٍ مؤونة هذا العراك الثقيل الوطأة على المجتمع البشري ، بحيث يقطع مراحل الحياة ناعم البال قرير المقلتين . ولكن هو الحرص حتى لاتسكن شهوة النفس ولا يروى عليل القلب ، وهو الطمع حتى لا ترى احدًا قنوعاً بحالته راضياً بما قسم له ، وهو الكبر حتى يدفع الانسان الى مناطحة الجوزاء ومزاحمة النجوم في القبة الزرقاء . فلو لجم البشر مطامعهم وخفضوا من جناح خيلائهم لعاشوا عيشة أعذب من الماء الزلال . ولكن الاهواء تثور في البابهم ، وحب البقاء يتغلب على نفوسهم فيتناظرون ويتنازعون ، والبشرية

بين كل ذلك تصعد الزفرات وتسكب العبرات ، والايام تنذرهم بالويلات وتتوعدهم بأقسى النكبات وأفظع الملمات

كيف لا والآذان تصطك كل ساعة بالوف من الحوادث الهمجية ، بل الجرائم البربرية التي يجنيها الانسان بكل قسوة وفظاظة ، انتقاماً من اخيه في الانسانية او استبداداً بماله ، حتى لقد يضنّ عليه بنسمات الحياة لو حاول ان يتنفسها للاحتفاظ برمقه والذّود عن روحه . الا ترى هذا المستبدّ كيف يكبّل اخاه ، الذي لا نصير له ، بأغلال الجور وسلاسل القيد والعسف ، وذاك القويّ كيف يرشق الضعيف بسهام حادة ويحكّم فيه سيوف السخط والنقمة ، وذلك الغنيّ كيف يمتص مال البائس كما تمتص العلقة الدماء ، وذاك الحسود الطمّاح كيف ينصب الحبائل لقلب ذي السؤدد عن كرسي مجده حتى يستوي هو على سدّة عزه . وعلى الجملة فان الانام اصلب قلباً من الضواري فاذا قصرت يدهم عن الاغتيال دبت عقارب السنتهم تنفث سماً زعافاً لتشويه سمعة من يضمرون له البغضاء ويطرون الشحناء . واذا عجزوا عن اللحاق بمن تقدمهم الى غايات الفلاح ، ولم يتيسر لهم ان يضعوا في وجهه حواجز متينة تصدّه عن متابعة المسير ، شنّوا عليه حرباً سياسية تعرقل مساعيه حتى يرجع ادراجه وينكص على اعقابه فشلاً مدحوراً

هذا قلٌّ من كُثر مما ينتجه تنازع البقاء ، غير انه واف فيما نظن بان يشعر اهل الذكرى والاستبصار بجسامة مخاطره . اذ كثيراً ما يكون من عواقب الحسد والطمع والاستئثار على ماديتنا ، وجميعها من افظع آفات الانسانية واكبر غرائل البشرية . وحسبك به شراً انه يستأصل من الصدور كل عواطف الشفقة والرحمة ، ويكمن المروءة في مرادمها ويكفن الرحمة في مدافنها فتزداد القلوب خشونة وصلابة ويدبّ الحرص في المهج ، فيفترس ما فيها من بقايا الشرف والحمية ، حتى تدغل النيات وتسقم العواطف ويجف الشعور فلا تقع الابصار الا على مايدميها ولا يقع في الآذان الا اصوات المتألمين وأنات المنكوبين

على أننا مع إلمامنا بما ينجم عن تنازع البقاء من جسائم البلايا ، لا يسعنا ان ننكر ما له على المجتمع الانساني من جلائل الحسنات ، فهو الذي يُرهف الهمم ويحث العزائم ويوطن النفس على المآتي الخطيرة ، تخليداً للآثار الرائعة والذكرى النبيهة والاحدوثة الدائمة ، وهو الذي يحض على التسابق في مجالات العلى ومصاعد النبل والنباهة . فلو لم يتنازع الانام اطراف الحياة الخالدة ومطارف المجد الرائعة ، لباتوا في خمول مخجل وتقاعد شائن وانحطاط مذلل وتقهقر مكبل . غير اننا نود لو تسلم هذه المزية الغريزية من الشوائب حتى لا تتشعب عنها تلك المضار الموبقة والنتائج المرهقة ، لانه يتسنى للمرء ان يحيا في عالم التاريخ ما بقي التاريخ ، وان يطوي العمر وهو معزّز الجانب نبيه الذكر جليل القدر ، بدون ان يتلطخ ضميره بأدران المفاسد واوزار المطامع . ولنا على تأييد ذلك الوف من الشواهد منها : ارباب الاختراعات والمكتشفات والفلاسفة والحكماء الذين خدموا الانسانية بثمرات ذكائهم واذهانهم ونفعوا بناء جنسهم بمجاهدهم ومآثرهم ، حتى دوّنوا لهم على صفحات الايام سطوراً خالدات من محاسن الذكر وروائع المجد مما لا يقوى الدهر على طمس اثره واخلاق جدّته ، وهم مع ذلك انقياء العرض سلماء النية والدخيلة لم يعلق في نفوسهم طمع ، ولم ينزلوا بأحد أذية ، ولم يطلبوا لدورهم كرهاً ولم ينصبوا لمزاحمهم شركاً ، وانما احتازوا منة الحياة يفيدون ويهذبون ويصلحون ويفتنون . وما اشهى الحياة اذا تصرمت على هذا النحو سويعاتها وتيرة المثلى

الهوى يعمي والغرض يصم
« له ايضاً »

اذا ضاعت في امة الحقائق وسادت الترهات ، ودفنت المصلحة العامة فقل ان هناك ميداناً للاهواء تتحرك فيه القلوب وتتنازع النفوس ، حتى يدلهم جو الفضيلة ويلبس الهيكل الانساني ثوباً قاتماً ، حداداً على الصدق والاستقامة

والمروءة والنخوة

واذا ابصرت ألباباً تتنافر وصدوراً تتضاغن وايادي تتخـاذل وعيونا تتشازر ، فلا يخامرنك ريب ان النزاهة اسيرة المطامع الاشعبية ، والوطنيـة مكبلة بقيود المنافع الذاتية ، والحمية مكمومة الفم موثقة الايدي والاقدام لا تستطيع حراكاً ولا ينبض لها عِرق وقد علت محيّاها صفرة الموت

واذا شاهدت بين الحاكم والمحكوم فواصل منيعة ، وبين السيد والمسود حواجز قوية ، وبين القوي والضعيف سدوداً متينة ، وبين المثري والمعـدم حوائل حصينة . فتيقن ان الهوى هو الذي أسس تلك الموانع ودعمها بالضغائن وعضدها بالحزازات وشددها بالافتراءات واحكم بنيانها بالمثالب والتخرصات حتى قامت العقبات في وجوه طلّاب الفلاح وعشّاق المدنية ، ولم يبق لك هنالك الا نوادب تبكي العمران وترثي صروح المجد ، وتتفتت جزعاً على خراب الامة ودثور آثار منعتها وتقوّض اركان مهابتها وسطوتها

واذا رأيت من حولك الشقاق ضارباً اطنابه ، والوفاق موصداً ابوابه ، واصطكّت مسامعك من وقوع الجنايات ، وارتجفت مفاصلك من ارتكاب الفظائع المنكرات وارتعدت فرائصك من الحوادث الهائلات ، ثم لم تأمن على روحك من عدو ينزعها من صدرك ، وعلى مالك من لص يبتزه من صندوقك وعلى عرضك من نمّام يسلقه بلواذع لسانه ، وعلى مقامك من ظالم ينسف أُسس بنيانه ، وليس من حولك وازع يردع الطغاة ويزع البغاة ويصد الجناة ويكف العداة ، نثق ان الاغراض هي المتحكمة في بلادك والمتغلبة على بني وطنك تقودهم الى مواقف الخيانة ومواطن الملامة وتسوقهم الى مهاوي الغواية ومزالق الغباية

واذا هُضمت حقوق الوطن واختلت فيه الادارة ، وضاع رجال الادب والفضل ورجح اصحاب البلادة والجهل ، وانتشرت المظالم وهتكت المحـارم وظهرت الرذيلة على الفضيلة ، والبطل على الحق ، والكذب على الصدق ، والرثاء على حرية الضمير ، والمكر على الاخلاص ، فاحكم اذ ذاك ولا تخش

لومة لائم ان عبيد الهوى هم السائدون والمستبدون والناقمون والمتحكمون ، وهم الذين يذللون بلادهم ويخفضون وطنهم ويحطون من شأن الفضلاء وقدر العلماء ويشوهون وجه الانسانية ويجتاحون اصول المدنية

واذا رأيت الصحف السيارة لا تصلح خللاً ولا تسد ثلمة ولا تعالج داء ولا تقوّم خلقاً ولا تثقف نفساً ولا تنير ذهناً ، وانما تزيد الامة عماء وضلالاً وتهوراً واستهتاراً ، فقل ان الغرض يلعب بين سطورها وينفث سمومه في اقلام اصحابها ومنشئيها ، حتى انهم يخدمون اوطارهم ويغضون الطرف عن مصالح موطنهم ومنافعه العمومية

وعلى الجملة فانه ما من شر ولا بلاء ولا محنة الا والاهواء تؤجج نارها والاغراض تثير غبارها ، فحاربوها واهلها حتى اذا احرزتم عليها الغلبة لم يبق في البلاد فتنة ولا فوضى ، وسادت فيها الحرية والمساواة والاخاء والشورى وحينئذٍ يمكنكم التبحر في مذاهب التمدن الصحيح والتبسط في مضمار النجح والعمران ، ويتسنى لكم ان تزرعوا الحقائق في الافكار وتغرسوا العواطف الشريفة في الالباب ، وترشحوا ناشئة مهذبة وتنشئوا نابتة محنكة مدربة تقوى على ان تنهض بالامة النهضة المرصودة ، وتعزّز جانبها وتحيي دوارس مجدها ومعالم عزها . والا فلا تأخذنكم الدهشة من التقهقر والبوار والانحطاط والدمار والفتن العمياء والثورات الصماء ، الى ما هنالك مما ينتجه الهوى اذا احتكم في النفوس ، ويولده الغرض اذا تأصل في القلوب ، والعياذ بالله من سورات الاهواء ونزواتها ، ووثبات الاعراض وعصفاتها

وداع ولقاء

« لاديب دلك اسحق »

غاب عنا الشتاء والغائب حقيق بالكرامة فما نذكر مطره ووحوله ولانوءه وسيوله ولا كثافة غيومه ولااحتجاب نجومه ولا ظلمة لياليه ولا التزام المنزل

فيه واذا نذكر طيب المنام ومروء الطعام ولذة السهر وحلاوة السمر وصفاء الاذهان ونشاط الابدان والتآم الاحباء وانقطاع البغضاء وان الساعي فيه لا يحرق العرق جبينه ولا يكحل الغبار عيونه ولاتصهر الشمس رأسه ولا يضيق الحر انفاسه . فاذا جلس فلا يؤذيه الهواء ولا تتراخى منه الاعضاء ولايتولاه الملال ولا يعتريه الكلال واذا نام فلا يحوم الذباب عليه ولا يتداعى البعوض اليه . ولا يصيبه من الحر أرق ، ولا تخبث منه ريح العرق ، ولا تؤلمه بثور الحرارة ، ولا يضرم الاكال في بدنه ناره . بل يغمض على الراحة جفنيه ، وينام الليل ملء عينيه

فسلام على الشتاء من راحل اغرقنا طوفان دمع السحاب في توديعه . وانقذنا فلك صحو السماء في تشييده . واهلاً بالربيع من قادم تبتسم لقدومه الازهار ، وتغرد في اقتائه الاطيار ، وتميل فرحاً به قدود الاغصان . فيكاد هامها من نداه بتيجان . لقد انجلت منه ديباجة السماء ورقت به حاشية الهواء . فنمنم برود الحدائق ، واحكم تدبيج الشقائق ، وزين حلة الارض بحلية النبات الغض . فاختالت الغصون من الورق والاثمار ، بابهى من الزبرجد والنضار . فترنم عليها القمري ، بمثل قول البحتري :

وقد نبّه النوروز في غبش الدجى ... اوائل ورد كنّ بالامس نوّما
يفتحها برد الندى فكأنه ... يبثّ حديثاً بينهنّ مكتّما
ومن شجر ردّ الربيع لباسه ... عليه كما نشّرت برداً منمنما
أحلّ فابدى للعيون بشاشة ... وكان قذًى للعين اذ كان محرما

ومرحباً بطلائع صبح الامال ، في مطالع نجح الاعمال ، وبشائر حسن المآل في اشائر صلاح الحال . ونضرة زهر الهناء في خضرة روض الرجاء . فهذا هو الربيع . بمعناه البديع . فننشده قول الشعراء في لقائه ووداع الشتاء

ايا راحلا عني رحلت معظما ... ويا نازلاً عندي نزلت مكرّما

. . .

الخريف

« للشيخ انطون الجميّل

ظهرت سحابة في كبد القبة الزرقاء ، وابتلّ جناح الهواء . واغرورقت مقـلة السماء . فوقعت على الارض بعض نقط مـاء . . . تركت السنونو الديار مهاجرةً الى اقطار شاسعة . وهبَّ نسيمٌ بارد فألوى سنابل الحقل وحنى غصون الاشجار الباسقة . عري وجه الارض من دبيبها وصارت الدنيا كهلة وقد ولت ايام شبابها فقلنا : « ها الخريف قد اقبل والصيف قد ادبر . . . »

عبس وجه الطبيعة . واكفهرت طلعة السماء فاستحالت زرقتهـا سوادًا . واتشحت بثوب الغيوم الكالح حدادًا . وجادت المزنُ حزناً بدمعهـا الصافي ، فبرد بعض ما فيها من الحرّ والحرقـة . فسالت في مآقي الارض حمراء اسفاً ووجدًا على هجر شبابها

اصفرَّ العشب الاخضر من لوعة هذا الفراق . وبكت الشجر فتساقطت منها الاوراق . واصبحت تلطم جزعها بغصونها الجرداء . وحيث كنت تسمع تغريد الطيور الشجي الرخيم لا تسمع الآن الا حفيفـاً رائعاً اشبه بزفرات المهجور الحزين . اذ ان ريح الشمال قدهبت وكان لهبوبها في الغاب صدى نوح وعويل . واخذت تتلاعب بالاوراق الذابلة المتناثرة كتلاعب الرزايا بالانام

وكأنَّ الطيور قد انفت هذا المشهد . فأخذت تشق الفضاء ولسان حالها يقول : « نحن رسل الزهو والزهر . ووفود الصفاء والبشر . . . لا نألف الا الرياض الخضرة والحدائق النضرة . والا تحوّل تغريدنا الى نوح ورثاء . واصبح اشبه بنعيق البوم والغربان . فنعود متى عاد الربيـع . . »

اما تأثير هذا الفصل في النفوس فشديد . وليس باقل من تأثيره في الطبيعة فيشعر الانسان بانقباض يستولي على فؤاده . ويسمع في داخل صدره صوتاً

ينذره بقرب فصل الشتاء فصل الشيخوخة . فيتساءل حزيناً : « وهل ارى فصل الربيع ثانية ؟ هل ارى الاشجار تخضرُّ والاطيار تعود . . . فيستسلم لهذه الافكار التي تغذي النفوس بغذاء الحقيقة . وتروي القلوب التي حرقها الظمأ الى المجهول . ويا نعم ما قال الشاعر :

إنَّ فصل الخريف وافى الينـا　　يتهـادى في حلية كالعروس
غيره كان للعيون ربيعـاً　　وهو ما بيننا ربيعُ النفوسِ

ومن امعن النظر في حياة الانسان يراها كفصول السنة :

فصل ربيع مزهر مثمر . يطيب فيه الهواء ويروق اديم السماء . تشرق شمس الهناء والاقبال فتُبدد غياهب الكروب . ويسطع على الافق بدر السعادة والامال . فيضيء ظلمة القلوب . فتتفتح ازهار الصفـاء . وتنضج اثمار الرجاء . . .

وفصل شتاء محزن تتلبد غيوم الشدائد في سماء مظلمة قاتمة . فتمطر ثلجاً تجمد له حركة القلوب الخافقة . وتسيل دموع الاعـين الحارة . تعصف رياح الجزع فتتلاعب باوراق الآمال الذابلة . وتقصف رعود المصائب فترمي القلب البشري بصاعقة اليأس القاتلة

تلك هي حياة الانسان عسر ويسر . راحة وشقاء . شدة ورخاء . ورد وشوك . طلوع ونزول . شروق وافول . حـلاوة العسل ومرارة الحنظل . ابتسامة ثغر ونقطة دمع . ابتهاج الربيع وكآبة الخريف

تحية العلَم الوطنيّ

« له ايضاً »

على صورة البلاد . على آية المجد . على ضامن النصر . على عربون الظفر . على محيي الامل . على راية الشرف . على محرّك النفوس . على جامع القلوب . على علَم الاوطان الف تحية وسلام . . .

الف تحية وسلام عليك ايها العلَم المقدس . تجسمت فيك روح الوطن المحبوب فباتت تنشد اغاني الشرف واناشيد الحميَّة كلما حرَّك الهواء طيَّاتك . وتمثِل صور التفاني والوطنية كلّما تلاعبت اشعة الشمس بألوانك

على بنودك الزاهرة يقرأ الخائن المارق آيات النقمة واللعنة ويتلو الوطني الصادق الفاظ المجد وسطور الشرف . فان قصيدة الوطنية قد رُسمت على نسيجك بحروف خفية .

حاكتكَ يد الامهات وطرزتك عين الاخوات وزركشتك دماء الآباء والاجداد . فبات الوطن وكل ما نحب في الوطن ممثلاً في طيـاتك . فسلام عليك .

دقَّ النفير فكهرب القلوب . ضجت الطبول وصهلت الخيول . رُفعت البنود وشُحذت الحدود . عبست الجباه وتلمَّظت الشفاه . صاح صائح المنية بين القوم : إن يومي هذا اليوم .

قصفت المدافع فقذفت الموت من فوهاتها ودوَّت القنابل لخمات الدمار مع كرَّاتها . صفر الرصاص وبرقت بيض الصفاح . رفعت راية الوطن ونشرت بنودها فوق رؤوس الجنود . وسارت امام الصفوف تخفرها البنادق والسيوف وتحوم حولها المهج والنفوس .

هناك انفتحت فوهة النار فرأى الجندي فيها الموت الزؤام وهو سائر بل طائر الى النصر او الى الهلاك .

نظر نظرة اخيرة الى علم الوطن وتمنى ان يكون له الكفن وزأر كالاسد الضرغام .

الف سلام عليك يا علم بلادي . الى الامام الى الامام

في ميدان القتال تساقطت الابطال حول العلَم كما يتساقط في الخريف ورق الشجر

جريح طريح على الارض مبضَّع الاعضاء مضرَّج بالدماء . تضم يده الواحدة

جرحه من حيث تخرج حياته مع دمه . ويده الاخرى مرتفعـة نحو السماء تطلب الاغاثة .

يئن وينوح ولا مغيث ولا معين . لا يسمع سوى زفرات تتصـاعد من صدور تتلظى كصدره وتنهدات تخرج من احشاء تتقطع كأحشائه

تتجه افكاره الى منزل بعيد غادر فيه حليلة محبوبة تترمل بفقده واطفالاً صغاراً تتيتم بموته .

تسيل من عينيه دمعتان فتتحرق منه المآقي . يشعر بقشعريرة . ترجف اعضاؤه . يتراءى له كل شيء مصبوغاً بالدم . يدوي في اذنيه صوت رهيب . يرمع رأسه الملتهب . تبرق عيناه تتخرقان الظلام المتلبد . ويلوح له علم الوطن في ليل الموت كالنجم المضيء فيلفظ مع روحه هذه الكلمات « عليك سلامي الاخير يا علم البلاد »

رجع العساكر من ميدان الكفاح وقد تركوا في السهل فريسةً هائلة لملك الموت . شبع الرصاص من لحمهم وارتوت السيوف من دمهم . فعادت الوفهم مئات ومئاتهم عشرات

خرقة بالية تتقدم الصفوف . مزقتها القنابل وسودها البارود . انما هذه الخرقة البالية هي راية الوطن . ما هذا النسيج الممزق هو علم البلاد

عند مرآه تختلج القلوب في الصدور الابية وترتفع الايدي الى الرؤوس المحنية وتصيح الافئدة قبل الافواه « على الراية المحبوبة سلام »

ونحن ايها العلم المحبوب نأخذ على نفسنا العهد ان نخدمك بكل قوانا . واذا اقتضى الامر نفديك بالمهج ونموت هاتفين :

« سلام عليك يا علم البلاد سلام عليك »

. . .

اهداء الكتاب « اي كتاب المختارات »

« لمؤلفه امين بك البستاني المحامي »

اهدي هذا الكتاب الى مصر وإن قلّت الهدية عن قدر مصر وانما هذا جهد ما عندي . اهديه الى بلد الامن والفضل الجم . الى ام المدنيـات التي ارضعت مدنيات الامم طرّا . الى موطن الآثار التي بهـا يفاخر كل شرقي واليها يحج كل غربي . الى وادي النيل مورد القصّاد ومنتجع الرُوّاد . ذلك الوادي المبارك الذي لم اجد فيـه عيباً لعائب سوى انه ينسي الغريب اهله ويسلي النزيل وطنه بما يجد فيه من طيب العيش وصفو الحياة وحسن المعشر وكرم الطباع . نزلته على ان افارقه بعـد حين من الوقت فاذا انا في اساره ثمانية وعشرين عاماً . كلما هممت بالرحيل عنه عاقني خاطري وعصاني قلبي . فاذا قضى الله ان افارقه حفظت له في صدري عهـداً وثيقاً لا انفكاك له ودعوت له ولكل من اظلت سماؤه وأقلّت ارضه بالخير والبركات

مصر في ٢٨ سنة

او بين سنتي ١٨٩١و١٩١٩

« له ايضاً »

في الاحاديث الجارية على ألسن بعض الشرقيين قولهم : اذا غرّتك زيارة اوربا فزر مصر فهي مرآة اوربا . سمعت هذا القول ممن كانوا قد قدموا هذه الديار واجتلوا محاسنها وتخللوا مجامعها وعاشروا طبقاتها فلما جئتها قلت لقـد صدق الرواة ...

ان مصر في الشرق مرآة لمدنية الغرب وذلك لما رأيت بُعيد قدومي من مدنياتها في مدائنها الكبرى . والمدائن في كل امة هي مثال حضارتهـا لا قراها ودساكرها . حكم يتمشى على الامم جمعاء فاذا قدمت فرنسا او

انكلترا مثلًا طلبت عاصمتيهما ومدائنهما لتعلم مبلغ عمرانهما وحضارتهما لا مواطن مزارعيهما واصحاب المحاريث منهما . وهو ما وقع لي عند ما بلغت الاسكندرية غرة مصر وثغر الشرق البسام اذ لم تكد قدمي تطأ ثراها حتى علمت من نفسي اني اصبحت فيها تحت افق جديد من العيش والمدنية الجديدة . تدل عليها اجتماعياتها ومعاملاتها ومعاهد علومها ولغات اقوامها الى بلديانها ومبانيها الرائعة واحيائها الوسيمة وبوليسها المرسل عيونه عليك من اي النواحي اتيته

ثم يممت عاصمة القطر وهناك وجهت همي الى استطلاع شرائع مصر وقوانينها الجديدة ولوائحها المدنية والمعاشية وجست مجتمعها ولقيت اهل العلم والفضل فيها . فاجمعت بعد هذه الرحلات كلها على ان المدنية المصرية التي ثوت مع فراعنتها وبطالستها وورومانها ومن جاء على اعقابهم من المصلحين في هبة جديدة وان مدنيات الممالك كأناسها تُنشر وتطوى وتحيا وتدبل جرياً مع سنة الدهر . نعم اني وجدت هذه المدنية الجديدة في شرائعها وعاداتها وصفاتها مدنية مستعارة من مدنيات الغرب الا ان هذا لايقدح فيها . فكم استعارت الممالك من مدنية مصر القديمة التي لم يزل رحّالات العلم يرحلون الى آثارها ويقفون بين يدي اشخاصها الماثلة لليوم وبين ايدي اهرامها وما بقي من مسلّاتها وقبورها معتبرين مفكرين .

هذا شأن الامم في مجاز الدهور يستعارمنها وتستعير فالناس بالناس والدنيا مداولة . ومن حاجٍ وحادل دفعنا به الى متحف آثار مصر وعادياتها في قصر النيل واخلينا بينه وبينها . فيخرج خاشع الطرف صاعر النفس آسفاً على تلك المدنية العالية ان تزول . ألا ان للدهر احكاماً نافذة في كل شيء من اعلى دوله ومدنياته الى اهون ما لديه . . .



حرب الامم
وما اورثته من شرّ وخير
« له ايضاً »

اما الشر الذي اورثته هذه الحرب فلا يعز على الاقلام ان تصفه: ملايين من الخلق قتلى وجرحى وفيهم الالوف المؤلفة من الشوه والمعوَّهين. ومدائن وقرى وبواخر وبوارج دوارع وغير دوارع اكلتها النار والماء. ومليارات كبار من المال تلقفتها الحرب نفقات لها من خزائن الدول المتحاربة عدا ما اعقبت من الخسارة والاضرار بتجارة اقوامها وقد اصاب المحائدين شيء عظيم منها على جهة ما اغرقت الغواصات لها من السفن وما عطلت الحرب من المتاجر والمكاسب عليها. تلك امور تدركها البداهة ويتناولها التصور عن كثب. هذا على جهة المادة. وبقي من شر الحرب ما اغلظت من اكباد المتقاتلين وما اخشنت من طباعهم وشواعرهم حتى لقد يبصرون الدماء تسيل وهم يحسبونها امواهاً تجري في مسايلها. فكم سلا الجندي اهله وولده ومعشره ومعاهد انسه الَّا شرف وطنه الذي يذود عنه ويبذل حياته دونه. ولا يذهبن عنك ما احدثت الحرب في صدور الامم من الاحقاد والضغينة وما اعدَّته للذراري المقبلة من حرب الثأر ولا سيما الالمان واحلافهم الذين ذهبت عروش ملوكهم واقتطعت سيوف اعدائهم شيئاً كبيراً من ملكهم والزمتهم كل غرم وحطت من اعلامهم حتى صافحت التراب بعد تلك العزة والاختيال. فالحرب اذاً مستأنفة ولكن في سنين. والله اعلم متى يكون موعدها وعلى اية الصور تقع الَّا انه محال كل محال ان يعيد لنا تاريخ الدهر مثل حرب الامم بشكلها الذي عهد ولم يرد في سطور التاريخ منذ كان التاريخ ان الامم تحزَّبت حزبين كبيرين واقتتلت اقتتال الفناء كما حدث في حرب الامم هذه. لقد تناصرت دول كثيرة على نابليون الا ان نابليون

كان يقاتلها وحده لا تنصره دولة اخرى عليهـا . ثم اية حرب جمعت تلك الملايين وتلك الاساطيل من المقاتلة . او نسينا عدد المتقاتلين في وقعتي المارن الاولى في بدء الحرب والثانية في ختامها . لقد كان عددهم في ساحة واحدة نحو مليونين وهو عدد لم يجتمع لدولة بل لدول في كل حربها لا في ساحة واحدة من ساحاتها . وهل يجهلنّ احد ان عدد المقاتلة في وقعة واترلو الشهيرة كان نحو مائتين وثمانية وعشرين الفاً منها اثنان وسبعون الفاً لنابوليون والباقي لاعدائه وهي الوقعة التي يدعوها المؤرخون وقعة الدهر فتأمل

اما الخير الذي حصل عن هذه الحرب فمنه ماهو للانسانية ومنه ماهو لصناعة الحرب ومنه ماهو للعلم عامة مما يقتضي بحثاً كبيراً متصل الاطراف وزمناً طويلاً فيما اعقبته من الفوائد للعالمين وقد تعجز الاقلام الساعة عن حصرها ووصفها وهل فاتك ان الحرب التي وقعت كادت تنقض بناء المجتمع وتزلزله فكأنما هو اليوم وقد استوى خلقاً جديداً . فمن اظهر ثمرات الحرب وبركاتها تحرير الامم المستعبدة مثل البولون والتشك وسلاف الجنوب وعرب الحجاز والسوريين ثم اعزاز امم اخرى صغيرة بما اعطيت من غنائم الفتوح مثل السرب ورومانيا وكذلك البلجيك وقد كانت مغلوبات على امرها مع جيرانها الضخام . .

ثم من حسنات هذه الحرب تأليف مجلس الامم ليقضي فيما يعرض من الخطوب بين الدول ويتداركها من حروب وملاحم جديدة وقد كان الدكتور ويلسون زعيم دعاته ومريديه . ررق الله هذا المجلس الكبير توفيقاً ولا اراه ما أرى محكمة الهاي من المكاره فانها لم تدفع عن الناس شراً ولا وقتها رزءاً ، مادت به الارض ومالت به عن محورها . وعندي ان عهود الدول ومجالسها انما هي نافذة مطاعة ما دامت النزعة الى السلم غلابة فاذا وهنت وجاشت المطامع والاغراض في صدور ذويها فما افاد التحكيم الدولي ولا المحكمون شيئاً . انظر الى عهدات فينا ولوندرا وباريس وبرلين والى محكمة الهاي وهي بنت امس كيف امّحت وتناثرت هباء في اجواء الدنيا . وقس ما ترى اليوم على

ما وقع بالامس يهن عليك معرفة العواقب

ثم ان من طيبات هذه الحرب قهر المانيـا الطماعة الطاحة ورد الالزاس واللورين الى فرنسا وخلاص اوربا من السلم المدجج الذي ترك العالمين على غير قرار ثماني واربعين سنة

وقد ثبت للحلفاء من هذه الحرب ان اهل مستعمراتهم وهم يبلغون نيفاً واربعمائة مليون كانوا على اخلاص وصدق معهم بما اراقوا من دمائهم وانفقوا من اموالهم فأنالوهم الجزاء الحسن وحققوا كثيراً من امانيهم . ومن فوائد الحرب انها اوسعت المجال الذي لا يدرك مداه لأقلام العلماء والمؤرخين ان يكتبوا دهراً دهيراً في وقائعها واحداثها وفي علمياتها وحربياتها وفي ذلك علم وتفقه للناس .

مضى على حروب نابليون نحو قرن واكثر من قرن ولا يزال المؤرخون يكتبون فيها كأنما هي طارئة واقعة . واقرب شواهدنا تاريخ اللورد روزبري في نابليون وحروبه وقد اعجب به الرجل غايـة الاعجاب على كون اللورد روزبري من امة قاتلت نابليون نحو عشرين سنة وهي اشد اعدائـه بأساً ومراساً . خذ مثالاً ابعد من هذا كثيراً وهو حرب ترواداالتي وقعت سنة ١٢٧٠ قبل المسيح اي من ثلاثة آلاف ومئة وثمان وثمانين سنة ولم تفتأ الاقلام تشتغل بها الى اليوم . فما ظنك بحرب الامم التي عبأ لها المتحاربون خمسين مليون محارب هلك منها قتالاً نحو عشرة ملايين . ولا تسل عن ملايين الجرحى والمرضى من جرائها . . . لا شك ان حرباً مثل هذه لا تنتظم لها مادة عند المؤرخين والكتاب حتى يرث الله الارض وما عليها



ما اضيق العيش لو لا فسحة الامل

« بقلم بشاره الخوري »
منشئ جريدة البرق

اذا تلبد سماء الحياة بغيوم الملمات وعصفت ريح الشقاء على رياض الهناء فعبثت باغصانها المائسات واقمارها الطالعات واظلم الافق بعد ان كان صافياً نقياً تختال فيه ربة النور بحلة البهاء فبتّ كأنك في ظلام داجٍ تتلاعب بك وساوس الافكار وتتناشك مخالب الآفات. ثم لاح لعينيك نور ضئيل في وسط الظلام فبدّد عنك مخاوف النفس وردّ اليك رمقاً يتراوح بين اليأس والرجاء فقل ذلك هو الامل « وما اضيق العيش لولا فسحة الامل »

واذا كنت في سفينة تشق عباب البحر وقدهبت عليها العاصفة فهاجت لها الامواج مرتفعة منخفضة لا تستقر على حال وفغر البحر الطاغية فما يكمن فيه الهلاك لخفق فؤادك هلعاوارتجفت مفاصلك جزعاً وظهرلك شبح الموت مخيفاً هائلا فوجمت اهتياباً لاتبدي حراكاً - ثم ظهرت اليابسة بغتة امام عينيك فانتعش لها فؤادك وتاب اليك رشادك وابتسم ثغرك وانشرح صدرك فقل هو الامل « وما اضيق العيش لولا فسحة الامل »

واذا توغلت في البراري المقفرات تحت جنح الظلام وقد خرجت الضواري من مكامنها تفتك بمن تلقاه فتكاً لا تبقي معه على حياة فاحاطت بك من كل جانب وكلها على قدم الوثوب عليك لتنوشك بانيابها المحددة وتحمل منك لصغارها طعاماً فشاهدت الموت عياناً ولم يعد لك رجاء في النجاة . ثم سقط طير الرخ عليك فانتشلك وطار بك الى جبل الامان فتمزقت عنك اثواب الاوهام وفزت بالنجاة بعد ان يئست من النجاة فقل ذلك هو الامل « وما اضيق العيش لولا فسحة الامل »

واذا كنت ممن مُني بمرض الادب فصرفت ريّق العمر بين المحابر والاقلام

واجريت على القرطاس مداداً من دماء الحياة فذبلت زهرة ربيعك قبل ان تفتح عنها الاكمام وجف عود حياتك فتناثرت على الاديم اوراقه الخضراء . وانت مع ذلك لا تصادف نجاحاً ولاتسمع كلمة ثناء . او متى بتَّ تخاف على ضياع الادب ولا تأمن على حفظ حقوقك التي تشتريها بدم المهج وسهر الليالي ثم بلغك ان قد راجت سوق المعارف والعلوم واصبحت الناس تقدر ارباب الاقلام فتهافتوا على اقتناء الكتب ترغيباً وتنشيطاً فقل ذلك هو الامل « وما اضيق العيش لولا فسحة الامل »

فيا ايها الامل الجميل يا ايتها الحمامة الطائرة في فضاء العالم هنيئاً للقلب الذي يكون لكِ قفصاً وللقفص الذي تغرّدين فيه . تغرّدين فتنعشين الفؤاد وتنشرين له في صحف المستقبل أشعاراً مطربات فتحببين اليه البقاء وقد رام الفناء وتعللينه بالسعادة وقد حالفه الشقاء

يا ايها الامل كم تعلل الفقير بالغنى والمريض بالشفاء فيبتسم ثغر الذهب للاول وتصافح العافية يد الاخير فتخفف عن هذا وطأة الالم وتفثأ عن ذاك سطوة الداء . وما اصعب الفقر اذا انقطع الرجاء وما اصعب الداء اذا فقد الدواء

يا ايها الامل ما اكثر الذين يستأنسون بالوحشة ومتى خيم الظلام يخلون بانفسهم الكئيبة فيذرفون على الوجنات دمعاً مدراراً ويتنهدون من فرط الجوى وألم النوى وينتحبون كما تنتحب الحمائم على الافنان فيحركون اوتار القلوب ويهيجون نار الاحزان . ثم تبتسم لهم عن ثغر حبيب كأنه الدر وتسفر لهم عن صبح محيّاً ابهى من البدر فتبتهج قلوبهم وتخمد نيرانهم وتصفو لهم موارد السعادة في مراحل الحياة

يا ايها الامل يا دمعة التعزية وابتسامة الفرح . يا نبتة الحياة المغروسة في تربة الصدر . يا انشودة الفوز بعد الفشل يا جنة الخلد والنعيم الدائم — سلام

يتجرد الغصن على امل ان يكتسي في الربيع ثوباً قشيباً وتغيب الشمس على امل ان تطلع في اليوم الثاني ساطعة منيرة ويدفع الزارع مع الحبة قوة

يمينه على امل ان يجني من الحبة سنبلًا كثيرًا ويميت الانسان نفسه في الحياة على امل ان يقابل وجه ربه مسرورًا ويرمي بنفسه الى المخاطر على امل ان يصير سيدًا خطيرًا

فهذا هو الامل هذا هو بارق الحياة وخيال السعادة ورائد المحبين . ولقد تخدع وتصح وتحلو وتمر يا ايها الامل

بلجيكا العجيبة

عن جريدة دير القمر لمنشئها نعوم البستاني

(في ٧ ت ١ سنة ١٩١٤)

سلام يا مأسدة الرجال سلام ياساحة الوغى سلام عليكِ يابلجيكا العجيبة . ألم تخلقي الّا لتكون سهولكِ حصيدًا لمناجل المتناجزين أم كنتِ ارحى الحرب قطبًا فعلى سواه لا تدور

يمر بكِ إله الحروب حاملًا الموت يطلقه على الاعمار وفي ساحاتك يلتقي القِرن قرنه والحسام يحتكم في الهام

ألتتدرّب ابطالكِ تتمخض الحرب فيكِ وتحيض أم دماء الابطال تسقي اراضيكِ فلا تنبت لكِ الا الابطال

ما اشدّ وثباتكِ للقراع وثباتكِ للدفاع يا بنت الجبابرة . .

ما اجرى أقدامكِ الى النزال وأجرأ إقدامكِ على الاهوال يا أنشودة الفتح أفتنةً كنتِ لهوى اوربا يا عروس الحروب حتى لا يكتب مهركِ الّا بالدماء

شاءوا الحرب بينهم يشتد لهبها وخافوا منكِ مهبًّا فقالوا حيدي حتى اذا فعلتِ كانوا للذمة من الخافرين

دعاكِ الحفاظ للذود عن حياضكِ والتفتِّ الى اشبالك فاذا هم من ألم الاهانة على الاضراس يعضُّون

أوعدوكِ ووعدوكِ ان استنمتِ فكان الموت احبّ من ذلك الصوت والجحيم اطيب مما يعدون . ثم لجأوا في التهويل فاقدمتِ تنشدين :

سوايَ يهاب الموتَ او يرهب الردى وغيريَ يهوى ان يعيش مخلَّدا

أيْ أمَّ البسالة ألم تكوني دارية ان من ورائك سيلًا جارفاً . بلى ففي رأسكِ الحكمة كما في ساعدك القوة . انما خرق حيادكِ هوَّن عليكِ الموت

لم يذكر التاريخ قبل يومكِ كسراً مجيداً يا مربض الآساد . أويحسبونه لكِ انكساراً وقد وضعتِ سيفكِ في كفة الميزان حتى اعتدل . .

ولو شئتِ في الارض غير الشرف علوّاً لتنحّيتِ وطالت يداكِ لكنكِ انكرتِ يدَ البغي ان تطول فكنت ضحية الاباء سالت على النار والحديد

لئن تغنى دلكِ الفرنسيس فلأنكِ كنت انشودة الفخار كُتبت بدماء شجعانكِ

لم تكوني ذليلة يا بلجيكا قطّ وقد شهد لك يوليوس قيصر بقوله : ان البلجيكيين هم اشجع شعوب الغاليين طرّاً

وان تكوني ذليلةً ابداً فعظمة مجدكِ يخلِّدها التاريخ وذكر ابطالك حيّ كلما قيل بطل . ألا وان اعداءك شهود لك ناطقون

ان جناحك المتقصَّة قوادمه سيطول ايها النسر وعرينك المستميتة دونه ستزأر حوله اشبالك ايتها المأسدة

علَّمتِ النفوس الاباء والوطنية وحرمة الجوار . علّمتها ان أمة تقوم لتدافع بدمها عن حقوقها لم تخلق لتموت

اي بلجيكا الغريبة كنا نخاف الغلو في مدح الرجال فصرنا نرى ذلك الغلو تقصيراً في جانبكِ يا مغرس الابطال

. . .

الجندي المجهول

« من مقالة لمخائيل نعيمه »

في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني بعد مرور عامين على عقد الهدنة بين الحلفاء والمانيا احتفلت انكلترا احتفالاً باهراً بنقل بقايا جندي مجهول من جنودها الذين قضوا في الحرب الى مدفن ملوك البلاد ومشاهيرها وذلك تخليداً لذكر جنودها الذين اشتروا الغلبة على الالمان بدمائهم . وفي النهار عينه وللغاية نفسها دفنت فرنسا بقايا جندي مجهول من جنودها تحت قوس النصر في باريس . وكلا الاحتفالين كان نادراً بهيبته اذ حضره كل اعيان البلاد من المليك والرئيس فما دون

بالله من انت ايها الجندي . ها قد مشت خلفك الملوك وابناء الملوك وحاشيات الملوك من سيد وامير ووزير خطير وقائد كبير . تحميك فرسان عن يمينك وفرسان عن شمالك وفرسان من ورائك وامامك الموسيقى تنتحب وتنوح . تجر نعشك جياد مطهّمة ويكتنف نعشك العلَم الذي قدّمت حياتك من اجل شرفه وتحف بنعشك أُلوف في أُلوف من ابناء أُمتك ومن بنات أُمتك وبين تلك الالوف وجوه سوّدها الحزن ووجوه شحبها الملل ووجوه بيّضها البطر . وفي تلك الوجوه عيون دامعة لاترى سواك وعيون باسمة ترى من حواليك وما حواليك . وفي صدور تلك الالوف الوف من القلوب بعضها يود لو كان نعشاً لك وبعضها يشكر الله لانك انت في النعش لا هو وبعضها يتمنى لو أُتيح له ان يركب مركبتك ولو لحظة قصيرة ليرى الملك والملكة ووليّ عهدهما عن كثب

بين تلك الوجوه وجه لو أُعطيتَ عينين لعرفته عيناك من بين الوف الوجوه . هو الوجه الذي استقرّ عليه نظرك اول ما انفتحت عيناك لنور الحياة والذي اطبقت اجفانك عليه ساعة انقلب النور في عينيك ظلاماً ابدياً

وبين تلك العيون عينان لو عاد النور الى عينيك لرأيت نفسك مرسوماً في حدقتيهما . هما العينان اللتـــان ابصرتاك وانت لا تزال في رحم السكينة محجوباً عن عيون الناس

وبين تلك القلوب قلب لو عاد قلبك نابضاً لعرفه من بين كل القلوب . هو القلب الذي سكنت في ظلّه تسعة شهور فكان ينبوعاً يغذيك بدم الحيـاة وترساً يصونك من الموت وقيثارة تنبّه روحك من غيبوبة الموت الى يقظة الحياة

ان المليك الذي وقّع على الامر باضرام الحرب التي اغتالتك يمشي اليوم في جنازتك مطأطئ الرأس كالح الوجــه ملجوم اللسان . أتراه آسفاً عليك ام نادماً على مافعل ام شاكراً ربه لانك قضيت فبقي له تاجه وصولجانه

والوزير الذي انتشلك من حضن امك وابيك وارسلك الى ميدان القتال لتفتدي شرف بلادك بدمك وتسند البائس والضعيف وتطلق العبـــد من عبوديته وتحفظ للحر حريته وتسحق الاستبداد وتضع الحق موضع القوة . ان ذاك الوزير نفسه يسير اليوم خلف نعشك صامتاً مطرقاً . فماذا عساه يقول في نفسه . أتراه يذكر يوم صاح بشعبه « يا للرجال » فهبّت الرجال الى السلاح وسحقت اعداءه سحقاً . أم تراه يقيس في فكره مساحة الارض التي ضمّها الى حدود مملكته ويعدُّ النفوس التي اضافها الى الخاضعين لسلطة بـلاده . ام هو يهيئ خطاباً جديداً يلقيه في البرلمان عن الخسائر الفادحة التي تكبّدتها وستتكبدها حكومته في سبيل الحق والعدل والحرية . ام هو ينظر الى الماضي فيغبط ذاته بفوز سياسته وفشل سياسة اضـداده ام الى الآتي فيرى نفسه جبّاراً من جبابرة التاريخ ام الى الحاضر فيرى المظلوم لا يزال مظلوماً والعبد عبداً والقوّة حقاً فيشعر بوخزات في ضميره لانه ذرّ في عينيك رماداً واعطاك سلاحاً ما قتلت به الا نفسك

والقائد الذي كنت تأتمر بأوامره ولا تراه والذي كان يقول لك اهجم فتهجم وارجع فترجع ونَمْ طاوي البطن فتنام وامش سحابة ليلك ونهـــارك

فتمشي والذي ارسلك الى حيث لقيت حتفك . ان ذاك القائد بعينــه الذي تمنّيت غير مرة لو كنت اياه وكان اياك يرفع اليوم يده ليحيي رفاتك

فماذا عساه يرى؟ماذا عساه يسمع . ايسمع دمدمةالرصاص وزئير المدافع وزفير الجرحى وانين المحتضرين أم يسمع تصفيق المهللين له بالنصر والمهنئين له بعودته سالماً بعد الحرب . هل تمر امام عينيه اشباح الليالي السود التيقضاها بين الفوز والفشل أم خيالات الليالي البيض التي جاءته ببشرى النصر . هل يرى الالوف التي قادها من الحياة الى الموت وانت واحد منها ام يرى الالوف التي عاد بها من الموت الى الحياة وهو واحد منها أم لايرى الا اوسمة الشرف على صدره ولا يسمع الا رنة مهمازيه

ليت شعري هل تراك الجماهير تدبُّ على يديك او ترحف على بطنكاو تتمرغ في الاوحال والغاز يحرق احشاءك والقنابل قد بترت يديك او اودت برجليك . هل ترى الجماهير المدشية من حولك جمــاهير الارواح والاشباح لمرفرفة فوق نعشك . هي ارواح رفاقك في الحرب الذين ساروا معك حتى النهاية رفاقك من جنسك ورفاقك من غــير جنسك . هي اشباح اعدائك الذين ساقهم الى الموت ما ساقك والذين عرفوك في الحياة فابغضوك وقتلوك ولـكنهم رافقوك في الموت فصالحوك واحبوك

. . .

أَلبست البزَّة الجندية وتقلدت الخربة والبندقية طوعاً ام قسرًا . أقدَّمت نفسك شهيدًا للحق ام قدمك سواك شهيدًا للباطل . أفديت بروحك المظلوم ام فدى الظالم روحه بروحك . أغسلت بدمك خطيئة الاجداد ام كتبت بدمك لعنة للاجداد والاحفاد . وعندما احترقت تلك الرصاصــة صدرك ومزقت تلك الشظية امعاءك أأطبقت عينيك وفي قلبك حـلاوة الاستشهاد ام مرارة النقمة . أعانقت الموت وفي روحك ظمأ الى الحياة ام ودعت الحياة وفي روحك شوق الى الموت . . .

يا أخي المجهول . لقد شاءت بلادك ان تكرمك وترفعك في الموت لانها أهانتك وخفضتك في الحياة وسلبتك الحياة لتبقى لها حياتها ... وكيف ترفعك بلادك إلا بدفنها لكن مع ملوك البلاد . أم كيف تكرمك بلادك إلا بوضعها لعظامك بجوار عظام ابطالها وأعلامها . وما شرف الرقاد مع الملوك والابطال والاعلام بالشرف الذي يستهان به

لذلك فقد جاءوا بك من الارض التي امتصت آخر نقطة من دمك ومن الحفرة التي نهش دودها آخر بضعة من لحمك وجلدك ليضعوك في ارض لا تراب فيها ولا دود . وان كان فيها تراب فهو تراب شريف لانه لامس هامات الملوك وان كان فيها دود فهو دود نبيل لانه يتغذى بلحم الملوك

القلب البشري

« من خطاب للدكتور نقولا فياض »

أسعدَ اللهُ مساءَ الصحبِ ... سادة الفضل الكرام النجبِ
وحمى الله حِمى جمعيةٍ ... جمعتكم يا خيار العرب
هي شمسُ البرّ الا انها ... تجمع اليوم شموس الأدب
ما عسى ينظم فيكم شاعرٌ ... شاعرٌ بالعجز لا بالتعب
وقف اليوم خطيباً بينكم ... بعد ما ودّع فن الخطب
قلبهُ أصلُ بلاه فاعذروا ... ان شكا من قلبه المضطرب
رام أن يجلو لكم أسراره ... فغدا يرقص لا من طرب
وغدا خلفَ حجاب الصدر لا ... يتمنى غير شقّ الحجب

...

سيداتي لستُ أرضى فئةً ... أنكرت ما بيننا من نسب
إنما القلب كتابٌ غامضٌ ... فيه للمرأة أسمى مطلب
والذي تكتبهُ فيه لنا ... ما رأينا مثله في الكتب

ولذا لم تلقَ قلباً خافقاً   لا ينادي هيَ أصلُ السببِ
وخفوق القلب داءٌ مزعجٌ   حيَّر الناس فقالوا « عصبي »
زعموا الطب عليه قادراً   وانا أدرى فقد جرَّبتُ لي
وسماء الحب مَن منا تُرى   لم يضئْ فيها له من كوكب

. . .

كان في الخاطر أن أنظمهُ   لكمُ من كل معنى عذب
إنما عهدُ التصابي قد مضى   فقضى الشعر به وهو صبي
فاعذروا قلباً ضعيفاً ما له   غير صوتٍ بالدعاء الرطب

الى الجانب الايسر من صدر الانسان عضوٌ صغير أجوف يشتغل من وراء الحجاب شغلًا تقف الحياة بدونه . فهذا العامل الصغير الذي تحويه قبضة كف وقد حوى العالم بأسره والذي اعجز الانسان سكوته المستطيل وأزعجتهُ ضرباته الدائمة والذي شغل افكار الفلاسفة وحير قرائح الشعراء ولطالما أثار الاشواق وكان نذير الفراق هو مظلومٌ جار عليه الانسان فوق جور الزمان فرماه بذنوب هو براءٌ منها وعزا اليه أعمالاً لا قِبَل له بها . حسِبه الاقدمون مصدر العواطف والاهواء والحاكم على الاعضاء وجعلوا الصدر له كالقلعة يحافظ فيها على نظام الروح والجسد ثم رجعوا اليه في كشف الغيب واستطلاع أسرار المستقبل وحمَّلوه مسؤولية الماضي وطلبوا منه اصدار الحوادث . ذلك أيام كان مقدساً لا سبيل للايدي ان تمدَّ اليه ولا للاذن ان توضع عليه فرتع به الخيال وهو في هذه الحالة المظلمة يحسبونه آمراً وهو مأمور وحاكماً وهو محكوم حتى أتيح لهم درسه . فرأوا فيه عكس ما توهموا ووجدوا ان هذا العضو الخفاق لم يكن يمتاز عن غيره من الاعضاء إلا لانه اكثرها حركة واكثرها تعباً وتبين لهم ان وظيفته نفسها علة عذابه وعمله الخاص داعية ضعفه فهو يتعانى في سبيل الحياة ولا يعرف الراحة حتى الممات

لا ارغب أيها السادة ان أصف لكم أمراض هذا القلب الكثيرة ولا

اريد ان امثِّل لكم صوره المحزنة ولا احب ان اريكم جوفه الصغير مقطعاً تقطيعاً . يقطر دماءهُ حمراً ثم يبلعها نجيعاً . انما نحن في ليلة أنس لا ليلة درس والذي انا محدثكم به قلب آخر معنوي تبطنه هذا القلب المادّي . قلبٌ آخر لا دخل للهيولي فيه ولا تسلط للمادة عليه . فلا تسألوا عنه الاطباء والمشرحين الذين لا ينظرون الا بعين الرأس ولا يؤمنون الا باللمس وسلوا المحبين والشعراء ينبئوكم الخبراليقين . انه عود لا كأعواد الطرب . اوتاره رقيقة حساسة يحركها شيء ارق من الماء واخف من الهواء . اوتار لا تحتاج لاكثر من دمعة او تذكار نجم يلمع في الفضاء او زهرة يصافحها النسيم او عصفور يغني لاشعة الفجر . كل هذا كافٍ ليحرك تلك الاوتار ويخرج منها نغمات ملكية ترتفع في فضاء الفكر والذهن ولا يسمعها الاالارواح . هذا هو ايها الناس رفيقكم الدائم الذي يتأثر عنكم ولكم . هذا هو ايتها المرأة مصدر نسواتكِ وموضع تحذيراتك ويا ايها الشعراء والخطباء والوعاظ ذلك هو المنبر المحجوب الذي تنصت امام صوته الخفي كل اصوات العالم . هذا هو الضعف وهذا هو القوة . راحة الانسان وعذابه الذي تارة يكون اصلب من الحديد وطوراً يذوب كالشمع على النار . هذا الذي يقصده الشاعر بقوله :

انا ما بين عدوّين هما قلبي وطرفي
ينظرالطرف ويهوى القلب والمقصود حتفي

يا سادة

كثيراً ما وقفت امام البحر العجاج اسبر غوره العميق واراقب امواجه المتلاطمة تقترب من بعيد على مهل ثم تسرع فتعاوفتتعاظم حتى تصل الشاطئ فتضرب الصخر ويطير منها الزبد . فكان منظر المياه الزرقاء وما وراءها من عميق الاسرار يدهش بصري ويبعث فيَّ الشجون ويفتح للفكر باب التأمل . ولكن ما اخف هذا الاثر بالنسبة لما كنت اشعر به عند ما اقف امام ذلك الاوقيانوس الآخر العجيب الذي يسمونه القلب . اراقب عواطفه المتلاطمة

تتماظم شيئاً فشيئاً كالموج خاضعة مثله لعواصف الاهواء . . . عواطف الانسان الكثيرة وقفت به في هذا الوجود بين الرغد والشقاء والموت والبقاء حانيةً الى الارض رأسه الكسير رافعة الى السماء بصره الحسير . كرة اشبه بالارض تسكنها هذه العناصر والقوى على اختلاف في الدرجات بين شدة ورخاء وصلابة ولين وحرارة وبرودة حتى تصل الى قطبيها فتنحصر تلك القوى في قوّتين وتلك العناصر في عنصرين : الحب من جانب والبغض من جانب . حلّل الحب كما تحلل النور تظهر لك الوانه المتعاقبة من امل وسرور وشجاعة واقدام وغيرة واباء وصداقة واخاء وشفقة وحنان وما شاكل . وحلّل البغض تظهر لك اجزاؤه الرائعة من خوف وحسد وزور وارتكاب وحقد وكذاب وما يقارب هذه الصفات

الموضوع واسع المجال يا سادة فلا آخذ منه الا ما يتعلق بالقلب البشري واذا حصرت كلامي عن القلب البشري في الحب فذلك لسببين : الاول ان الحب كما تقدم مصدر عواطف القلب ومختصر اعماله والثاني هو أني حادثتكم فيما مضى عن تَعَس البشرية فحببت اليوم ان احادثكم عما يجلب لها السعادة . غير اني لا ادعي الاحاطة بالحب من كل اطرافه لشعبه الكثيرة فاسمحوا لي ان ادخل معكم هذا الروض الفسيح دخول الزائر المسافر انتقل فيه كتنقل الطير فوق الاشجار اقطف زهرة واترك زهرات ماشياً فيه بلا نظام مقلداً بذلك دقات القلب الناتجة عن الحب

أبسَط صور الحب في الانسان حبه لسائر المخلوقات الحية . يدلنا على ذلك الوحشة التي يشعر بها القلب وسط الوحدة واللذة التي يتمتع بها في حضن الاجتماع والحاجة التي عندنا الى اتخاذ رفيق نستأنس به ساعات انقباض النفس ولو كان هذا الرفيق من غير عالم الانسان . ومن تعود تربية الحيوان الاعجم في بيته يذكر تعلقه بهذا الربيب الغريب وكيف يخفق قلبه جذلاً عندما يرى حركاته اللطيفة ويضطرب قلقاً حينما تلوح على ربيبه سمات الكآبة اوالضعف .

وهذا النوع من الحب لا ينافي وجود الحب المعروف بل كثيراً ما يكون له رفيقاً وانيساً لان للمحب ساعات لا يجتمع بها بمن يهوى وكثيراً مايقضيها في مداعبة كلب احبه او مناغاة طير رباه او ملاطفة زهرة مال اليها

ان الهند مهد العلم ومبعث النور الذي ضاء به العالم القديم قام دينها وآدابها على هذه العاطفة وكان القلب عندها اساس الايمان لانها احبت النفس في ابسط صورها وادناها . فحرّمت اكل اللحوم وقتل الحيوان ووضعت لذلك مبدأ التناسخ . رأى شاعر الهند طيراً مذبوحاً فصاح « لا مجّد الناس ذكرك في القرون الآتية ايها الصياد لانك قتلت هذا العصفور في ساعة حبه المقدسة » قال وبكى وصارت تنهداته تتتابع وخفقان قلبه يزيد وهكذا كان الشعر . فالشعر ذلك النور السيال الذي يتدفق من القلب مصدره الوحيد هذا النبع الصغير « تنهد ودمعة »

وبين هذا الحب البسيط والحب المعروف طبقات اولها حب الانسان للانسانية نفسها ثم للجمال وللحقيقة وللفكر ثم لله خالقه ثم يتلو ذلك حبه لمن هو اقرب اليه في المبادئ والاخلاق وهي الصداقة ثم حبه الاخوي والبنوي ثم حبه للمرأة مجرداً . فحبه للانسانية نشاهده كل يوم في مساعدته اخوانه واشفاقه عليهم . وحبه للجمال في محافظته عليه واعجابه به . وحبه للحقيقة في صرفه العمر في البحث والتنقيب وراء اكتشاف مجهول اواثبات معلوم . وحبه للفكر في الفتن التي يثيرها في سبيل تأييد مبدا . وحبه لله خالقه في المعابد التي اقامها في كل عصر ومصر والحروب الدينية التي اضرمها منذ بداية التاريخ . اما الصداقة فقد جعلوها ثالث المستحيلات اذا اردتها صادقة ولكن ذلك لا يمنع ان تكون اول ما يشعر بالحاجة اليه قلب الانسان عندما يقول وداعاً لنزق الطفولية وطيش الحداثة وخفة الصغر

لقد زعم البعض ايها السادة ان الانسان كله حب ذات فاذا صح زعمهم فالحيوان افضل منا لانه يعتني احياناً بسواه ولكن ذلك مردود والحقيقة التي

اتفق عليها الفلاسفة هي كما قال سبنسر أن من الحب ما هو معنوي سام، ينتج عن الشعور بجاذب الجمال وفهم معناه والاعجاب به . وهذا الحب يرافق الانسان في كل ادوار حياته وقد يزول الشباب وتخمد ثورة الاعصاب واثره باق لا يزول. ولو لم يكن في الحب هذا المبدأ السامي الشريف لكان الحب بين الجنسين نوعاً من العبودية لا اكثر ولا اقل . لو لم يكن في الحب هذا المبدأ السامي الشريف لما امكننا ان نتصوّر كيف ان شعوراً حقيراً في اوله يمكنه ان يرتفع ويتشرف حتى يوحي كل ما هو عظيم ويكون المصدر الوحيد لكل جمال وشعر وعظمة وفضيلة

فالحب اذاً قسمان مادي وفيه يدخل حب الذات ومعنوي وهو الذي يجب ان يخفق له كل قلب لما فيه من الفضائل . احذروا هذا القسم فلا يبقى من الحب شيء . اقرأوا كل ما كتب عن الحب او صوّر في المراسح تجدوا ان كل الشرور التي ينسبونها اليه ناتجة عن محبة الذات او الانانية وما يدخل فيها من بغض امر احياناً وان الحب الحقيقي اصل كل الفضائل . ولهذا حدده الفيلسوف بقوله « الحب هو فرح الانسان بسعادة الآخرين كأنها سعادته الخاصة » قال لابرويار احد كتبة الفرنسيس لا يخلو في قلب الانسان حب من الطمع مهما كان شديداً . يريد بذلك ان الحب في حالة الطهارة الكاملة مستحيل الوجود وانه لا بد من امتزاج الحبين في طبيعة الانسان حب ذاته وحب غيره . ووجود هذا التناقض هو الذي يدفعنا الى ان نمزج دوماً باشرف نحو طلبنا بعض الدنايا . الحب اتون يصعد دخانا نافعاً او قاتلاً حسب المواد المحروقة فهو في قلب الشريف يزيد بهاء وفي قلب الساقط يزيد فساداً

وقد قلبت تاريخ البشرية الى العهد الذي تدخل من ورائه في ظلمات الخفاء. فلم احد عصراً او جيلاً خلا من هذه العاطفة بل رأيتها في كل زمان ومكان المحرّك الاول لاعمال الانسان وأصل تأثيراته افراحاً واتراحاً وفي كل ادوار التاريخ لم اسمع الا اغاني ونشائد لمجد الحب وانصاره او صراخ ألم وتجديف

ايها السادة كنت اطالع يوماً فقرأت ما يأتي :

امر الله فبرز الفردوس الى الوجود بحلة خضراء زاهية بالانوار وكان الماء يتدفق من اعلى الصخور كاللُجين الذائب ورؤوس الاشجار تتهادى مع النسيم كالعذارى وكوكب الصبح يسكب عليها انواره كالموج . فعم الفرح وجه البسيطة وكل الكائنات باتت في سكرة من الحبور الا الانسان وحده فانه بقي حزيناً في وحدته يتساءل لماذا الاسماك في الماء والطيور في الهواء والدبابات في العراء تمرح ازواجاً ازواجاً بين مغازلة وعناق . فتحركت شفقة الله عليه وفيما هو نائم اخذ ضلعاً من اضلاعه وكوَّن منها مخلوقة لطيفة سماها حواء . واستيقظ آدم بعد ذلك ولما رأى الى جانبه ملكاً معزياً شعره طويل مسترسل على اكتافه ويداه كبياض الثلج موضوعتان على صدره واهدابه طويلة متجهة نحو الارض ووجنتاه موردتان وشفتاه قرمزيتان ترف عليهما ابتسامة الطهارة وقوامه رشيق مياس . لما رأى هذه المشاهد المدهشة خال ان برقعاً انشق عن عينيه

واذا بالجوّ قد امتلأ نوراً والازهار اخذت تتمايل على الاغصان مرسلة انفاسها المسكرة والنسيم هبَّ منعشاً عليلاً . والاطيار غرّدت بانغامها الشجية والمياه جرت بخريرها العذب وتجددت صورة الارض وكل ما في الطبيعة مال الى العناق والعوالم وقفت في سيرها خافقة بحركة واحدة

اي نعم وجد الانسان ووجدت معه المرأة صورة الحب والحب صورة المرأة . المرأة ذلك المخلوق اللطيف القوي الضعيف وجد ادنى من الرجل واعلى عنه . ذليلة تشعر بثقل اليد التي وضعَتها عليها الطبيعة . عزيزة بقوة العواطف والاحساسات فخرجت معه من الفردوس ومشت واياه من خلال العصور تارة تحكمه كملك وطوراً يقودها كعبد . حيناً يبيعها بقبضة من المال او قطيع من الغنم واناتٍ يقدم نفسه لها فدى . وحيَّره حبها فلم يدرِ بما يلقبها فكان مرة يراها كالغصن ومرة كحمامة الغصن وهنا يشبهها بالظبي في الوادي وهناك بفرس في مركبة فرعون . ونظم لها الاشعار وألف عنها الحكايات وجمل بها الصور . وعلى هذا الوجه

كانت ولم تزل مرآة آماله وصورة امانيه . وكثيراً ما مشى في ظلمات هذه الحياة يتلفت نحو السماء فلا يرى كوكبه فيلتفت نحو المرأة . وهي التي هذبت اخلاقه وروّضت طباعه وانارت لبّه وشحذت غرار قريحته ولكم خفّفت عنه وطأة المصائب وانتشلته من على شفير الهاوية وكل ذلك بفضل الحب . لماذا نرى البشرية اليوم تتقدم في العلوم والصنائع والغنى والآداب لا تزال ساقطة . لماذا وسط هذا الترقي وهذه الحضارة لا يزال الشقاء ضارباً اطنابه والفساد رافعاً قبابه . لماذا نرى كل شيء ينمو ويتقدم نحو الكمال الا النفس في الانسان ؟ لان الحب قد تُرك اضطراراً فان المسكرات وعوائد التقليد قد أضرت كثيراً بالجسم والعقل وولدت رجالاً سقماء الابدان والفكر لايشعرون بالحاجة الى الالفة والحب يفضلون العيشة التائهة التي لا يتقيد فيها الرجل بتبعة الزواج ولا يتكفل برفيقة لحياته . فيقل الزواج من جانب وتضعف شوكة المرأة من جانب آخر . وبدلاً من ان يكون الحب منبع السلام والفضيلة والهناء يتحوّل الى حرب نتيجتها الذل والشقاء والهاوية

والزواج شرف الحب وكماله لان المرأة لا تبتدئ ان تحب حقيقة الا في السنّ التي أُعدت فيه من قبَل الطبيعة لتكون أمًّا . وهذه الشريعة عامة لاتنحصر بالفتاة في خدرها بل تعم الازهار في الحقل والطير في الغاب والفراش في الهواء . خذ الزهرة مثلًا عند اشراق شمس آذار وابتداء زقزقة الطيور ما أجملها وهي تفتح اكمامها بحرص وتمهل كأن الطهارة تمنعها ان تكشف صدرها للابصار . أشعة الشمس تسقط عليها بلطف وتبعث فيها حرارتها فتتمدد كانها في ثمول . ولآلئ الندى تلمع على جبينها كالحلي للعروس واذا بالفراشة قد اقبلت حاملة في أطرافها غبار اللقاح من زهرة اخرى . تقف الفراشة على الزهرة فترتجف هذه وتنحني تحت اثقال الحب . سرٌّ تصير به الزهرة أمًّا وينقضي عمرها . والمرأة كالزهرة لها صباح ومساء ، شبابها كشباب الزهرة . ألا انكِ أسعد من الزهرة ايتها المرأة متى شرّف الرجل حبه لكِ لانه في مساء عمركِ عند ما تريد

أوراق جمالكِ تتناثر واحدة واحدة من جبينك الوالدي والزهرة تذوي فتندثر وتفنى وأنت تعيشين باولادك كما تعيش بك أمك وكما يعيش بنوك باولادهم . سلسلة حب طويلة يقبض الله على طرفيها ... ولكن كم من الامهات يجهلن معنى الامومة ويحسبن الحب والجمال شيئاً مادياً زائلاً فيسلمن ثمرة أحشائهن الى أناس غرباء خشية ان تزيل الرضاعة من جمال بشرتهن . فيفقدن لذة الرضاعة وفائدتها ويشوّهن بعوائد المودة والتقليد أجسامهن وذلك الهيكل المعدّ لنموّ الجنين

واني لا ألقي كل المسؤولية على المرأة في ذلك ولا أرى الرجل بريئاً من هذا الذنب لانه يشجعها على هذه الامور التي يضحك لها العصر الآتي على العصر الذاهب ويبكي من أجلها الابناء على الآباء . يشجعها باهتمامه بثيابها قبل آدابها واعتنائه بزينتها الخارجية اكثر من زينة النفس . فالى أي مصير يتمشى الجنس البشري يا ترى ومـا يكون تركيبه الجسدي وقوة بنيته في المستقبل . أتنفعه العلوم والمخترعات متى صار قصير العمر ضعيف النسل ؟ ان الاقدمين لم ينظروا الى الجمال كما ننظر اليه اليوم وأولئك الابطال الذين يرويهم لنا التاريخ لم ينشأوا تحت عصر المشد . يذكر لنا التاريخ شعباً عظيماً كان مثالاً لكل جمال وشعر . سماؤه صافية وهواؤه معتدل وجباله وأوديته مسكن الآلهة ولغتهم انغام الملائكة . فانظروا ما أبقى لنا هذا الشعب من الصور والانصاب الدالة على جمال ابنائه وقوة اجسادهم . هذا الشعب رأى إلهة الجمال غادة من النور طالعة من المياه في صباح رقّ هواؤه وصفت سماؤه . رآها طالعة من المياه في موكب من الحمائم البيضاء ترف حواليها . تارةً تضع وردةً على جبينها وطوراً تسعى للاختباء تحت نطاقها المتموّج . ظهرت له بهذا المشهد البديع بالقرب من شواطئ فينيقيا وهي حيرى لا تفهم حياتها الجديدة ولا تفقه معنى وجودها هناك واذا بموكب الهوى تلك الحمائم البيضاء قد حملتها في هودج النور وطارت بها الى السماء ... لما كان الجمال

.مكرماً لهذا الحد ومرفوعاً فوق باب الهيكل كان الحب سامياً وشريفاً وسرير الطهارة مخفوراً ولم تكن تقطف وردة الشباب قبل ان تضع اكمامها وكان محيا الرجل والمرأة مشرقاً بنور العفة والعافية . اما اليوم فنحن لا نفهم معنى الجمال فالجمال على حدّ ما قيل نور يضيء في الظلمة والظلمة لا تفهمه موجود في العالم منه صُنع العالم والعالم يجهله . ولهذا اصبح الحب عند اكثر الناس وفي اكثر الاحيان ساقطاً لاننا لا ننظر اليه من جهته السامية ولا ندخله إلا من بابه المنخفض ولا نرى اهلاً للحب إلا ما راق منظره الخارجي ولو كان ستاراً للافاعي . ولهذا السبب ايضاً ضعفت أجسامنا وشحبت ألواننا وستصير عقولنا يوماً ما غير قادرةً أن تجاري حركة العلم في العالم وقوّة النابغين فيه

أيها السادة :

اذا كان الحب لذة البعض فهو حاجة الكل ولهذا يجب ان يكون شريفاً ليكون مباركاً يجب ان نمثله للعين باجمل صورة لتكتسي به النفس أجمل حلة . يجب ان نفهم انه اذا كان الجمال فضيلة الجسد فالفضيلة جمال النفس فلنحب الفضيلة شرف الجمال . يجب ان تعرف ايها الشاب انه عند ما يخفق قلبك لاول مرة بسحر غريب ويشرق في ظلماته نور جديد . عندما تتجلى لك الآلهة في ابتسامة وتبصر الكوكب من خلال الدموع . عند ما تتصاعد زفراتك وتكثر أناتك وتتمثل صورة الحبيب في لوح ذاكرتك كحلم لطيف تشفق عليه ان يزول يجب ان تعرف ان ذلك المخلوق الذي يقودك في هذه الحياة الجديدة ليس الدمية تطرح بعد ساعة او تكسر ولا صورة وجدت للتسلية فقط بل هو الحب كما أراده الله والتعزية كما تطلبها النفس ، بل هو المستقبل ماثل أمامك بلا حجاب يشجعك على المعيشة ويقول لك سر ولا تخف . يجب ان تعرف ان المرأة ان لم تعطنا الحياة عند الولادة وعندما تلهمنا الحب تعطينا الحياة ثانية فعاملها معاملة الحسنى والشرف . واذا كنت احياناً لا ترى فيها الرفيق الذي أوجده لك الله فالذنب عليك بالاكثر لاستخفافك

بقلبها وتقصيدك معها لان المرأة كما قال بلزاك آلة موسيقى لا تطرب إلا من يعرف ان يوقع عليها

ما يكون تاج المرأة في المستقبل وكيف تحكم على الشعوب الآتية ؟ هل تحمل الصولجان والسيف . هل تمد للاشغال يديها النحيفتين . هل تنازع الرجل سلطة القوة ؟ كلا ولكنها ستحكمه كما عودته حتى اليوم بحنان الام وصداقة الاخت وامانة الزوجة بما تلهمه من القوة ساعة الضعف والضعف في حال القوة . ستحكمه بدمعة من عينيها وابتسامة من شفتيها . سترافقه في قفر الحياة وتكون له كعصا موسى لتضرب على صخرة قلبه وتفجر منها المياه . ستقيم له من الحب هيكلاً يعبدها فيه وفي هذا الهيكل يضحيها احياناً ...

فيا قلب الانسان ما أغرب اطوارك واعجب اسرارك ولكن مهما تقلبت عليك اجيال وتغيرت احوال ومهما اظلم جوك وعصفت فيك الزوابع ففي احدى زواياك شعاع دائم الاشراق اصله من السماء وبه رسمت عليك هذه الكلمات : الحب هو الحقيقة والحقيقة هي الجمال والجمال هو الله .

يا أمي

« من مقال لأمين مشرق »

يا علة كياني ورفيقة احزاني . يا رجائي في شدتي وعزائي في شقوتي . يالذتي في حياتي وراحتي في مماتي . يا حافظة عهدي ومطيبة مهدي وهادية رشدي . يا ضاحكة فوق مهدي وباكية فوق لحدي . أمي وما أحلاكِ يا أمي

اذا تركني اهلي فانت لا تتركيني وان ابتعد عني احبابي فانت لاتبتعدين وان نقمت على جميع الحياة فانت تصفحين وترحمين . انت يا مسكنة وجعي وألمي ومبيدة بؤسي وهمي . انت وما اصفاكِ يا أمي

على بساط الاوجاع ولدتِني وبأيدي الآلام ربيتني وبعيون الاتعاب رعيتني وبصدر المشقات حميتني . ثم كبرت فنسيتُ آلامك فما أعقّني وما اوفاكِ يا أمي

قد غبت عنك يا أُمي فغاب عن عيني وجهك الباسم بملامحه الرقيقة ومعانيه الدقيقة . وتراكمت على رأسي هموم الحياة بضجيجها الهائل فضعضعت فكري وزلزلت قلبي . وتقاذفتني امواج المتاعب والشقاء فغرت في لجج طامية وظلمات داجية . وبعينين غشى عليهما الرعب نظرت من اعماق قنوطي فرأيت وجهك اللطيف يبتسم اليَّ من الاقاصي البعيدة فبكيت وصرخت « يا أُمي »

آهِ ما اقسى الغربة وما امرَّ الوحشة قد كرهت البعاد يا أُمي واشتاقت نفسي ماضيها الامين . قد كرهت التمشي بين القصور الفخمة والمباني الشاهقة واشتاق قلبي الى بيتنا الصغير المنفرد . قد كرهت روائح العطور الفائحة من التماثيل المتخطرة واشتاقت حواسي الى رائحة الامومة . قد كرهت نيورك وكرهت اميركا وكرهت العالم ولم يبق لي في الحياة إلَّاكِ يا أُمي

في المساء عندما انطرح على فراشي الخشن القاسي أذكر يديك اللطيفتين الناعمتين . وفي الليل عندما تمتزج افكاري بأبخرة الاحلام أشعر بقدميك الصغيرتين ينقران الارض حول سريري . وفي الصباح أفتح عينيَّ لأَراكِ فلا ارى غير جدران غرفتي السوداء واميل أُذنيَّ لأَسمعك فلا اسمع غير اصوات الغرباء .

فراخ الدجاج تحتمي تحت أَجنحة أُمهاتها وغصون الاشجار تبقى معانقة أُمهاتها وانا انا وحدي بعيد عنك مشوق اليك يا أُمي

اذا متُّ يا أُمي اذا قتلني وحدي ودفنت آمالي في هذه الارض القاسية الغريبة فاجلسي عند الغروب قرب غابة السنديان وأصغي . هناك روحي امتزجت بنسمات الغابة واشجارها يرتلن بهدوء متمايلات مرددات « يا أُمي يا أُمي يا أُمي »

وصايا صحية

« للشيخ ابراهيم اليازجي »

١

— الرياضة —

لكل عضو من اعضاء الجسد وظيفة خاصة به اذا استعمل فيها قوي ونمى واذا أُهمل انحط وذوى . بل كثيرًا ما يؤول اهمال وظيفة العضو الى اضمحلاله ، فان الاسماك التي تعيش في مياه الكهوف المستورة عن النور تفقد عيونها رأساً لانها لا تستعملها . وبعض الحيوانات المعروفة بالحَلَمية تفقد جهازها الهاضم لانها تغتذي بالعصارات التامة الهضم من الحيوانات التي تكون فيها . فلا يلزمها استعمال الآلات الهاضمة ولذلك تنحط قوة هذه الآلات بالتدريج الى ان تبطل من اصلها . وبعكس ذلك الاعضاء التي لا بد من استعمالها في وظائفها فانها تزيد على الاستعمال قوة كما يرى في الخلد مثلاً وهو الدويبَّة المعروفة فانه يكون شديد قوة السمع لسبب كثرة استعمال الاذن وكما يرى في الاعمى فانه يكون قوي اللمس لتكرُّر استعماله اليد في قضاء حاجاته وقس على ذلك كثيرًا من الحالات مما لا يسعنا استيفاؤُه هنا

الا ان الافراط في استعمال الاعضاء كثيرًا ما يفضي الى حدوث خلل فيها وذلك يفضي بالضرورة الى حدوث تشوُّش في وظيفتها كالعين مثلاً فان الدرس المستطيل او التحديق المستمرّ يحدث فيها العلة المعروفة بالحَسَر فتضعف بها العين عن تناول الاشباح البعيدة . والافراط في الطعام يفضي بالآلات الهاضمة الى الانتهاك والاعياء فتصير عرضة للسقم بحيث لا تعود صالحةً بعد ذلك لقضاء ما يُطلب منها من الاعمال الغذائية . وعليه فاهمال الرياضة

والافراط فيها مع كونهما على طرفي نقيض كثيراً ما تكون نتائجهما متشابهة ولذلك كان من اول شروط الرياضة ان تكون معتدلة بحيث لا تتجاوز الحد اللازم لتوفر قوّة الاعضاء وغائها

والرياضة تكون على وجوه مختلفة واحوال متنوعة وافضلها ما كانت مباشرتها في الهواء النقيّ فيتنبه حينئذ القلب ويزداد توارد الدم الى الرئتين فيزداد عملهما وتتنبه الاعضاء المفرزة ويكثر دثور الانسجة بسبب سرعة التأكسد ويسهل ايضاً دفع المبرزات الفضولية في الجسد فتنشط بذلك الاعضاء لقضاء وظائفها . واذا كان ثَمَّ سببٌ يعوق الدورة الدموية او علة مزمنة في بعض الاجزاء فكثيراً ما يزول ذلك السبب وتبرأ تلك العلة بمجرد الرياضة لما يحدث عنها من الافعال المشار اليها . وهي تفيد الناقهين من العلل على وجه خاص فتعين على سرعة البرء ، بل كثيراً ما تكون الرياضة هي العلاج الوحيد في بعض العلل وخصوصاً ما كان منها ناشئاً عن التواني والقعود . وغالب ما يكون ذلك في المترفهين واهل الترف والتنعم ممن ألفوا الراحة واسترسلوا الى الكسل كأنهم يخشون على اعضائهم ان يهزلها الاستعمال وعلى مفاصلهم ان تبريها الحركة . أو يخافون على جلودهم ان تذوب اذا مسها العرق وعلى وجوههم ان تتخدش اذا باشرها النسيم . أو يضنون بما في أجسادهم من الفضول فيدّخرونها في دمائهم وانما يدّخرون سقماً ووصباً . فتراهم شاحبي الوجوه ممتقعي الالوان ضاف الاعضاء مهزولي الابدان وربما ترهلت ابدانهم فسمنوا من كثرة النهم ثم قعدوا عن السعي فقعدت فيهم وظيفتا التمثيل والافراز فكان ذلك السمن سقماً على سقم

ولما كانت الرياضة على ما ذكرنا من اللزوم في حفظ الصحة وتقوية الابدان جعلها كثيرون من المتمدنين فناً مستقلًّا يسمونه بالجمنستيك وعمروا هذه الآن حتى في المدارس ترويضاً للاعضاء وتنبيهاً لوظائفها . الا ان استعمال هذه الحركات كثيراً ما يكون في مواضع غير صحيحة اذ ... فيفرط جانب

كبير من الغرض المقصود بها . ولذلك كان افضل الرياضة ما يوثر في المواضع البعيدة عن مجامع الناس واقذار المدن ما امكن البعد عنها . لان الهواء يكون هناك نقياً صالحاً والإفضاء اليها متى امكن على القدم خير من بلوغها على ظهور الخيل . وان كان كلٌّ من الحالين ضرباً من الرياضة . واذا كان المرء مسنًا او عاجزًا فلا بأس من ركوب العجلات تخفيفاً من مشاق ركوب الخيل وقرع الساق

ولا يخفى ان الرياضة البدنية من ألزم الامور للمشتغلين بالعلوم والمسائل العقلية لان الدرس المستطيل والافراط من اعمال الفكر كثيرًا ما يفضيان الى كلال الذهن ونبوّ الفكرة وربما احدثا صداعاً وآلاماً عصبية في الرأس قد تكون بالغةً اقصى درجاتها . فلا يُتلافى ذلك كله الا بالرياضة والخروج الى الاماكن النزيهة ترويحاً للفكر من مشاق الاعمال وتنبيهاً للاعضاء الى قضاء وظائفها الخاصة . وتختلف مدة الرياضة مطلقاً باختلاف نوع العمل ودرجة مشقته ولكن المعدَّل الاوسط فيها ساعتان في النهار على الاقل

والرياضة ألزم للاحداث منها لغيرهم لان هذا الطور من العمر هو طور النماء والاعضاء تكون حينئذٍ آخذة في النشوء والعمل . فاذا لم تتوفر لهم الرياضة اللازمة بطؤَ نماؤهم واعتلت ابدانهم . يدلك على ذلك انهم ابدًا يطلبون الملاعب ويميلون الى الملاهي طبعاً فلا طاقة لهم على احتمال القعود والسكينة . فاذا أُكرهوا عليهما ومنعوا مما يدعوهم اليه الطبع كان ذلك ولا ريب عليهم وبالاً

ومما يجب الحذر منه الرياضة العنيفة قبل تناول الغذاء او على اثره لما تقدم من ان الرياضة تنبه عمل القلب فيزداد به توارد الدم الى سطح الجسد واطرافه . وبذلك ينصرف الدم عن اعضاء الهضم فتتلبك في عملها لنقص الحرارة هناك . وكثيرًا ما يفضي بها ذلك الى التخمة او زكام المعدة فيتفاقم البلاء . اما الرياضة المعتدلة فلا بأس منها والحالة هذه لانها تنبه القلب تنبيهاً

لطيفاً لا يعارض الهضم بل كثيراً ما تزداد بذلك اعضاء الهضم قوةً على قضاء وظائفها

هذا أهم ما يُذكر في هذا الشأن وقد بقيت هناك أمور أخرى كثيرة أضربنا عن ذكرها . وجملة القول ان الرياضة من الفروض المعينة التي لا يجوز لاحد التغاضي عنها لانه فضلاً عن تقويتها الجسم تكون سبباً في منع كثير من العلل وشفاء كثير منها والله الواقي .

٣

— مضار البرد والرطوبة —

من الاقوال السائرة على ألسنة العامة البرد سبب كل علة . وهو قولٌ وان لم يصح على اطلاقه فان شواهد الاختبار تنطق بصدقه في كثير من الامراض الحادة . فانه متى اقبل الشتاء كثر الزكام الأنفي والشُعبي والمعدي وغير ذلك من النوازل والعلل التي تحدث عادة في هذا الفصل . وليس لهذه العلل من سبب في الغالب الا البرد والرطوبة ولذلك رأينا ان نثبت شيئاً في الكلام عليهما مقتصرين على ما تهم معرفته من تبعاتهما وبيان وجوه توقيهما في الاحوال المألوفة دون تعرُّض لما وراء ذلك من تأثير البرد القارس وما ينشأ عنه تارةً من الغنغرينا والهلال . فان ذلك يقتضي كلاماً طويلاً ليس هنا محل استيفائه .

ومعلوم ان تأثير البرد في الصحة مضِرٌّ في اي زمان اتفق سواء كان في الشتاء أم في الصيف . الا انه لما كانت الرطوبة في الشتاء اكثر انتشاراً لاسباب طبيعية وهي ملازمة للبرد غالباً كانت الامراض الحادثة عنهما في الشتاء اكثر من الامراض الحادثة عنهما في الصيف . ونحن نذكر هُهنا تأثيرهما على وجه الاطلاق دون نظر الى زمن حدوثه لعدم الفرق في ذلك كما بيَّنَّاهُ

أَما الاسباب الحادثة عنها الامراض المذكورة فمنها التغييرات الفجائية في

حالة الجوّ وهي تختلف في مواقيت حدوثها وشدتها اوخفتها . فقد يطرأ في اليوم الواحد او في ايام قلائل تغيرٌ سريع في حالة الهواء في حالتي الحر والبرد وهذا التغير يقع في البلاد الحارة بين النهار والليل فيكون النهار حارًّا والليل باردًا

ومنها تعريض الجسم وهو في حالة السخونة اوالعرق لمجرى هواء بارد كأن يخرج الانسان من مكان الدفء الى حيث ينفحه الهواء بغتةً او يجلس امام نافذة يمرّ فيها الهواء على بدنه وهو مندًّى بالعرق ولا سيما اذا كان الهواء جافًّا فانه يكون والحالة هذه اشدّ خطرًا عليه مما لو كان رطباً . وبناء عليه فان مكث الانسان في الهواء المطلق بعد الرياضة العنيفة وتعب الجسم يكون من اشد الامور خطرًا . ومثل ذلك الجلوس في الظل على ارض رطبة للاستراحة كما يتفق لكثير من العملة في القرى

ومن تلك الاسباب وقوع المطر على الجسم وتبلل الثياب به وكون الحذاء غير وافٍ بمنع الرطوبة وذلك من شر ما يتعرض به الجسم لحدوث الامراض المتنوعة المسببة عن البرد والرطوبة . ولذلك يجب تبديل الثياب المبللة في الحال بثياب جافة تلافياً للضرر وإلا تبخر الماء عن الثياب المبللة بحرارة الجسم فأدى ذلك الى نقص حرارته الغريزية وحدوث البرد السيّئ العواقب . فقد تتلوه حمى متصلة بسيطة او خناق او التهاب في الشُعب او زكام في الامعاء او ذات الرئة او ذات الجنب وغير ذلك . وكثيرًا ما يعقب هذه الحال المرض المعروف بمرض (برغت) والتهاب المفاصل . وقد اثبت بعض الاطباء ان هذه المضار ناشئة عن منع وظائف سطح الجلد او توقفها كلًّا او بعضاً فتحدث من هذا القبيل الاحتقانات والالتهابات والانسكابات الداخلية كما يحدث في الحيوانات عقب دهنها بشيء يمنع التبخر الجلدي

ومن الاسباب الباعثة على حدوث مضار البرد السكني في البيوت الرطبة ولا سيما متى كانت هذه البيوت حديثة عهد بالبناء لانها تتشرب مقدارًا عظيماً من رطوبة المطر ولا سيما متى كانت حجارة البناء كثيرة المسامّ كالحجارة

الرملية المستعملة عندنا . ويزداد ضرر البرد والرطوبة في البيوت السفلية ولا سيما القريبة السقوف منها لانه لا يتجدد فيها الهواء ولا تدخلها اشعة الشمس فيتعرض سكانها للخنازير والتدرن وامراض المفاصل وغيرها

ومن هذه الاسباب المبادرة الى ترك ثياب الشتاء الصوفية حالما يُقبل الربيع فقد تحدث بعد ذلك تغيرات في الجو فيحصل البرد الذي لا يعقبه رد فعل وهو يفضي حينئذ الى علل كثيرة كما تقدم

ومنها شرب الماء البارد او المثلوج حال كون الجسم سخناً مندّى بالعرق

واكثر الناس انفعالاً بالبرد الاطفال فهو شديد النكاية فيهم ولا سيما في اليوم الاول من ولادتهم وفعله شديد الخطر على الذين يولدون قبل ميقات ولادتهم . ولا يخفى ان تأثيره في الجياع والنحفاء المهزولين والناقهين من الامراض الذين طالت حميتهم يكون مضاعفاً عن تأثيره في غيرهم وكذلك الشيوخ ولا سيما البالغين اقصى الكبر . وتأثيره رديء في المرضى الذين طالت حميتهم وفي المسلولين واصحاب البول السكري والآحي (الالبوميني) لانه يكون سبباً في حدوث الاحتقانات الداخلية وهي شديدة الخطر في الامراض . وقد يحدث التهاب الشُّعَب او ذات الرئة في المسلولين فيعجّل النتيجة المحزنة . واذا كان الانسان حَداري المزاج كان البرد سبباً مهيئاً لاصابته بداء المفاصل وقد يكون سبباً لحدوث العلل القلبية في هذه العلة

وكيفية تأثير البرد في الجسم هي انه يزيد في سيولة الدم لانحلال ليفينه بالحوامض التي تُرد اليه لنقص التبخر الجلدي على ما قال بعضهم . ويُهيّئ الاحتقانات والارتشاحات لانه يقلص الاوعية الدموية أنّى اصاب . فيدفع بذلك الدم من عضو الى آخر ويستوقف الدورة الشعرية ويمنع التبخر الجلدي ويعارض وظيفة عضو مفرز فيزداد عمل عضو آخر على سبيل التكافل الوظيفي . وقد يستوقف تهيجاً في الجسد فينتقل به الى عضو آخر

فبناء على ما تقدم نقرر القواعد الصحية الآتية :

اولاً - يقاوَم تأثير التغيرات الجوية بلبس الفلانلا على الجلد من غير توسيط شيء آخر بينهما ولبس الثياب الصوفية حالما يُشعر بالبرد ولا يجوز تركها في الربيع كما يفعل بعض الناس وان امكن لبسها في الصيف ايضاً فذلك اولى واسلم

ثانياً — يحظر عرض الجسد وهو سخن او مندّى بالعرق على الهواء البارد ولا سيما الشمالي ويُمتنع من الجلوس في الهواء المطلق وعلى الارض الندية او تجاه نافذة يمر منها الهواء عقب الرياضة والتعب الجسدي

ثالثاً — يحترز من البلل ما امكن فان اصاب احداً وجب ان يبدّل ثيابه حالاً بثياب مدفئة وان يستقرّ في مكان دفيء

رابعاً - يجتهد ما امكن في تدفئة الاطراف بالخصوص ويحترز من بقاء الجوارب رطبة . ويحظر على البنات والنساء ترطيب الرجلين لانه يكون سبباً فيهنّ لحدوث علل عضالة

خامساً — تحظر السكنى في البيوت الرطبة المبنية حديثاً ولا سيما في العقود وان لم يمكن ذلك فلا اقل من ان توضع فيها نار متقدة لدفع الرطوبة

سادساً — يجعل الطعام والشراب موافقين لما يحتاج اليه الجسد في ايام البرد من المواد الدهنية والسكرية وسائر المواد المولدة للحرارة .

٣

— كلام في الطعام —

متى دخل الطعام الفم وطحنته الاسنان استحال الى كتلة يرطبها اللعاب فيسهل ابتلاعها وتحلّل اجزاءها فحوّل اكثر ما فيها من النشاء الى مادة يسهل امتصاصها تسمى بالدكسترين . ومتى بلغ المعدة والامعاء درّت عليهما مفرزاتهما مع مفرزات الغدد المتعلقة بهما كالكبد والبنكرياس فتقع عليه افعال كياوية مختلفة تعدّه للدخول في دورة الدم فيصير صالحاً للقيام بتغذية الانسجة

وتعويض ما هلك منها بالاعمال الحيوية

ولا يخفى انه متى كان الطعام جامداً شقّ على المفرزات الهاضمة ان تخترق اجزاءه في اثناء الهضم فيكون فعلها مقصوراً على الاجزاء الظاهرية منه . ولذلك كان من اول شروط الغذاء جودة المضغ لتجزئة الطعام وتليين قوامه حتى يسهل امتزاجه بعد ذلك بالعصارات الهاضمة فضلاً عن انه اذا وصل الى المعدة صلباً فقد يقتضي تناول مقدار كثير من الماء ليسهل امتزاج العصارات به فيفضي الافراط من الماء الى تخفيف تلك العصارات الى حدّ لا تقوى من بعده على الهضم

اما عمل اوقات الطعام وكميته فلا سبيل الى وضع قياس مطرد لها لاختلاف الاشخاص من حيث العادات والسن والمزاج والاقاليم والحِرف . فبعضهم يقتصر على وجبة واحدة في اليوم وبعضهم لا يكتفون باقل من خمس لكن المعدل الشائع ثلاث على ما هو جار بين اكثر الامم . ومما يجب الحرص عليه من هذا القبيل ان يتناول المرء شيئاً من الطعام حال النهوض من النوم ولاسيما اذا كان مزمعاً على الاشتغال بشيء من الاعمال العقلية او الجسدية لان الجسم يكون بُعيد الاستيقاظ مسترخياً ولاسيما اذا كان النهوض باكراً عند الفجر . فقد عُلِم ان الجسم من نصف الليل الى الساعة الخامسة صباحاً يكون في اشد الانحطاط الصحي كما يُستدل على ذلك من قلة الحامض الكربونيك المفرز من الرئتين وتثاقل الدورة الدموية . فاذا تناول المرء شيئاً من الطعام وقتئذ نشط وتنبه . ويؤثر ان يكون طعام الصباح مغذياً سهل الهضم قليل المقدار كاللبن الصرف واشباهه وان يوخذ معه شيء من المواد المنبهة البسيطة كالقهوة او الشاي بحيث يتمكن بعده من تعاطي الاعمال دون ان يتشوش الهضم . فيجب على طلبة العلم والمتفرغين للمباحث العلمية ان ينتبهوا الى ما تقدم على وجه الخصوص لان الدرس وإعمال الذهن صباحاً قبل تناول شيء من الطعام مضر رديء العواقب

ومن المعلوم ان الانسان لا يلائمه البقاء على صنف واحد من الاطعمة كما وضح ذلك من التجارب في الحيوانات . فقد عُلم انه متى قُصر الحيوان على صنف واحد سئمه واخذ في الهزال والانحطاط حتى يفضي به ذلك الى الموت . فما زعمه بعضهم من وجوب الاقتصار على الاطعمة النباتية لا يكون الا خطأً كما يستدل عليه من النظر الى بنية الانسان والقناة الهضمية . فان الاسنان مجهزة بالاطعمة النباتية والحيوانية معاً والقناة المذكورة متوسطة من حيث البناء والعمل بين معد آكلات الحيوان كالضواري وآكلات النبات كالمجترات . والاصناف اللازمة للغداء تختلف تبعاً لاحوال كثيرة اخصها الاقليم والمزاج والحرفة فانه في البلدان الحارة وفي ايام الصيف يترهّل الجسم ويشق عليه هضم الاطعمة المعروفة بالنتروجينية من نحو عضل الحيوانات وآح البيض والهلام والقاعدة المغذية في اللبن المعروفة بالكاسئين وغيرها فيعتمد في الاكثر على المواد النشائية السهلة الهضم القليلة التنبيه . اما المزاج فأشده تأثيرًا في ذلك اللنفي والعصبي فينبغي ان يعتمد في الاول منهما على الاطعمة النتروجينيه المنبهة لترهّل جسم صاحبه وفي الثاني على غير النتروجينية كالنشائية لان صاحبه سريع التنبه طبعاً فلا حاجة الى تنبيهه . واما الحرفة فان كانت من الاعمال الجسدية الشاقة اقتضت مقدارًا وافرًا من انواع متعددة من الطعام وان كانت من الاعمال العقلية اعتمد على الاطعمة النتروجينية لما فيها من تنبيه الدماغ

وتختلف انواع الاطعمة ايضاً بالنسبة الى حال الاشخاص من السمن والهزل . فعلى السمان ان يقتصروا ما امكن على الاغذية النتروجينية لانها تنبه الانسجة وتزيد في الدثور والابراز ويجتنبوا الادهان والحلويات واشباهها . وبعكسهم المهازيل فانه ينبغي لهم ان يقلّلوا من الاطعمة النتروجينية ما امكن ويعتمدوا على الحلويات والنشائيات كالارز والبطاطا ونحوهما

ومن غريب اطوار بعضهم انهم لا يأكلون بعض اصناف الاطعمة الا

بعد النتن والفساد ولا سيما اذا كانت من المواد النتروجينيــة كاللحوم على انواعها . وهذا الامر شائع كثيرًا عند بعض الاعاجم وهو من المصطلحات المضرة التي ينشأ عنها اسقام وبيلة في الجلد والمعدة بل كثيرًا ما تكون من اسباب الهلكة لما يتولد في اللحم بعد الفساد من السموم القتالة المسماة باشباه القلويات الجيفية المسببة عن حلول البكتيريا او النقاعيات اذ ذاك في اللحم. فاذا كان في فم المتناول او معدته سحج او جرح امتصت تلك السموم الى الدم قبل ان تنحل بعصارة المعدة فتقتل . ولذلك يجب الاعتنـاء بامر اللحوم وان يتحقق خلوها من الفساد والآفات ولا سيما في المجازر بحيث تكون الحيوانات التي تذبح للغذاء سليمةً من الامراض وخصوصاً الامراض التي تعـدي بالتلقيح كضربة الطحال في الغنم وذات الرئه في البقر وغير ذلك

ومما يجب التحذر منه من هذا القبيل تناول الفواكه والبقول الفاسدة فانها قد تكون سبباً في حدوث علل وبيلة فيتخير منهـا الصحيحة الناضجة لانها متى كانت كذلك افادت الجسم غذاء ومنعت في بعض الاحوال من القبض الذي يصاب به بعض الناس في فصل الصيف . وعلى جميع الاحوال لا يجوز الاكثار منها منعاً لتلبك المعدة وحدوث كثير من العلل كالحمى المعدٍيه التي تكثر في ايام الصيف والذَرب والدوسنطارية وغيرها

ولا بدَّ من التنبه لترتيب اوقات الطعام ترتيباً مطردًا يُجرى عليه بالضبط ما امكن لان المخالفة بين اوقات الطعام تفضي الى علل معدًية كثيرة . ويجب ان يجتنب ادخال طعام على طعام لان ذلك يشوش الهضم ويفضي الى اضرار وخيمة العواقب



الباب الثالث عشر

في الرسائل

« كتب سعيد بن عبد الملك لصديق له »

انا صبٌّ اليك سامي الطرف نحوك وذكرك ملصق بلساني . واسمك حلو على لهواتي وشخصك ماثل بين عينيَّ . وانت اقرب الناس من قلبي وآخذهم بمجامع هواي . صادفت منك جوهر نفسي فانا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام لان النفس يقود بعضها بعضاً وقال ابو العتاهية :

وللقلب على القلبِ　　دليــل حين يلقاهُ
وللناس من الناس　　مقاييسٌ واشبــاهُ

« وكتب ابو العباس الغساني الى بعض اصدقائه »

سر الى مجلس يكاد يسير شوقاً اليــك . ويطير باجنحة من جواه حتى يحل بين يديك . فلله در كماله ان طلعت بدرًا باعلاه ، وجمالهِ ان ظهرت غرة جبجاه . فهو افق قد حوى نجوماً تتشوق الى طلوع بدرها وقطرٌ قد اشتمل على انهار تتشوق الى بحرها لتستمد منه . فان مننت بالحضور . والا فيا خيبة السرور . قال ابن الزين :

قامت لغيبتــك الدنيا على ساق　　والكأس اصبح غضباناً على الساقي
والراح قد اقسمت ان لا تطيب لنا　　حتى ترى وجهك الزاهي باشراقِ

« وكتب الصاحب بن عباد الى صديق له »

نحن يا سيدي في مجلس غنيّ الأ عنك . شاكر الا منك . قد تفتحت فيه عيون النرجس وتوردت خدود البنفسج وفاحت مجامر الاترج . وفتقت

فأرات النارنج . وانطلقت السن العيدان . وقامت خطباء الاطيار وهبت رياح الاقداح ونفقت سوق الانس . وقام منادي الطرب وامتد سحاب الند . فبحياتي الا ما حضرت فقد ابت راح مجلسنا ان تصفو الا ان تتناولها يمناك . واقسم غناؤه ان لا يطيب حتى تعيه اذناك . فخدود نارنجه قد احمرّت خجلاً لابطائك وعيون نرجسه قد حدّقت تأميلاً للقائك

« وكتب ايضاً الى بعض خلانه »

مجلسنا يا سيدي مفتقر اليك معوّل في اغنائه عليك . ونحن لغيبتك كعقد غيبت واسطته وشباب قد اخذت جدته . واذا غابت شمس السماء عنا فلا تدنو شمس الارض منا . فان رأيت ان تحضر لتتصل الواسطة بالعقد وتحصل بك في جنة الخلد . فكن الينا اسرع من السهم في مره . والماء الى مقره . لئلا يخبث من يومي ما طاب ويعود من همي ما طار

« وكتب الجاحظ الى قليب المغربي »

والله يا قليب لولا ان كبدي في هواك مقروحه وروحي بك مجروحة لساجلتك هذه القطيعة وماددتك حبل المصارمة . وارجو ان الله تعالى يديل صبري من جفائك فيردك الى مودتي وأنفُ القلى راغمٌ . فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء

« وكتب بعضهم لصديق له »

لو كانت الشكوك تختلجني في صحة مودتك وكريم اخائك ودوام عهدك لطال عتبي عليك في تواتر كتبي واحتباس اجوبتها عني . ولكن الثقة بما تقدم عندي تعذرك وتحسن ما يقبحهُ جفاؤُك . والله يديم نعمتهُ لك ولنا بك

« وكتب ابو العيناء الى عبيد الله بن سليمان »

انا اعزك الله وولدي وعيالي زرع من زرعك ان اسقيته راع وزكا . وان جفوته ذبل وذوى . وقد مسني منك جفاء بعد برّ واغفال بعد تعاهد حتى

تـكلم عدو وشمت حاسد . ولعبت بي ظنون رجالٍ كنت بهم لاعباً ولهم مضرساً . ولله در ابي الاسود في قوله :

لا تهني بعد ان اكرمتني وشديد عادة منتزعـه

(فوقّع في رقعته) : انا اسعدك الله على الحال التي عهدت وميلي اليك كما علمت . وليس من انسيناه اهملناه ولا من اخرناه تركناه مع اقتطاع الشغل لنا واقتسام زماننا . وكان من حقك علينا ان تذكرنا بنفسك وتعلمنا امرك وقد وقّعت لك برزق شهرين لتريح علتك وتعرفني مبلـغ استحقاقك لاطلق لك باقي ارزاقك ان شاء الله . والسلام

« وكتب ابن الرومي الى القاسم بن عبيد الله

ترفع عن ظلمي ان كنتُ بريئاً . وتفضل بالعفو ان كنت مسيئاً. فوالله اني لاطلب عفو ذنب لم اجنه والتمس الاقالة مما لا اعرفه لتزداد تطولاً وازداد تذللاً. وانا اعيذ حالي عندك بكرمك من واش يكيدها واحرسها بوفائك من باغ يحاول افسادها . واسال الله تعالى ان يجعل حظي منك بقـدر ودي لك ومحلي من رجائك بحيث استحق منك

« وكتب اخر الى بعضهم »

انت اعزك الله اعلم بالعفو والعقوبة من ان تجازيني بالسوء على ذنب لم اجنه بيدٍ ولا لسان بل جناه عليّ لسان واشٍ . فاما قولك انك لا تسهل سبيـل العذر فانت اعلم بالكرم وارعى لحقوقه واقعد بالشرف واحفظ لذمته من ان تردّ يد مؤَملك صفراً من عفوك اذا التمسه ومن عذرك اذا جعـل فضلك شافعاً فيه وذريعة له

« وكتب المنذر الى ابيه وكان قدجفاه لسوء خلقه »

اني قد توحشت في هذا الموضع توحشاً ما عليه من مزيد وعدمت فيـه من كنت آنس اليه . واصبحت مسلوب العز فقيد الامر والنهي فان كان ذلك

عقاباً لذنب كبير ارتكبته وعلمه مولاي ولم اعلمه فاني صابر على تأديبه ضارع اليه ملتمس عفوه وصفحه.

وان امير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وكتب الحسن بن وهب الى بعضهم

من شكرك على درجة رفعته اليها او ثروة اقدرته عليها فان شكري لك على مهجة احييتها وحشاشة ابقيتها ورمق امسكت به وقت بين التلف وبينه . فلكل نعمة من نعم الدنيا حدٌّ تنتهي اليه ومدى يوقف عنده وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التي قدفاقت الوصف واطالت الشكر وتجاوزت قدره . وانت من وراء كل غاية ، رددت عنا كيد العدوّ وارغمت انف الحسود فنحن نلجأ منك فيها الى ظلّ ظليل وكنفٍ كريم فكيف يشكر الشاكر واين يبلغ جهد المجتهد

« ولابن عبد ربه »

للمفضل ان يخص بفضله من شاء ولله الحمد ثم له فيما اعطى ولا حجة عليه فيما منع . كن كيف شئت فاني ارى ببقائك بقاء سروري . وبدوام النعمة عندك دوامها عندي . لا ازال ابقاك الله اسأل الكتاب اليك . فمرة اتوقف توقف المخفف عنك من المؤونة ومرة اكتب كتاب الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على المقيل . لا اعدمنا الله دوام عزك ولا سلب الدنيا بهجتها بك ولا اخلانا من الصنع لله . فانّا لا نعرف الا نعمتك ولا نجد للحياة طعماً الا في ظلك . ولئن كانت الرغبة الى الناس خساسة وذلًّا لقد جعل الله الرغبة اليك كرامة وعزًّا . لانك لاتعرف حرًّا قعد به دهره الا سبقت مسئلته بالعطية وصنت وجهه عن الطلب والذلة . . . (ومن رسائله)

لك اصلحك الله عندي ايادٍ تشفع لي الى محبتك ومعروف يوجب عليك الود والاتمام . وانا اسأل الله ان ينجزني ما لم تزل الفراسة تعدنيه فيك .

(ومن رسائله) قد اجلّ الله قدرك عن الاعتذار واغناني في القول واوجب عليك ان تقنع بما فعلت وترضى بما انعمت وصلت او قطعت

[وكتب ابو بكر الخوارزمي الى صديق له]

الايام ايدك الله بيني وبينك تراجمة لي عن صحة وفائك وشهود عندي على صدق اخائك . واقل حقوقك عليّ يلزمني ان لا اشغل لساني بغير شكرك ولا قلبي الا بذكرك . ولو تجاوز طبقات اهل مودتك في ميدان الثقة . وتنازعوا خصل الانس والثقة . رجوت ان اكون سابقاً ليس له سابق . ولا يذكر معه لاحق . وان تجلي الغاية مني عن محبة مربأة بالوفاء . وعن شكر مرضع بالدعاء . وقد بلغني خبر سعيك لفلان في العمل الذي هو دون قدره وان كان فوق اعمال عصره . فشكرتك عنه وان كان بشكرك اوفى واملى وبايفائك احق واولى . واردت ان اكل شكرك اليه ولا اتطفل فيه عليه . فكرهت ان تطوى صحيفة الشكر ولم يجرِ لي فيها اسم . وان تختم جريدة المشاركة ولم يكن لي فيها قسم . فذكرته لك وانت له أذكر . وشكرتك عنه وهو لك مني أشكر . على اني ارغب بذلك الحرّ عن التلطخ باوضار الاعمال . فانها مزالقُ اقدام الرجال ضنًّا به عن تخاليط الايام وصيانة لمحله عن مدانسة الاوهام . ونعمتك عليه مقتسمةٌ بينيّ وبينه بل اكثرها لي دونه . فما ظنك بعارفة واحدة تكسبك شكرين . وتستعبد لك حرّين . وجديرٌ بمن هطلت عليه سحائب عنايتك . ورفرفت حوله اجنحة رعايتك ان ينبو عنه سيف الزمان متلوماً . ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوماً . والله عزّ وجلّ اسألك ان لا يحرمك نعمة يعدّ اليك بها عنق ودودٍ ومنةً تفقأ عنك عين حسود بمنهِ وكرمهِ

« وكتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق »

كتابي اليك خططته بيميني وفرغت له ذهني . فما ظنك بحاجة هذا موقعها

مني . اتراني اقبل العذر فيها او اقصر في الشكر عليها . وابن ابي الشيص قد عرفته ونسبه وصفاته . ولو كانت ايدينا تنبسط ببرّه ما عدانا الى غيرنا فاكتف بهذا منا

(ومن رسائله) كتابي اليك كتاب معنيٍّ بمن كتب له واثق بمن كتب اليه . ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله

« وكتب بديع الزمان الى ابن اخته »

انت ولدي ما دمت والعلم شأنك . والمدرسة مكانك . والمحبرة حليفك . والدفتر أليفك . فان قصرت ولا اخالك . فغيري خالك والسلام

« وكتب ابو الفضل الميكالي من رسالة »

انما اشكو اليك زماناً سلب ضعف ما وهب . وفجع باكثر مما منع . واوحش فوق ما آنس . وعنف في نزع ما ألبس . فانه لم يذقنا حلاوة الاجتماع حتى جرّعنا مرارة الفراق ولم يمتعنا بانس الالتقاء حتى غادرنا رهن التلهف والاشتياق والحمد لله تعالى على كل حال يسوء ويسرّ ويحلو ويمرّ . ولا ايأس من روح الله في اباحة صنع يجعل ربعه مناخي ويقصر مدة البعاد والتراخي . فالاحظ الزمان بعين راض . ويقبل اليَّ حظي بعد اعراض . واستأنف بعزته عيشاً عذب الموارد والمناهل . مأمون الآفات والغوائل

« وللشيخ ابراهيم اليازجي »

بمَ يعتذر اليك من لا يرى لنفسه عذراً وكيف يستتر من عتبك من لا يستطيع لذنبه ستراً بل كفاني من العتب تعنيف نفسي على ما القيت عليها من تبعة تقصيري وما حلت به من التفريط بينها وبين معاذيري . والله يعلم ما كان تقصيري شيئاً اردته ولا كان تفريطي امراً قصدته ولكنها الايام ان صاحبتها لم تصحب . وان عاتبتها لم تعتب . فلقد عبرت بي هذه البرهة كلها وانا بين شواغل لا يشغلها عني شاغل وبلابل قد اختلط حابلها بالنابل . فنازعتها

هذه النهزة اليسيرة أجدد فيها صلة التذكرة الى ان يمن الله بصلة الحبل واجتماع الشمل . واستنزل احرفاً من خطك يكتحل بها الناظر . ويأنس اليها الخاطر . متوقعاً بعد ذلك ان ابقى بين يدي مودتك مذكوراً . وان لا يكون عجزي لديك شيئاً منظوراً . وان تجري بي على عادة حلمك الى ان يجمع الله الشتيتين . ويغني العين عن الاثر بالعين . ان شاء الله تعالى

« وكتب الى صديق له جواباً عن كتاب ينعي اليه فيه »
احد انسبائه ويعزيه بنسيب له :

ورد كتابك يتجاذبه طرفان من نعي وتعزية . ويضرب عليه لونان من شجو وتسلية . فمن لي بعبرتين تجري احداهما وترقأ الاخرى . ومن لي بقلبين يذوب احدهما جزعاً ويجمد الآخر صبراً . بل كيف يصبر جريح ضربه الدهر بسيفين وجرعه البلوى بكاسين . فمزج عبرة بعبرة وتابع حسرة اثر حسرة . وبات لا يجد الى الصبر دليلاً ولا يهتدي الى العزاء سبيلاً . ولكن الامر فوق ما تجري الجفون وما تثير الشجون . وامر الله واقع لا يدفعه دافع والدمع لا يسيغ غصة . والوجد لا يزيل كربة

واذا حصلت من السلاح على البكا فحشاك رعت به وخدك تقرعُ

فما لنا الا السعي وراء ما ندَّ من الصبر نكره عليه النفس وان كان احد لمرَّين والالتجاء الى الرضى بالمكتوب نداوي به القلب وان كان احد الداءين وحسبنا الله وكيلاً

فهرس الكتاب

صفحة



المُعتَمَد

يحتاج اليه المتأدبون والمنشئون من
متن اللغة العربية

معجم مدرسي جديد

وضعه الاستاذ اللغوي جرجي شاهين عطيه

لا يخفى ما يعانيه المتأدبون والمنشئون من المشقة في البحث عن صحة استعمال لفظة من الالفاظ لصعوبة الحصول على أمهات اللغة ومطوّلاتها مع ما يقتضيه البحث فيها من العناء ، ولقصور المعجمات المتداولة بين الايدي عن ارواء الغليل وطالما كاشفنا الادباء والطلّاب بحاجتهم الى معجم مدقّق مرتب على النسق الحديث يحتوي على خلاصة ما قرّرته المطوّلات ويكون موضع ثقتهم واعتمادهم . فدعونا صديقنا اللغويّ المحقق الاستاذ جرجي عطيه المعروف بتدقيقه لسدّ هذه الثلمة فلبي حفظهُ الله طلبنا وألف هذا المعجم « المعتمد » على الطريقة التي يحتاج اليها روّاد الادب وتتوق اليها نفوسهم . وقد طبعناه بمطبعتنا طبعة متقنة وزيّناه بكثير من الرسوم التي تقرب مفهوم الكلمات وتغني عن الشروح الطويلة وغاية مأمولنا ان نكونا قد قمنا بالخدمة التي يتطلبها منا المتأدبون ومحبو اللغة وهذا حسبنا

صفحاته ١٠١٨ ما عدا المقدمة وثمنه ٤٠ غرشاً

4537